

هذا أي:

ينهى عن اتخاذ الشركاء والأنداد، ويأمر بإخلاص العبادة لله وحده. إن هذا الذي جاء به لشيء عجاب أي: يقضي منه العجب لبطلانه وفساده. 5
وذنبه عندهم أنه أجعل الآلهة إلهًا واحدًا أي: كيف

لا يحتاجون أن يفتحوها هم، بل هم مخدومون، وهذا دليل أيضًا على الأمان التام، وأنه ليس في جنات عدن، ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها. 50
لا يبغي صاحبها بدلًا منها، من كمالها وتمام نعيمها، وليسوا بخارجين منها ولا بمخرجين. مفتحة لهم الأبواب أي: مفتحة لأجلهم أبواب منازلها ومسكنها،
ثم فسره وفصله فقال: جنات عدن أي: جنات إقامة،

أن يأتوا بفاكهة كثيرة وشراب من كل ما تشتهي نفوسهم، وتلذذ أعينهم، وهذا يدل على كمال النعيم، وكمال الراحة والطمأنينة، وتمام اللذة. 51
متكئين فيها على الأرائك المزينات، والمجالس المزخرفات. يدعون فيها أي: يأمرهم خدامهم،

كل منها للآخر، وعدم طموحه لغيره، وأنه لا يبغي بصاحبه بدلًا، ولا عنه عوضًا. أتراب أي: على سن واحد، أعدل سن الشباب وأحسنه وألذ. 52
وعندهم من أزواجهم، الحور العين قاصرات طرفهن على أزواجهن، وطرف أزواجهن عليهن، لجمالهم كلهم، ومحبة

هذا ما توعدون أيها المتقون ليوم الحساب جزاء على أعمالكم الصالحة. 53

الغني، الحميد اللطيف الرحمن، الملك الديان، الجليل الجميل المنان، ذي الفضل الباهر، والكرم المتواتر، الذي لا تحصى نعمه، ولا يحاط ببعض بره. 54
من نفاذ أي: انقطاع، بل هو دائم مستقر في جميع الأوقات، متزايد في جميع الآثات. وليس هذا بعظيم على الرب الكريم، الرؤوف الرحيم، البر الجواد، الواسع
إن هذا لرزقنا الذي أوردناه على أهل دار النعيم ما له

هذا الجزاء للمتقين ما وصفناه وإن للطاغين أي: المتجاوزين للحد في الكفر والمعاصي لشر مآب أي: لشر مرجع ومنقلب. 55

يصلونها أي: يعذبون فيها عذابا يحيط بهم من كل وجه، لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل. فبئس المهاد المعد لهم مسكنًا ومستقرًا. 56
ثم فصله فقال: جهنم التي جمع فيها كل عذاب، واشتد حرها، وانتهى قرها

حميم ماء حار، قد اشتد حره، يشربونه فيقطع أمعاءهم. وغساق وهو أكره ما يكون من الشراب، من قيح وصديد، مر المذاق، كريه الرائحة. 57
هذا المهاد، هذا العذاب الشديد، والخزي والفضيحة والنكال فليذوقوه

وآخر من شكله أي: من نوعه أزواج أي: عدة أصناف من أصناف العذاب، يعذبون بها ويخزون بها. 58

وعند تواردهم على النار يشتد بعضهم بعضًا، ويقول بعضهم لبعض: هذا فوج مقتحم معكم النار لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار 59

يرد بمقابلته بما يبطله ويفسده، من الحجج والبراهين، وهم قصدتهم، أن محمداً، ما دعاكم إلى ما دعاكم، إلا ليرأس فيكم، ويكون معظما عندهم، متبعوا. 6
قصد ونية غير صالحة في ذلك، وهذه شبهة لا تروج إلا على السفهاء، فإن من دعا إلى قول حق أو غير حق، لا يرد قوله بالقدح في نيته، فنيته وعمله له، وإنما
عليها وعلى عبادتها، ولا يردكم عنها راد، ولا يصدكم عن عبادتها، صاد. إن هذا الذي جاء به محمد، من النهي عن عبادتها لشيء يراد أي: يقصد، أي: له
المقبول قولهم، محرضين قومهم على التمسك بما هم عليه من الشرك. أن امشوا واصبروا على آلهتكم أي: استمروا عليها، وجاهدوا نفوسكم في الصبر
وانطلق الملاء منهم

بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه أي: العذاب لنا بدعوتكم لنا، وفتنتكم وإضلالكم وتسببكم. فبئس القرار قرار الجميع، قرار السوء والشر. 60
قالوا أي: الفوج المقبل المقتحم:

ثم دعوا على المغوين لهم، ف قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقال في الآية الأخرى: قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون 61

نعددهم من الأشرار أي: كنا نزعهم منهم من الأشرار، المستحقين لعذاب النار، وهم المؤمنون، تفقدتهم أهل النار قبهم الله هل يرونهم في النار؟ 62
وقالوا وهم في النار ما لنا لا نرى رجلا كنا

حتى في النار، ولهذا يقول أهل الأعراف لأهل النار: أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون 63
بالنار، تمكنت من قلوبهم، وصارت صبغة لها، فدخلوا النار وهم بهذه الحالة، فقالوا ما قالوا. ويحتمل أن كلامهم هذا كلام تمويه، كما موهوا في الدنيا، موهوا
وإلا فهم معنا معذبون ولكن تجاوزتهم أبصارنا، فيحتمل أن هذا الذي في قلوبهم، فتكون العقائد التي اعتقدوها في الدنيا، وكثرة ما حكموا لأهل الإيمان
وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخرى حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون والأمر الثاني: أنهم لعلمهم زاعت أبصارنا عن رؤيتهم معنا في العذاب،
وإنما كلامنا لهم من باب السخرية والاستهزاء بهم، وهذا هو الواقع، كما قال تعالى لأهل النار: إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فأغفر لنا وارحمنا
أتخذناهم سخرى أم زاعت عنهم الأبصار أي: عدم رؤيتنا لهم دائر بين أمرين: إما أننا غالطون في عدنا إياهم من الأشرار، بل هم من الأخيار،
قال تعالى مؤكدا ما أخبر به، وهو أصدق القائلين: إن ذلك الذي ذكرت لكم لحق ما فيه شك ولا مرية تخاصم أهل النار 64

تفسير السعدي

- هذا تقرير لألوهيته، بهذا البرهان القاطع، وهو وحدته تعالى، وقهره لكل شيء، فإن القهر ملازم للوحدة، فلا يكون قهارين متساويين في قهرهما أبدا. 65 وأحثكم على الخير وأزجركم عن الشر فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها وما من إله إلا الله أي: ما أحد يؤله ويعبد بحق إلا الله الواحد القهار قل يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبين، إن طلبوا منك ما ليس لك ولا بيدك: إنما أنا منذر هذا نهاية ما عندي، وأما الأمر فله تعالى، ولكني آمركم، وأنهاكم، يحب ويستحق أن يعبد، دون من لا يخلق ولا يرزق، ولا يضر ولا ينفع، ولا يملك من الأمر شيئا، وليس له قوة الاقتدار، ولا بيده مغفرة الذنوب والأوزار. 66 أنواع التدابير. العزيز الذي له القوة، التي بها خلق المخلوقات العظيمة. الغفار لجميع الذنوب، صغيرها، وكبيرها، لمن تاب إليه وأقلع منها. فهذا الذي أن يعبد وحده، كما كان قاهرا وحده، وقرر ذلك أيضا بتوحيد الربوبية فقال: رب السماوات والأرض وما بينهما أي: خالقهما، ومربيهما، ومدبرها بجميع فالذي يقهر جميع الأشياء هو الواحد الذي لا نظير له، وهو الذي يستحق لهم ومنذرا: هو نبا عظيم أي: ما أنبأكم به من البعث والنشور والجزاء على الأعمال، خبر عظيم ينبغي الاهتمام الشديد بشأنه، ولا ينبغي إغفاله. 67 قل لهم، مخوفا ومحذرا، ومنهضا بأخبار لا علم لي بها ولا درستها في كتاب، فأخبرني بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، أكبر شاهد لصدقي، وأدل دليل على حق ما جئتكم به. 68 ولكن أنتم عنه معرضون كأنه ليس أمامكم حساب ولا عقاب ولا ثواب، فإن شككتكم في قلبي، وامترتكم في خبري، فإني أخبركم ما كان لي من علم بالملا الأعلى أي: الملائكة إذ يختصمون لولا تعليم الله إياي، وإيحاؤه إلي. 69 جنس شبهتهم الأولى، حيث ردوا الحق بما ليس بحجة لرد أدنى قول، وهو أنه قول مخالف لما عليه آباؤهم الضالون، فأين في هذا ما يدل على بطلانه؟ 7 أدركوا آباءهم عليه، فامضوا على الذي مضى عليه آباؤكم، فإنه الحق، وما هذا الذي دعا إليه محمد إلا اختلاق اختلقه، وكذب افتراه، وهذه أيضا شبهة من ما سمعنا بهذا القول الذي قاله، والدين الذي دعا إليه في الملة الآخرة أي: في الوقت الأخير، فلا أدركنا عليه آباءنا، ولا آباؤنا إن يوحى إلي إلا أننا أنا نذير مبين أي: ظاهر النذارة، جليها، فلا نذير أبلغ من نذارته صلى الله عليه وسلم. 70 ثم ذكر اختصاص الملا الأعلى فقال: إذ قال ربك للملائكة على وجه الإخبار إني خالق بشرا من طين أي: مادته من طين. 71 امتثالا لربهم، وإكراما لآدم عليه السلام، فلما تم خلقه في بدنه وروحه، وامتنح الله آدم والملائكة في العلم، وظهر فضله عليهم، أمرهم الله بالسجود. 72 فإذا سويته أي: سويت جسمه وتم، ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فوطن الملائكة الكرام أنفسهم على ذلك، حين يتم خلقه ونفخ الروح فيه، فسجدوا كلهم أجمعون 73 إلا إبليس لم يسجد استكبر عن أمر ربه، واستكبر على آدم وكان من الكافرين في علم الله تعالى. 74 واختصصته بهذه الخصيصة، التي اختص بها عن سائر الخلق، وذلك يقتضي عدم التكبر عليه. استكبرت في امتناعك أم كنت من العالين 75 ف قال الله موبخا ومعاتبا: ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي: شرفته وكرمته من الله، قد تبين غاية بطلانه وفساده، فما بالك بأقيسة التلاميذ الذين عارضوا الحق بأقيستهم؟ فإنها كلها أعظم بطلانا وفسادا من هذا القياس. 76 أنواع الأشجار والنباتات وهو يغلب النار ويطفئها، والنار تحتاج إلى مادة تقوم بها، والطين قائم بنفسه، فهذا قياس شيخ القوم، الذي عارض به الأمر الشفاهي النار خير من عنصر الطين، وهذا من القياس الفاسد، فإن عنصر النار مادة الشر والفساد، والعلو والطيش والخفة وعنصر الطين مادة الرزانة والتواضع وإخراج قال إبليس معارضا لربه ومناقضا: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وبزعمه أن عنصر ف قال الله له: فاخرج منها أي: من السماء والمحل الكريم. فإنك رجيم أي: مبعد مدحور. 77 وإن عليك لعنتي أي: طردي وإبعادي إلى يوم الدين أي: دائما أبدا. 78 قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون لشدة عداوته لآدم وذريته، ليتمكن من إغواء من قدر الله أن يغويه. 79 بل لما يذوقوا عذاب أي: قالوا هذه الأقوال، وتجروا عليها، حيث كانوا ممتعين في الدنيا، لم يصبهم من عذاب الله شيء، فلو ذاقوا عذابه، لم يتجرأوا. 8 الصفة يتكلم عن شك وعناد، إن قوله غير مقبول، ولا قادح أدنى قدح في الحق، وأنه يتوجه عليه الذم واللوم بمجرد كلامه، ولهذا توعدهم بالعذاب فقال: جازمين بإقامتهم على شكهم، قالوا ما قالوا من تلك الأقوال لدفع الحق، لا عن بينة من أمرهم، وإنما ذلك من باب الائتفاك منهم. ومن المعلوم، أن من هو بهذه الرسول، أخبر تعالى من أين صدرت، وأنهم في شك من ذكرني ليس عندهم علم ولا بينة. فلما وقعوا في الشك وارتضوا به، وجاءهم الحق الواضح، وكانوا الرسل إلا بهذا الوصف، يمن الله عليهم برسالاته، ويأمرهم بدعوة الخلق إلى الله، ولهذا، لما كانت هذه الأقوال الصادرة منهم لا يصلح شيء منها لرد ما جاء به الذكر من بيننا أي: ما الذي فضله علينا، حتى ينزل الذكر عليه من دوننا، ويخصه الله به؟ وهذه أيضا شبهة، أين البرهان فيها على رد ما قاله؟ وهل جميع أنزل عليه

فقال الله مجيباً لدعوته، حيث اقتضت حكمته ذلك: فإنك من المنظرين 80

إلى يوم الوقت المعلوم حين تستكمل الذرية، يتم الامتحان. 81

من خبثه، بشدة العداوة لربه ولآدم وذريته، فقال: فبعتك لأغوينهم أجمعين يحتمل أن الباء للقسمة، وأنه أقسم بعزة الله ليغوينهم كلهم أجمعين. 82 فلما علم أنه منظر، بادى ربه،

دعاءنا، ونؤمن بوعدك الذي قلت لنا: وقال ربكم ادعوني أستجب لكم فقد دعوناك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا. إنك لا تخلف الميعاد 83 من النعم الدينية والدنيوية، وصرفت بها عنا ما صرفت من النقم، أن تعيننا على محاربتة وعداوته، والسلامة من شره وشركه، ونحسن الظن بك أن تجيب المقرون لك بكل نعمة، ذرية من شرفته وكرمته، فنستعين بعزتك العظيمة، وقدرتك، ورحمتك الواسعة لكل مخلوق، ورحمتك التي أوصلت إلينا بها، ما أوصلت عاجز من كل وجه، وأنه لا يضل أحداً إلا بمشيئة الله تعالى، فاستعان بعزة الله على إغواء ذرية آدم هذا، وهو عدو الله حقاً. ونحن يا ربنا العاجزون المقصرون، إلا عبادك منهم المخلصين علم أن الله سيحفظهم من كيده. ويحتمل أن الباء للاستعانة، وأنه لما علم أنه

قال الله تعالى فالحق والحق أقول أي: الحق وصفي، والحق قولي. 84

قال الله تعالى فالحق والحق أقول أي: الحق وصفي، والحق قولي. 85

قل ما أسألكم عليه أي: على دعائي إياكم من أجر وما أنا من المتكلمين أدعي أمراً ليس لي، وأقفو ما ليس لي به علم، لا أتبع إلا ما يوحى إلي. 86 فلما بين الرسول للناس الدليل ووضح لهم السبيل قال الله له:

عبدنا واذكر عبادنا رحمة من عندنا وذكرى هذا ذكر اللهم علمنا منه ما جهلنا، وذكرنا منه ما نسينا، نسيان غفلة ونسيان ترك. 87 المخلصين، وجزاء المتقين والطاغين. فلماذا أقسم في أولها بأنه ذو الذكر، ووصفه في آخرها بأنه ذكر للعالمين. وأكثر التذكير بها فيما بين ذلك، كقوله: واذكر السورة العظيمة، مشتملة على الذكر الحكيم، والنبأ العظيم، وإقامة الحجج والبراهين، على من كذب بالقرآن وعارضه، وكذب من جاء به، والإخبار عن عباد الله الوحي والقرآن إلا ذكر للعالمين يتذكرون به كل ما ينفعهم، من مصالح دينهم ودنياهم، فيكون شرفاً ورفعة للعاملين به، وإقامة حجة على المعاندين. فهذه إن هو أي: هذا

ولتعلمن نبأه أي: خبره بعد حين وذلك حين يقع عليهم العذاب وتتقطع عنهم الأسباب. تم تفسير سورة ص بمنه تعالى وعونه. 88

شاءوا، ويمنعون منها من شاءوا، حيث قالوا: أنزل عليه الذكر من بيننا أي: هذا فضله تعالى ورحمته، وليس ذلك بأيديهم حتى يتحجروا على الله. 9 أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب فيعطون منها من

سورة 39

مشتملاً على الحق في أخباره الصادقة، وأحكامه العادلة، فكل ما دل عليه فهو أعظم أنواع الحق، من جميع المطالب العلمية، وما بعد الحق إلا الضلال. 1 عليه وسلم، الذي هو أشرف الخلق فعلم أنه أشرف الكتب، وبما نزل به، وهو الحق، فنزل بالحق الذي لا مربة فيه، لإخراج الخلق من الظلمات إلى النور، ونزل كلامه كامل من كل وجه لا مثيل له، فهذا وحده كاف في وصف القرآن، دال على مرتبته. ولكنه مع هذا زاد بيانا لكماله بمن نزل عليه، وهو محمد صلى الله عليه وآله وأمره. فالقرآن نازل ممن هذا وصفه، والكلام وصف للمتكلم، والوصف يتبع الموصوف، فكما أن الله تعالى هو الكامل من كل وجه، الذي لا مثيل له، فكذلك منه، وأنه نزل من الله العزيز الحكيم، أي: الذي وصفه الألوهية للخلق، وذلك لعظمته وكماله، والعزة التي قهر بها كل مخلوق، وذل له كل شيء، والحكمة في يخبر تعالى عن عظمة القرآن، وجلالة من تكلم به ونزل

يؤديها، فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضية الصبر ومحل عند الله، وأنه معين على كل الأمور. 10 أجرهم بغير حساب وهذا عام في جميع أنواع الصبر، الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى إلى غيرها، وهذا عام في كل زمان ومكان، فلا بد أن يكون لكل مهاجر، ملجأ من المسلمين يلجأ إليه، وموضع يتمكن من إقامة دينه فيه. إنما يوفى الصابرون يأتي أمر الله وهم على ذلك تشير إليه هذه الآية، وترمي إليه من قريب، وهو أنه تعالى أخبر أن أرضه واسعة، فمهما منعتم من عبادته في موضع فهاجروا الله واسعة وهنا بشارة نص عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بقوله لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى وهو أن النص عام، أنه كل من أحسن فله في الدنيا حسنة، فما بال من آمن في أرض يضطهد فيها ويمتهن، لا يحصل له ذلك، دفع هذا الظن بقوله: وأرض إلى غيرها، تعبدون فيها ربكم، وتتمكنون من إقامة دينكم. ولما قال: للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة كان لبعض النفوس مجال في هذا الموضع، منشراح. كما قال تعالى: من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة وأرض الله واسعة إذا منعتم من عبادته في أرض، فهاجروا وأبها الشجاع قاتل. وذكر لهم الثواب المنشط في الدنيا فقال: للذين أحسنوا في هذه الدنيا بعبادة ربهم حسنة ورزق واسع، ونفس مطمئنة، وقلب وهو ربوبية الله لهم وإنعامه عليهم، المقتضي ذلك منهم أن يتقوه، ومن ذلك ما من الله عليهم به من الإيمان فإنه موجب للتقوى، كما تقول: أيها الكريم تصدق،

تفسير السعدي

أي: قل مناديا لأشرف الخلق، وهم المؤمنون، أما لهم بأفضل الأوامر، وهي التقوى، ذاكرا لهم السبب الموجب للتقوى،

أي قل يا أيها الرسول للناس: إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين في قوله في أول السورة: فاعبد الله مخلصا له الدين 11

إيقاعه من محمد صلى الله عليه وسلم، وممن زعم أنه من أتباعه، فلا بد من الإسلام في الأعمال الظاهرة، والإخلاص لله في الأعمال الظاهرة والباطنة. 12 وأمرت لأن أكون أول المسلمين لأنني الداعي الهادي للخلق إلى ربهم، فيقتضي أنني أول من ائتمر بما أمر به، وأول من أسلم، وهذا الأمر لا بد من

قل إني أخاف إن عصيت ربي في ما أمرني به من الإخلاص والإسلام. عذاب يوم عظيم يخلد فيه من أشرك، ويعاقب فيه من عصى. 13

تعالى: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين 14

قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه كما قال

واشتد عليهم الحزن، وعظم الخسران. ألا ذلك هو الخسران المبين الذي ليس مثله خسران، وهو خسران مستمر، لا ربح بعده، بل ولا سلامة. 15 الخاسرين حقيقة هم الذين خسروا أنفسهم حيث حرموها الثواب، واستحقت بسببهم وخيم العقاب وأهليهم يوم القيامة أي: فرق بينهم وبينهم،

قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين قل إن

قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه كما قال تعالى:

على سلوكها، ورغبتهم بكل مرغبت تشاق له النفوس، وتطمئن له القلوب، وحذرهم من العمل لغيره غاية التحذير، وذكر لهم الأسباب الزاجرة عن تركه. 16 لأهل الشقاء من العذاب داع يدعو عباده إلى التقوى، وزاجر عما يوجب العذاب. فسبحان من رحم عباده في كل شيء، وسهل لهم الطرق الموصلة إليه، وحثهم ظلل ذلك الوصف الذي وصفنا به عذاب أهل النار، سوط يسوق الله به عباده إلى رحمته، يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون أي: جعل ما أعده

ثم ذكر شدة ما يحصل لهم من الشقاء فقال: لهم من فوقهم ظلل من النار أي: قطع عذاب كالحساب العظيم ومن تحتهم

وبره وإحسانه وحلول أمانه في الجنة. ولما أخبر أن لهم البشري، أمره الله ببشارتهم، وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: فبشر عباد 17

مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة، ولهم البشري في الآخرة عند الموت، وفي القبر، وفي القيامة، وخاتمة البشري ما يبشرهم به الرب الكريم، من دوام رضوانه ولا يعلم وصفها، إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشري في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية من الله، التي يرون في خلالها، أنه الدين له، فأنصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، ومن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات، لهم البشري التي لا يقادر قدرها، الله، فاجتنبوها في عبادتها. وهذا من أحسن الاحتراز من الحكيم العليم، لأن المدح إنما يتناول المجتنب لها في عبادتها. وأنابوا إلى الله بعبادته وإخلاص لما ذكر حال المجرمين ذكر حال المنبيين وثوابهم، فقال: والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها والمراد بالطاغوت في هذا الموضع، عبادة غير

حسنها، وقبيحها، ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز، لكن غلبت شهوته عقله، فبقي عقله تابعا لشهوته فلم يؤثر الأحسن، كان ناقص العقل. 18 وحزمهم، أنهم عرفوا الحسن من غيره، وآثروا ما ينبغي إثباره، على ما سواه، وهذا علامة العقل، بل لا علامة للعقل سوى ذلك، فإن الذي لا يميز بين الأقوال، الآية. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله لأحسن الأخلاق والأعمال وأولئك هم أولو الأبواب أي: العقول الزاكية. ومن لبهم نتصف بصفات أولي الأبواب، وحتى نعرف أن من أثره علمنا أنه من أولي الأبواب؟ قيل: نعم، أحسنه ما نص الله عليه الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية. وفي هذه الآية نكتة، وهي: أنه لما أخبر عن هؤلاء الممدوحين أنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه، كأنه قيل: هل من طريق إلى معرفة أحسنه حتى فلهذا من حزمهم وعقلهم أنهم يتبعون أحسنه، وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله، كما قال في هذه السورة: الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الذين يستمعون القول وهذا جنس يشمل كل قول فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إثباره مما ينبغي اجتنابه،

أي: أفمن وجبت عليه كلمة العذاب باستمراره على غيه وعناده وكفره، فإنه لا حيلة لك في هدايته، ولا تقدر تنقذ من في النار لا محالة. 19

تعالى جميع دينك، من الشرائع الظاهرة والسرائع الباطنة: الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تفرد الله وحده بها، وتقصد به وجهه، لا غير ذلك من المقاصد. 20 على أشرف الخلق، عظمت فيه النعمة، وجلت، ووجب القيام بشكرها، وذلك بإخلاص الدين لله، فلهذا قال: فاعبد الله مخلصا له الدين أي: أخلص لله

ولما كان نازلا من الحق، مشتتملا على الحق لهداية الخلق،

والفاكهة النضيجة. وعد الله لا يخلف الله الميعاد وقد وعد المتقين هذا الثواب، فلا بد من الوفاء به، فليوفوا بخصال التقوى، ليوفيهم أجورهم. 20

بذهب وفضة، وملاطها المسك الأذفر. تجري من تحتها الأنهار المتدفقة، المسقية للبساتين الزاهرة والأشجار الطاهرة، فتغل بأنواع الثمار اللذيذة،

ومن علوها وارتفاعها، أنها ترى كما يرى الكوكب الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي، ولهذا قال: من فوقها غرف أي: بعضها فوق بعض مبنية

الكرامة وأنواع النعيم، ما لا يقادر قدره. لهم غرف أي: منازل عالية مزخرفة، من حسناتها وبهائها وصفائها، أنه يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها،

لكن الغنى كل الغنى، والفوز كل الفوز، للمتقين الذين أعد لهم من

أولي الأبواب، الذين نوهت بذكرهم، وهديتهم بما أعطيتهم من العقول، وأريتهم من أسرار كتابك وبديع آياتك ما لم يصل إليه غيرهم، إنك أنت الوهاب. 21 تبعا لمصالحهم. ويذكرون به كمال قدرته، وأنه يحيي الموتى، كما أحيا الأرض بعد موتها، ويذكرون به أن الفاعل لذلك هو المستحق للعبادة اللهم اجعلنا من

تفسير السعدي

ثم يجعله حطاما متكسرا إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب يذكرون بها عناية ربهم ورحمته بعباده، حيث يسر لهم هذا الماء، وخزنه بخزان الأرض بسهولة ويسر، ثم يخرج به زرا مختلفا ألوانه من بر وذرة، وشعير وأرز، وغير ذلك. ثم يهيج عند استكماله، أو عند حدوث آفة فيه فتراه مصفرا يذكر تعالى أولي الألباب، ما أنزله من السماء من الماء، وأنه سلكه ينابيع في الأرض، أي: أودعه فيها ينبوعا، يستخرج

ضلال مبين وأي ضلال أعظم من ضلال من أعرض عن وليه؟ ومن كل السعادة في الإقبال عليه، وقسا قلبه عن ذكره، وأقبل على كل ما يضره؟ 22 ذكر الله أي: لا تلبس لكتابته، ولا تتذكر آياته، ولا تطمئن بذكره، بل هي معرضة عن ربها، ملتفتة إلى غيره، فهؤلاء لهم الويل الشديد، والشر الكبير. أولئك في والعمل بها، منشراحا قريير العين، على بصيرة من أمره، وهو المراد بقوله: فهو على نور من ربه كمن ليس كذلك، بدليل قوله: فويل للقاسية قلوبهم من أي: أفيستوي من شرح الله صدره للإسلام، فاتسع لتلقي أحكام الله

من هاد لأنه لا طريق يوصل إليه إلا توفيقه والتوفيق للإقبال على كتابته، فإذا لم يحصل هذا، فلا سبيل إلى الهدى، وما هو إلا الضلال المبين والشقاء. 23 إلى الله إلا منه يهدي به من يشاء من عباده ممن حسن قصده، كما قال تعالى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ومن يضل الله فما له يهدي به أي: بسبب ذلك من يشاء من عباده. ويحتمل أن المراد بقوله: ذلك أي: القرآن الذي وصفناه لكم. هدى الله الذي لا طريق يوصل الخير، وتارة يرهبهم من عمل الشر. ذلك الذي ذكره الله من تأثير القرآن فيهم هدى الله أي: هداية منه لعباده، وهو من جملة فضله وإحسانه عليهم، يخشون ربهم لما فيه من التخويف والترهيب المزعج، ثم تلبس جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله أي: عند ذكر الرجاء والترغيب، فهو تارة يرغبهم لعمل بسبب ذلك خير كثير، ونفع غزير. ولما كان القرآن العظيم بهذه الجلالة والعظمة، أثر في قلوب أولي الألباب المهتدين، فلماذا قال تعالى: تقشعر منه جلود الذين كان بعض المواضع يكون أبسط من بعض وأكثر فائدة، وهكذا ينبغي للقارئ للقرآن، المتدبر لمعانيه، أن لا يدع التدبر في جميع المواضع منه، فإنه يحصل له الكريم، اقتداء بما هو تفسير له، فلا تجد فيه الحوالة على موضع من المواضع، بل كل موضع تجد تفسيره كامل المعنى، غير مراعى لما مضى مما يشبهه، وإن الله تعالى عليه، وأنه لو تكرر عليه المعنى مرة واحدة في جميع القرآن، لم يقع منه موقعا، ولم تحصل النتيجة منه، ولهذا سلك في هذا التفسير هذا المسلك كلما بعد عهدا بسقي الماء نقصت، بل ربما تلفت، وكلما تكرر سقيها حسنت وأثمرت أنواع الثمار النافعة، فكذلك القلب يحتاج دائما إلى تكرر معاني كلام وحسنه، فإنه تعالى، لما علم احتياج الخلق إلى معانيه المزيكية للقلوب، المكملة للأخلاق، وأن تلك المعاني للقلوب، بمنزلة الماء لسقي الأشجار، فكما أن الأشجار كما ذكرنا. مثاني أي: تثني فيه القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير، وصفات أهل الشر، وتثني فيه أسماء الله وصفاته، وهذا من جلالته، وآخر متشابهات فجعل التشابه لبعضه، وهنا جعله كله متشابها، أي: في حسنه، لأنه قال: أحسن الحديث وهو سور وآيات، والجميع يشبه بعضه بعضا متشابهات فالمراد بها، التي تشبه على فهم كثير من الناس، ولا يزول هذا الاشتباه إلا بردها إلى المحكم، ولهذا قال: منه آيات محكمات هن أم الكتاب بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضوع. وأما في قوله تعالى: هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر وعدم الاختلاف، بوجه من الوجوه. حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم وإذا كان هو الأحسن، علم أن ألفاظه أفصح الألفاظ وأوضحها، وأن معانيه، أجل المعاني، لأنه أحسن الحديث في لفظه ومعناه، متشابها في الحسن والائتلاف يخبر تعالى عن كتابه الذي نزل أنه أحسن الحديث على الإطلاق، فأحسن الحديث كلام الله، وأحسن الكتب المنزلة من كلام الله هذا القرآن،

فهو يتقي فيه سوء العذاب لأنه قد غلت يداه ورجلاه، وقيل للظالمين أنفسهم، بالكفر والمعاصي، توبيخا وتقريعا: ذوقوا ما كنتم تكسبون 24 كان في الضلال واستمر على عناده حتى قدم القيامة، فجاءه العذاب العظيم فجعل يتقي بوجهه الذي هو أشرف الأعضاء، وأدنى شيء من العذاب يؤثر فيه، أي: أفيستوي هذا الذي هداه الله، ووقفه لسلك الطريق الموصلة لدار كرامته، كمن

كذب الذين من قبلهم من الأمم كما كذب هؤلاء، فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون جاءهم في غفلة أول نهار، أو هم قائلون. 25

عند الله وعند خلقه ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون فليحذر هؤلاء من المقام على التكذيب، فيصيبهم ما أصاب أولئك من التعذيب. 26 فأذاقهم الله بذلك العذاب الخزي في الحياة الدنيا فافتضحوا

أهل الشر، وأمثال التوحيد والشر، وكل مثل يقرب حقائق الأشياء، والحكمة في ذلك لعلمهم يتذكرون عندما نوضح لهم الحق فيعلمون ويعملون. 27 يخبر تعالى أنه ضرب في القرآن من جميع الأمثال، أمثال أهل الخير وأمثال

قيما لعلمهم يتقون الله تعالى، حيث سهلنا عليهم طرق التقوى العلمية والعملية، بهذا القرآن العربي المستقيم، الذي ضرب الله فيه من كل مثل. 28 من الوجوه، لا في ألفاظه ولا في معانيه، وهذا يستلزم كمال اعتداله واستقامته كما قال تعالى: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قرآنا عربيا غير ذي عوج أي: جعلناه قرآنا عربيا، واضح الألفاظ، سهل المعاني، خصوصا على العرب. غير ذي عوج أي: ليس فيه خلل ولا نقص بوجه

لغيره، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة، ف هل يستويان مثلا الحمد لله على تبين الحق من الباطل، وإرشاد الجاهل. بل أكثرهم لا يعلمون 29 المشرك، فيه شركاء متشاكسون، يدعو هذا، ثم يدعو هذا، فتراه لا يستقر له قرار، ولا يطمئن قلبه في موضع، والموحد مخلص لربه، قد خلاصه الله من الشراكة ورجلا سلما لرجل أي: خالصا له، قد عرف مقصود سيده، وحصلت له الراحة التامة. هل يستويان أي: هذان الرجلان مثلا؟ لا يستويان. كذلك حتى تمكن راحته، بل هم متشاكسون متنازعون فيه، كل له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره، فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟

تفسير السعدي

للشرك والتوحيد فقال: ضرب الله مثلا رجلا أي: عبدا فيه شركاء متشاكسون فهم كثيرون، وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة من الحالات ثم ضرب مثلا

اتصف به، ويريه الله الآيات، فيجحدوها ويكفر بها ويكذب، فهذا أنى له الهدى وقد سد على نفسه الباب، وعوقب بأن طبع الله على قلبه، فهو لا يؤمن؟ 3
إن الله لا يهدي أي: لا يوفق للهداية إلى الصراط المستقيم من هو كاذب كفار أي: وصفه الكذب أو الكفر، بحيث تأتيه المواعظ والآيات، ولا يزول عنه ما يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون وقد علم أن حكمه أن المؤمنين المخلصين في جنات النعيم، ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار. الشرك لا يغفره الله تعالى، لأنه يتضمن القدح في الله تعالى، ولهذا قال حاكما بين الفريقين، المخلصين والمشركون، وفي ضمنه التهديد للمشركون: إن الله فلا يشفع منهم أحد إلا بإذنه، وله الشفاعة كلها. فبهذه الفروق يعلم جهل المشركين به، وسفهمهم العظيم، وشدة جرائهم عليه. ويعلم أيضا الحكمة في كون فسألوه، فأعطى كلا منهم ما سأل وتمنى، لم ينقصوا من غناه شيئا، ولم ينقصوا مما عنده، إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط. وجميع الشفعاء يخافونه، بها رحمته، وهو يريد من مصالحهم ما لا يريدونه لأنفسهم، وهو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، الذي لو اجتمع الخلق من أولهم وآخرهم في صعيد واحد وأجود الأجودين، لا يحتاج إلى أحد من خلقه يجعله راحما لعباده، بل هو أرحم بهم من أنفسهم ووالديهم، وهو الذي يحثهم ويدعوهم إلى الأسباب التي ينالون يخشون من الفقر. وأما الرب تعالى، فهو الذي أحاط علمه بظواهر الأمور وبواطنها، الذي لا يحتاج من يخبره بأحوال رعيته وعباده، وهو تعالى أرحم الراحمين، لهم ويحتاجون إلى الشفعاء والوزراء، ويخافون منهم، فيقضون حوائج من توسطوا لهم، مراعاة لهم، ومداراة لخواطريهم، وهم أيضا فقراء، قد يمنعون لما رعاياهم، لأنهم لا يعلمون أحوالهم. فيحتاج من يعلمهم بأحوالهم، وربما لا يكون في قلوبهم رحمة لصاحب الحاجة، فيحتاج من يعطفهم عليه ويسترحمه من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم، عقلا ونقلا وفطرة، فإن الملوك، إنما احتاجوا للوساطة بينهم وبين لا يوصل إليهم إلا بوجهاء، وشفعاء، ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم، ويستعطفونهم عليهم، ويمهدون لهم الأمر في ذلك، أن الله تعالى كذلك. وهذا القياس وتجروا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثله شيء، الملك العظيم، بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم، أن الملوك كما أنه أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده، وإلا، فنحن نعلم أنها، لا تخلق، ولا ترزق، ولا تملك من الأمر شيئا. أي: فهؤلاء، قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، أشرك به فقال: والذين اتخذوا من دونه أولياء أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، معتذرين عن أنفسهم وقائلين: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى عن الشرك، وهو مفسد للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مشق للنفس غاية الشقاء، فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص، نهى عن الشرك به، وأخبر بدم من مطالب عباده. وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويظهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة. فإن الله بريء منه، وليس لله فيه شيء، فهو أغنى الشركاء الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به، لأنه متضمن للتأله لله في حبه وخوفه ورجائه، وللإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أنه له الكمال كله، وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو ألا لله الدين الخالص هذا تقرير

إنك ميت وإنهم ميتون أي: كلكم لا بد أن يموت وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون 30

ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيما تنازعتم فيه، فيفصل بينكم بحكمه العادل، ويجازي كلا ما عمله أحصاه الله ونسوه 31

كان ظلما على ظلم. أليس في جهنم مثوى للكافرين يحصل بها الاشتفاء منهم، وأخذ حق الله من كل ظالم وكافر. إن الشرك لظلم عظيم 32
ما أظلم ممن جاءه الحق المؤيد بالبينات فكذبه، فتكذيبه ظلم عظيم منه، لأنه رد الحق بعد ما تبين له، فإن كان جامعا بين الكذب على الله والتكذيب بالحق، حكم بكذا وهو كاذب، فهذا داخل في قوله تعالى: وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون إن كان جاهلا، وإلا فهو أشنع وأشنع. وكذب بالصدق إذ جاءه أي: ومخيرا: أنه لا أظلم وأشد ظلما ممن كذب على الله إما بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله، أو بادعاء النبوة، أو الإخبار بأن الله تعالى قال كذا، أو أخبر بكذا، أو يقول تعالى، محذرا

وعدم استكباره. أولئك أي: الذين وفقوا للجمع بين الأمرين هم المتقون فإن جميع خصال التقوى ترجع إلى الصدق بالحق والتصديق به. 33
لا يصدق به، بسبب استكباره، أو احتقاره لمن قاله وأتى به، فلا بد في المدح من الصدق والتصديق، فصدقه يدل على علمه وعدله، وتصديقه يدل على تواضعه قام مقامهم، ممن صدق فيما قاله عن خبر الله وأحكامه، وفيما فعله من خصال الصدق. وصدق به أي: بالصدق لأنه قد يجيء الإنسان بالصدق، ولكن قد ولما ذكر الكاذب المكذب وجنابته وعقوبته، ذكر الصادق المصدق وثوابه، فقال: والذي جاء بالصدق في قوله وعمله، فدخل في ذلك الأنبياء ومن فإنه حاصل لهم، معد مهيا، ذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه فإنه يراهم المحسنين إلى عباد الله. 34
عند ربهم من الثواب، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. فكل ما تعلق به إرادتهم ومشيتهم، من أصناف اللذات والمشتهيات، لهم ما يشاءون

ويجزئهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أي: بحسناتهم كلها إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 35
والأحسن الطاعات كلها، فهذا التفصيل، يتبين معنى الآية، وأن قوله: ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا أي: ذنوبهم الصغار، بسبب إحسانهم وتقواهم، عمل الإنسان له ثلاث حالات: إما أسوأ، أو أحسن، أو لا أسوأ، ولا أحسن. والقسم الأخير قسم المباحات وما لا يتعلق به ثواب ولا عقاب، والأسوأ، المعاصي كلها،

تفسير السعدي

ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون

عنه من ناوأه بسوء. ويخوفونك بالذين من دونه من الأصنام والأنداد أن تنالك بسوء، وهذا من غيهم وضلالهم. ومن يضل الله فما له من هاد 36 بعبوديته، وامتلأ أمره واجتنب نهيه، خصوصا أكمل الخلق عبودية لربه، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله تعالى سيكفيه في أمر دينه ودنياه، ويدفع أليس الله بكاف عبده أي: أليس من كرمه وجوده، وعنايته بعبده، الذي قام

أليس الله بعزیز له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، وبعرته يكفي عبده ويدفع عنه مكروهم. ذي انتقام ممن عصاه، فاحذروا موجبات نقمته. 37 ومن يهد الله فما له من مضل لأنه تعالى الذي بيده الهداية والإضلال، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

أي: عليه يعتمد المعتمدون في جلب مصالحهم ودفع مضارهم، فالذي بيده وحده الكفاية هو حسبي، سيكفيني كل ما أهمني وما لا أهتم به. 38 النافع الضار وحده، وأن غيره عاجز من كل وجه. عن الخلق والنفع والضرر، مستجلبا كفايته، مستدفعاً مكروهم وكيدهم: قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون رحمته ومانعاتها عني؟ سيقولون: لا يكشفون الضر ولا يمسكون الرحمة. قل لهم بعد ما تبين الدليل القاطع على أنه وحده المعبود، وأنه الخالق للمخلوقات، هل هن كاشفات ضره بإزالته بالكلية، أو بتخفيفه من حال إلى حال؟ أو أرادني برحمة يوصل إلي بها منفعة في ديني أو دنيائي. هل هن ممسكات وحده. قل لهم مقررًا عجز آلهتهم، بعد ما تبينت قدرة الله: أفأريتم أي: أخبروني ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر أي ضر كان. بالذين من دونه، وأقمت عليهم دليلاً من أنفسهم، فقلت: من خلق السماوات والأرض لم يثبتوا لآلهتهم من خلقها شيئاً. ليقولن الله الذي خلقها. أي: ولئن سألت هؤلاء الضلال الذين يخوفونك

يستحق من العبادة شيئاً ولا له من الأمر شيء. إني عامل على ما دعوتكم إليه، من إخلاص الدين لله تعالى وحده. فسوف تعلمون لمن العاقبة 39 أي: قل لهم يا أيها الرسول: يا قوم اعملوا على مكانتكم أي: على حالتكم التي رضيتموها لأنفسكم، من عبادة من لا له إدلال على أبيه ومناسبة منه. ووحدته تعالى وقهره متلازمان، فالواحد لا يكون إلا قهاراً، والقهار لا يكون إلا واحداً، وذلك ينفي الشركة له من كل وجه. 40 مماثل، فلو كان له ولد، لاقتضى أن يكون شبيهاً له في وحدته، لأنه بعضه، وجزء منه. القهار لجميع العالم العلوي والسفلي، فلو كان له ولد لم يكن مقهوراً، ولكان به الكافرون، أو نسبه إليه الملحدون. هو الله الواحد القهار أي: الواحد في ذاته، وفي أسمائه، وفي صفاته، وفي أفعاله، فلا شبيه له في شيء من ذلك، ولا ما يشاء أي: لا صطفى بعض مخلوقاته التي يشاء اصطفاؤه، واختصه لنفسه، وجعله بمنزلة الولد، ولم يكن حاجة إلى اتخاذ صاحبة. سبحانه عما ظنه أي: لو أراد الله أن يتخذ ولداً كما زعم ذلك من زعمه، من سفهاء الخلق. لا صطفى مما يخلق

مقيم لا يحول عنه ولا يزول، وهذا تهديد عظيم لهم، وهم يعلمون أنهم المستحقون للعذاب المقيم، ولكن الظلم والعناد حال بينهم وبين الإيمان. 40 و من يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا. ويحل عليه في الأخرى عذاب

لا يضر الله شيئاً. وما أنت عليهم بوكيل تحفظ عليهم أعمالهم وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، وإنما أنت مبلغ تؤدي إليهم ما أمرت به. 41 وأنه قامت به الحجة على العالمين. فمن اهتدى بنوره واتبع أوامره فإن نفع ذلك يعود إلى نفسه ومن ضل بعدما تبين له الهدى فإنما يضل عليها تعالى أنه أنزل على رسوله الكتاب المشتمل على الحق، في أخباره وأوامره ونواهي، الذي هو مادة الهداية، وبلاغ لمن أراد الوصول إلى الله وإلى دار كرامته، يخبر

في الوفاة والإمساك والإرسال، وأن أرواح الأحياء والأموات تتلاقى في البرزخ، فتجتمع، فتتحدث، فيرسل الله أرواح الأحياء، ويمسك أرواح الأموات. 42 وإحيائه الموتى بعد موتهم. وفي هذه الآية دليل على أن الروح والنفس جسم قائم بنفسه، مخالف جوهره جوهر البدن، وأنها مخلوقة مدبرة، يتصرف الله فيها أن يموت في منامه. ويرسل النفس الأخرى إلى أجل مسمى أي: إلى استكمال رزقها وأجلها. إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون على كمال اقتداره، الصغرى، أي: ويمسك النفس التي لم تمت في منامها، فيمسك من هاتين النفسين النفس التي قضى عليها الموت وهي نفس من كان مات، أو قضى أنه الخالق المدبر، ويضيفها إلى أسبابها، باعتبار أن من سننه تعالى وحكمته أن جعل لكل أمر من الأمور سبباً. وقوله: والتي لم تمت في منامها وهذه الموتة تعالى: قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون لأنه تعالى يضيف الأشياء إلى نفسه، باعتبار حين موتها وهذه الوفاة الكبرى، وفاة الموت. وإخباره أنه يتوفى الأنفس وإضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت وأعوانه، كما قال يخبر تعالى أنه المتفرد بالتصرف بالعباد، في حال يقظتهم ونومهم، وفي حال حياتهم وموتهم، فقال: الله يتوفى الأنفس

أن يمدحوا به، لأنها جمادات من أحجار وأشجار وصور وأموات، فهل يقال: إن لمن اتخذها عقلاً؟ أم هو من أضل الناس وأجهلهم وأعظمهم ظلماً؟ 43 أي: من اتخذتم من الشفعاء لا يملكون شيئاً أي: لا مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، بل وليس لهم عقل، يستحقون ينكر تعالى، على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم ويسألهم ويعبدهم. قل لهم مبيناً جهلهم، وأنها لا تستحق شيئاً من العبادة: أولو كانوا

فالواجب أن تطلب الشفاعة ممن يملكها، وتخلص له العبادة. ثم إليه ترجعون فيجازي المخلص له بالثواب الجزيل، ومن أشرك به بالعذاب الويل. 44 الكريم عنده أن يشفع، رحمة بالاثنيين. ثم قرر أن الشفاعة كلها له بقوله له ملك السماوات والأرض أي: جميع ما فيهما من الذوات والأفعال والصفات. قل لهم: لله الشفاعة جميعاً لأن الأمر كله لله. وكل شفيع فهو يخافه، ولا يقدر أن يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فإذا أراد رحمة عبده، أذن للشفيع

تفسير السعدي

الحال أشر الحالات وأشنعها، ولكن موعدهم يوم الجزاء. فهناك يؤخذ الحق منهم، وينظر: هل تنفعهم آلهتهم التي كانوا يدعون من دون الله شيئاً؟ 45
من دونه من الأصنام والأنداد، ودعا الداعي إلى عبادتها ومدحها، إذا هم يستبشرون بذلك، فرحاً بذكر معبوداتهم، ولكون الشرك موافقاً لأهوائهم، وهذه شركهم أنهم إذا ذكر الله توحيداً له، وأمر بإخلاص الدين له، وترك ما يعبد من دونه، أنهم يشتمون وينفرون، ويكرهون ذلك أشد الكراهة. وإذا ذكر الذين يذكر تعالى حالة المشركين، وما الذي اقتضاه

المحيط بكل شيء، دال على حكمه بين عباده وبعثهم، وعلمه بأعمالهم، خيرها وشرها، وبمقادير جزائها، وخلقه دال على علمه ألا يعلم من خلق 46
حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ففي هذه الآية، بيان عموم خلقه تعالى وعموم علمه، وعموم حكمه بين عباده، فقدرته التي نشأت عنها المخلوقات، وعلمه أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقال تعالى: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون إنه من يشرك بالله فقد به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد إلى أن قال: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من وقد أخبرنا بالفصل بينهم بعدها بقوله: هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد شيئاً، وتنقصوك غاية النقص، واستبشروا عند ذكر آلهتهم، واشمأزوا عند ذكره، وزعموا مع هذا أنهم على الحق وغيرهم على الباطل، وأن لهم الحسنى. قال القائلين: إن ما هم عليه هو الحق، وإن لهم الحسنى في الآخرة دون غيرهم، والمشركين الذين اتخذوا من دونك الأنداد والأوثان، وسووا فيك من لا يسوى عن أبصارنا وعلمنا والشهادة الذي نشاهده. أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون وإن من أعظم الاختلاف اختلاف الموحدين المخلصين ولهذا قال قل اللهم فاطر السماوات والأرض أي: خالقهما ومدبرهما. عالم الغيب الذي غاب

الله بقلب سليم وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون أي: يظنون من السخط العظيم، والمقت الكبير، وقد كانوا يحكمون لأنفسهم بغير ذلك. 47
ومثله معه، ثم بذلوه يوم القيامة ليفتدوا به من العذاب وينجوا منه، ما قبل منهم، ولا أغنى عنهم من عذاب الله شيئاً، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى وأشنع، وأنهم على الفرض والتقدير لو كان لهم ما في الأرض جميعاً، من ذهبها وفضتها ولؤلؤها وحيواناتها وأشجارها وزروعها وجميع أوانيها وأثاثها وذكر مقالة المشركين وشناعتها، كأن النفوس تشوقت إلى ما يفعل الله بهم يوم القيامة، فأخبر أن لهم سوء العذاب أي: أشده وأفظعه، كما قالوا أشد الكفر لما ذكر تعالى أنه الحاكم بين عباده،

أي: الأمور التي تسوؤهم، بسبب صنيعهم وكسبهم. وحق بهم ما كانوا به يستهزئون من الوعيد والعذاب الذي نزل بهم، وما حل عليهم العقاب. 48
وبدا لهم سيئات ما كسبوا

لينظر من يشكره ممن يكفره. ولكن أكثرهم لا يعلمون فلذلك يعدون الفتنة منحة، ويشتهب عليهم الخير المحض، بما قد يكون سبباً للخير أو للشر. 49
على علم أي: علم من الله، أي له أهل، وأني مستحق له، لأني كريم عليه، أو على علم مني بطرق تحصيله. قال تعالى: بل هي فتنة يبتلي الله به عباده، أو كرب. دعانا ملحا في تفريج ما نزل به ثم إذا خولناه نعمة منا فكشفنا ضره وأزلنا مشقته، عاد بربه كافراً، ولمعرفه منكراً. و قال إنما أوتيته يخبر تعالى عن حالة الإنسان وطبيعته، أنه حين يمسه ضر، من مرض أو شدة

التواابين المؤمنين، كما قال تعالى: وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى الغفار لمن أشرك به بعد ما رأى من آياته العظيمة، ثم تاب وأناب. 5
الذي لا يغالب، القاهر لكل شيء، الذي لا يستعصي عليه شيء، الذي من عزته وبأوجد هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها تجري بأمره. الغفار لذنوب عباده وهو انقضاء هذه الدار وخرابها، فيخرب الله آلتها وشمسها وقمرها، وينشئ الخلق نشأة جديدة ليستقروا في دار القرار، الجنة أو النار. ألا هو العزيز الآخر عن سلطانه. وسخر الشمس والقمر بتسخير منظم، وسير مقنن. كل من الشمس والقمر يجري متأثراً عن تسخيرته تعالى لأجل مسمى ويعاقبهم. يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل أي: يدخل كلا منهما على الآخر، ويحله محله، فلا يجتمع هذا وهذا، بل إذا أتى أحدهما انعزل يخبر تعالى أنه خلق السماوات والأرض أي: بالحكمة والمصلحة، وليأمر العباد بينها، ويثيبهم

متوارة عند المكذبين، لا يقرون بنعمة ربهم، ولا يرون له حقاً، فلم يزل دأبهم حتى أهلكوا، ولم يغن عنهم ما كانوا يكسبون حين جاءهم العذاب. 50
قال تعالى: قد قالها الذين من قبلهم أي: قولهم إنما أوتيته على علم فما زالت

العقوبات، لأنها تسوء الإنسان وتحزنه. والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا فليسوا خيراً من أولئك، ولم يكتب لهم براءة في الزبر. 51
فأصابهم سيئات ما كسبوا والسيئات في هذا الموضع:

يضيق عليهم الرزق لطفاً بهم، لأنه لو بسطه لبغوا في الأرض، فيكون تعالى مراعيًا في ذلك صلاح دينهم الذي هو مادة سعادتهم وفلاحهم، والله أعلم. 52
به خير البرية. إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أي: بسط الرزق وقبضه، لعلمهم أن مرجع ذلك، عائد إلى الحكمة والرحمة، وأنه أعلم بحال عبيده، فقد من عباده، سواء كان صالحاً أو طالحاً ويقدر الرزق، أي: يضيقه على من يشاء، صالحاً أو طالحاً، فرزقه مشترك بين البرية. والإيمان والعمل الصالح يخص ولما ذكر أنهم اغتروا بالمال، وزعموا بجهلهم أنه يدل على حسن حال صاحبه، أخبرهم تعالى، أن رزقه، لا يدل على ذلك، وأنه يبسط الرزق لمن يشاء وأجلها، بل لا سبب لها غيره، الإنابة إلى الله تعالى بالتوبة النصوح، والدعاء والتضرع والتأله والتعبد. فهلم إلى هذا السبب الأجل، والطريق الأعظم. 53

تفسير السعدي

إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته، ولكن لمغفرته ورحمته ونيلهما أسباب إن لم يأت بها العبد، فقد أغلق على نفسه باب الرحمة والمغفرة، أعظمها تزل آثارهما سارية في الوجود، مألوفة للموجود، تسح يده من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم على العباد والفواضل في السر والجهار، والعطاء أحب والربا، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار. إنه هو الغفور الرحيم أي: وصفه المغفرة والرحمة، وصفان لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا أنه يغفر الذنوب جميعا من الشرك، والقتل، والزنا، تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا وتراكت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مصرين على يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب. لا تقنطوا من رحمة الله أي: لا المسرفين بسعة كرمه، ويحثهم على الإنابة قبل أن لا يمكنهم ذلك فقال: قل يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبرا للعباد عن ربهم: يخبر تعالى عباده

الظاهرة والباطنة شيئا. من قبل أن يأتيكم العذاب مجيئا لا يدفع ثم لا تنصرون فكأنه قيل: ما هي الإنابة والإسلام؟ وما جزئياتها وأعمالها؟ 54 وإذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا. وفي قوله إلى ربكم وأسلموا له دليل على الإخلاص، وأنه من دون إخلاص، لا تفيد الأعمال ولهذا أمر تعالى بالإنابة إليه، والمبادرة إليها فقال: وأنبيوا إلى ربكم بقلوبكم وأسلموا له بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح، ربه في هذه الأمور ونحوها هو المنيب المسلم. من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون وكل هذا حث على المبادرة وانتهاز الفرصة. 55 الأعمال الظاهرة، كالصلاة، والزكاة والصيام، والحج، والصدقة، وأنواع الإحسان، ونحو ذلك، مما أمر الله به، وهو أحسن ما أنزل إلينا من ربنا، فالمتبع لأوامر ما أنزل إليكم من ربكم مما أمركم من الأعمال الباطنة، كمحبة الله، وخشيته، وخوفه، ورجائه، والنصح لعباده، ومحبة الخير لهم، وترك ما يصاد ذلك. ومن فأجاب تعالى بقوله: واتبعوا أحسن

نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله أي: في جانب حقه. وإن كنت في الدنيا لمن الساخرين في إتيان الجزاء، حتى رأيته عيانا. 56 ثم حذرهم أن يستمروا على غفلتهم، حتى يأتيهم يوم يندمون فيه، ولا تنفع الندامة. و تقول لو هنا شرطية، لأنها لو كانت شرطية، لكانوا محتجين بالقضاء والقدر على ضلالهم، وهو حجة باطلة، ويوم القيامة تضمحل كل حجة باطلة. 57 لو أن الله هداني لكنت من المتقين ولو في هذا الموضع للتمني، أي: ليت أن الله هداني فأكون متقيا له، فأسلم من العقاب وأستحق الثواب، وليست أو تقول

لكنت من المحسنين قال تعالى: إن ذلك غير ممكن ولا مفيد، وإن هذه أمانى باطلة لا حقيقة لها، إذ لا يتجدد للعبد لو رد، بيان بعد البيان الأول. 58 أو تقول حين ترى العذاب وتجزم بوروده لو أن لي كرة أي: رجعة إلى الدنيا

فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين فسؤال الرد إلى الدنيا، نوع عبث، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون 59 بلى قد جاءت آياتي الدالة دلالة لا يمتري فيها. على الحق

لا إله إلا هو فأنى تصرفون بعد هذا البيان ببيان استحقاقه تعالى للإخلاص وحده إلى عبادة الأوثان، التي لا تدبر شيئا، وليس لها من الأمر شيء. 60 الله ربكم أي: المألوه المعبود، الذي رباكم ودبركم، فكما أنه الواحد في خلقه وتربيته لا شريك له في ذلك، فهو الواحد في ألوهيته، لا شريك له، ولهذا قال: ثلاث ظلمة البطن، ثم ظلمة الرحم، ثم ظلمة المشيمة، ذلكم الذي خلق السماوات والأرض، وسخر الشمس والقمر، وخلقكم وخلق لكم الأنعام والنعم أمهاتكم خلقا من بعد خلق أي: طورا بعد طور، وأنتم في حال لا يد مخلوق تمسكم، ولا عين تنظر إليكم، وهو قد رباكم في ذلك المكان الضيق في ظلمات لا يصلح غيرها، كالأضحية والهدي، والعقيقة، ووجوب الزكاة فيها، واختصاصها بالدية. ولما ذكر خلق أبينا وأمتنا، ذكر ابتداء خلقنا، فقال: يخلقكم في بطون ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وخصها بالذكر، مع أنه أنزل لمصالح عباده من البهائم غيرها، لكثرة نفعها، وعموم مصالحها، ولشرفها، واختصاصها بأشياء من الأنعام أي: خلقها بقدر نازل منه، رحمة بكم. ثمانية أزواج وهي التي ذكرها في سورة الأنعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين خلقكم من نفس واحدة على كثرتم وانتشاركم، في أنحاء الأرض، ثم جعل منها زوجها وذلك ليسكن إليها وتسكن إليه، وتتم بذلك النعمة. وأنزل لكم ومن عزته أن

عليه باتخاذ الشريك والولد والصاحبة، والإخبار عنه بما لا يليق بجلاله، أو ادعاء النبوة، أو القول في شرعه بما لا يقوله، والإخبار بأنه قاله وشرعه. 60 وعن عبادة ربهم، المفترين عليه؟ بلى والله، إن فيها لعقوبة وخزيا وسخطا، يبلغ من المتكبرين كل مبلغ، ويؤخذ الحق منهم بها. والكذب على الله يشمل الكذب سود الله وجوههم، جزاء من جنس عملهم. فلهم سواد الوجوه، ولهم العذاب الشديد في جهنم، ولهذا قال: أليس في جهنم مثوى للمتكبرين عن الحق، كذبوا عليه، وأن وجوههم يوم القيامة مسودة كأنها الليل البهيم، يعرفهم بذلك أهل الموقف، فالحق أبلج واضح كأنه الصبح، فكما سودوا وجه الحق بالكذب، يخبر تعالى عن خزي الذين

إلى دار السلام، فحينئذ يأمنون من كل سوء ومكروه، وتجري عليهم نضرة النعيم، ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور 61 السوء أي: العذاب الذي يسوؤهم ولا هم يحزنون فنفى عنهم مباشرة العذاب وخوفه، وهذا غاية الأمان. فلهم الأمن التام، يصحبهم حتى يوصلهم

تفسير السعدي

فقال: وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم أي: بنجاتهم، وذلك لأن معهم آلة النجاة، وهي تقوى الله تعالى، التي هي العدة عند كل هول وشدة. لا يمسهـم ولما ذكر حالة المتكبرين، ذكر حالة المتقين،

على كل شيء وكيل، يدل على إحاطة علمه بجميع الأشياء، وكمال قدرته على تدبيرها، وكمال تدبيره، وكمال حكمته التي يضع بها الأشياء مواضعها. 62 الأليق، فلا تتم الوكالة إلا بذلك كله، فما نقص من ذلك، فهو نقص فيها. ومن المعلوم المتقرر، أن الله تعالى منزّه عن كل نقص في صفة من صفاته، فإخباره بأنه قدرة تامة على ما هو وكيل عليه، ليتمكن من التصرف فيه، ومن حفظ لما هو وكيل عليه، ومن حكمة، ومعرفة بوجوه التصرفات، ليصرفها ويدبرها على ما هو أنه خالق لجميع العالم العلوي والسفلي، وأنه على كل شيء وكيل، والوكالة التامة لا بد فيها من علم الوكيل، بما كان وكيلًا عليه، وإحاطته بتفاصيله، ومن تعالى لم يزل بأسمائه وصفاته، ولم يحدث له صفة من صفاته، ولم يكن معطلا عنها بوقت من الأوقات، والشاهد من هذا، أن الله تعالى أخبر عن نفسه الكريمة لأن الكلام صفة المتكلم، والله تعالى بأسمائه وصفاته أول ليس قبله شيء، فأخذ أهل الاعتزال من هذه الآية ونحوها أنه مخلوق، من أعظم الجهل، فإنه يقدم الأرض والسموات، وكالقائلين يقدم الأرواح، ونحو ذلك من أقوال أهل الباطل، المتضمنة تعطيل الخالق عن خلقه. وليس كلام الله من الأشياء المخلوقة، وما أشبهها، مما هو كثير في القرآن، تدل على أن جميع الأشياء غير الله مخلوقة، ففيها رد على كل من قال بتقديم بعض المخلوقات، كالفلاسفة القائلين يخبر تعالى عن عظمتهم وكماله، الموجب لخسران من كفر به فقال: الله خالق كل شيء هذه العبارة

بذكر الله، وما تصلح به الجوارح من طاعة الله، وتعوضوا عن ذلك كل مفسد للقلوب والأبدان، وخسروا جنات النعيم، وتعوضوا عنها بالعذاب الأليم. 63 الدالة على الحق اليقين والصرط المستقيم. أولئك هم الخاسرون خسروا ما به تصلح القلوب من التأله والإخلاص لله. وما به تصلح الألسن من إشغالها فلما بين من عظمتها ما يقتضي أن تمتلئ القلوب له إجلالا وإكراما، ذكر حال من عكس القضية فلم يقدره حق قدره، فقال: والذين كفروا بآيات الله مقاليد السماوات والأرض أي: مفاتيحها، علما وتديرا، ف ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم له

بأن الله تعالى الكامل من جميع الوجوه، مسدي جميع النعم، هو المستحق للعبادة، دون من كان ناقصا من كل وجه، لا ينفع ولا يضر، لم تأمروني بذلك. 64 أيها الرسول لهؤلاء الجاهلين، الذين دعوك إلى عبادة غير الله: أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون أي: هذا الأمر صدر من جهلكم، وإلا فلو كان لكم علم قل يا

من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ولتكونن من الخاسرين دينك وآخرتك، فبالشرك تحبط الأعمال، ويستحق العقاب والنكال. 65 الأنبياء، أن الشرك محبط لجميع الأعمال، كما قال تعالى في سورة الأنعام لما عدد كثيرا من أنبيائه ورسله قال عنهم: ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ولهذا قال: ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك من جميع الأنبياء. لئن أشركت ليحبطن عملك هذا مفرد مضاف، يعم كل عمل، ففي نبوة جميع وذلك لأن الشرك بالله محبط للأعمال، مفسد للأحوال،

سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا، فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر. 66 يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من الله تعالى والشكر لله عليها، له، وكن من الشاكرين لله على توفيق الله تعالى، فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك، كذلك بل الله فاعبد لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، وأخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص فقال: بل الله فاعبد أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك ثم قال:

وعظمها مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمتها من سوى به غيره، ولا أظلم منه. سبحانه وتعالى عما يشركون أي: تنزه وتعاضم عن شركهم به. 67 هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمتها الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السماوات على سعتها إشراكهم به من هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضرر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئا. فسووا يقول تعالى: وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من

ينظرون أي: قد قاموا من قبورهم لبعثهم وحسابهم، قد تمت منهم الخلقة الجسدية والأرواح، وشخصت أبصارهم ينظرون ماذا يفعل الله بهم. 68 النفخة، فلم يصعق، كالشهداء أو بعضهم، وغيرهم. وهذه النفخة الأولى، نفخة الصعق، ونفخة الفزع. ثم نفخ فيه النفخة الثانية نفخة البعث فإذا هم قيام السماوات ومن في الأرض أي: كلهم، لما سمعوا نفخة الصور أزعجتهم من شدتها وعظمتها، وما يعلمون أنها مقدمة له. إلا من شاء الله ممن ثبتته الله عند من خلقه، فينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، أحد الملائكة المقربين، وأحد حملة عرش الرحمن. فصعق أي: غشي أو مات، على اختلاف القولين: من في من عظمتها، خوفهم بأحوال يوم القيامة، ورغبتهم ورهبهم فقال: ونفخ في الصور وهو قرن عظيم، لا يعلم عظمتها إلا خالقه، ومن أطلع الله على علمه لما خوفهم تعالى

ربهم، قد كتبت عليهم ما عملوه، وأعدل الشهداء قد شهدوا على ذلك الحكم، فحكم بذلك من يعلم مقادير الأعمال ومقادير استحقاقها للثواب والعقاب. 69 حساب صادر ممن لا يظلم مثقال ذرة، ومن هو محيط بكل شيء، وكتابه الذي هو اللوح المحفوظ، محيط بكل ما عملوه، والحفظة الكرام، والذين لا يعصون

تفسير السعدي

عن التبليغ، وعن أممهم، ويشهدوا عليهم. والشهداء من الملائكة والأعضاء والأرض. وقضي بينهم بالحق أي: العدل التام والقسط العظيم، لأنه ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ويقال للعامل من تمام العدل والإنصاف: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وحيء بالنبیین ليسألوا والسيئات، كما قال تعالى: ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا عظيم، لو كشفه، لأحرقن سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. ووضع الكتاب أي: كتاب الأعمال وديوانه، وضع ونشر، ليقرأ ما فيه من الحسنات يتجلى وينزل للفصل بينهم، وذلك اليوم يجعل الله للخلق قوة، وينشئهم نشأة يقوون على أن لا يحرقهم نوره، ويتمكنون أيضا من رؤيته، وإلا فنوره تعالى القيامة وتضحمل، وهو كذلك، فإن الله أخبر أن الشمس تكور، والقمر يخسف، والنجوم تندثر، ويكون الناس في ظلمة، فتشرق عند ذلك الأرض بنور ربها، عندما وأشرقت الأرض بنور ربها علم من هذا، أن الأنوار الموجودة تذهب يوم

كلا منكم ما يستحقه. إنه عليم بذات الصدور أي: بنفس الصدور، وما فيها من وصف بر أو فجور، والمقصود من هذا، الإخبار بالجزاء بالعدل التام. 7 في يوم القيامة فينبئكم بما كنتم تعملون إخبارا أحاط به علمه، وجرى عليه قلمه، وكتبته عليكم الحفظة الكرام، وشهدت به عليكم الجوارح، فيجازي أنه لا يتضرر بشرككم ولا ينتفع بأعمالكم وتوحيدكم، كذلك كل أحد منكم له عمله، من خير وشر ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم ما خلقكم لأجله. وإن تشكروا لله تعالى بتوحيده، وإخلاص الدين له يرضه لكم لرحمته بكم، ومحبه للإحسان عليكم، ولفعلكم ما خلقكم لأجله. وكما لعباده الكفر لكمال إحسانه بهم، وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها، ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق لها الخلق، فلا يرضى أن يدعوا إن تكفروا فإن الله غني عنكم لا يضره كفركم، كما لا ينتفع بطاعتكم، ولكن أمره ونهيكم لكم محض فضله وإحسانه عليكم. ولا يرضى به من عظمته وعلمه وحكمته ورحمته ما لم يخطر بقلوبهم، ولا تعبر عنه ألسنتهم، ولهذا قال: ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون 70 فيحصل حكم يقر به الخلق، ويعترفون لله بالحمد والعدل، ويعرفون

أي: بسبب كفرهم وجبت عليهم كلمة العذاب، التي هي لكل من كفر بآيات الله، وجحد ما جاءت به المرسلون، فاعترفوا بذنبهم وقيام الحجة عليهم. 71 حجة الله قامت عليهم: بلى قد جاءتنا رسل ربنا بآياته وبيناته، وبينوا لنا غاية التبيين، وحذرونا من هذا اليوم. ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين يومكم هذا أي: وهذا يوجب عليكم اتباعهم والحذر من عذاب هذا اليوم، باستعمال تقواه، وقد كانت حالكم بخلاف هذه الحال؟ قالوا مقرين بذنبهم، وأن تعرفون صدقهم، وتتمكنون من التلقي عنهم؟. يتلون عليكم آيات ربكم التي أرسلهم الله بها، الدالة على الحق اليقين بأوضح البراهين. وينذرونكم لقاء لهم بالشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي، وموبخين لهم على الأعمال التي أوصلتهم إلى هذا المحل الفظيع: ألم يأتكم رسل منكم أي: من جنسكم تعرفونهم بعضهم من بعض. حتى إذا جاءوها أي: وصلوا إلى ساحتها فتحت لهم أي: لأجلهم أبوابها لقدهمهم وقرى لنزولهم. وقال لهم خزنتها مهنيين دفعا، وذلك لامتناعهم من دخولها. ويساقون إليها زمرا أي: فرقا متفرقة، كل زمرة مع الزمرة التي تناسب عملها، وتشاكل سعيها، يلعن بعضهم بعضا، ويبرأ موضع، وهي جهنم التي قد جمعت كل عذاب، وحضرها كل شقاء، وزال عنها كل سرور، كما قال تعالى: يوم يدعون إلى نار جهنم دعا أي: يدفعون إليها والتقوى والفجور، فقال: وسبق الذين كفروا إلى جهنم أي: سوا عنيفا، يضربون بالسياط الموجهة، من الزبانية الغلاظ الشداد، إلى شر محبس وأفظع الذين جمعهم في خلقه ورزقه وتدبيره، واجتماعهم في الدنيا، واجتماعهم في موقف القيامة، فرقمهم تعالى عند جزائهم، كما افترقوا في الدنيا بالإيمان والكفر، لما ذكر تعالى حكمه بين عباده،

فبئس مثوى المتكبرين أي: بئس المقر، النار مقرهم، وذلك لأنهم تكبروا على الحق، فجازاهم الله من جنس عملهم، بالإهانة والذل، والخزي. 72 ادخلوا أبواب جهنم كل طائفة تدخل من الباب الذي يناسبها ويوافق عملها. خالدين فيها أبدا، لا يظعنون عنها، ولا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا ينظرون. ف قيل لهم على وجه الإهانة والإذلال:

النار والجنة لهما أبواب تفتح وتغلق، وأن لكل منهما خزنة، وهما الداران الخالصتان، اللتان لا يدخل فيهما إلا من استحقهما، بخلاف سائر الأمكنة والدور. 73 عليه، فلم تفتح لهم بمجرد ما وصلوا إليها، بل يستشفعون إلى الله بمحمد صلى الله عليه وسلم، حتى يشفع، فيشفعه الله تعالى. وفي الآيات دليل على أن الجنة، فإنها الدار العالية الغالية، التي لا يوصل إليها ولا ينالها كل أحد، إلا من أتى بالوسائل الموصلة إليها، ومع ذلك، فيحتاجون لدخولها لشفاعاة أكرم الشفعاء أن أهل النار، بمجرد وصولهم إليها، فتحت لهم أبوابها من غير إنظار ولا إمهال، وليكون فتحها في وجوههم، وعلى وصولهم، أعظم لحرها، وأشد لعذابها. وأما بسبب طبيكم ادخلوها خالدين لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون. وقال في النار فتحت أبوابها وفي الجنة وفتحت بالواو، إشارة إلى سلام عليكم أي: سلام من كل آفة وشر حال. عليكم طبتم أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبه وخشيته، وأسننكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. ف عليهم ريحها ونسيمها، وأن خلودها ونعيمها. وفتحت لهم أبوابها فتح إكرام، لكرام الخلق، ليكرموا فيها. وقال لهم خزنتها تهنئة لهم وترحيبا: زمرا فرحين مستبشرين، كل زمرة مع الزمرة، التي تناسب عملها وتشاكله. حتى إذا جاءوها أي: وصلوا لتلك الرحاب الرحيبة والمنازل الأنيفة، وهب ثم قال عن أهل الجنة: وسبق الذين اتقوا ربهم بتوحيده والعمل بطاعته، سوق إكرام وإعزاز، يحشرون وفدا على النجائب. إلى الجنة

الجواد الكريم لهم نزلا، وبنى أعلاها وأحسنها، وغرسها بيده، وحشاها من رحمته وكرامته ما ببعضه يفرح الحزين، وبزول الكدر، ويتم الصفاء. 74 ربهم، في زمن قليل منقطع، فنالوا بذلك خيرا عظيما باقيا مستمرا. وهذه الدار التي تستحق المدح على الحقيقة، التي يكرم الله فيها خواص خلقه، ورضيها

تفسير السعدي

من الجنة حيث نشاء أي: نزل منها أي مكان شئنا، وتناول منها أي نعيم أردنا، ليس ممنوعا عنا شيء نريده. فنعم أجر العاملين الذين اجتهدوا بطاعة الله الذي صدقنا وعده أي: وعدنا الجنة على ألسنة رسله، إن آمنا وصلحنا، فوفى لنا بما وعدنا، وأنجز لنا ما منانا. وأورثنا الأرض أي: أرض الجنة نتبوا وقالوا عند دخولهم فيها واستقرارهم، حامدين ربهم على ما أولاهم ومن عليهم وهداهم: الحمد

بحمد ربهم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة. تم تفسير سورة الزمر بحمد الله وعونه. 75
الخلق بالحق الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، ممن عليه الحق. وقيل الحمد لله رب العالمين لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق نطقوا يسبحون بحمد ربهم أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا. وقضي بينهم أي: بين الأولين والآخرين من ذلك اليوم العظيم حافين من حول العرش أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين بجماله. وترى الملائكة أيها الرائي

من أصحاب النار فلا يغنيك ما تتمتع به إذا كان المآل النار. أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يتمتعون 8
ليضل بنفسه، ويضل غيره، لأن الإضلال فرع عن الضلال، فأتى بالملزوم ليدل على اللازم. قل لهذا العاتي، الذي بدل نعمة الله كفرا: تمتع بكفر قليلًا إنك ما كان يدعو إليه من قبل أي: نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومر كأنه ما أصابه ضر، واستمر على شركه. وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله أي:
إلا الله، فيدعوه متضرعا منييا، ويستغيث به في كشف ما نزل به ويلج في ذلك. ثم إذا خوله الله نعمة منه بأن كشف ما به من الضر والكربة، نسي عن كرمه بعبدته وإحسانه وبره، وقلة شكر عبده، وأنه حين يمسه الضر، من مرض أو فقر، أو وقوع في كربة بحر أو غيره، أنه يعلم أنه لا ينجيه في هذه الحال يخبر تعالى

فيؤثرون العلم على الجهل، وطاعة الله على مخالفته، لأن لهم عقولا ترشداهم للنظر في العواقب، بخلاف من لا لب له ولا عقل، فإنه يتخذ إلهه هواه. 9
الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار. إنما يتذكر إذا ذكروا أولو الألباب أي: أهل العقول الزكية الذكية، فهم الذين يؤثرون الأعلى على الأدنى، ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم والذين لا يعلمون شيئا من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي أن متعلق الخوف عذاب الآخرة، على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء، رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن. قل هل يستوي الذين يعلمون كمن هو قانت أي: مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصلاة، وأفضل الأوقات وهو أوقات الليل، فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء، وذكر بطاعة الله وغيره، وبين العالم والجاهل، وأن هذا من الأمور التي تقرر في العقول تباينها، وعلم علما يقينا تفاوتها، فليس المعرض عن طاعة ربه، المتبع لهواه، هذه مقابلة بين العالم

سورة 40

نطقوا بحمد ربهم وحكمته على ما قضى به على أهل الجنة وأهل النار، حمد فضل وإحسان، وحمد عدل وحكمة. تم تفسير سورة الزمر بحمد الله وعونه. 1
من الخلق بالحق الذي لا اشتباه فيه ولا إنكار، ممن عليه الحق. وقيل الحمد لله رب العالمين لم يذكر القائل من هو، ليدل ذلك على أن جميع الخلق بجماله. يسبحون بحمد ربهم أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بجلاله، مما نسب إليه المشركون وما لم ينسبوا. وقضي بينهم أي: بين الأولين والآخرين أيها الرائي ذلك اليوم العظيم حافين من حول العرش أي: قد قاموا في خدمة ربهم، واجتمعوا حول عرشه، خاضعين لجلاله، معترفين بكماله، مستغرقين وترى الملائكة

عليكم، والسخط من الكريم حالا بكم، حتى آلت بكم الحال إلى ما آلت، فالיום حل عليكم غضب الله وعقابه حين نال المؤمنون رضوان الله وثوابه. 10
وزهدتم في الإيمان الذي خلقكم الله له، وخرجتم من رحمته الواسعة، فمقتكم وأبغضكم، فهذا أكبر من مقتكم أنفسكم أي: فلم يزل هذا المقت مستمرا لمقت الله أي: إياكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أي: حين دعتمكم الرسل وأتباعهم إلى الإيمان، وأقاموا لكم من البينات ما تبين به الحق، فكفرتكم النار، ويقرون أنهم مستحقونها، لما فعلوه من الذنوب والأوزار، فيمقتون أنفسهم لذلك أشد المقت، ويغضبون عليها غاية الغضب، فينادون عند ذلك، ويقال لهم: وامتناع ذلك عليهم وتوبيخهم، فقال: إن الذين كفروا أطلقه ليشمل أنواع الكفر كلها، من الكفر بالله، أو بكتبه، أو برسله، أو باليوم الآخر، حين يدخلون يخبر تعالى عن الفضيحة والخزي الذي يصيب الكافرين، وسؤالهم الرجعة، والخروج من النار،

والحياة الأخرى، فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل أي: تحسروا وقالوا ذلك، فلم يفد ولم ينجع، ووبخوا على عدم فعل أسباب النجاة. 11
اثنتين يريدون الموت الأولى وما بين النفختين على ما قيل أو عدم المحض قبل إيجادهم، ثم أماتهم بعدما أوجدتهم، وأحييتنا اثنتين الحياة الدنيا فتمنوا الرجوع و قالوا ربنا أمتنا

في أسمائه وصفاته وأفعاله المتنزه عن كل آفة وعيب ونقص، فإذا كان الحكم له تعالى، وقد حكم عليكم بالخلود الدائم، فحكمه لا يغير ولا يبدل. 12
القدر، وعلو القهر ومن علو قدره، كمال عدله تعالى، وأنه يضع الأشياء مواضعها، ولا يساوي بين المتقين والفجار. الكبير الذي له الكبرياء والعظمة والمجد،

تفسير السعدي

الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا فالحكم لله العلي الكبير العلي: الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علو الذات، وعلو الآخرة، وتكرهون ما هو خير وصلاح في الدنيا والآخرة. تؤثرن سبب الشقاوة والذل والغضب وتزهدون بما هو سبب الفوز والفلاح والظفر وإن يروا سبيل وإن يشرك به تؤمنوا أي: هذا الذي أنزلكم هذا المنزل وبوأكم هذا المقييل والمحل، أنكم تكفرون بالإيمان، وتؤمنون بالكفر، ترضون بما هو شر وفساد في الدنيا ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده أي: إذا دعي لتوحيده، وإخلاص العمل له، ونهي عن الشرك به كفرتم به واشمأزت لذلك قلوبكم ونفرتم غاية النفور.

13 إلا من ينيب إلى الله تعالى، بالإقبال على محبته وخشيته وطاعته والتضرع إليه، فهذا الذي ينتفع بالآيات، وتصير رحمة في حقه، ويزداد بها بصيرة. به البلاد والعباد. وهذا يدل دلالة قاطعة أنه وحده هو المعبود، الذي يتعين إخلاص الدين له، كما أنه وحده المنعم. وما يتذكر بالآيات حين يذكر بها أن النعم كلها منه، فمنه نعم الدين، وهي المسائل الدينية والأدلة عليها، وما يتبع ذلك من العمل بها. والنعم الدنيوية كلها، كالنعم الناشئة عن الغيث، الذي تحيا الدين ولما ذكر أنه يري عباده آياته، نبه على آية عظيمة فقال: وينزل لكم من السماء رزقا أي: مطرا به ترزقون وتعيشون أنتم وبهائمكم، وذلك يدل على والنقلية وتنوعت، وضرب الله لها الأمثال وأكثر لها من الاستدلال، ولهذا ذكرها في هذا الموضع، ونبه على جملة من أدلتها فقال: فادعوا الله مخلصين له وكلما كانت المسائل أجل وأكبر، كانت الدلائل عليها أكثر وأيسر، فانظر إلى التوحيد لما كانت مسألته من أكبر المسائل، بل أكبرها، كثرت الأدلة عليها العقلية وهذا من أكبر نعمه على عباده، حيث لم يبق الحق مشتبه ولا الصواب ملتبس، بل نوع الدلالات ووضح الآيات، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة والاقاكية والقرآنية، الدالة على كل مطلوب مقصود، الموضحة للهدى من الضلال، بحيث لا يبقى عند الناظر فيها والمتأمل لها أدنى شك في معرفة الحقائق، يذكر تعالى نعمه العظيمة على عباده، بتبيين الحق من الباطل، بما يري عباده من آياته النفسية

لله وحده غاية الكراهة، كما قال تعالى: وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون 14 تدينونه به وتتقربون به إليه. ولو كره الكافرون لذلك، فلا تبالوا بهم، ولا ينكم ذلك عن دينكم، ولا تأخذكم بالله لومة لائم، فإن الكافرين يكرهون الإخلاص ودعاء المسألة، والإخلاص معناه: تخليص القصد لله تعالى في جميع العبادات الواجبه والمستحبة، حقوق الله وحقوق عباده. أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تثمر التذكر، والتذكر يوجب الإخلاص لله، رتب الأمر على ذلك بالفاء الدالة على السببية فقال: فادعوا الله مخلصين له الدين وهذا شامل لدعاء العبادة ولما كانت الآيات

المنجية مما يكون فيه. وسماه يوم التلاق لأنه يلتقي فيه الخالق والمخلوق والمخلوقون بعضهم مع بعض، والعاملون وأعمالهم وجزاؤهم. 15 عنهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ولهذا قال: لينذر من ألقي الله إليه الوحي يوم التلاق أي: يخوف العباد بذلك، ويحثهم على الاستعداد له بالأسباب الرسل الذين فضلهم الله واختصهم الله لوحيه ودعوة عباده. والفائدة في إرسال الرسل، هو تحصيل سعادة العباد في دينهم ودنياهم وآخرتهم، وإزالة الشقاوة فالروح والقلب بدون روح الوحي لا يصلح ولا يفلح، فهو تعالى يلقي الروح من أمره الذي فيه نفع العباد ومصلحتهم. على من يشاء من عباده وهم على عباده بالرسالة والوحي، فقال: يلقي الروح أي: الوحي الذي للأرواح والقلوب بمنزلة الأرواح للأجساد، فكما أن الجسد بدون الروح لا يحيا ولا يعيش، وتعالى ذاته، أن يتقرب إليه إلا بالعمل الزكي الطاهر المطهر، وهو الإخلاص، الذي يرفع درجات أصحابه ويقربهم إليه ويجعلهم فوق خلقه، ثم ذكر نعمته الدرجات ذو العرش أي: العلي الأعلى، الذي استوى على العرش واختص به، وارتفعت درجاته ارتقاعا باين به مخلوقاته، وارتفع به قدره، وجلت أوصافه، ثم ذكر من جلاله وكماله ما يقتضي إخلاص العبادة له فقال: رفيع

لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات وذلت وخضعت، خصوصا في ذلك اليوم الذي غنت فيه الوجوه للحي القيوم، يومئذ لا تكلم نفس إلا بإذنه. 16 الصالحة أو السيئة؟ الملك لله الواحد القهار أي: المنفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا شريك له في شيء منها بوجه من الوجوه. القهار المالك لذلك اليوم العظيم الجامع للأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، الذي انقطعت فيه الشركة في الملك، وتقطعت الأسباب، ولم يبق إلا الأعمال يسمعون الداعي وينفذهم البصر. لا يخفى على الله منهم شيء لا من ذواتهم ولا من أعمالهم، ولا من جزاء تلك الأعمال. لمن الملك اليوم أي: من هو يوم هم بارزون أي: ظاهرون على الأرض، قد اجتمعوا في صعيد واحد لا عوج ولا أمت فيه،

17 إن الله سريع الحساب أي: لا تستبطنوا ذلك اليوم فإنه آت، وكل آت قريب. وهو أيضا سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة، لإحاطة علمه وكمال قدرته. اليوم تجزى كل نفس بما كسبت في الدنيا، من خير وشر، قليل وكثير. لا ظلم اليوم على أحد، بزيادة في سيئاته، أو نقص من حسناته.

ولا صاحب، ولا شفيع يطاع لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك، ولو قدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم، فلا يقبلها. 18 لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وكاظمين على ما في قلوبهم من الروح الشديد والمزعجات الهائلة. ما للظالمين من حميم أي: قريب وزلازله، إذ القلوب لدى الحناجر أي: قد ارتفعت وبقيت أفئدتهم هواء، ووصلت القلوب من الروح والكرب إلى الحناجر، شاخصة أبصارهم. كاظمين يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأندهم يوم الآفة أي: يوم القيامة التي قد أزفت وقربت، وأن الوصول إلى أهوالها وقلقلها

وهو نظر المسارقة، وما تخفي الصدور مما لم يبينه العبد لغیره، فالله تعالى يعلم ذلك الخفي، فغيره من الأمور الظاهرة من باب أولى وأحرى. 19 يعلم خائنة الأعين وهو النظر الذي يخفيه العبد من جلسه ومقارنه،

تعالى عن كتابه العظيم وبأنه صادر ومنزل من الله، المألوه المعبود، لكماله وانفراده بأفعاله، العزيز الذي قهر بعزته كل مخلوق العليم بكل شيء. 2

في أول هاتين الآيتين وأنذرهم يوم الآزفة ثم وصفها بهذه الأوصاف المقتضية للاستعداد لذلك اليوم العظيم، لاشتمالها على الترغيب والترهيب. 20 هو السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. البصير بما كان وما يكون، وما نبصر وما لا نبصر، وما يعلم العباد وما لا يعلمون. قال وأحبابه. والذين يدعون من دونه وهذا شامل لكل ما عبد من دون الله لا يقضون بشيء لعجزهم وعدم إرادتهم للخير واستطاعتهم لفعله. إن الله قضاءه القدري، الذي إذا شاء شيئا كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي يقضي بين عباده المؤمنين والكافرين في الدنيا، ويفصل بينهم بفتح ينصر به أوليائه وحكمه الشرعي حق، وحكمه الجزائي حق وهو المحيط علما وكتابة وحفظا بجميع الأشياء، وهو المنزه عن الظلم والنقص وسائر العيوب، وهو الذي يقضي والله يقضي بالحق لأن قوله حق،

في الأرض من البناء والغرس، وقوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها وعلى تمنعه بها. فأخذهم الله بعقوبته بذنوبهم حين أصروا واستمروا عليها. 21 المكذبين، فسجدونها شر العواقب، عاقبة الهلاك والدمار والخزي والفضيحة، وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء في العدد والعدد وكبر الأجسام. و أشد آثارا يقول تعالى: أولم يسيروا في الأرض أي: بقلوبهم وأبدانهم سير نظر واعتبار، وتفكر في الآثار، فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم من من أشد منا قوة أرسل الله إليهم ريحا أضعفت قواهم، ودمرتهم كل تدمير ثم ذكر نموذجا من أحوال المكذبين بالرسول وهو فرعون وجنوده فقال: 22 إنه قوي شديد العقاب فلم تغن قوتهم عند قوة الله شيئا، بل من أعظم الأمم قوة، قوم عاد الذين قالوا:

أي: حجة بينة، تتسلط على القلوب فتدعن لها، كالحية والعصا ونحوهما من الآيات البيّنات، التي أيد الله بها موسى، ومكنه مما دعا إليه من الحق. 23 موسى ابن عمران، بآياتنا العظيمة، الدالة دلالة قطعية، على حقيقة ما أرسل به، وبطلان ما عليه من أرسل إليهم من الشرك وما يتبعه. وسلطان مبين أي: ولقد أرسلنا إلى جنس هؤلاء المكذبين

إليهم فرعون وهامان وزيره وقارون الذي كان من قوم موسى، فبغى عليهم بماله، وكلهم ردوا عليه أشد الرد فقالوا ساحر كذاب 24

والمبعوث

الكلام لأجلها، وليندفع الإيهام باختصاص الحكم بذلك المعين. فلماذا لم يقل وما كيدهم إلا في ضلال بل قال: وما كيد الكافرين إلا في ضلال 25 أو على شيء معين، وأراد الله أن يحكم على ذلك المعين بحكم، لا يختص به ذكر الحكم، وعلقه على الوصف العام ليكون أعم، وتدرج فيه الصورة التي سيق ما قصدوا، بل أصابهم ضد ما قصدوا، أهلكهم الله وأبادهم عن آخرهم. وتدرج هذه النكتة التي يكثر مرورها بكتاب الله تعالى: إذا كان السياق في قصة معينة كيد الكافرين حيث كادوا هذه المكيدة، وزعموا أنهم إذا قتلوا أبناءهم، لم يقولوا، وبقوا في رقهم وتحت عبوديتهم. فما كيدهم إلا في ضلال، حيث لم يتم لهم مجرد الترك والإعراض، بل ولا إنكارها ومعارضتها بباطلهم، بل وصلت بهم الحال الشنيعة إلى أن قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما فلما جاءهم بالحق من عندنا وأيده الله بالمعجزات الباهرة، الموجبة لتمام الإنعان، لم يقابلوها بذلك، ولم يكفهم

الناس عن اتباع خير الخلق هذا من الترمويه والترويح الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم: فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين 26 للشر في الأرض فقال: إني أخاف أن يبديل دينكم الذي أنتم عليه أو أن يظهر في الأرض الفساد وهذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح وليدع ربه أي: زعم قبحه الله أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله، وأنه لا يمنعه من دعاء ربه، ثم ذكر الحامل له على إرادة قتله، وأنه نصح لقومه، وإزالة وقال فرعون متكبرا متجبرا مغررا لقومه السفهاء: ذروني أقتل موسى

صلى الله عليه وسلم بعمة أبي طالب من قريش، حيث كان أبو طالب كبيرا عندهم، موافقا لهم على دينهم، ولو كان مسلما لم يحصل منه ذلك المنع. 27 له كلمة مسموعة، وخصوصا إذا كان يظهر موافقتهم ويكتفم إيمانه، فإنهم يراعونه في الغالب ما لا يراعونه لو خالفهم في الظاهر، كما منع الله رسوله محمدا الحساب، وقبض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون وملئه. ومن جملة الأسباب، هذا الرجل المؤمن، الذي من آل فرعون، من بيت المملكة، لا بد أن يكون تكبره وعدم إيمانه بيوم الحساب على الشر والفساد، يدخل فيه فرعون وغيره، كما تقدم قريبا في القاعدة، فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم بقوته واقتداره، مستعينا بربه: إني عذت بربي وربكم أي: امتنعت بربوبيته التي دبر بها جميع الأمور من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب أي: يحمله وقال موسى حين قال فرعون تلك المقالة الشنيعة التي أوجبها له طغيانه، واستعان فيها

من البراهين العقلية والخواارق السماوية، فالذي اهتدى هذا الهدى لا يمكن أن يكون مسرفا ولا كاذبا، وهذا دليل على كمال علمه وعقله ومعرفته بربه. 28 لا يهديه الله إلى طريق الصواب، لا في مدلوله ولا في دليله، ولا يوفق للصراط المستقيم، أي: وقد رأيتم ما دعا موسى إليه من الحق، وما هداه الله إلى بيانه موسى من الحق فقال: إن الله لا يهدي من هو مسرف أي: متجاوز الحد بترك الحق والإقبال على الباطل. كذاب بنسبته ما أسرف فيه إلى الله، فهذا الأمر دائرا بين تينك الحالتين، وعلى كل تقدير فقتله سفه وجهل منكم. ثم انتقل رضي الله عنه وأرضاه وغفر له ورحمه إلى أمر أعلى من ذلك، وبيان قرب لا بد أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وهو عذاب الدنيا. وهذا من حسن عقله، ولطف دفعه عن موسى، حيث أتى بهذا الجواب الذي لا تشويش فيه عليهم، وجعل ضرر حيث امتنعتم من إجابته وتصديقه، وإن كان صادقا وقد جاءكم بالبيّنات، وأخبركم أنكم إن لم تجيبوه عذبكم الله عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة، فإنه يصبكم بعض الذي يعدكم أي: موسى بين أمرين، إما كاذب في دعواه أو صادق فيها، فإن كان كاذبا فكذبته عليه، وضرره مختص به، وليس عليكم في ذلك

تفسير السعدي

فبينكم وبين حل قتله مفاوز تنقطع بها أعناق المطي. ثم قال لهم مقالة عقلية تنقع كل عاقل، بأي حالة قدرت، فقال: وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا ما جاء به من الحق، وقابلتم البرهان ببرهان يرده، ثم بعد ذلك نظرت: هل يحل قتله إذا ظهرتم عليه بالحجة أم لا؟ فأما وقد ظهرت حجته، واستعلى برهانه، البيئات، ولهذا قال: وقد جاءكم بالبيئات من ربكم لأن بينته اشتهرت عندهم اشتهارا علم به الصغير والكبير، أي: فهذا لا يوجب قتله. فهلا أبطلتم قبل ذلك وشناعة ما عزموا عليه: أقتلون رجلا أن يقول ربي الله أي: كيف تستحلون قتله، وهذا ذنبه وجرمه، أنه يقول ربي الله، ولم يكن أيضا قولا مجردا عن فقال ذلك الرجل المؤمن الموفق العاقل الحازم، مقبحا فعل قومه،

أمرهم باتباعه اتباعا مجردا على كفره وضلاله، لكان الشر أهون، ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعه اتباع الحق وفي اتباع الحق، اتباع الضلال. 29 ليقم بهم رياسته، ولم ير الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقنا له. وكذب في قوله: وما أهداكم إلا سبيل الرشاد فإن هذا قلب للحق، فلو موسى: ما أريكم إلا ما أرى وما أهداكم إلا سبيل الرشاد وصدق في قوله: ما أريكم إلا ما أرى ولكن ما الذي رأى؟ رأى أن يستخف قومه فيتابعوه، وقوله: إن جاءنا ليفهمهم أنه ينصح لهم كما ينصح لنفسه، ويرضى لهم ما يرضى لنفسه. ف قال فرعون معارضا له في ذلك، ومغررا لقومه أن يتبعوا ذلك وتم، ولن يتم، فمن ينصرنا من بأس الله أي: عذابه إن جاءنا ؟ وهذا من حسن دعوته، حيث جعل الأمر مشتركا بينه وبينهم بقوله: فمن ينصرنا بالملك الظاهر، فقال: يا قوم لكم الملك اليوم أي: في الدنيا ظاهرين في الأرض على رعبتكم، تنفذون فيهم ما شئتم من التدبير، فبهكم حصل لكم ثم حذر قومه ونصحهم، وخوفهم عذاب الآخرة، ونهاهم عن الغرر

الجزائي العدل، وثواب المحسنين، وعقاب العاصين، فهذا يدل عليه قوله: إليه المصير فهذا جميع ما يشتمل عليه القرآن من المطالب العاليات. 3 والنهي عن عبادة ما سوى الله، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على فسادها والترهيب منها، فذلك يدل عليه قوله تعالى: لا إله إلا هو وإما إخبار عن حكمه فذلك يدل عليه قوله: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وإما إخبار بأنه وحده المألوه المعبود، وإقامة الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، والحث عليه، إخبار عن نقمه الشديدة، وعما يوجبها ويقتضيها من المعاصي، فذلك يدل عليه قوله: شديد العقاب وإما دعوة للمذنبين إلى التوبة والإنابة، والاستغفار، فهي من تعليم العليم لعباده. وإما إخبار عن نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وما يوصل إلى ذلك، من الأوامر، فذلك يدل عليه قوله: ذي الطول وإما عليه القرآن، من المعاني. فإن القرآن: إما إخبار عن أسماء الله، وصفاته، وأفعاله، وهذه أسماء، وأوصاف، وأفعال. وإما إخبار عن الغيوب الماضية والمستقبلية، له الأعمال قال: لا إله إلا هو إليه المصير ووجه المناسبة بذكر نزول القرآن من الله الموصوف بهذه الأوصاف أن هذه الأوصاف مستلزمة لجميع ما يشتمل على الذنوب ولم يتب منها، ذي الطول أي: التفضل والإحسان الشامل. فلما قرر ما قرر من كماله وكان ذلك موجبا لأن يكون وحده، المألوه الذي تخلص غافر الذنب للمذنبين وقابل التوب من التائبين، شديد العقاب على من تجرأ

تكرار الدعوة فقال لهم: يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب يعني الأمم المكذبين، الذين تحزبوا على أنبيائهم، واجتمعوا على معارضتهم. 30 مكررا دعوة قومه غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى، لا يزالون يدعون إلى ربهم، ولا يردهم عن ذلك راد، ولا يثنيهم عتو من دعوته عن وقال الذي آمن

في الكفر والتكذيب وعادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة، وما الله يريد ظلما للعباد فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه، ولا جرم أسلفوه. 31 مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم أي: مثل عادتهم

أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيجيبهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون وحين يقال للمشركين: ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم 32 مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين وحين ينادي أهل النار مالكا ليقض علينا ريك فيقول: إنكم ما كنون وحين ينادون ربهم: ربنا القيامة، حين ينادي أهل الجنة أهل النار: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا إلى آخر الآيات. ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو ولما خوفهم العقوبات الدنيوية، خوفهم العقوبات الأخروية، فقال: ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد أي: يوم

قوة ولا ناصر ومن يضل الله فما له من هاد لأن الهدى بيد الله تعالى، فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به، لخيبته، فلا سبيل إلى هدايته. 33 قد ذهب بكم إلى النار ما لكم من الله من عاصم لا من أنفسكم قوة تدفعون بها عذاب الله، ولا ينصركم من دونه من أحد يوم تبلى السرائر فما له من فخوفهم رضي الله عنه هذا اليوم المهول، وتوقع لهم أن أقاموا على شركهم بذلك، ولهذا قال: يوم تولون مدبرين أي:

زاغوا أزاع الله قلوبهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون والله لا يهدي القوم الظالمين 34 والكذب، لا ينفك عنهما، لا يهديه الله، ولا يوفق للخير، لأنه رد الحق بعد أن وصل إليه وعرفه، فجزاؤه أن يعاقبه الله، بأن يمنعه الهدى، كما قال تعالى: فلما به موسى ظلما وعلاوا، فهم المسرفون بتجاوزهم الحق وعدولهم عنه إلى الضلال، وهم الكذبة، حيث نسبوا ذلك إلى الله، وكذبوا رسوله. فالذي وصفه السرف ويرسل إليهم رسله، وظن أن الله لا يرسل رسولا ظن ضلال، ولهذا قال: كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب وهذا هو وصفهم الحقيقي الذي وصفوا و قلتهم لن يبعث الله من بعده رسولا أي: هذا ظنكم الباطل، وحسبانكم الذي لا يليق بالله تعالى، فإنه تعالى لا يترك خلقه سدى، لا يأمرهم وينهاهم، بالبيئات الدالة على صدقه، وأمرهم بعبادة ربكم وحده لا شريك له، فما زلتهم في شك مما جاءكم به في حياته حتى إذا هلك ازداد شككم وشرككم، ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب عليهما السلام من قبل إتيان موسى

تفسير السعدي

على قلوب آل فرعون يطبع الله على كل قلب متكبر جبار متكبر في نفسه على الحق برده وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه. 35
عباده المؤمنون يمجّدون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه، كذلك أي: كما طبع
الذين آمنوا فالله أشد بغضا لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق والتصديق بالباطل ونسبته إليه، وهذه أمور يشد بغض الله لها ولمن اتصف بها، وكذلك
بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصلا، كبر ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل مقتا عند الله وعند
على وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها بغير سلطان أتاهاهم أي: بغير حجة وبرهان، وهذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل
وصف المسرف الكذاب فقال: الذين يجادلون في آيات الله التي بينت الحق من الباطل، وصارت من ظهورها بمنزلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيها
ثم ذكر

العرش استوى، وعلى الخلق اعتلى: يا هامان ابن لي صرحا أي: بناء عظيما مرتفعا، والقصد منه لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا. 36
وقال فرعون معارضا لموسى ومكذبا له في دعوته إلى الإقرار برب العالمين، الذي على
الذي أراد أن يكيد به الحق، ويوهم به الناس أنه محق، وأن موسى مبطل إلا في تباب أي: خسار وبوار، لا يفيد إلا الشقاء في الدنيا والآخرة. 37
حتى رآه حسنا ودعا إليه وناظر مناظرة المحققين، وهو من أعظم المفسدين، وصد عن السبيل الحق، بسبب الباطل الذي زين له. وما كيد فرعون
الله تعالى في بيان الذي حملة على هذا القول: وكذلك زين لفرعون سوء عمله فزين له العمل السيئ، فلم يزل الشيطان يزينه، وهو يدعو إليه ويحسنه،
إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا في دعواه أن لنا ربا، وأنه فوق السماوات. ولكنه يريد أن يحتاط فرعون، ويختبر الأمر بنفسه، قال
وقال الذي آمن معيدا نصيحته لقومه: يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد لا كما يقول لكم فرعون، فإنه لا يهديكم إلا طريق الغي والفساد. 38
خلقتكم له وإن الآخرة هي دار القرار التي هي محل الإقامة، ومنزل السكون والاستقرار، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها عملا يسعدكم فيها. 39
يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع يتمتع بها ويتنعم قليلا، ثم تنقطع وتضمحل، فلا تغرنكم وتخدعنكم عما
بل الواجب على العبد، أن يعتبر الناس بالحق، وينظر إلى الحقائق الشرعية ويوزن بها الناس، ولا يزن الحق بالناس، كما عليه من لا علم ولا عقل له. 4
أن إعطاء الله إياه في الدنيا دليل على محبته له وأنه على الحق ولهذا قال: فلا يغرك تقلبهم في البلاد أي: ترددهم فيها بأنواع التجارات والمكاسب،
فهذا من صنيع الكفار، وأما المؤمنون فيخضعون لله تعالى الذي يلقي الحق ليدحض به الباطل، ولا ينبغي للإنسان أن يغتر بحالة الإنسان الدنيوية، ويظن
يخبر تبارك وتعالى أنه ما يجادل في آياته إلا الذين كفروا والمراد بالمجادلة هنا، المجادلة لرد آيات الله ومقابلتها بالباطل،
والجوارح، وأقوال اللسان فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب أي: يعطون أجرهم بلا حد ولا عد، بل يعطيهم الله ما لا تبلغه أعمالهم. 40
فسوق أو عصيان فلا يجزى إلا مثلها أي: لا يجازى إلا بما يسوؤه ويحزنه لأن جزاء السيئة السوء. ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى من أعمال القلوب
من عمل سيئة من شرك أو

ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة بما قلت لكم وتدعونني إلى النار بترك اتباع نبي الله موسى عليه السلام. 41
العباد على أنفسهم ويتجرؤون على مسأخطه ثم إذا تابوا وأنابوا إليه، كفر عنهم السيئات والذنوب، ودفع موجباتها من العقوبات الدنيوية والأخرية. 42
والقول على الله بلا علم من أكبر الذنوب وأقبحها، وأنا أدعوكم إلى العزيز الذي له القوة كلها، وغيره ليس بيده من الأمر شيء. الغفار الذي يسرف
ثم فسر ذلك فقال: تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أنه يستحق أن يعبد من دون الله،
وهم الذين أسرفوا على أنفسهم بالتجرؤ على ربهم بمعاصيه والكفر به، دون غيرهم. فلما نصحهم وحذرهم وأنذرهم ولم يطيعوه ولا وافقوه قال لهم: 43
ونقصه، وأنه لا يملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا. وأن مردنا إلى الله تعالى فسيجازي كل عامل بعمله. وأن المسرفين هم أصحاب النار
حقا يقينا أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة أي: لا يستحق من الدعوة إليه، والحث على اللجأ إليه، في الدنيا ولا في الآخرة، لعجزه
لا جرم أي:

منكم ويكفيني شركم، ويعلم أحوالكم فلا تتصرفون إلا بإرادته ومشيتته، فإن سلطكم علي، فبحكمة منه تعالى، وعن إرادته ومشيتته صدر ذلك. 44
وأؤكل عليه في مصالحه ودفع الضرر الذي يصيبني منكم أو من غيركم. إن الله بصير بالعباد يعلم أحوالهم وما يستحقون، يعلم حالي وضعفي فيمنعني
النصيحة، وسترون مغبة عدم قبولها حين يحل بكم العقاب، وتحرمون جزيل الثواب. وأفوض أمري إلى الله أي: ألجأ إليه وأعتصم، وألقي أموري كلها لديه،
فستذكرون ما أقول لكم من هذه

الله من كيدهم ومكرهم وانقلب كيدهم ومكرهم، على أنفسهم، وحق بآل فرعون سوء العذاب أغرقهم الله تعالى في صبيحة واحدة عن آخرهم. 45
عليه السلام، ودعاهم إلى ما دعاهم إليه موسى، وهذا أمر لا يحتملونه وهم الذين لهم القدرة إذ ذاك، وقد أغضبهم واشتد حنقهم عليه، فأرادوا به كيدا فحفظه
القوي الرحيم، ذلك الرجل المؤمن الموفق، عقوبات ما مكر فرعون وآله له، من إرادة إهلاكه وإتلافه، لأنه بادأهم بما يكرهون، وأظهر لهم الموافقة التامة لموسى
فوقاه الله سيئات ما مكروا أي: وقى الله

تفسير السعدي

- عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب فهذه العقوبات الشنيعة، التي تحل بالمكذبين لرسول الله، المعاندين لأمره. 46 وفي البرزخ النار يعرضون
- إلى ما استكبروا لأجله. إنا كنا لكم تبعاً أنتم أغويتمونا وأضللتُمونا وزينتم لنا الشرك والشر، فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار أي: ولو قليلاً. 47 في النار يحتج التابعون بإغواء المتبوعين، ويتبرأ المتبوعون من التابعين، فيقول الضعفاء أي: الأتباع للقادة للذين استكبروا على الحق، ودعواهم يخبر تعالى عن تخاصم أهل النار، وعتاب بعضهم بعضاً واستغاثتهم بخزنة النار، وعدم الفائدة في ذلك فقال: وإذ يحتاجون
- في الجميع: إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد وجعل لكل قسطه من من العذاب، فلا يزداد في ذلك ولا ينقص منه، ولا يغير ما حكم به الحكيم. 48 قال الذين استكبروا مبينين لعجزهم ونفوذ الحكم الإلهي
- وقال الذين في النار من المستكبرين والضعفاء لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب لعله تحصل بعض الراحة. 49 فكيف كان عقاب كان أشد العقاب وأفظعه، ما هو إلا صيحة أو حاصب ينزل عليهم أو يأمر الأرض أن تأخذهم، أو البحر أن يغرقهم فإذا هم خامدون. 50 البغي والضلal والشقاء إلا العذاب العظيم الذي لا يخرجون منه؟ ولهذا قال في عقوبتهم الدنيوية والأخروية: فأخذتهم أي: بسبب تكذيبهم وتحزبهم ليأخذوه أي: يقتلوه. وهذا أبلغ ما يكون الرسل الذين هم قادة أهل الخير الذين معهم الحق الصرف الذي لا شك فيه ولا اشتباه، هموا بقتلهم، فهل بعد هذا تحزبوا وتجمعوا على الحق لبيطلوه، وعلى الباطل لينصروه، و أنه بلغت بهم الحال، وآل بهم التحزب إلى أنه همت كل أمة من الأمم برسولهم ثم هدد من جادل بآيات الله ليبطلها، كما فعل من قبله من الأمم من قوم نوح وعاد والأحزاب من بعدهم، الذين
- هذا الدعاء هل يغني شيئاً أم لا؟ قال تعالى: وما دعاء الكافرين إلا في ضلال أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صاد لإجابة الدعاء. 50 وقامت علينا حجة الله البالغة فظلمنا وعاندنا الحق بعد ما تبين. قالوا أي: الخزنة لأهل النار، متبرئين من الدعاء لهم والشفاعة: فادعوا أنتم ولكن شيئاً: أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات التي تبينتم بها الحق والصراط المستقيم، وما يقرب من الله وما يبعد منه؟ قالوا بلى قد جاءونا بالبينات، ف قالوا لهم موبخين ومبينين أن شفاعتهم لا تنفعهم، ودعاءهم لا يفيدهم
- إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا أي: بالحجة والبرهان والنصر، في الآخرة بالحكم لهم ولأتباعهم بالثواب، ولمن حاربهم بشدة العقاب. 51 لما ذكر عقوبة آل فرعون في الدنيا، والبرزخ، ويوم القيامة، وذكر حالة أهل النار الفظيعة، الذين نابذوا رسله وحاربوه، قال:
- يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم حين يعتذرون ولهم اللعنة ولهم سوء الدار أي: الدار السيئة التي تسوء نازليها. 52 الهدى أي: الآيات، والعلم الذي يهتدي به المهتدون. وأورثنا بني إسرائيل الكتاب أي: جعلناه متوارثاً بينهم، من قرن إلى آخر، وهو التوراة. 53 لما ذكر ما جرى لموسى وفرعون، وما آل إليه أمر فرعون وجنوده، ثم ذكر الحكم العام الشامل له ولأهل النار، ذكر أنه أعطى موسى
- هو: العلم بالأحكام الشرعية وغيرها، وعلى التذكر للخير والترغيب فيه، وعن الشر بالترهيب عنه، وليس ذلك لكل أحد، وإنما هو لأولي الألباب 54 وذلك الكتاب مشتمل على الهدى الذي
- بالعشي والإيثار اللذين هما أفضل الأوقات، وفيهما من الأوراد والوظائف الواجبة والمستحبة ما فيهما، لأن في ذلك عوناً على جميع الأمور. 55 المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك، فأمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور، وبالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصاً ويجتهد في التمسك به أهل البصائر فقول: إن وعد الله حق من الأسباب التي تحت على الصبر على طاعة الله وعن ما يكره الله. واستغفر لذنبك إن وعد الله حق أي: ليس مشكوكاً فيه، أو فيه ريب أو كذب، حتى يعسر عليك الصبر، وإنما هو الحق المحض، والهدى الصرف، الذي يصبر عليه الصابرون، فاصبر يا أيها الرسول كما صبر من قبلك من أولي العزم المرسلين.
- واستعذ بالله من جميع الشرور. إنه هو السميع لجميع الأصوات على اختلافها، البصير بجميع المرئيات، بأي محل وموضع وزمان كانت. 56 اعتصم والجأ بالله ولم يذكر ما يستعيز، إرادة للعموم. أي: استعذ بالله من الكبر الذي يوجب التكبر على الحق، واستعذ بالله من شياطين الإنس والجن، هذا لا يتم لهم وليسوا بالغيب، فهذا نص صريح، وبشارة، بأن كل من جادل الحق أنه مغلوب، وكل من تكبر عليه فهو في نهايته ذليل. فاستعذ أي: من أمره ولا حجة، إن هذا صادر من كبر في صدورهم على الحق وعلى من جاء به، يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل، فهذا قصدهم ومرادهم. ولكن يخبر تعالى أن من جادل في آياته ليبطلها بالباطل، بغير بينة
- البعث. وليس كل أحد يجعل فكره لذلك، ويقبل بتدبره، ولهذا قال: ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولذلك لا يعتبرون بذلك، ولا يجعلونه منهم على بال. 57 وهذا أحد الأدلة العقلية الدالة على البعث، دلالة قاطعة، بمجرد نظر العاقل إليها، يستدل بها استدلالاً لا يقبل الشك والشبهة بوقوع ما أخبرت به الرسل من فإن الناس بالنسبة إلى خلق السماوات والأرض من أصغر ما يكون فالذي خلق الأجرام العظيمة وأتقنها، قادر على إعادة الناس بعد موتهم من باب أولى وأحرى. يخبر تعالى بما تقرر في العقول، أن خلق السماوات والأرض على عظمهما وسعتهما أعظم وأكبر، من خلق الناس،
- الخير والشر، والفرق بين الأبرار والفجار، وكانت لكم همة عليه، لا تترتم النافع على الضار، والهدى على الضلال، والسعادة الدائمة، على الدنيا الفانية. 58

تفسير السعدي

ومن كان مستكبراً على عبادة ربه، مقدماً على معاصيه، ساعياً في مساخطه، قليلاً ما تتذكرون أي: تذكركم قليل وإلا، فلو تذكرتم مراتب الأمور، ومنازل أي: كما لا يستوي الأعمى والبصير، كذلك لا يستوي من آمن بالله وعمل الصالحات،

مراتب الصدق، وقامت عليها الشواهد المرئية، والآيات الأفقية. ولكن أكثر الناس لا يؤمنون مع هذه الأمور التي توجب كمال التصديق، والإذعان. 59 إن الساعة آتية لا ريب فيها قد أخبرت بها الرسل الذين هم أصدق الخلق ونطق بها الكتب السماوية، التي جميع أخبارها أعلى

حقت كلمة ربك على الذين كفروا أي: كما حقت على أولئك، حقت عليهم كلمة الضلال التي نشأت عنها كلمة العذاب، ولهذا قال: أنهم أصحاب النار 60 وكذلك

عنها فقال: إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين أي: ذليلين حقيرين، يجتمع عليهم العذاب والإهانة، جزاء على استكبارهم. 60 ونعمته العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه، دعاء العبادة، ودعاء المسألة، ووعدهم أن يستجيب لهم، وتوعد من استكبر هذا من لطفه بعباده،

بسبب جهلهم وظلمهم. وقليل من عبادي الشكور الذين يقرون بنعمة ربهم، ويخضعون لله، ويحبونه، ويصرفونها في طاعة مولاهم ورضاه. 61 عليه التنكير على الناس حيث أنعم عليهم بهذه النعم وغيرها، وصرف عنهم النقم، وهذا يوجب عليهم، تمام شكره وذكره، ولكن أكثر الناس لا يشكرون وهذا لبنائه أو حدادته، أو نحوها من الصناعات، وهذا لسفره برا وبحرا، وهذا لفلاحته، وهذا لتصليح حيواناته. إن الله لذو فضل أي: عظيم، كما يدل المستمرة في الفلك، فتقومون من فرشكم إلى أشغالكم الدينية والدنيوية، هذا لذكره وقراءته، وهذا لصلاته، وهذا لطلبه العلم ودراسته، وهذا لبيعه وشرائه، من ضروريات الآدمي لا يعيش بدونه، ويسكن أيضا، كل حبيب إلى حبيبه، ويجتمع الفكر، وتقل الشواغل. و جعل تعالى النهار مبصرا منيرا بالشمس الله الليل مظلمًا، لتسكنوا فيه من حركاتكم، التي لو استمرت لضرت، فتأوون إلى فرشكم، ويلقي الله عليكم النوم الذي يستريح به القلب والبدن، وهو يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة، خالصة لوجهه، تابعة لأمره، إنه لا يتعاضله سؤال، ولا يحفيه نوال. فقلوه تعالى: الله الذي جعل لكم الليل أي: لأجلكم جعل عطايا الكريم لعباده، وهما أشرف اللذات على الإطلاق، وهما اللذان إن فاتا، فات كل خير، وحضر كل شر. فنسأله تعالى أن يملأ قلوبنا بمعرفته ومحبته، وأن خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده، وهما الموصلان إلى كل خير وفلاح وصلاح، وسعادة دنيوية وأخروية، وهما اللذان هما أشرف لم يستحق من الربوبية شيئا، وينتج من ذلك، امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى ومحبته وخوفه ورجائه، وهذان الأمران وهما معرفته وعبادته هما اللذان بيد الله تعالى، ليس لأحد من الأمر شيء، ولا من القدرة شيء، فينتج من ذلك، أنه تعالى المألوه المعبود وحده، الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئا، كما الكاملة، وما فعله من الأفعال الحسنة، وتام ربوبيته، وانفراده فيها، وأن جميع التدبير في العالم العلوي والسفلي في ماضي الأوقات وحاضرها، ومستقبلها ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء، وكمال حياته، واتصافه بالحمد على كل ما اتصف به من الصفات تدبر هذه الآيات الكريمات، الدالة على سعة رحمة الله تعالى وجزيل فضله،

صرح بالأمر بعبادته فقال: فأني تؤفكون أي: كيف تصرفون عن عبادته، وحده لا شريك له، بعد ما أبان لكم الدليل، وأثار لكم السبيل؟ 62 بهذه النعم، من ربوبيته، وإيجابها للشكر، من ألوهيته، لا إله إلا هو تقرير أنه المستحق للعبادة وحده، لا شريك له، خالق كل شيء تقرير لربوبيته. ثم ذلكم الذي فعل ما فعل الله ربكم أي: المنفرد بالإلهية، والمنفرد بالربوبية، لأن انفراده

والإخلاص، كما قال تعالى: وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون 63 كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون أي: عقوبة على جحدهم لآيات الله، وتعديهم على رسله، صرفوا عن التوحيد

الذي دبر الأمور، وأنعم عليكم بهذه النعم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين أي: تعظم، وكثر خيره وإحسانه، المربي جميع العالمين بنعمه. 64 ومسمع، وغير ذلك، من الطيبات التي يسرها الله لعباده، ويسر لهم أسبابها، ومنعهم من الخبائث، التي تضادها، وتضر أبدانهم، وقلوبهم، وأديانهم، ذلكم والمعرفة، التي هي أحسن الأخلاق المناسبة لأجل الصور. ورزقكم من الطيبات وهذا شامل لكل طيب، من مأكّل، ومشرب، ومنكح، وملبس، ومنظر، في غير محله؟ وانظر أيضا، إلى الميل الذي في القلوب، بعضهم لبعض، هل تجد ذلك في غير الآدميين؟ وانظر إلى ما خصه الله به من العقل والإيمان، والمحبة أحسن تقويم وإذا أردت أن تعرف حسن الآدمي وكمال حكمة الله تعالى فيه، فانظر إليه، عضوا عضوا، هل تجد عضوا من أعضائه، يليق به، ويصلح أن يكون بها في ظلمات البر والبحر، وصوركم فأحسن صوركم فليس في جنس الحيوانات، أحسن صورة من بني آدم، كما قال تعالى: لقد خلقنا الإنسان في البناء عليها، والسفر، والإقامة فيها. والسماء بناء سقفا للأرض، التي أنتم فيها، قد جعل الله فيها ما تنتفعون به من الأنوار والعلامات، التي يهتدى الله الذي جعل لكم الأرض قرارا أي: قارة ساكنة، مهياة لكل مصالحكم، تتمكنون من حرثها وغرسها،

والمدائح والثناء، بالقول كنطق الخلق بذكره، والفعل، كعبادتهم له، كل ذلك لله تعالى وحده لا شريك له، لكماله في أوصافه وأفعاله، وتام نعمه. 65 الله تعالى، فإن الإخلاص، هو المأمور به كما قال تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء الحمد لله رب العالمين أي: جميع المحامد أي: لا معبود بحق، إلا وجهه الكريم. فادعوه وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة مخلصين له الدين أي: اقصدوا بكل عبادة ودعاء وعمل، وجه لما تستلزمه من صفاته الذاتية، التي لا تتم حياته إلا بها، كالسمع، والبصر، والقدرة، والعلم، والكلام، وغير ذلك، من صفات كماله، ونعوت جلاله. لا إله إلا هو

هو الحي الذي له الحياة الكاملة التامة، المستلزمة

بحيث تكون منقاداً لطاعته، مستسلمة لأمره، وهذا أعظم مأمور به، على الإطلاق، كما أن النهي عن عبادة ما سواه، أعظم منهي عنه، على الإطلاق. 66
دون الله. ولست على شك من أمري، بل على يقين وبصيرة، ولهذا قال: لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين بقلبي ولساني، وجوارحي، والبيئات، صرح بالنهي عن عبادة ما سواه فقال: قل يا أيها النبي إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام، وكل ما عبد من
لما ذكر الأمر بإخلاص العبادة لله وحده، وذكر الأدلة على ذلك

ولعلمكم تعقلون أحوالكم، فتعلمون أن المطور لكم في هذه الأطوار كامل الاقتدار، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأنكم ناقصون من كل وجه. 67
الظاهرة والباطنة. ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل بلوغ الأشد وتبلغوا بهذه الأطوار المقدرة أجلاً مسمى تنتهي عنده أعماركم.
من العلة، فالمضغة، فالعظام، فنفخ الروح، ثم يخرجكم طفلاً ثم هكذا تنتقلون في الخلقة الإلهية حتى تبلغوا أشدكم من قوة العقل والبدن، وجميع قواه
وذلك بخلقه لأصلكم وأبيكم آدم عليه السلام. ثم من نطفة وهذا ابتداء خلق سائر النوع الإنساني، ما دام في بطن أمه، فنه بالابتداء، على بقية الأطوار،
ثم قرر هذا التوحيد، بأنه الخالق لكم والمطور لخلقتكم، فكما خلقكم وحده، فاعبدوه وحده فقال: هو الذي خلقكم من تراب

من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير فإذا قضى أمراً جليلاً أو حقيراً فإنما يقول له كن فيكون لا رد في ذلك، ولا مثنوية، ولا تمنع. 68
هو الذي يحيي ويميت أي هو المنفرد بالإحياء والإماتة، فلا تموت نفس بسبب أو بغير سبب، إلا بإذنه. وما يعمر من معمر ولا ينقص
أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟ هل يجدون آيات بينات تعارض آيات الله؟ لا والله. أم يجدون شبهاً توافق أهواءهم، ويصلون بها لأجل باطلهم؟ 69
ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله الواضحة البينة متعجباً من حالهم الشنيعة. أنى يصرفون أي: كيف ينعدلون عنها؟ وإلى

من الشرك والمعاصي واتبعوا سبيلك باتباع رسلك، بتوحيدك وطاعتك. وقهم عذاب الجحيم أي: قهم العذاب نفسه، وقهم أسباب العذاب. 7
من ذلك ولا أكبر، ورحمتك وسعت كل شيء، فالكون علويه وسفليه قد امتلأ برحمة الله تعالى ووسعتهم، ووصل إلى ما وصل إليه خلقه. فاعفوا للذين تابوا
ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فعلكم قد أحاط بكل شيء، لا يخفى عليك خافية، ولا يعزب عن علمك مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر
إلا بها غير ما يتبادر إلى كثير من الأذهان، أن سؤالها وطلبها غايته مجرد مغفرة الذنوب ذكر تعالى صفة دعائهم لهم بالمغفرة، بذكر ما لا تتم إلا به، فقال:
الكثيرة جداً، أن الملائكة الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان، فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم. ثم ولما كانت المغفرة لها لوازم لا تتم
وأما قول العبد: سبحان الله وبحمده فهو داخل في ذلك وهو من جملة العبادات. ويستغفرون للذين آمنوا وهذا من جملة فوائد الإيمان وفضائله
التسبيح والتحميد، وسائر العبادات تدخل في تسبيح الله وتحميده، لأنها تنزيه له عن كون العبد يصرفها لغيره، وحمد له تعالى، بل الحمد هو العبادة لله تعالى،
فوقهم يومئذ ثمانية ومن حوله من الملائكة المقربين في المنزلة والفضيلة يسبحون بحمد ربهم هذا مدح لهم بكثرة عبادتهم لله تعالى، وخصوصاً
واختيار الله لهم لحمل عرشه، وتقديسهم في الذكر، وقربهم منه، يدل على أنهم أفضل أجناس الملائكة عليهم السلام، قال تعالى: ويحمل عرش ربك
تعالى، الذي وسع الأرض والسموات والكرسي، وهؤلاء الملائكة، قد وكلهم الله تعالى بحمل عرشه العظيم، فلا شك أنهم من أكبر الملائكة وأعظمهم وأقواهم،
لعلمهم أن الله يحب ذلك منهم فقال: الذين يحملون العرش أي: عرش الرحمن، الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها وأوسعها وأحسنها، وأقربها من الله
ودعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم، وفي ضمن ذلك الإخبار عن شرف حملة العرش ومن حوله، وقربهم من ربهم، وكثرة عبادتهم ونصحهم لعباد الله،
يخبر تعالى عن كمال لطفه تعالى بعباده المؤمنين، وما قبض لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرهم، من استغفار الملائكة المقربين لهم،

به رسله، الذين هم خير الخلق وأصدقهم، وأعظمهم عقولاً، فهؤلاء لا جزاء لهم سوى النار الحامية، ولهذا توعدهم الله بعذابها فقال: فسوف يعلمون 70
فبئس ما استبدلوا واختاروا لأنفسهم، بتكذيبهم بالكتاب، الذي جاءهم من الله، وبما أرسل الله

إذ الأغلال في أعناقهم التي لا يستطيعون معها حركة. والسلاسل التي يقرنون بها، هم وشياطينهم 71

في الحميم أي: الماء الذي اشتد غليانه وحره. ثم في النار يسجرون يوقد عليهم اللهب العظيم، فيصلون بها، ثم يوبخون على شركهم وكذبهم. 72
يسحبون

الظن ويدل عليه قوله تعالى: ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة الآيات. 73
الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم، يقرون بطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا
هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: كذلك يضل الله الكافرين أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال
وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل وهو الأظهر أن مرادهم بذلك، الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في الحقيقة، وإنما
قالوا ضلوا عنا أي: غابوا ولم يحضروا، ولو حضروا، لم ينفعوا، ثم إنهم أنكروا فقالوا: بل لم تكن ندعو من قبل شيئاً يحتمل أن مرادهم بذلك، الإنكار،
ويقال لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله هل نفعوكم، أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟.

الظن ويدل عليه قوله تعالى: ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة الآيات. 74
الواضح لكل أحد، حتى إنهم بأنفسهم، يقرون بطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا

تفسير السعدي

هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: كذلك يضل الله الكافرين أي: كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا، الضلال وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل وهو الأظهر أن مرادهم بذلك، الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في الحقيقة، وإنما قالوا ضلوا عنا أي: غابوا ولم يحضروا، ولو حضروا، لم ينفعوا، ثم إنهم أنكروا فقالوا: بل لم تكن ندعو من قبل شيئا يحتمل أن مرادهم بذلك، الإنكار، ويقال لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله هل نفعوكم، أو دفعوا عنكم بعض العذاب؟.

الموجب للعقاب، بخلاف الفرح الممدوح الذي قال الله فيه: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهو الفرح بالعلم النافع، والعمل الصالح. 75
السورة: فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وكما قال قوم قارون له: لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وهذا هو الفرح المذموم أي: تفرحون بالباطل الذي أنتم عليه، وبالعلوم التي خالفتم بها علوم الرسل وتمرحون على عباد الله، بغيا وعدوانا، وظلما، وعصيانا، كما قال تعالى في آخر هذه ويقال لأهل النار ذلكم العذاب، الذي نوع عليكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون

خالدين فيها لا يخرجون منها أبدا فبئس مثوى المتكبرين مثوى يخزون فيه، ويهانون، ويحبسون، ويعذبون، ويترددون بين حرها وزمهريرها. 76
ادخلوا أبواب جهنم كل طبقة من طبقاتها، على قدر عمله.

قبل عقوبتهم فالينا يرجعون فنجازيهم بأعمالهم، ولا تحسن الله غافلا عما يعمل الظالمون ثم سلاه وصبره، بذكر إخوانه المرسلين فقال: 77
الدنيا والآخرة، واستعن على ذلك أيضا، بتوقع العقوبة بأعدائك في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: فإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك يا أيها الرسول، على دعوة قومك، وما ينالك منهم، من أذى، واستعن على صبرك بإيمانك إن وعد الله حق سينصر دينه، ويعلي كلمته، وينصر رسله في أي فاصبر

لهم، باطلة، فليحذر هؤلاء المخاطبون، أن يستمروا على باطلهم، فيخسروا، كما خسروا أولئك، فإن هؤلاء لا خير منهم، ولا لهم براءة في الكتب بالنجاة. 78
ولهذا قال: وخسر هنالك أي: وقت القضاء المذكور المبطلون الذين وصفهم الباطل، وما جاءوا به من العلم والعمل، باطل، وغايتهم المقصودة أمر الله بالفصل بين الرسل وأعدائهم، والفتح. قضى بينهم بالحق الذي يقع الموقع، ويوافق الصواب بإنجاء الرسل وأتباعهم، وإهلاك المكذبين، فاقترح المقترحين على الرسل الإتيان بالآيات، ظلم منهم، وتعت، وتكذيب، بعد أن أيدهم الله بالآيات الدالة على صدقهم وصحة ما جاءوا به. فإذا جاء وكل الرسل مدبرون، ليس بيدهم شيء من الأمر. وما كان لأحد منهم أن يأتي بآية من الآيات السمعية والعقلية إلا بإذن الله أي: بمشيئته وأمره، أي: ولقد أرسلنا من قبلك رسلا كثيرين إلى قومهم، يدعونهم ويصبرون على أذاهم. منهم من قصصنا عليك خبرهم ومنهم من لم نقصص عليك منافع الأكل من لحومها، والشرب من ألبانها. ومنها: منافع الدفء، واتخاذ الآلات والأمتعة، من أصوافها، وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع. 79
يمتن تعالى على عباده، بما جعل لهم من الأنعام، التي بها، جملة من الإنعام: منها: منافع الركوب عليها، والحمل. ومنها:

الأشياء مواضعها، فلا نسألك يا ربنا أمرا تقتضي حكمتك خلافه، بل من حكمتك التي أخبرت بها على أسنة رسلك، واقتضاها فضلك، المغفرة للمؤمنين. 8
ورفقاؤهم وذرياتهم إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، فبِعزتك تغفر ذنوبهم، وتكشف عنهم المحذور، وتوصلهم بها إلى كل خير الحكيم الذي يضع جنات عدن التي وعدتهم على أسنة رسلك ومن صلح أي: صلح بالإيمان والعمل الصالح من آبائهم وأزواجهم وزوجاتهم وأزواجهن وأصحابهم ربنا وأدخلهم

وعليها وعلى الفلك تحملون أي: على الرواحل البرية، والفلك البحرية، يحملك الله الذي سخرها، وهيا لها ما هيا، من الأسباب، التي لا تتم إلا بها. 80
وأوبارها وأشعارها، إلى غير ذلك من المنافع. ولتبغوا عليها حاجة في صدوركم من الوصول إلى الأوطان البعيدة، وحصول السرور بها، والفرح عند أهلها. من الإنعام: منها: منافع الركوب عليها، والحمل. ومنها: منافع الأكل من لحومها، والشرب من ألبانها. ومنها: منافع الدفء، واتخاذ الآلات والأمتعة، من أصوافها، يمتن تعالى على عباده، بما جعل لهم من الأنعام، التي بها، جملة

محل، ولا للإعراض عنها موضع، بل أوجبت لذوي الألباب، بذل الجهد، واستفراغ الوسع، للاجتهاد في طاعته، والتبتل في خدمته، والانقطاع إليه. 81
ويشكروه، ويذكروه. فأى آيات الله تنكرون أي: أي آية من آياته لا تعترفون بها؟ فإنكم، قد تقرر عندهم، أن جميع الآيات والنعم، منه تعالى، فلم يبق للإنكار آياته الدالة على وحدانيته، وأسمائه، وصفاته، وهذا من أكبر نعمه، حيث أشهد عباده، آياته النفسية، وآياته الأفقية، ونعمه الباهرة، وعددها عليهم، ليعرفوه، ويريكهم

الأنيقة، والزروع الكثيرة فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون حين جاءهم أمر الله، فلم تغن عنهم قوتهم، ولا افتدوا بأموالهم، ولا تحصنوا بحصونهم. 82
عاقبة الذين من قبلهم من الأمم السالفة، كعاد، وثمود وغيرهم، ممن كانوا أعظم منهم قوة وأكثر أموالا وأشد آثارا في الأرض من الأبنية الحصينة، والغراس بحث تعالى، المكذبين لرسولهم، على السير في الأرض، بأبدانهم، وقلوبهم: وسؤال العالمين. فينظروا نظر فكر واستدلال، لا نظر غفلة وإهمال. كيف كان

وهذا من أعظم الإلحاد في آيات الله، والمعارضة لها، والمناقضة، فالله المستعان. وحق بهم أي: نزل ما كانوا به يستهزنون من العذاب. 83
به كثير من آيات القرآن، ونقصت قدره في القلوب، وجعلت أدلته اليقينية القاطعة، أدلة لفظية، لا تفيد شيئا من اليقين، ويقدم عليها عقول أهل السفه والباطل، وجعل باطلهم حقا، وهذا عام لجميع العلوم، التي نوقض بها، ما جاءت به الرسل، ومن أحقها بالدخول في هذا، علوم الفلسفة، والمنطق اليوناني، الذي ردت

تفسير السعدي

فرحوا بما عندهم من العلم المناقض لدين الرسل. ومن المعلوم، أن فرحهم به، يدل على شدة رضاهم به، وتمسكهم، ومعاداة الحق، الذي جاءت به الرسل، ثم ذكر جرمهم الكبير فقال: فلما جاءتهم رسلهم بالبينات من الكتب الإلهية، والخوارق العظيمة، والعلم النافع المبين، للهدى من الضلال، والحق من الباطل حيث لا ينفعهم الإقرار قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين من الأصنام والأوثان، وتبرأنا من كل ما خالف الرسل، من علم أو عمل. 84 فلما رأوا بأسنا أي: عذابنا، أقروا

بد من خسران يشقي في العذاب الشديد، والخلود فيه، دائما أبدا. تم تفسير سورة المؤمن بحمد الله ولطفه ومعونته، لا بحولنا وقوتنا، فله الشكر والثناء 85 وجود قرائن العذاب. وخسر هنالك أي: وقت الإهلاك، وإذاعة البأس الكافرون دينهم وديناهم وأخراهم، ولا يكفي مجرد الخسارة، في تلك الدار، بل لا وذلك لأنه إيمان ضرورة، قد اضطروا إليه، وإيمان مشاهدة، وإنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه، هو الإيمان الاختياري، الذي يكون إيمانا بالغيب، وذلك قبل سنة الله وعادته التي قد خلت في عبادته أن المكذبين حين ينزل بهم بأس الله وعقابه إذا آمنوا، كان إيمانهم غير صحيح، ولا منجيا لهم من العذاب، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا أي: في تلك الحال، وهذه

ولمن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، وقد يقال: إنه لا بد من وجود صلاحهم لقوله: ومن صلح فحينئذ يكون ذلك من نتيجة عملهم والله أعلم. 9 ذلك، أن المقارن من زوج وولد وصاحب، يسعد بقرينه، ويكون اتصاله به سببا لخير يحصل له، خارج عن عمله وسبب عمله كما كانت الملائكة تدعو للمؤمنين الآتات، وفي جميع اللحظات، ونسأله من فضله، أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوق لوصول رحمته، إنه الكريم الوهاب، الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها. وتضمن أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببا لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه، والتوسل بإحسانه، الذي لا نزال نتقلب فيه في كل ما وفقه الله له وقد كان في تفسيرنا هذا، كثير من هذا من به الله علينا. وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة، ونسأله تعالى تلك المعاني. وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء، وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحا، فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير، بحسب وجزمه بأنه من تواب المعنى والمتوقف عليه. والثاني: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتدبر والتفكير في كتابه. وقد علم تعالى ما يلزم من إلأ به وما يتوقف عليه، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص، الدال عليه اللفظ. والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران: أحدهما: معرفته مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهما صحيحا على وجهه، نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم يحبه. وتضمن ما شرحه الله وفصله من دعائهم بعد قوله: ويستغفرون للذين آمنوا التنبيه اللطيف على كيفية تدبر كتابه، وأن لا يكون المتدبر مقتصرًا على الله إلا المؤمنين منهم، فمن محبة الملائكة لهم دعاؤ الله، واجتهدوا في صلاح أحوالهم، لأن الدعاء للشخص من أدل الدلائل على محبته، لأنه لا يدعو إلا لمن هي العبادات التي قاموا بها، واجتهدوا اجتهد المحبين، ومن العمال الذين هم المؤمنون الذين يحبهم الله تعالى من بين خلقه، فسائر الخلق المكلفين يبغضهم جميع الوجوه، لا يدلي على ربه بحالة من الأحوال، إن هو إلا فضل الله وكرمه وإحسانه. وتضمن موافقتهم لربهم تمام الموافقة، بمحبة ما يحبه من الأعمال التي كمال أدبهم مع الله تعالى بإقرارهم بربوبيته لهم الربوبية العامة والخاصة، وأنه ليس لهم من الأمر شيء وإنما دعاؤهم لربهم صدر من فقير بالذات من البشرية التي علم الله نقصها واقتضاءها لما اقتضته من المعاصي، ونحو ذلك من المبادئ والأسباب التي قد أحاط الله بها علما توسلوا بالرحيم العليم. وتضمن بأسمائه الحسنی، التي يحب من عباده التوسل بها إليه، والدعاء بما يناسب ما دعاؤ الله فيه، فلما كان دعاؤهم بحصول الرحمة، وإزالة أثر ما اقتضته النفوس هو الفوز العظيم الذي لا فوز مثله، ولا يتنافس المتنافسون بأحسن منه. وقد تضمن هذا الدعاء من الملائكة كمال معرفتهم بربهم، والتوسل إلى الله العباد وسيئاتهم، فمن وقبته السيئات وفقته للحسنات وجزائها الحسن. وذلك أي: زوال المحذور بوقاية السيئات، وحصول المحبوب بحصول الرحمة، السيئة وجزائها، لأنها تسوء صاحبها. ومن تق السيئات يومئذ أي: يوم القيامة فقد رحمته لأن رحمتك لم تزل مستمرة على العباد، لا يمنعها إلا ذنوب وقهم السيئات أي: الأعمال

سورة 41

بد من خسران يشقي في العذاب الشديد، والخلود فيه، دائما أبدا. تم تفسير سورة المؤمن بحمد الله ولطفه ومعونته، لا بحولنا وقوتنا، فله الشكر والثناء 1 وجود قرائن العذاب. وخسر هنالك أي: وقت الإهلاك، وإذاعة البأس الكافرون دينهم وديناهم وأخراهم، ولا يكفي مجرد الخسارة، في تلك الدار، بل لا وذلك لأنه إيمان ضرورة، قد اضطروا إليه، وإيمان مشاهدة، وإنما الإيمان النافع الذي ينجي صاحبه، هو الإيمان الاختياري، الذي يكون إيمانا بالغيب، وذلك قبل سنة الله وعادته التي قد خلت في عبادته أن المكذبين حين ينزل بهم بأس الله وعقابه إذا آمنوا، كان إيمانهم غير صحيح، ولا منجيا لهم من العذاب، فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا أي: في تلك الحال، وهذه

ودحائها، وأخرج أقواتها، وتواب ذلك في أربعة أيام سواء للسائلين عن ذلك، فلا ينبئك مثل خبير، فهذا الخبر الصادق الذي لا زيادة فيه ولا نقص. 10 ثم دحاها في يومين، بأن جعل فيها رواسي من فوقها، ترسيها عن الزوال والتزلزل وعدم الاستقرار. فكمّل خلقها، بقوله: وللأرض اثنتا طوعا أو كرها أي: انقادا لأمري، طائعتين أو مكرهتين، فلا بد من نفوذه. قالتا أتينا طائعين ليس لنا إرادة تخالف إرادتك. 11 استوى أي: قصد إلى خلق السماء وهي دخان قد ثار على وجه الماء، فقال لها ولما كان هذا التخصيص يوهم الاختصاص، عطف عليه

ثم بعد أن خلق الأرض

له أندادا يسوونهم به، وهم ناقصون في أوصافهم وأفعالهم، أعجب، وأعجب، ولا دواء لهؤلاء، إن استمر إعراضهم، إلا العقوبات الدنيوية والأخروية. 12 الغائب والشاهد. فترك المشركين الإخلاص لهذا الرب العظيم الواحد القهار، الذي انقادت المخلوقات لأمره ونفذ فيها قدره، من أعجب الأشياء، واتخاذهم من الأرض وما فيها، والسماء وما فيها تقدير العزيز الذي عزته، قهر بها الأشياء ودبرها، وخلق بها المخلوقات. العليم الذي أحاط علمه بالمخلوقات، هي: النجوم، يستنار، بها، ويهتدى، وتكون زينة وجمالا للسماء ظاهرا، وجمالا لها، باطنا، يجعلها رجوما للشياطين، لئلا يسترق السمع فيها. ذلك المذكور، بعد ذلك خلقها وقوله: وأوحى في كل سماء أمرا أي: الأمر والتدبير اللائق بها، الذي اقتضته حكمة أحكم الحاكمين. وزينا السماء الدنيا بمصابيح والجمال أرساها متأخر عن خلق السماوات كما في سورة النازعات، ولهذا قال فيها: والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها إلى آخره ولم يقل: والأرض عن ذلك، ما قاله كثير من السلف، أن خلق الأرض وصورتها متقدم على خلق السماوات كما هنا، ودحي الأرض بأن أخرج منها ماءها ومرعاها قوله تعالى في النازعات، لما ذكر خلق السماوات قال: والأرض بعد ذلك دحاها يظهر منهما التعارض، مع أن كتاب الله، لا تعارض فيه ولا اختلاف. والجواب لخلق الجميع في لحظة واحدة، ولكن مع أنه قدير، فهو حكيم رقيق، فمن حكمته ورفقه، أن جعل خلقها في هذه المدة المقطرة. واعلم أن ظاهر هذه الآية، مع فقضاهن سبع سماوات في يومين فتم خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، مع أن قدرة الله ومشيتته صالحة يستأصلكم ويحتاجكم، مثل صاعقة عاد وثمود القبيلتين المعروفتين، حيث اجتاحتهم العذاب، وحل عليهم، وبيل العقاب، وذلك بظلمهم وكفرهم. 13 أي: فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعد ما بين لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم فقل أنذرتكم صاعقة أي: عذابا

وإنما شرط الرسالة، أن يأتي الرسول بما يدل على صدقه، فليقدحوا، إن استطاعوا بصدقهم، بقادح عقلي أو شرعي، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلا. 14 فإنما بما أرسلتم به كافرون وهذه الشبهة لم تزل متوارثة بين المكذبين، من الأمم وهي من أوهى الشبه، فإنه ليس من شرط الإرسال، أن يكون المرسل ملكا، لا تعبدوا إلا الله أي: يأمرونهم بالإخلاص لله، وينهونهم عن الشرك، فردوا رسالتهم وكذبوهم، قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة أي: وأما أنتم فبشر مثلنا حيث جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم أي: يتبع بعضهم بعضا متوالين، ودعوتهم جميعا واحدة. أن قوة فلولا خلقه إياهم، لم يوجدوا فلو نظروا إلى هذه الحال نظرا صحيحا، لم يغتروا بقوتهم، فعاقبهم الله عقوبة، تناسب قوتهم، التي اغتروا بها. 15 من العباد، ظالمين لهم، قد أعجبتهم قوتهم. وقالوا من أشد منا قوة قال تعالى ردا عليهم، بما يعرفه كل أحد: أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم لقصة هاتين الأمتين، عاد، وثمود. فأما عاد فكانوا مع كفرهم بالله، وجحدهم بآيات الله، وكفرهم برسله مستكبرين في الأرض، قاهرين لمن حولهم هذا تفصيل

الحياة الدنيا الذي اختزوا به وافترضوا بين الخليقة. ولعذاب الآخرة أخصى وهم لا ينصرون أي: لا يمنعون من عذاب الله، ولا ينفعون أنفسهم. 16 فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية نحسات فدمرتهم وأهلكتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم. وقال هنا: لنذيقهم عذاب الخزي في فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا أي: ريحا عظيمة، من قوتها وشدتها، لها صوت مزعج، كالرعد القاصف. فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما العمى الذي هو الكفر والضلal على الهدى الذي هو: العلم والإيمان فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون لا ظلما من الله لهم. 17 ثمود، آية باهرة، قد رآها صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، وكانت آية مبصرة، فلها خصم بزيادة البيان والهدى. ولكنهم من ظلمهم وشرهم استحبوا ولهذا قال هنا: وأما ثمود فهديناهم أي: هداية بيان، وإنما نص عليهم، وإن كان جميع الأمم المهلكة، قد قامت عليهم الحجة، وحصل لهم البيان، لأن آية الشرك وآتاهم الله الناقة، آية عظيمة، لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، يشربون لبنها يوما ويشربون من الماء يوما، وليسوا ينفقون عليها، بل تأكل من أرض الله، وأما ثمود وهم القبيلة المعروفة الذين سكنوا الحجر وحواليه، الذين أرسل الله إليهم صالحا عليه السلام، يدعوهم إلى توحيد ربهم، وينهاهم عن ونجين الذين آمنوا وكانوا يتقون أي نجى الله صالحا عليه السلام ومن اتبعه من المؤمنين المتقين للشرك، والمعاصي. 18

أي: يرد أولهم على آخرهم، ويتبع آخرهم أولهم، ويساقون إليها سوفا عنيقا، لا يستطيعون امتناعا، ولا ينصرون أنفسهم، ولا هم ينصرون. 19 تعالى عن أعدائه، الذين بارزوه بالكفر به وبآياته، وتكذيب رسله ومعاداتهم ومحاربتهم، وحالهم الشنيعة حين يحشرون، أي: يجمعون. إلى النار فهم يوزعون يخبر

هذا الكتاب، الذي حصل به، من العلم والهدى، والنور، والشفاء، والرحمة، والخير الكثير، ما هو من أجل نعمه على العباد، وهو الطريق للسعادة في الدارين. 20 عباده أن هذا الكتاب الجليل والقرآن الجميل تنزيل صادر من الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته وأجلها، إنزال يخبر تعالى

عليهم كل عضو من أعضائهم، فكل عضو يقول: أنا فعلت كذا وكذا، يوم كذا وكذا. وخص هذه الأعضاء الثلاثة، لأن أكثر الذنوب، إنما تقع بها، أو بسببها. 20 النار، وأرادوا الإنكار، أو أنكروا ما عملوه من المعاصي، شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم عموم بعد خصوص. بما كانوا يعملون أي: شهد حتى إذا ما جاءوها أي: حتى إذا وردوا على

تفسير السعدي

ذلك، الإنطاق. وإليه ترجعون في الآخرة، فيجزىكم بما عملتم، ويحتمل أن المراد بذلك، الاستدلال على البعث بالخلق الأول، كما هو طريقة القرآن. 21 الامتناع عن الشهادة حين أنطقنا الذي لا يستعصي عن مشيئته أحد. وهو خلقكم أول مرة فكما خلقكم بذواتكم، وأجسامكم، خلق أيضا صفاتكم، ومن هذا دليل على أن الشهادة تقع من كل عضو كما ذكرنا: لم شهدتم علينا ونحن ندافع عنكم؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء فليس في إمكاننا، فإذا شهد عليهم عاتبوا، وقالوا لجلودهم

ولكن ظننتم بإقدامكم على المعاصي أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك صدر منكم ما صدر، وهذا الظن، صار سبب هلاكهم وشقائهم. 22 وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم أي: وما كنتم تختفون عن شهادة أعضائكم عليكم، ولا تحاذرون من ذلك. الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحققت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة: 23 الذي ظننتم بربكم الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله. أرداكم أي: أهلككم فأصبحتم من الخاسرين لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب وذلك ظنكم

وقته، وعمرها، ما يعمر فيه من تذكر وجاءهم النذير وانقطعت حججهم، مع أن استعتابهم، كذب منهم ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون 24 اخسئوا فيها ولا تكلمون وإن يستعتبوا أي: يطلبوا أن يزال عنهم العتب، ويرجعوا إلى الدنيا، ليستأنفوا العمل. فما هم من المعتبين لأنه ذهب وعظمت سلاسلها وأغلالها، وكبرت مقامعها، وغلظ خزانها، وزال ما في قلوبهم من رحمتهم، وختام ذلك سخط الجبار، وقوله لهم حين يدعونه ويستغيثون: الصبر عليها، وكيف الصبر على نار، قد اشتد حرها، وزادت على نار الدنيا، بسبعين ضعفا، وعظم غليان حميمها، وزاد نتن صديدها، وتضاعف برد زمهريرها فإن يصبروا فالنار مثوى لهم فلا جلد عليها، ولا صبر، وكل حالة قدر إمكان الصبر عليها، فالنار لا يمكن

بعذابهم في جملة أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين لأديانهم وآخرتهم، ومن خسر، فلا بد أن يذل ويشقى ويعذب. 25 الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون وحق عليهم القول أي: وجب عليهم، ونزل القضاء والقدر والمعاصي. وهذا التسليط والتقويض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق كما قال تعالى: ومن يعيش عن ذكر محاربة الله ورسله والآخرة بعدوها عليهم وأنسوهم ذكرها، وربما أوقعوا عليهم الشبه، بعدم وقوعها، فترحل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر، والبدع، ما بين أيديهم وما خلفهم فالدنيا زخرفها بأعينهم، ودعوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة حتى افتتنوا، فأقدموا على معاصي الله، وسلخوا ما شاءوا من قرناء من الشياطين، كما قال تعالى: ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا أي تزعجهم إلى المعاصي وتحثهم عليها، بسبب ما زينوا لهم أي: وقضينا لهؤلاء الظالمين الجاحدين للحق

كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يغلون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يعرف هذا، أصحاب الحق وأعداؤه. 26 وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق، ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم أحدا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن، لعلكم إن فعلتم ذلك تغلبون به، فإن اتفق أنكم سمعتموه، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه، ف الغوا فيه أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكثوا مع قدرتهم عن القرآن، وتواصيههم بذلك، فقال: وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن أي: أعرضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا، أو تصغوا إليه ولا إلى من جاء يخبر تعالى عن إعراض الكفار

وهو الكفر والمعاصي، فإنها أسوأ ما كانوا يعملون، لكونهم يعملون المعاصي وغيرها، فالجزاء بالعقوبة، إنما هو على عمل الشرك ولا يظلم ربك أحدا 27 منهم وعنادا، لم يبق فيهم مطمع للهداية، فلم يبق إلا عذابهم ونكالهم، ولهذا قال: فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ولما كان هذا ظلما

هم ينصرون، وذلك جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون فإنها آيات واضحة، وأدلة قاطعة مفيدة لليقين، فأعظم الظلم وأكبر العناد، جحدوا، والكفر بها. 28 الذين حاربوه، وحاربوا أوليائه، بالكفر والتكذيب، والمجادلة والمجادلة. النار لهم فيها دار الخلد أي: الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة، ولا ذلك جزاء أعداء الله

ليكونوا من الأسفلين أي: الأذلين المهانين كما أضلونا، وفتنونا، وصاروا سببا لنزولنا. ففي هذا، بيان حق بعضهم على بعض، وتبري بعضهم من بعض. 29 أضلانا من الجن والإنس أي: الصنفين اللذين، قادانا إلى الضلال والعذاب، من شياطين الجن، وشياطين الإنس، الدعاة إلى جهنم. نجعلهما تحت أقدامنا وقال الذين كفروا أي: الأتباع منهم، بدليل ما بعده، على وجه الحق، على من أضلهم: ربنا أرنا الذين

الجاهلون، الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالا، ولا البيان إلا عمى فهؤلاء لم يسق الكلام لأجلهم، سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون 3 أكمل اللغات، فصلت آياته وجعل عربيا. لقوم يعلمون أي: لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه، ويتضح لهم الهدى من الضلال، والغي من الرشاد. وأما آياته أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته، وهذا يستلزم البيان التام، والتفريق بين كل شيء، وتمييز الحقائق. قرآنا عربيا أي: باللغة الفصحى ثم أتى على الكتاب بتمام البيان فقال: فصلت

تفسير السعدي

على ما مضى، فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولا. 30 وفي الآخرة. تنزل عليهم الملائكة الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار. ألا تخافوا على ما يستقبل من أمركم، ولا تحزنوا استقاموا أي: اعترفوا ونطقوا ورضوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علما وعملا، فلهم البشرى في الحياة الدنيا يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك، تنشيطهم، والحث على الاقتداء بهم، فقال: إن الذين قالوا ربنا الله ثم

ما تدعون أي: تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. 31 من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويقولون لهم أيضا: ولكم فيها أي: في الجنة ما تشتهي أنفسكم قد أعد وهيئ. ولكم فيها المصائب والمخاوف، وخصوصا عند الموت وشدة، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة يحثونهم في الدنيا على الخير، ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر، ويقبحونه في قلوبهم، ويدعون الله لهم، ويثبتونهم عند ويقولون لهم أيضا مثبتين لهم، ومبشرين: نحن أولياؤكم

من غفور غفر لكم السيئات، رحيم حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته، أنالكم المطلوب. 32 نزلا من غفور رحيم أي: هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نزل وضيافة

أعلى عليين، ونزلت الأخرى، إلى أسفل سافلين، مراتب، لا يعلمها إلا الله، وكلها معمورة بالخلق ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون. 33 الوراة التامة من الرسل، كما أن من أشر الناس، قولا، من كان من دعاة الضالين السالكين لسبله. وبين هاتين المرتبتين المتباينتين، اللتين ارتفعت إحداها إلى إنني من المسلمين أي: المنقادين لأمره، السالكين في طريقه، وهذه المرتبة، تمامها للصديقين، الذين عملوا على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم، وحصلت لهم من جميع الشر. ثم قال تعالى: وعمل صالحا أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح، الذي يرضي ربه. وقال الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفرادها، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين. ومن ذلك، الوعد لعوم وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله. ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. ومن الدعوة إلى الله، تحببيه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتبني هي أحسن، والنهي دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولا. أي: كلاما وطريقة، وحالة ممن

له الكلام، وأبذل له السلام، فإذا قابلت الإساءة بالإحسان، حصل فائدة عظيمة. فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم أي: كأنه قريب شفيق. 34 إليه، فإن قطعك فصله، وإن ظلمك، فاعف عنه، وإن تكلم فيك، غابا أو حاضرا، فلا تقابله، بل اعف عنه، وعامله بالقول اللين. وإن هجرك، وترك خطابك، فطيب هي أحسن أي: فإذا أساء إليك مسيء من الخلق، خصوصا من له حق كبير عليك، كالأقارب، والأصحاب، ونحوهم، إساءة بالقول أو بالفعل، فقابله بالإحسان ولا في وصفها، ولا في جزائها هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك، فقال: ادفع بالتّي الحسنات والطاعات لأجل رضا الله تعالى، ولا فعل السيئات والمعاصي التي تسخطه ولا ترضيه، ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، يقول تعالى: ولا تستوي الحسنة ولا السيئة أي: لا يستوي فعل

وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم لكونها من خصال خواص الخلق، التي ينال بها العبد الرفعة في الدنيا والآخرة، التي هي من أكبر خصال مكارم الأخلاق. 35 عمله، لا يفيد شيئا، ولا يزيد العداوة إلا شدة، وأن إحسانه إليه، ليس بواضع قدره، بل من تواضع لله رفعه، هان عليه الأمر، وفعل ذلك، متلذذا مستحليا له. مقابلة المسيء بإساءته وعدم العفو عنه، فكيف بالإحسان؟ فإذا صبر الإنسان نفسه، وامتنل أمر ربه، وعرف جزيل الثواب، وعلم أن مقابلته للمسيء بجنس وما يلقاها أي: وما يوفق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا نفوسهم على ما تكره، وأجبروها على ما يحبه الله، فإن النفوس مجبولة على

أي: أسأله، مفتقرا إليه، أن يعيذك ويعصمك منه، إنه هو السميع العليم فإنه يسمع قولك وتضرعك، ويعلم حالك واضطرارك إلى عصمته وحمايته. 36 أحسست بشيء من نزغات الشيطان، أي: من وساوسه وتزيينه للشر، وتكسيه له عن الخير، وإصابة ببعض الذنوب، وإطاعة له ببعض ما يأمر به فاستعذ بالله إساءته بالإحسان، ذكر ما يدفع به العدو الجني، وهو الاستعاذة بالله، والاحتماء من شره فقال: وإما ينزغنك من الشيطان نزغ أي: أي وقت من الأوقات، لما ذكر تعالى ما يقابل به العدو من الإنس، وهو مقابلة

وإن كبر، جرمه وكثرت مصالحه، فإن ذلك ليس منه، وإنما هو من خالقه، تبارك وتعالى. إن كنتم إياه تعبدون فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين له. 37 ولا للقمر فإنهما مدبران مسخران مخلوقان. واسجدوا لله الذي خلقهن أي: أعبدوه وحده، لأنه الخالق العظيم، ودعوا عبادة ما سواه، من المخلوقات، والشمس والقمر اللذان لا تستقيم معاش العباد، ولا أبدانهم، ولا أبدان حيواناتهم، إلا بهما، وبهما من المصالح ما لا يحصى عدده. لا تسجدوا للشمس وسعة سلطانه، ورحمته بعباده، وأنه الله وحده لا شريك له الليل والنهار هذا بمنفعة ضيائه، وتصرف العباد فيه، وهذا بمنفعه ظلمه، وسكون الخلق فيه.

تفسير السعدي

ثم ذكر تعالى أن من آياته الدالة على كمال قدرته، ونفوذ مشيئته،

عند ربك يعني: الملائكة المقربين يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون أي: لا يملون من عبادته، لقوتهم، وشدة الداعي القوي منهم إلى ذلك. 38
الله تعالى، ولم ينقادوا لها، فإنهم لن يضروا الله شيئا، والله غني عنهم، وله عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ولهذا قال: فالذين
فإن استكبروا عن عبادة

من قبورهم إلى يوم بعثهم، ونشورهم إنه على كل شيء قدير فكما لم تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، لا تعجز عن إحياء الموتى. 39
اهتزت أي: تحركت بالنبات وربت ثم: أنبتت من كل زوج بهيج، فيحيي به العباد والبلاد. إن الذي أحيها بعد موتها وهمودها، لمحيي الموتى
ومن آياته الدالة على كمال قدرته، وانفراده بالملك والتدبير والوحدانية، أنك ترى الأرض خاشعة أي: لا نبات فيها فإذا أنزلنا عليها الماء أي: المطر

أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين، فهم لا يسمعون له سماع قبول وإجابة، وإن كانوا قد سمعوه سماعا، تقوم عليهم به الحجة الشرعية. 4
وذكر الأسباب والأوصاف التي تحصل بها البشارة والندارة، وهذه الأوصاف للكتاب، مما يوجب أن يتلقى بالقبول، والإنذاع، والإيمان، والعمل به، ولكن
بشيرا ونذيرا أي: بشيرا بالثواب العاجل والآجل، ونذيرا بالعقاب العاجل والآجل، وذكر تفصيلهما،

إلى دار الشقاء. إنه بما تعملون بصير يجازيكم بحسب أحوالكم وأعمالكم، كقوله تعالى: وكل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر 40
المهلك قال: اعملوا ما شئتم إن شئتم، فاسلكوا طريق الرشd الموصلة إلى رضا ربكم وجنته، وإن شئتم، فاسلكوا طريق الغي المسخطة لربكم، الموصلة
خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة من عذاب الله مستحقا لثوابه؟ من المعلوم أن هذا خير. لما تبين الحق من الباطل، والطريق المنجي من عذابه من الطريق
فيها بأنه لا يخفى عليه، بل هو مطلع على ظاهره وباطنه، وسيجزيه على إحاده بما كان يعمل، ولهذا قال: أفمن يلقى في النار مثل الملحد بآيات الله
كان: إما بإنكارها وجحودها، وتكذيب من جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي، وإثبات معان لها، ما أرادها الله منها. فتوعد تعالى من أحد
الإلحاد في آيات الله: الميل بها عن الصواب، بأي وجه

نعمة من ربهم على يد أفضل الخلق وأكملهم. و الحال إنه لكتاب جامع لأوصاف الكمال عزيز أي: منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء. 41
إن الذين كفروا بالذكر أي: يجحدون القرآن الكريم المذكر للعباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية والأخروية، المعلي لقدر من اتبعه، لما جاءهم
ثم قال تعالى:

وعلى ما له من العدل والإفضال، فهذا كان كتابه، مشتملا على تمام الحكمة، وعلى تحصيل المصالح والمنافع، ودفع المفاسد والمضار، التي يحمد عليها. 42
وإننا لحافظون تنزيل من حكيم في خلقه وأمره، يضع كل شيء موضعه، وينزله منازل. حميد على ما له من صفات الكمال، ونعوت الجلال،
بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: إنا نحن نزلنا الذكر
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا

وحذرهم من الاستمرار على الغي فقال: إن ربك لذو مغفرة أي: عظيمة، يمحو بها كل ذنب لمن أقبل وتاب وذو عقاب أليم لمن: أصر واستكبر. 43
قلوبهم في الكفر، تشابهت أقوالهم، وصبر الرسل عليهم السلام على أذاهم وتكذيبهم، فاصبر كما صبر من قبلك. ثم دعاهم إلى التوبة والإتيان بأسباب المغفرة،
يقدرهم عليه، وقولهم: ما أنتم إلا بشر مثنا واقترحهم على رسلهم الآيات، التي لا يلزمهم الإتيان بها، ونحو ذلك من أقوال أهل التكذيب، لما تشابهت
جنسها، بل ربما إنهم تكلموا بكلام واحد، كتعجب جميع الأمم المكذبة للرسل، من دعوتهم إلى الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وردهم هذا بكل طريق
أي: ما يقال لك أيها الرسول من الأقوال الصادرة، ممن كذبك وعاندك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي: من

أن الذين لا يؤمنون بالقرآن، لا ينتفعون بهداه، ولا يبصرون بنوره، ولا يستفيدون منه خيرا، لأنهم سدوا على أنفسهم أبواب الهدى، بإعراضهم وكفرهم. 44
من مكان بعيد أي: ينادون إلى الإيمان، ويدعون إليه، فلا يستجيبون، بمنزلة الذي ينادي، وهو في مكان بعيد، لا يسمع داعيا ولا يجيب مناديا. والمقصود:
وهو عليهم عمى أي: لا يبصرون به رشدًا، ولا يهتدون به، ولا يزيدهم إلا ضلالا فإنهم إذا ردوا الحق، ازدادوا عمى إلى عماهم، وغيا إلى غيهم. أولئك ينادون
الأعمال، ويبحث على التوبة النصوح، التي تغسل الذنوب وتشفى القلب. والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم وقر أي: صمم عن استماعه وإعراض،
المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة وشفاء لهم من الأسقام البدنية، والأسقام القلبية، لأنه يزرع عن مساوئ الأخلاق وأقبح
المؤمنون الموفقون، انتفعوا به، وارتفعوا، وغيرهم بالعكس من أحوالهم. ولهذا قال: قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء أي: يهديهم لطريق الرشd والصراط
محمد عربيا، والكتاب أعجمي؟ هذا لا يكون فنفي الله تعالى كل أمر، يكون فيه شبهة لأهل الباطل، عن كتابه، ووصفه بكل وصف، يوجب لهم الانقياد، ولكن
قرآنا أعجميا، بلغة غير العرب، لاعتراض، المكذوبين وقالوا: لولا فصلت آياته أي: هلا بينت آياته، ووضحت وفسرت. أأعجمي وعربي أي: كيف يكون
فضله وكرمه، حيث أنزل كتابا عربيا، على الرسول العربي، بلسان قومه، ليبين لهم، وهذا مما يوجب لهم زيادة الاغتناء به، والتلقي له والتسليم، وأنه لو جعله
يخبر تعالى عن

الكافرين في الحال، لأن سبب الهلاك قد وجب وحق. وإنهم لفي شك منه مريب أي: قد بلغ بهم إلى الريب الذي يقلقهم، لذلك كذبوه وجحدوه. 45

تفسير السعدي

الله تعالى، لولا حلمه وكلمته السابقة، بتأخير العذاب إلى أجل مسمى لا يتقدم عليه ولا يتأخر لقضي بينهم بمجرد ما يتميز المؤمنون من الكافرين، بإهلاك آتينا موسى الكتاب كما آتيناك الكتاب، فصنع به الناس ما صنعوا معك، اختلفوا فيه: فمنهم من آمن به واهتدى وانتفع، ومنهم من كذبه ولم ينتفع به، وإن يقول تعالى: ولقد

وانتفاع العاملين، بأعمالهم الحسنة، وضررهم بأعمالهم السيئة، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى. وما ربك بظلام للعبيد فيحمل أحدا فوق سيئاتهم. 46 به، ورسوله فلنفسه نفعه وثوابه في الدنيا والآخرة ومن أساء فعليها ضرره وعقابه، في الدنيا والآخرة، وفي هذا، حث على فعل الخير، وترك الشر، من عمل صالحا وهو العمل الذي أمر الله

ما منا من شهيد أي: أعلمناك يا ربنا، واشهد علينا أنه ما منا أحد يشهد بصحة إلهيتهم وشركتهم، فكلنا الآن قد رجعنا إلى بطلان عبادتها، وتبرأنا منها. 47 شركائي الذين زعمتم أنهم شركائي، فعبدتموهم، وجادلتم على ذلك، وعاديتهم الرسل لأجلهم؟ قالوا مقرين ببطلان إلهيتهم، وشركتهم مع الله: أذكرك فكيف سوى المشركون به تعالى، من لا علم عنده ولا سمع ولا بصيرة؟ ويوم يناديهم أي: المشركين به يوم القيامة توبيخا وإظهارا لكذبهم، فيقول لهم: أين من الأشجار، إلا وهو يعلمها علما تفصيليا. وما تحمل من أنثى من بني آدم وغيرهم، من أنواع الحيوانات، إلا بعلمه ولا تضع أنثى حملها إلا بعلمه وغيرهم. وما تخرج من ثمرات من أكمامها أي: وعائنها الذي تخرج منه، وهذا شامل لثمرات جميع الأشجار التي في البلدان والبراري، فلا تخرج ثمرة شجرة واختصاصه بالعلم الذي لا يطلع عليه سواه فقال: إليه يرد علم الساعة أي: جميع الخلق ترد علمهم إلى الله تعالى، ويقرون بالعجز عنه، الرسل، والملائكة، هذا إخبار عن سعة علمه تعالى

في تلك الحال ما لهم من محيص أي: منقذ ينقذهم، ولا مغيث، ولا ملجأ، فهذه عاقبة من أشرك بالله غيره، بينها الله لعباده، ليحذروا الشرك به. 48 غير الله، وظنوا أنها تفيدهم، وتدفع عنهم العذاب، وتشفع لهم عند الله، فخاب سعيهم، وانتقض ظنهم، ولم تغن عنهم شركاؤهم شيئا وظنوا أي: أيقنوا وضل عنهم ما كانوا يدعون من دون الله، أي: ذهب عقائدهم وأعمالهم، التي أفنوا فيها أعمارهم على عبادة وخافوا أن تكون نعم الله عليهم، استدراجا وإمهالا، وإن أصابهم مصيبة، في أنفسهم وأموالهم، وأولادهم، صبروا، ورجوا فضل ربهم، فلم ييأسوا. 49 بالهلاك، ويتشوش من إتيان الأسباب، على غير ما يحب ويطلب. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإنهم إذا أصابهم الخير والنعمة والمحاب، شكروا الله تعالى، وإن مسه الشر أي: المكروه، كالمرض، والفقر، وأنواع البلاء فينوس قنوط أي: ييأس من رحمة الله تعالى، ويظن أن هذا البلاء هو القاضي عليه والمال والولد، وغير ذلك من مطالب الدنيا، ولا يزال يعمل على ذلك، ولا يقتنع بقليل، ولا كثير منها، فلو حصل له من الدنيا، ما حصل، لم يزل طالبا للزيادة. لا على الخير ولا على الشر، إلا من نقله الله من هذه الحال إلى حال الكمال، فقال: لا يسأم الإنسان من دعاء الخير أي: لا يمل دائما، من دعاء الله، في الغنى هذا إخبار عن طبيعة الإنسان، من حيث هو، وعدم صبره وجلده،

بدينك، فإننا راضون كل الرضا، بالعمل في ديننا، وهذا من أعظم الخذلان، حيث رضوا بالضلال عن الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا. 5 نراك. القصد من ذلك، أنهم أظهروا الإعراض عنه، من كل وجه، وأظهروا بغضه، والرضا بما هم عليه، ولهذا قالوا: فاعمل إننا عاملون أي: كما رضيت بالعمل بسد الأبواب الموصلة إليه: قلوبنا في أكنة أي: أغطية مغطاة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر أي: صمم فلا نسمع لك ومن بيننا وبينك حجاب فلا وقالوا أي: هؤلاء المعرضون عنه، مبينين عدم انتفاعهم به،

وهذا من أعظم الجراءة والقول على الله بلا علم، فلماذا توعدته بقوله: فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ أي: شديد جدا. 50 عنده للحسن أي: على تقدير إتيان الساعة، وأني سأرجع إلى ربي، إن لي عنده، للحسن، فكما حصلت لي النعمة في الدنيا، فإنها ستحصل لي في الآخرة أتاني لأني له أهل، وأنا مستحق له وما أظن الساعة قائمة وهذا إنكار منه للبعث، وكفر للنعمة والرحمة، التي أذاقها الله له. ولئن رجعت إلى ربي إن لي رحمة منا أي: بعد ذلك الشر الذي أصابه، بأن عافاه الله من مرضه، أو أغناه من فقره، فإنه لا يشكر الله تعالى، بل يبغى، ويبغى، ويقول: هذا لي أي: ثم قال تعالى: ولئن أذقناه أي: الإنسان الذي يسأم من دعاء الخير، وإن مسه الشر فينوس قنوط

أي: المرض، أو الفقر، أو غيرهما فذو دعاء عريض أي: كثير جدا، لعدم صبره، فلا صبر في الضراء، ولا شكر في الرخاء، إلا من هداه الله ومن عليه. 51 وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة، أو رزق، أو غيرهما أعرض عن ربه وعن شكره ونأى ترفع بجانبه عجا وتكبرا. وإن مسه الشر

شقاق بعيد أي: معاندة لله ولرسوله، لأنه تبين لكم الحق والصواب، ثم عدلتم عنه، لا إلى حق، بل إلى باطل وجهل، فإذا تكونون أضل الناس وأظلمهم. 52 هؤلاء المكذبين بالقرآن المسارعين إلى الكفران أرايتم إن كان هذا القرآن من عند الله من غير شك ولا ارتياب، ثم كفرتم به من أضل ممن هو في أي قل

جاء به صادق، بشهادة الله تعالى، فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو أصدق الشاهدين، وأيده، ونصره نصرا متضمنا لشهادته القولية، عند من شك فيها. 53 لهم أنه الحق، ولكن الله هو الموفق للإيمان من شاء، والخاذل لمن يشاء. أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد أي: أولم يكفهم على أن القرآن حق، ومن المؤمنين. حتى يتبين لهم من تلك الآيات، بيانا لا يقبل الشك أنه الحق وما اشتهل عليه حق. وقد فعل تعالى، فإنه أرى عباده من الآيات، ما به تبين على الحق. وفي أنفسهم مما اشتهلت عليه أبدانهم، من بديع آيات الله وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين، ونصر

تفسير السعدي

وحقيقته، فسيقوم الله لكم، ويرىكم من آياته في الآفاق كآيات التي في السماء وفي الأرض، وما يحدثه الله تعالى من الحوادث العظيمة، الدالة للمستبصر فإن قلتم، أو شككتم بصحته

دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يلتفتوا لها. ألا إنه بكل شيء محيط علما وقدرة وعزة. تم تفسير سورة فصلت بمنه تعالى 54
ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم

بأمور، أو ارتكاب منه، أمره بدواء ذلك بالاستغفار المتضمن للتوبة فقال: واستغفروه ثم توعدهم من ترك الاستقامة فقال: وويل للمشركين 6
دار كرامته، فبذلك يكون عمله خالصا صالحا نافعا، وبفواته، يكون عمله باطلا. ولما كان العبد، ولو حرص على الاستقامة لا بد أن يحصل منه خلل بتقصير
ثم الدوام على ذلك، وفي قوله: إليه تنبيه على الإخلاص، وأن العامل ينبغي له أن يجعل مقصوده وغايته، التي يعمل لأجلها، الوصول إلى الله، وإلى
إليه. فاستقيموا إليه أي: اسلكوا الصراط الموصل إلى الله تعالى، بتصديق الخبر الذي أخبر به، واتباع الأمر، واجتناب النهي، هذه حقيقة الاستقامة،
مثلكم، ليس بيدي من الأمر شيء، ولا عندي ما تستعجلون به، وإنما فضلي الله عليكم، وميزني، وخصني، بالوحي الذي أوحاه إلي وأمرني باتباعه، ودعوتكم
قل لهم يا أيها النبي: إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أي: هذه صفتي ووظيفتي، أني بشر

بالآخرة هم كافرون أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار، فلذلك لما زال الخوف من قلوبهم، أقدموا على ما أقدموا عليه، مما يضرهم في الآخرة. 7
ودنسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد ربهم والإخلاص له، ولم يصلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها. وهم
الذين لا يؤتون الزكاة أي: الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا

أجر أي: عظيم غير ممنون أي: غير مقطوع ولا نافذ، بل هو مستمر مدى الأوقات، متزايد على الساعات، مشتمل على جميع اللذات والمشتهيات. 8
فقال: إن الذين آمنوا بهذا الكتاب، وما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان، وصدقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، والمتابعة. لهم
ولما ذكر الكافرين، ذكر المؤمنين، ووصفهم وجزاءهم،

معه أندادا يشركونهم معه، ويبذلون لهم ما يشاؤون من عباداتهم، ويسوونهم بالرب العظيم، الملك الكريم، الذي خلق الأرض الكثيفة العظيمة، في يومين. 9
ينكر تعالى ويعجب، من كفر الكافرين به، الذين جعلوا

سورة 42

دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يلتفتوا لها. ألا إنه بكل شيء محيط علما وقدرة وعزة. تم تفسير سورة فصلت بمنه تعالى 1
ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم

يحصل بمجموعهما كمال العبد، ويفوته الكمال بفوتهما أو فوت أحدهما، كقوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين وقوله: فاعبده وتوكل عليه 10
وأنقا به تعالى في الإسعاف بذلك. وإليه أنيب أي: أتوجه بقلبي وبدني إليه، وإلى طاعته وعبادته. وهذا الأصلان، كثيرا ما يذكرهما الله في كتابه، لأنهما
عن الخطأ، ولا بد أن يكون اتفاقا موافقا لما في كتاب الله وسنة رسوله. وقوله: عليه توكلت أي: اعتمدت بقلبي عليه في جلب المنافع ودفع المضار،
الآية الكريمة، أن اتفاق الأمة حجة قاطعة، لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نرد إليه إلا ما اختلفنا فيه، فما اتفقنا عليه، يكفي اتفاق الأمة عليه، لأنها معصومة
الحق، وما خالف ذلك فباطل. ذلكم الله ربي أي: فكما أنه تعالى الرب الخالق الرازق المدبر، فهو تعالى الحاكم بين عباده بشرعه في جميع أمورهم. ومفهوم
تعالى: وما اختلفتم فيه من شيء من أصول دينكم وفروعه، مما لم تتفقوا عليه فحكمه إلى الله يرد إلى كتابه، وإلى سنة رسوله، فما حكما به فهو
يقول

من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة في قوله: ليس كمثله شيء وعلى المعطلة في قوله: وهو السميع البصير 11
الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة. وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة،
من كل وجه. وهو السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. البصير يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة
لأن أسمائه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراد وتوحده بالكمال
لكم من الأنعام أزواجا. ليس كمثله شيء أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله،
التعليل، أي: جعل ذلك لأجلكم، ولأجل النعمة عليكم، ولهذا قال: يذركم فيه أي: يشكم ويكثركم ويكثر مواشيكم، بسبب أن جعل لكم من أنفسكم، وجعل
لكم من النفع ما يحصل. ومن الأنعام أزواجا أي: ومن جميع أصنافها نوعين، ذكرا وأنثى، لتبقى وتنمو لمنافعكم الكثيرة، ولهذا عداها باللام الدالة على
فاطر السماوات والأرض أي: خالقهما بقدرته ومشينته وحكمته. جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وتنتشر منكم الذرية، ويحصل

لا يزيد عنها، وكل هذا تابع لعلمه وحكمته، فلها قال: إنه بكل شيء عليم فيعمل أحوال عباده، فيعطي كلا ما يليق بحكمته وتقتضيه مشيئته. 12
ولهذا قال هنا: يبسط الرزق لمن يشاء أي: يوسعه ويعطيه من أصناف الرزق ما شاء، ويقدر أي: يضيق على من يشاء، حتى يكون بقدر حاجته،

تفسير السعدي

المانع، الضار النافع، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا يدفع الشر إلا هو، و ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده الظاهرة والباطنة. فكل الخلق مفتقرون إلى الله، في جلب مصالحهم، ودفع المضار عنهم، في كل الأحوال، ليس بيد أحد من الأمر شيء. والله تعالى هو المعطي وقوله: له مقاليد السماوات والأرض أي: له ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، والنعم

أناب إلي مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصا الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين. 13 أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وفي هذه الآية، أن الله يهدي إليه من ينيب مع قوله: واتبع سبيل من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصدا وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من للاجتناب لرسالته وولايته ومنه أن اجتنب هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وخيرها. ويهدي إليه من ينيب هذا السبب الذي من دونه إذا هم يستبشرون وقولهم: أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب الله يجتبي إليه من يشاء أي يختار من خليقته من يعلم أنه يصلح عليهم غاية المشقة، حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده، كما قال عنهم: وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من الصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا بالاجتماع لها وعدم التفرق. كبر على المشركين ما تدعوهم إليه أي: شق بعضا مع اتفاقكم على أصل دينكم. ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجمع ولا تتفرقوا فيه أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابا، وتكونون شيعا يعادي بعضكم تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الإثم والعدوان. وقطب رحي الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب. ولهذا قال: أن أقيموا الدين أي: أمركم أن أن يكون مناسبا لأحوالهم، موافقا لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بد على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار هذه أكبر منة أنعم الله بها

أي: لفي اشتباه كثير يوقع في الاختلاف، حيث اختلف سلفهم بغيا وعنادا، فإن خلفهم اختلفوا شكا وارتبابا، والجميع مشتركون في الاختلاف المذموم. 14 اقتضى تأخير ذلك عنهم. وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم أي: الذين ورثوهم وصاروا خلفا لهم ممن ينتسب إلى العلم منهم لفي شك منه مريب فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم. ولولا كلمة سبقت من ربك أي: بتأخير العذاب القاضي إلى أجل مسمى لقضي بينهم ولكن حكمته وحلمه، الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغيا وعدوانا منهم، فإنهم تباعضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب لما أمر تعالى باجتماع

الكتاب إلا بالتي هي أحسن وإنما المراد ما ذكرنا. الله يجمع بيننا وإليه المصير يوم القيامة، فيجزئ كلا بعمله، ويتبين حينئذ الصادق من الكاذب. 15 إنما هو بيان الحق من الباطل، ليهتدي الراشد، ولتقوم الحجة على الغاوي، وليس المراد بهذا أن أهل الكتاب لا يجادلون، كيف والله يقول: ولا تجادلوا أهل لا حجة بيننا وبينكم أي: بعد ما تبينت الحقائق، واتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، لم يبق للجدال والمنازعة محل، لأن المقصود من الجدل، أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل، الله ربنا وربكم أي: هو رب الجميع، لستم بأحق به منا. لنا أعمالنا ولكم أعمالكم من خير وشر فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم، يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم، بين أهل الأقوال المختلفة، من أهل الكتاب وغيرهم، مجرد التوراة والإنجيل، وموسى وعيسى، الذين لم يوصفوا لنا، ولم يوافقوا لكتابتنا، فلم يأمرنا بالإيمان بهم. وقوله: وأمرت لأعدل بينكم أي: في الحكم وبمن جاء به، فكتابتنا ورسولنا لم يأمرنا إلا بالإيمان بموسى وعيسى والتوراة والإنجيل، التي أخبر بها وصدق بها، وأخبر أنها مصدقة له ومقرة بصحته. وأما الكتب، أو ببعض الرسل دون غيره، فلا يسلم لهم ذلك، لأن الكتاب الذي يدعون إليه، والرسول الذي ينتسبون إليه، من شرطه أن يكون مصدقا بهذا القرآن سائر الأديان، وأن الدين الذي يزعم أهل الكتاب أنهم عليه جزء من الإسلام، وفي هذا إرشاد إلى أن أهل الكتاب إن ناظروا مناظرة مبنية على الإيمان ببعض جدالهم ومناظرتهم: آمنت بما أنزل الله من كتاب أي: لتكن مناظرتك لهم مبنية على هذا الأصل العظيم، الدال على شرف الإسلام وجلالته وهيمنته على تتبع دينهم لأن حقيقة دينهم الذي شرعه الله لهم، هو دين الرسل كلهم، ولكنهم لم يتبعوه، بل اتبعوا أهواءهم، واتخذوا دينهم لهوا ولعبا. وقل لهم عند على بعض دينهم، أو بترك الدعوة إلى الله، أو بترك الاستقامة، فإنك إن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم أنك إذا لمن الظالمين، ولم يقل: ولا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمر لأمته إذا لم يرد تخصيص له. ولا تتبع أهواءهم أي: أهواء المنحرفين عن الدين، من الكفرة والمنافقين إما باتباعهم بل امتثالا لأوامر الله واجتنابا لنواهيه، على وجه الاستمرار على ذلك، فأمره بتكميل نفسه بلزوم الاستقامة، وبتكميل غيره بالدعوة إلى ذلك. ومن المعلوم أن وأرسل رسله، فادع إليه أمتك وحضهم عليه، وجاهد عليه، من لم يقله، واستقم بنفسك كما أمرت أي: استقامة موافقة لأمر الله، لا تفريط ولا إفراط، فلذلك فادع أي: فللدين القويم والصراط المستقيم، الذي أنزل الله به كتابه

غضب لعصيانهم وإعراضهم عن حجج الله وبياناته وتكذيبها. ولهم عذاب شديد هو أثر غضب الله عليهم، فهذه عقوبة كل مجادل للحق بالباطل. 16

تفسير السعدي

المجادلون للحق من بعد ما تبين حجتهم داحضة أي: باطلة مدفوعة عند ربهم لأنها مشتملة على رد الحق وكل ما خالف الحق، فهو باطل. وعليهم والشبه المتناقضة من بعد ما استجيب له أي: من بعد ما استجاب لله أولو الألباب والعقول، لما بين لهم من الآيات القاطعة، والبراهين الساطعة، فهؤلاء وهذا تقرير لقوله: لا حجة بيننا وبينكم، فأخبر هنا أن الذين يحتاجون في الله بالحجج الباطلة،

الساعة المنكرين لها، فقال: وما يدريك لعل الساعة قريب أي: ليس بمعلوم بعدها، ولا متى تقوم، فهي في كل وقت متوقع وقوعها، مخوف وجبتها. 17 ولم تنفذ بصيرته إلى المعنى المراد، فإنه ليس من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فوافقه وخلافه سيان. ثم قال تعالى مخوفاً للمستعجلين لقيام من خبر المسائل ومآخذها، وعرف التمييز بين راجح الأدلة من مرجوحها، والفرق بين الحجج والشبه، وأما من اغتر بالعبارة المزخرفة، والألفاظ المموهة، عن الكتاب والميزان مما قيل إنه حجة أو برهان أو دليل أو نحو ذلك من العبارات، فإنه باطل متناقض، قد فسدت أصوله، وانهدمت مبانيه وفروعه، يعرف ذلك في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما اشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت رسله، مما خرج عن هذين الأمرين بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية، من الآيات الآفاقية والنفسية، والاعتبارات الشرعية، والمناسبات والعلل، والأحكام والحكم، داخلية وكله آيات بينات، وأدلة واضحات، على جميع المطالب الإلهية والعقائد الدينية، فجاء بأحسن المسائل وأوضح الدلائل. وأما الميزان، فهو العدل والاعتبار التي أوصلها إلى العباد، فقال: الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان فالكتاب هو هذا القرآن العظيم، نزل بالحق، واشتمل على الحق والصدق واليقين، لما ذكر تعالى أن حججه واضحة بينة، بحيث استجاب لها كل من فيه خير، ذكر أصلها وقاعدتها، بل جميع الحجج

بالدار الآخرة، التي تواترت بالإخبار عنها الكتب الإلهية، والرسل الكرام وأتباعهم، الذين هم أكمل الخلق عقولاً، وأغزهم علماً، وأعظمهم فطنة وفهماً. 18 إليها، كراكب قال في ظل شجرة ثم رحل وتركها، وهي دار عبور وممر، لا محل استقرار. فصدقوا بالدار المضمحلة الفانية، حيث رأوها وشاهدوها، وكذبوا التي هي الدار على الحقيقة، وهي الدار التي خلقت للبقاء الدائم والخلود السرمدي، وهي دار الجزاء التي يظهر الله فيها عدله وفضله وإنما هذه الدار بالنسبة ماروا الرسل وأتباعهم بإثباتها فهم في شقاق بعيد، أي: معاندة ومخاصمة غير قريبة من الصواب، بل في غاية البعد عن الحق، وأي بعد أبعد ممن كذب بالدار منجية لهم ولا مسعدة، ولهذا قال: ويعلمون أنها الحق الذي لا مرية فيه، ولا شك يعتريه ألا إن الذين يمارون في الساعة أي: بعد ما امتروا فيها، لربهم. والذين آمنوا مشفقون منها أي: خائفون، لإيمانهم بها، وعلمهم بما تشتمل عليه من الجزاء بالأعمال، وخوفهم، لمعرفة ربهم، أن لا تكون أعمالهم يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها عناداً وتكذيباً، وتعجزوا

بحسب اقتضاء حكمته ولطفه وهو القوي العزيز الذي له القوة كلها، فلا حول ولا قوة لأحد من المخلوقين إلا به، الذي دانت له جميع الأشياء. 19 مما يتنافس فيه أهل الدنيا، تقطع عبده عن طاعته، أو تحمله على الغفلة عنه، أو على معصية صرفها عنه، وقدر عليه رزقه، ولهذا قال هنا: يرزق من يشاء فيه، واقتداء بعضهم ببعض. ومن لطفه، أن يقيض لعبده كل سبب يعوقه ويحول بينه وبين المعاصي، حتى إنه تعالى إذا علم أن الدنيا والمال والرياسة ونحوها ما يكون داعياً لاتباعه. ومن لطفه أن أمر المؤمنين، بالعبادات الاجتماعية، التي بها تقوى عزائمهم وتنبت همهم، ويحصل منهم التنافس على الخير والرغبة من فطرته على محبة الحق والانقياد له وإيزاعه تعالى لملائكته الكرام، أن يثبتوا عباده المؤمنين، ويحثوهم على الخير، ويلقوا في قلوبهم من تزيين الحق ما فيه الخير لهم من حيث لا يعلمون ولا يحتسبون. فمن لطفه بعبده المؤمن، أن هداه إلى الخير هداية لا تخطر بباله، بما يسر له من الأسباب الداعية إلى ذلك، ليعرفوه ويحبوه، ويتعرضوا للطفه وكرمه، واللطف من أوصافه تعالى معناه: الذي يدرك الضمائر والسرائر، الذي يوصل عباده وخصوصاً المؤمنين إلى يخبر تعالى بلطفه بعباده

دار سوى الدار الدنيا، فلذلك لم يعملوا للآخرة، ولم يلتفتوا لها. ألا إنه بكل شيء محيط علماً وقدرة وعزة. ثم تفسير سورة فصلت بمنه تعالى 2 ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم أي: في شك من البعث والقيامة، وليس عندهم

النار وجحيمها. وهذه الآية، شبيهة بقوله تعالى: من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون إلى آخر الآيات. 20 فلم يقدم لآخرته، ولا رجا ثوابها، ولم يخش عقابها. نؤته منها نصيبه الذي قسم له، وما له في الآخرة من نصيب قد حرم الجنة ونعيمها، واستحق مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً ومع ذلك، فنصيبه من الدنيا لا بد أن يأتيه. ومن كان يريد حرث الدنيا بأن: كانت الدنيا هي مقصوده وغاية مطلوبه، فأمن بها وصدق، وسعى لها سعيها نذله في حرثه بأن نضاعف عمله وجزاءه أضعافاً كثيرة، كما قال تعالى: ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو ثم قال تعالى: من كان يريد حرث الآخرة أي: أجرها وثوابها،

لقضي بينهم في الوقت الحاضر بسعادة المحق وإهلاك المبطل، لأن المقتضي للإهلاك موجود، ولكن أمامهم العذاب الأليم في الآخرة، هؤلاء وكل ظالم. 21 هم وأباؤهم على الكفر. ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم أي: لولا الأجل المسمى الذي ضربه الله فاصلاً بين الطوائف المختلفة، وأنه سيؤخرهم إليه، ما شرعه الله تعالى، ليدين به العباد ويتقربوا به إليه، فالأصل الحجر على كل أحد أن يشرع شيئاً ما جاء عن الله وعن رسوله، فكيف هؤلاء الفسقة المشتركين لهم من الدين ما لم يأذن به الله من الشرك والبدع، وتحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم. مع أن الدين لا يكون إلا يخبر تعالى أن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم ويشتركون هم وإياهم في الكفر وأعماله، من شياطين الإنس، الدعاة إلى الكفر شرعوا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ذلك هو الفضل الكبير وهل فوز أكبر من الفوز برضا الله تعالى، والتنعم بقربه في دار كرامته؟ 22

تفسير السعدي

إلا حسنا وبهاء، ولا يزداد أهلها إلا اشتياقا إلى لذاتها ووداد، لهم ما يشاءون فيها، أي: في الجنات، فمهما أرادوا فهو حاصل، ومهما طلبوا حصل، مما لا المثمرة، والطيور المغردة، والأصوات الشجية المطربة، والاجتماع بكل حبيب، والأخذ من المعاشرة والمنامدة بأكمل نصيب، رياض لا تزداد على طول المدى والمضاف يكون بحسب المضاف إليه، فلا تسأل عن بهجة تلك الرياض المونقة، وما فيها من الأنهار المتدفقة، والفياض المعشبة، والمناظر الحسنة، والأشجار يشمل كل عمل صالح من أعمال القلوب، وأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فهؤلاء في روضات الجنات أي: الروضات المضافة إلى الجنات، غير معارض، من توبة ولا غيرها، ووصلوا موضعا فات فيه الإنظار والإمهال. والذين آمنوا بقلوبهم بالله وبكتبه ورسله وما جاءوا به، وعملوا الصالحات عليه. ولما كان الخائف قد يقع به ما أشفق منه وخافه، وقد لا يقع، أخبر أنه واقع بهم العقاب الذي خافوه، لأنهم أتوا بالسبب التام الموجب للعقاب، من وفي ذلك اليوم ترى الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي مشفقين أي: خائفين وجلين مما كسبوا أن يعاقبوا

بلغت عند التوبة منها، ويشكر على العمل القليل بالأجر الكثير، فبمغفرته يغفر الذنوب ويستتر العيوب، وبشكره يتقبل الحسنات ويضاعفها أضعافا كثيرة. 23 لعمل آخر، ويزداد بها عمل المؤمن، ويرتفع عند الله وعند خلقه، ويحصل له الثواب العاجل والآجل. إن الله غفور شكور يغفر الذنوب العظيمة ولو بلغت ما ومن يقترب حسنة من صلاة، أو صوم، أو حج، أو إحسان إلى الخلق نذر له فيها حسنا بأن يشرح الله صدره، وييسر أمره، وتكون سببا للتوفيق منه لهم صلى الله عليه وسلم، كقوله تعالى: وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد وقولهم: ما لفلان ذنب عندك، إلا أنه محسن إليك وعلى كلا القولين، فهذا الاستثناء دليل على أنه لا يسألهم عليه أجرا بالكلية، إلا أن يكون شيئا يعود نفعه إليهم، فهذا ليس من الأجر في شيء، بل هو من الأجر الصادقة، وهي التي يصحبها التقرب إلى الله، والتوسل بطاعته الدالة على صحتها وصدقها، ولهذا قال: إلا المودة في القربى أي: في التقرب إلى الله، بدعوته أقرب الناس إليه، حتى إنه قيل: إنه ليس في بطون قريش أحد، إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، فيه قرابة. ويحتمل أن المراد إلا مودة الله تعالى محبته على جميع المحاب بعد محبة الله، فرض على كل مسلم، وهؤلاء طلب منهم زيادة على ذلك أن يحبوه لأجل القرابة، لأنه صلى الله عليه وسلم، قد باشر نفعه إليكم، وهو أن تودوني وتحبوني في القرابة، أي: لأجل القرابة. ويكون على هذا المودة الزائدة على مودة الإيمان، فإن مودة الإيمان بالرسول، وتقدير أموالكم، ولا التولي عليكم والترأس، ولا غير ذلك من الأغراض إلا المودة في القربى يحتمل أن المراد: لا أسألكم عليه أجرا إلا أجرا واحدا هو لكم، وعائد الغايات، والوسيلة الموصلة إليها أفضل الوسائل. قل لا أسألكم عليه أي: على تبليغي إياكم هذا القرآن ودعوتكم إلى أحكامه. أجرا فليست أريد أخذ الصالحات أي: هذه البشارة العظيمة، التي هي أكبر البشائر على الإطلاق، بشر بها الرحيم الرحمن، على يد أفضل خلقه لأهل الإيمان والعمل الصالح، فهي أجل ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا

ويتبين بطلانه لكل أحد، ويظهر الحق كل الظهور لكل أحد. إنه عليم بذات الصدور أي: بما فيها، وما اتصفت به من خير وشر، وما أكتته ولم تبده. 24 من جملة إحقاقه تعالى الحق، أن يقيض له الباطل ليقاومه، فإذا قاومه، صال عليه الحق ببراهينه وبيئاته، فظهر من نوره وهده ما به يضمحل الباطل وينقمع، بكلماته الكونية، التي لا تغير ولا تبدل، ووعد الصديق، وكلماته الدينية التي تحقق ما شرعه من الحق، وتثبت في القلوب، وتبصر أولي الأبواب، حتى إن منها ولا أكبر، ولهذا من حكمته ورحمته، وسنته الجارية، أنه يمحو الباطل ويزيله، وإن كان له صولة في بعض الأوقات، فإن عاقبته الاضمحلال. ويحق الحق خير، وإذا ختم على قلبه انحسم الأمر كله وانقطع. فهذا دليل قاطع على صحة ما جاء به الرسول، وأقوى شهادة من الله له على ما قال، ولا يوجد شهادة أعظم على من خالفه، وهو تعالى قادر على حسم هذه الدعوة من أصلها ومادتها، وهو أن يختم على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يعي شيئا ولا يدخل إليه أكبر الفساد في الأرض، حيث مكنه الله من التصريح بالدعوة، ثم بنسبتها إليه، ثم يؤيده بالمعجزات الظاهرات، والأدلة القاهرات، والنصر المبين، والاستيلاء يتجرأون على هذا الكذب الصراح؟ بل تجرأوا بذلك على الله تعالى، فإنه قدح في الله، حيث مكنك من هذه الدعوة العظيمة، المتضمنة على موجب زعمهم على الله كذبا فرموك بأشنع الأمور وأقبحها، وهو الافتراء على الله بادعاء النبوة والنسبة إلى الله ما هو بريء منه، وهم يعلمون صدقك وأمانتك، فكيف يعني أم يقول المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم جرأة منهم وكذبا: افتري

إليه والتوبة من التقصير، فانقسموا بحسب الاستجابة له إلى قسمين: مستجيبين وصفهم بقوله ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات 25 غرض من الأغراض الدنيوية، وكان محل ذلك القلب الذي لا يعلمه إلا الله، ختم هذه الآية بقوله: ويعلم ما تفعلون فالله تعالى، دعا جميع العباد إلى الإنابة التوبة من الأعمال العظيمة، التي قد تكون كاملة بسبب تمام الإخلاص والصدق فيها، وقد تكون ناقصة عند نقصهما، وقد تكون فاسدة إذا كان القصد منها بلوغ ويمحوها، ويمحو أثرها من العيوب، وما اقتضته من العقوبات، ويعود التائب عنده كريما، كأنه ما عمل سوءا قط، ويحبه ويوفقه لما يقر به إليه. ولما كانت ويعزمون على أن لا يعاودوها، إذا قصدوا بذلك وجه ربهم، فإن الله يقبلها بعد ما انعقدت سببا للهلاك، ووقوع العقوبات الدنيوية والدينية. ويعفو عن السيئات هذا بيان لكمال كرم الله تعالى وسعة جوده وتما ملطفه، بقبول التوبة الصادرة من عباده حين يقعون عن ذنوبهم ويندمون عليها،

في الدنيا والآخرة، ثم ذكر أن من لطفه بعباده، أنه لا يوسع عليهم الدنيا سعة، تضر بأديانهم فقال: ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض 26 في الأجر زيادة عن ما تستحقه أعمالهم من الثواب والفوز العظيم. وأما غير المستجيبين لله وهم المعاندون الذين كفروا به وبرسله، فله عذاب شديد الإيمان والعمل الصالح يحملهم على ذلك، فإذا استجابوا له، شكر الله لهم، وهو الغفور الشكور. وزادهم من فضله توفيقا ونشاطا على العمل، وزادهم مضاعفة أي: يستجيبون لربهم لما دعاهم إليه وينقادون له ويلبون دعوته، لأن ما معهم من

تفسير السعدي

- لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا المرض ولو عافيته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني خير بصير 27 الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أمرضته بقدر ما يشاء بحسب ما اقتضاه لطفه وحكمته إنه بعباده خير بصير كما في بعض الآثار أن الله تعالى يقول: إن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا أي: لغفلوا عن طاعة الله، وأقبلوا على التمتع بشهوات الدنيا، فأوجبت لهم الإكباب على ما تشتهيه نفوسهم، ولو كان معصية وظلما. ولكن ينزل التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم. الحميد في ولايته وتدبيره، الحميد على ما له من الكمال، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال. 28 به رحمته من إخراج الأقوات للآدميين وبهائمهم، فيقع عندهم موقعا عظيما، ويستبشرون بذلك ويفرحون. وهو الولي الذي يتولى عباده بأنواع الغزير الذي به يغيث البلاد والعباد، من بعد ما قنطوا وانقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجذب أعمالا، فينزل الله الغيث وينشر وهو الذي ينزل الغيث أي: المطر
- إذا يشاء قدير فقدرته ومشينته صالحان لذلك، ويتوقف وقوعه على وجود الخبر الصادق، وقد علم أنه قد تواترت أخبار المرسلين وكتبهم بوقوعه. 29 أي: نشر في السماوات والأرض من أصناف الدواب التي جعلها الله مصالح ومنافع لعباده. وهو على جمعهم أي: جمع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة دال على حكمته وما فيهما من المنافع والمصالح دال على رحمته، وذلك يدل على أنه المستحق لأنواع العبادة كلها، وأن إلهية ما سواه باطلة. وما بث فيهما سيحيي الموتى بعد موتهم، خلق هذه السماوات والأرض على عظمها وسعتهما، الدال على قدرته وسعة سلطانه، وما فيهما من الإتيان والإحكام أي: ومن أدلة قدرته العظيمة، وأنه
- ببدع من الرسل، وأن طريقته طريقة من قبله، وأحواله تناسب أحوال من قبله من المرسلين. وما جاء به يشابه ما جاءوا به، لأن الجميع حق وصدق. 30 الكريم، كما أوحى إلى من قبله من الأنبياء والمرسلين، ففيه بيان فضله، بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، سابقا ولاحقا، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس يخبر تعالى أنه أوحى هذا القرآن العظيم إلى النبي
- يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وليس إهمالا منه تعالى تأخير العقوبات ولا عجزا. 30 من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم وفيما يحبون ويكون عزيزا عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يخبر تعالى، أنه ما أصاب العباد
- الأرض، ليس عندكم امتناع عما ينفذه الله فيكم. وما لكم من دون الله من ولي يتولاكم، فيحصل لكم المنافع ولا نصير يدفع عنكم المضار. 31 وما أنتم بمعجزين في الأرض أي: معجزين قدرة الله عليكم، بل أنتم عاجزون في
- وحفظها من النظام الأمواج، وجعلها تحملك وتحمّل أمتعتكم الكثيرة إلى البلدان والأقطار البعيدة، وسخر لها من الأسباب ما كان معونة على ذلك. 32 وعنايته بعباده الجوار في البحر من السفن، والمراكب النارية والشراعية، التي من عظمها كالأعلام، وهي الجبال الكبار، التي سخر لها البحر العجاج، أي: ومن أدلة رحمته
- نفسه عند المصائب عن التسخط، شكور في الرخاء وعند النعم، يعترف بنعمة ربه ويخضع له، ويصرفها في مرضاته، فهذا الذي ينتفع بآيات الله. 33 كثير. إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي: كثير الصبر على ما تكرهه نفسه ويشق عليها، فيكرهها عليه، من مشقة طاعة، أو ردع داع إلى معصية، أو ردع هذا بالمراكب النارية، فإن من شرط مشيها وجود الريح. وإن شاء الله تعالى أوبق الجوار بما كسب أهلها، أي: أغرقها في البحر وأتلفها، ولكنه يحلم ويعفو عن هذه الأسباب بقوله: إن يشأ يسكن الريح التي جعلها الله سببا لمشيها، فيظللن أي: الجوار رواد على ظهر البحر، لا تتقدم ولا تتأخر، ولا ينتقض ثم نبه على
- وأما الذي لا صبر عنده، ولا شكر له على نعم الله، فإنه معرض أو معاند لا ينتفع بالآيات. 34
- ثم قال تعالى: ويعلم الذين يجادلون في آياتنا لبيطلوها بباطلهم. ما لهم من محيص أي: لا ينقذهم منقذ مما حل بهم من العقوبة. 35
- الذي هو الآلة لكل عمل، فكل عمل لا يصحبه التوكل فغير تام، وهو الاعتماد بالقلب على الله في جلب ما يحبه العبد، ودفع ما يكرهه مع الثقة به تعالى. 36 ذكر لمن هذا الثواب فقال: للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون أي: جمعوا بين الإيمان الصحيح، المستلزم لأعمال الإيمان الظاهرة والباطنة، وبين التوكل من الثواب الجزيل، والأجر الجليل، والنعيم المقيم خير من لذات الدنيا، خيرية لا نسبة بينهما وأبقى لأنه نعيم لا منغص فيه ولا كدر، ولا انتقال. ثم إليها فقال: فما أوتيتم من شيء من ملك ورياسة، وأموال وبنين، وصحة وعافية بدنية. فمتاع الحياة الدنيا لذة منغصة منقطعة. وما عند الله هذا تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة، وذكر الأعمال الموصلة
- كثير، كما قال تعالى: ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم 37 فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح. فترتب على هذا العفو والصفح، من المصالح ودفع المفسد في أنفسهم وغيرهم شيء أي: قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله، كظموا ذلك الغضب

تفسير السعدي

النفوس داع إليها، كالزنا ونحوه، والكبائر ما ليس كذلك، هذا عند الاقتران، وأما مع أفراد كل منهما عن الآخر فإن الآخر يدخل فيه. وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش والفرق بين الكبائر والفواحش مع أن جميعهما كبائر أن الفواحش هي الذنوب الكبار التي في

قضاء، أو غيره، وكالبحث في المسائل الدينية عموماً، فإنها من الأمور المشتركة، والبحث فيها لبيان الصواب مما يحبه الله، وهو داخل في هذه الآية. 38 والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعاً عن اجتماعهم وتوابعهم وتوابعهم، وأمرهم الديني والدنيوي شوري بينهم أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور الأقارب ونحوهم، والمستحبة، كالصدقات على عموم الخلق. وأمرهم الديني والدنيوي شوري بينهم أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور الدال على شرفه وفضله فقال: وأقاموا الصلاة أي: ظاهرها وباطنها، فرضها ونفلها. ومما رزقناهم ينفقون من النفقات الواجبة، كالزكاة والنفقة على دعوته، وصار قصدهم رضوانه، وغايتهم الفوز بقربه. ومن الاستجابة لله، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فلذلك عطفهما على ذلك، من باب عطف العام على الخاص، والذين استجابوا لربهم أي: انقادوا لطاعته، ولبوا

والمشاورة في أمورهم، والقوة والانتصار على أعدائهم، فهذه خصال الكمال قد جمعوها، ويلزم من قيامها فيهم، فعل ما هو دونها، وانتفاء ضدها. 39 بالإيمان، وعلى الله، واجتناب الكبائر والفواحش الذي تكفر به الصفات، والانقياد التام، والاستجابة لربهم، وإقامة الصلاة، والإنفاق في وجوه الإحسان، والذين إذا أصابهم البغي أي: وصل إليهم من أعدائهم هم ينتصرون لقوتهم وعزتهم، ولم يكونوا أذلاء عاجزين عن الانتصار. فوصفهم البالغة، وأن جميع العالم العلوي والسفلي ملكه وتحت تدبيره القدري والشرعي. وأنه العلي بذاته وقدره وقهره. العظيم الذي من عظمتها 4 وهو تنزيل من اتصف بالألوهية والعزة العظيمة والحكمة

مرتبة الظلم فقد ذكرها بقوله: إنه لا يحب الظالمين الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم. 40 العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فليعف عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل. وأما العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأموراً به. وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيح على العفو، وأن يعامل ولهذا قال: فمن عفا وأصلح فأجره على الله يجزيه أجراً عظيماً، وثواباً كثيراً، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق السيئة بسببته مثلاً، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارية بالجارية المماثلة لها، والمال يضمن بمثله. ومرتبته الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم. فمرتبة العدل، جزاء

ووقوعه. وأما إرادة البغي على الغير، وإرادة ظلمه من غير أن يقع منه شيء، فهذا لا يجازى بمثله، وإنما يؤدي تأديباً يردعه عن قول أو فعل صدر منه. 41 ما عليهم من سبيل أي: لا حرج عليهم في ذلك. ودل قوله: والذين إذا أصابهم البغي وقوله: ولمن انتصر بعد ظلمه أنه لا بد من إصابة البغي والظلم ولمن انتصر بعد ظلمه أي: انتصر ممن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه فأولئك

وهذا شامل للظلم والبغي على الناس، في دمائهم وأمواهم وأعراضهم. أولئك لهم عذاب أليم أي: موجه للقلوب والأبدان، بحسب ظلمهم وبغيهم. 42 إنما السبيل أي: إنما تتوجه الحجة بالعقوبة الشرعية على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق

الله عليه، وجاهد نفسه على الاتصاف به، واستعان الله على ذلك، ثم إذا ذاق العبد حلاوته، ووجد آثاره، تلقاه برحب الصدر، وسعة الخلق، والتلذذ فيه. 43 الانتصار للنفس بالقول أو الفعل، من أشق شيء عليها، والصبر على الأذى، والصفح عنه، ومغفرته، ومقابلته بالإحسان، أشق وأشق، ولكنه يسير على من يسره الله عليها وأكدها، وأخبر أنه لا يلقاها إلا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومن الأمور التي لا يوفق لها إلا أولو العزائم والهمم، وذوو الأبواب والبصائر. فإن ترك ولمن صبر على ما يناله من أذى الخلق وغفر لهم، بأن سمح لهم عما يصدر منهم، إن ذلك لمن عزم الأمور أي: لمن الأمور التي حث

و يقولون هل إلى مرد من سبيل أي: هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا، لنعمل غير الذي كنا نعمل، وهذا طلب للأمر المحال الذي لا يمكن. 44 ولي من بعده يتولى أمره ويهديه. وترى الظالمين لما رأوا العذاب مرأى ومنظراً فظيعاً، صعباً شنيعاً، يظهرون الندم العظيم، والحزن على ما سلف منهم، يخبر تعالى أنه المنفرد بالهداية والإضلال، وأنه من يضل الله بسبب ظلمه فما له من

إن الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي في عذاب مقيم أي: في سوائه ووسطه، منغمرين لا يخرجون منه أبداً، ولا يفتر عنهم وهم فيه ملبسون. 45 أنفسهم وأهليهم يوم القيامة حيث فوتوا أنفسهم جزيل الثواب، وحصلوا على أليم العقاب وفرق بينهم وبين أهليهم، فلم يجتمعوا بهم، آخر ما عليهم. ألا وشراً، من هيبتها وخوفها. وقال الذين آمنوا حيث ظهرت عواقب الخلق، وتبين أهل الصدق من غيرهم: إن الخاسرين على الحقيقة الذين خسروا عليها أي: على النار خاشعين من الذل أي: ترى أجسامهم خاشعة للذل الذي في قلوبهم، ينظرون من طرف خفي أي: ينظرون إلى النار مسارقة وتراهم يعرضون

لم يدفع عنهم. ومن يضل الله فما له من سبيل تحصل به هدايته، فهؤلاء ضلوا حين زعموا في شركائهم النفع ودفع الضر، فتبين حينئذ ضلالهم. 46 من دون الله كما كانوا في الدنيا يمتنون بذلك أنفسهم، ففي القيامة يتبين لهم ولغيرهم أن أسبابهم التي أملوها تقطعت، وأنه حين جاءهم عذاب الله وما كان لهم من أولياء ينصرونهم

تفسير السعدي

- وأجرمه، بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه. وهذه الآية ونحوها، فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات. 47
- يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان وليس للعبد في ذلك اليوم نكير لما اقترفه إذا جاء لا يمكن رده واستدراك الفائت، وليس للعبد في ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه، فيفوت ربه، ويهرب منه. بل قد أحاطت الملائكة بالخلقة من خلفهم، ونودوا يأمر تعالى عباد بالاستجابة له، بامتثال ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وبالمبادرة بذلك وعدم التسويف، من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي
- سيئة أي: مرض أو فقر، أو نحوهما بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور أي: طبيعته كفران النعمة السابقة، والتسخط لما أصابه من السيئة. 48
- من صحة بدن، ورزق رغد، وجاه ونحوه فرح بها أي: فرح فرحا مقصورا عليها، لا يتعدها، ويلزم من ذلك طمأنينته بها، وإعراضه عن المنعم. وإن تصبهم استجابوا أم أعرضوا، وحسابهم على الله الذي يحفظ عليهم صغير أعمالهم وكبيرها، وظاهرها وباطنها. ثم ذكر تعالى حالة الإنسان، وأنه إذا أذاه الله رحمة، به بعد البيان التام فما أرسلناك عليهم حفيظا تحفظ أعمالهم وتسأل عنها، إن عليك إلا البلاغ فإذا أدبت ما عليك، فقد وجب أجرك على الله، سواء فإن أعرضوا عما جنتهم
- عمومه، أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد، فالله تعالى هو الذي يعطيهم من الأولاد ما يشاء. 49
- هذه الآية فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء، والتدبير لجميع الأمور، حتى إن تدبيره تعالى، من له تعالى، وأن من أكبر الظلم وأفحش القول، اتخاذ أنداد لله من دونه، ليس بيدهم نفع ولا ضرر، بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم. 5
- تعالى، ووصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، وصرف جميع أنواع العبودية الظاهرة والباطنة كلهم عموما، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين خصوصا، إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم، فيه من الأدلة والبراهين، والآيات الدالة على كمال الباري تعالى هو الغفور الرحيم الذي لولا مغفرته ورحمته، لعاجل الخلق بالعقوبة المستأصلة. وفي وصفه تعالى بهذه الأوصاف، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل بحمد ربهم ويعظمونه عن كل نقص، ويصفونه بكل كمال، ويستغفرون لمن في الأرض عما يصدر منهم، مما لا يليق بعظمة ربهم وكبريائه، مع أنه السماوات يتفطرن من فوقهن على عظمها وكونها جمادا، والملائكة الكرام المقربون خاضعون لعظمته، مستكينون لعزته، مذعنون بربوبيته. يسبحون تكاد
- وإناء، ومنهم من يجعله عقيما لا يولد له. إنه عليم بكل شيء قدير على كل شيء، فيتصرف بعلمه وإتقانه الأشياء، وبقدرته في مخلوقاته. 50
- فمن الخلق من يهب له إناء، ومنهم من يهب له ذكورا، ومنهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورا
- الذات، علي الأوصاف، عظيمها، علي الأفعال، قد قهر كل شيء، ودانت له المخلوقات. حكيم في وضعه كل شيء في موضعه، من المخلوقات والشرائع. 51
- يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، ف يرسل رسولا كجبريل أو غيره من الملائكة. فيوحي بإذنه أي: بإذن ربه، لا بمجرد هواه، إنه تعالى علي قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاها. أو يكلمه منه شفاها، لكن من وراء حجاب كما حصل لموسى بن عمران، كلمه الرحمن. أو تكليمه تعالى لا يكون إلا لخواص خلقه، للأنبياء والمرسلين، وصفوته من العالمين، وأنه يكون على أحد هذه الأوجه. إما أن يكلمه الله وحيا بأن يلقي الوحي في لما قال المكذوبون لرسل الله، الكافرون بالله: لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية من كبرهم وتجبرهم، رد الله عليهم بهذه الآية الكريمة، وأن
- وتنيره وترغبهم فيه، وتنهاهم عن ضده، وترهبهم منه، ثم فسر الصراط المستقيم فقال: صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض 52
- ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم. وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم أي: تبينه لهم وتوضحه، ولا إيمان وعمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أميا لا تخط ولا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب الذي جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا يستضيئون به في وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم، ولهذا قال: ما كنت تدري أي: قبل نزوله عليك ما الكتاب ولا الإيمان أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة، الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير. وهو محض منة الله على رسوله وكذلك حين أوحينا إلى الرسل قبلك أوحينا إليك روحا من أمرنا وهو هذا القرآن الكريم، سماه روحا، لأن
- والشر، فيجازي كلا بحسب عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. ثم تفسر سورة الشورى، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، على تيسيره وتسهيله. 53
- أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته، ألا إلى الله تصير الأمور أي: ترجع جميع أمور الخير
- الله حفيظ عليهم يحفظ عليهم أعمالهم، فيجازيهم بخيرها وشرها. وما أنت عليهم بوكيل فتسأل عن أعمالهم، وإنما أنت مبلغ أدبت وظيفتك. 6
- والذين اتخذوا من دونه أولياء يتولونهم بالعبادة والطاعة، كما يعبدون الله ويطيعونه، فإنما اتخذوا الباطل، وليسوا بأولياء على الحقيقة.
- وأن الخلق ينقسمون فيه فريقين فريق في الجنة وهم الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين، وفريق في السعير وهم أصناف الكفرة المكذبين. 7
- من قرى العرب، ثم يسري هذا الإنذار إلى سائر الخلق. وتندر الناس يوم الجمع الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، وتخبرهم أنه لا ريب فيه ثم ذكر منته على رسوله وعلى الناس، حيث أنزل الله قرآنا عربيا بين الألفاظ والمعاني لتندر أم القرى وهي مكة المكرمة ومن حولها
- لصالح، فإنهم محرومون من الرحمة، ف ما لهم من دون الله من ولي يتولاهم، فيحصل لهم المحبوب ولا نصير يدفع عنهم المكروه. 8
- أمة واحدة على الهدى، لأنه القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، ولكنه أراد أن يدخل في رحمته من شاء من خواص خلقه. وأما الظالمون الذين لا يصلحون

و مع هذا لو شاء الله لجعل الناس، أي: جعل الناس

وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة، ونفوذ المشيئة والقدرة، فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له. 9 عباده عموما بتدبيره، ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين خصوصا، بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتربيتهم بلطفه، وإعانتهم في جميع أمورهم. أولياء يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط. فالله هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته، والتقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات، ويتولى والذين اتخذوا من دونه

سورة 43

- والشر، فيجازي كلا بحسب عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. تم تفسير سورة الشورى، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، على تيسيره وتسهيله. 1 أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته، ألا إلى الله تصير الأمور أي: ترجع جميع أمور الخير تنفذون منها إلى ما وراءها من الأقطار. لعلكم تهتدون في السير في الطرق ولا تضيعون، ولعلكم تهتدون أيضا في الاعتبار بذلك والادكار فيه. 10 لعباده من الأرض التي مهدها وجعلها قرارا للعباد، يتمكنون فيها من كل ما يريدون. وجعل لكم فيها سبلا أي: جعل منافذ بين سلاسل الجبال المتصلة، ثم ذكر أيضا من الأدلة الدالة على كمال نعمته واقتداره، بما خلقه
- أحييناها بعد موتها، كذلك تخرجون أي: فكما أحيا الأرض الميتة الهامدة بالماء، كذلك يحييكم بعد ما تستكملون في البرزخ، ليجازيكم بأعمالكم. 11 لا ينقص بحيث لا يكون فيه نفع، ولا يزيد بحيث يضر العباد والبلاد، بل أغاث به العباد، وأنقذ به البلاد من الشدة، ولهذا قال: فأنشروا به بلدة ميتا أي: والذي نزل من السماء ماء بقدر لا يزيد ولا ينقص، ويكون أيضا بمقدار الحاجة،
- وأنثى، وغير ذلك. وجعل لكم من الفلك أي: السفن البحرية، الشراعية والنارية، ما تركبون و من الأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره 12 والذي خلق الأزواج كلها أي: الأصناف جميعها، مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، من ليل ونهار، وحر وبرد، وذكر
- وذللها ويسر أسبابها. والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد. 13 سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أي: لولا تسخيرنا لنا ما سخر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها أي: لتستقروا عليها، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك، ولهذا قال: وتقولوا سبحان الذي وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام،
- وذللها ويسر أسبابها. والمقصود من هذا، بيان أن الرب الموصوف بما ذكره، من إفاضة النعم على العباد، هو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويسجد. 14 سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أي: لولا تسخيرنا لنا ما سخر من الفلك، والأنعام، ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطفه وكرمه تعالى، سخرها أي: لتستقروا عليها، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك، ولهذا قال: وتقولوا سبحان الذي وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام،
- أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مبين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد. 15 الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه: منها: أن الخلق كله عباده، والعبودية تنافي الولادة. ومنها: يخبر تعالى عن شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولدا، وهو الواحد الأحد،
- المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهن بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. 16 ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن
- حتى إنهم من كراحتهم لذلك إذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا من كراحتته وشدة بغضه، فكيف يجعلون له ما يكرهون؟ 17 ومنها: أن الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم،
- الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، غير مبين أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟ 18 منطقها وبيانها، ولهذا قال تعالى: أو من ينشأ في الحلية أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ وهو في الخصام أي: عند الخصام ومنها: أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي
- لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها. 19 ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثة، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله. ومنها: أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله جعلوا الملائكة الذين هم عباد الله إناء، فتجروا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه،
- ومنها: أنهم

تفسير السعدي

قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين وأطلق، ولم يذكر المتعلق، ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة. 2 هذا

يبقى لأحد عليه حجة أصلا، ولهذا قال هنا: ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون أي: يتخربصون تخربصا لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء. 20 عليها قدمه. وأما شرعا، فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به، ولم يذكره عن غير المشركين به المكذبين لرسله، فإن الله تعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم وهي حجة لم يزل المشركون يطرقونها، وهي حجة باطلة في نفسها، عقلا وشرعا. فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، ولو سلكه في حالة من أحواله لم يثبت وقوله تعالى: وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فاحتجوا على عبادتهم الملائكة بالمشيئة،

أقوالهم؟ ليس الأمر كذلك، فإن الله أرسل محمدا نذيرا إليهم، وهم لم يأتهم نذير غيره، أي: فلا عقل ولا نقل، وإذا انتفى الأمران، فلا ثم إلا الباطل. 21 ثم قال: أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون يخبرهم بصحة أفعالهم، وصدق

قال هنا: بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة أي: على دين وملة وإنا على آثارهم مهتدون أي: فلا نتبع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. 22 نعم، لهم شبهة من أوهى الشبه، وهي تقليد آبائهم الضالين، الذين ما زال الكفرة يردون بتقليدهم دعوة الرسل، ولهذا

هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل. 23 على الحق. إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون أي: فهؤلاء ليسوا ببدع منهم، وليسوا بأول من قال هذه المقالة. وهذا الاحتجاج من وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها أي: منعموها، ومألها الذين أطغتهم الدنيا، وغرتهم الأموال، واستكبروا

أي: فهل تتبعوني لأجل الهدى؟ قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون فعلم بهذا، أنهم ما أرادوا اتباع الحق والهدى، وإنما قصدوا اتباع الباطل والهوى. 24 ولهذا كل رسول يقول لمن عارضه بهذه الشبهة الباطلة: أولو جئتمكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم

بتكذيبهم الحق، وردهم إياه بهذه الشبهة الباطلة. فانظر كيف كان عاقبة المكذبين فليحذر هؤلاء أن يستمروا على تكذيبهم، فيصيبهم ما أصابهم. 25 فانتقمنا منهم

وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم ويتقربون إليهم: إني براء مما تعبدون أي: مبغض له، مجتنب معاد لأهله، 26 عن ملة إبراهيم الخليل عليه السلام، الذي ينتسب إليه أهل الكتاب والمشركون، وكلهم يزعم أنه على طريقته، فأخبر عن دينه الذي ورثه في ذريته فقال: يخبر تعالى

فإني أتولاه، وأرجو أن يهديني للعلم بالحق والعمل به، فكما فطرني ودبرني بما يصلح بدني ودنياي، ف سيهدين لما يصلح ديني وآخرتي. 27 إلا الذي فطرني

ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه إلى آخر الآيات. فلم تزل هذه الكلمة موجودة في ذريته عليه السلام حتى دخلهم الترف والطغيان. 28 باقية في عقبه أي: ذريته لعلمهم إليها يرجعون لشهرتها عنه، وتوصيته لذريته، وتوصية بعض بنيه كإسحاق ويعقوب لبعض، كما قال تعالى: وجعلها أي: هذه الخصلة الحميدة، التي هي أم الخصال وأساسها، وهي إخلاص العبادة لله وحده، والتبري من سواه. كلمة

وآباءهم بأنواع الشهوات، حتى صارت هي غايتهم ونهاية مقصودهم، فلم تزل يتربى حبها في قلوبهم، حتى صارت صفات راسخة، وعقائد متأصلة. 29 فقال تعالى: بل متعت هؤلاء

أنه جعل بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها، وهذا من بيانه. وذكر الحكمة في ذلك فقال: لعلمكم تعقلون ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان. 3 إنا جعلناه قرآنا عربيا هذا المقسم عليه،

شنيعا، وجعلوه بمنزلة السحر الباطل، الذي لا يأتي به إلا أخبث الخلق وأعظمهم افتراء، والذي حملهم على ذلك، طغيانهم بما متعهم الله به وآباءهم. 30 قالوا هذا سحر وإنا به كافرون وهذا من أعظم المعاندة والمشاقة، فإنهم لم يكتفوا بمجرد الإعراض عنه، بل ولا جحده، فلم يرضوا حتى قدحوا به قدحا جاء به، وبما صدق به المرسلين، وبنفس دعوته صلى الله عليه وسلم. ولما جاءهم الحق الذي يوجب على من له أدنى دين ومعقول أن يقبله وينقاد له.

حتى جاءهم الحق الذي لا شك فيه ولا مرية ولا اشتباه. ورسول مبين أي: بين الرسالة، قامت أدلة رسالته قياما باهرا، بأخلاقه ومعجزاته، وبما هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أي: معظم عندهم، مبجل من أهل مكة، أو أهل الطائف، كالوليد بن المغيرة ونحوه، ممن هو عندهم عظيم. 31 وقالوا مقترحين على الله بعقولهم الفاسدة: لولا نزل

على أن نعمته الدينية خير من النعمة الدنيوية كما قال تعالى في الآية الأخرى: قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون 32 بعضهم بعضا، في الأعمال والحرف والصنائع. فلو تساوى الناس في الغنى، ولم يحتج بعضهم إلى بعض، لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم. وفيها دليل الذين كفروا لا يعقلون. وفي هذه الآية تنبيه على حكمة الله تعالى في تفضيل الله بعض العباد على بعض في الدنيا ليتخذ بعضهم بعضا سخريا أي: ليسخر بمصالحه، فهل هذا إلا من فعل السفهاء والمجانين؟ فكيف يجعل مثل هذا عظيما؟ أم كيف يفضل على خاتم الرسل وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم؟ ولكن

تفسير السعدي

حمقه أن جعل إلهه الذي يعبدوه ويتقرب إليه صنما، أو شجرا، أو حجرا، لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، وهو كل على مولاه، يحتاج لمن يقوم الرجال، ألا وهو رجل العالم على الإطلاق، يعرف ذلك أولياؤه وأعداؤه، فكيف يفضل عليه المشركون من لم يشم مثقال ذرة من كماله؟! ومن جرمه ومنتهى علما، وأجلهم رأيا وعزما وحزما، وأكملهم خلقا، وأوسعهم رحمة، وأشدّهم شفقة، وأهداهم وأتقاهم. وهو قطب دائرة الكمال، وإليه المنتهى في أوصاف منزلته عند الله وعند خلقه، لعلموا أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم، هو أعظم الرجال قدرا، وأعلاهم فخرا، وأكملهم عقلا، وأغزهم ظلم منهم ورد للحق. وقولهم: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم لو عرفوا حقائق الرجال، والصفات التي بها يعرف علو قدر الرجل، وعظم ساقط لاغ، وأن التدبير للأمور كلها، دينيها وديوبها، بيد الله وحده. هذا إقناع لهم، من جهة غلطهم في الاقتراح، الذي ليس في أيديهم منه شيء، إن هو إلا من يشاء، بحسب حكمته، فرحمته الدينية، التي أعلاها النبوة والرسالة، أولى وأحرى أن تكون بيد الله تعالى، فالله أعلم حيث يجعل رسالته. فعلم أن اقتراحهم خير مما يجمعون من الدنيا. فإذا كانت معاش العباد وأرزاقهم الدنيوية بيد الله تعالى، وهو الذي يقسمها بين عباده، فيبسط الرزق على من يشاء، ويضيقه على ويمنعونها ممن يشاءون؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات أي: في الحياة الدنيا، والحال أن رحمة ربك قال الله ردا لاقتراحهم: أهم يقسمون رحمة ربك أي: أهم الخزان لرحمة الله، ويبددهم تدبيرها، فيعطون النبوة والرسالة من يشاءون،

شيئا، لوسع الدنيا على الذين كفروا توسيعا عظيما، ولجعل لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج أي: درجا من فضة عليها يظهر على سطوحهم. 33 يخبر تعالى بأن الدنيا لا تسوى عنده شيئا، وأنه لولا لطفه ورحمته بعباده، التي لا يقدم عليها

ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون من فضة. 34

واجتناب نواهيها، لأن نعيمها تام كامل من كل وجه، وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، فما أشد الفرق بين الدارين. 35 لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأن كل هذه المذكورات متاع الحياة الدنيا، منغصة، مكدر، فانية، وأن الآخرة عند الله تعالى خير للمتقين لربهم بامتثال أوامره عليهم من التسارع في الكفر وكثرة المعاصي بسبب حب الدنيا، ففي هذا دليل على أنه يمنع العباد بعض أمور الدنيا منعا عاما أو خاصا لمصالحهم، وأن الدنيا ولجعل لهم زخرفا أي: لزخرف لهم دنياهم بأنواع الزخارف، وأعطاهم ما يشتهون، ولكن منعه من ذلك رحمته بعباده خوفا

عنها وردّها، فقد خاب وخسر خسارة لا يسعد بعدها أبدا، وقبض له الرحمن شيطانا مريدا، يقارنه ويصاحبه، ويعده ويمنيه، ويؤذنه إلى المعاصي أزا، 36 الرحمن الذي هو القرآن العظيم، الذي هو أعظم رحمة رحم بها الرحمن عباده، فمن قبلها، فقد قبل خير المواهب، وفاز بأعظم المطالب والرغائب، ومن أعرض يخبر تعالى عن عقوبته البليغة، لمن أعرض عن ذكره، فقال: ومن يعيش أي: يعرض ويصد عن ذكر

ورغبوا في الباطل، فالذنوب ذنبيهم، والجرم جرمهم. فهذه حالة هذا المعرض عن ذكر الله في الدنيا، مع قرينه، وهو الضلال والغي، وانقلاب الحقائق. 37 ظن أنه مهتد، وليس كذلك؟ قيل: لا عذر لهذا وأمثاله، الذين مصدر جهلهم الإعراض عن ذكر الله، مع تمكنهم على الاهتداء، فزهّدوا في الهدى مع القدرة عليه، ويحسبون أنهم مهتدون بسبب تزيين الشيطان للباطل وتحسينه له، وإعراضهم عن الحق، فاجتمع هذا وهذا. فإن قيل: فهل لهذا من عذر، من حيث إنه وإنهم ليصدونهم عن السبيل أي: الصراط المستقيم، والدين القويم.

يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتي ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا 38 والتبري من قرينه، ولهذا قال تعالى: حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين كما في قوله تعالى: ويوم يعرض الظالم على وأما حاله، إذا جاء ربه في الآخرة، فهو شر الأحوال، وهو: إظهار الندم والتحسر، والحزن الذي لا يجبر مصابه،

وتسلى بعضهم ببعض، وأما مصيبة الآخرة، فإنها جمعت كل عقاب، ما فيه أدنى راحة، حتى ولا هذه الراحة. نسألك يا ربنا العافية، وأن تريحنا برحمتك. 39 فاشتركتكم في عقابه وعذابه. ولن ينفعكم أيضا، روح التسلي في المصيبة، فإن المصيبة إذا وقعت في الدنيا، واشترك فيها المعاقبون، هان عليهم بعض الهون، اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون أي: ولا ينفعكم يوم القيامة اشتراككم في العذاب، أنتم وقرناؤكم وأخلاؤكم، وذلك لأنكم اشتركتم في الظلم، وقوله تعالى: ولن ينفعكم

والميزان. ثم أخبر تعالى أن حكمته وفضله يقتضي أن لا يترك عباده هملا، لا يرسل إليهم رسولا، ولا ينزل عليهم كتابا، ولو كانوا مسرفين ظالمين فقال: 4 وأفضلها لعلي حكيم أي: لعلي في قدره وشرفه ومحله، حكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل وإنه أي: هذا الكتاب لدينا في الملأ الأعلى في أعلى الرتب

تمنعهم وتحول بينهم وبين الهدى، وتوجب لهم الازدياد من الردى، فهؤلاء لم يبق إلا عذابهم ونكالهم، إما في الدنيا، أو في الآخرة، ولهذا قال تعالى: 40 الأصوات، والأعمى لا يبصر، والضال ضلالا مبينا لا يهتدي، فهؤلاء قد فسدت فطرهم وعقولهم، بإعراضهم عن الذكر، واستحدثوا عقائد فاسدة، وصفات خبيثة، الذين لا يسمعون أو تهدي العمي الذين لا يبصرون، أو تهدي من كان في ضلال مبين أي: بين واضح، لعلمه بضلاله، ورضاه به. فكما أن الأسم لا يسمع صلى الله عليه وسلم، مسليا له عن امتناع المكذبين عن الاستجابة له، وأنهم لا خير فيهم، ولا فيهم زكاء يدعوهم إلى الهدى: أفأنت تسمع الصم أي: يقول تعالى لرسوله

فإما نذهبن بك فإننا منهم منتقمون أي: فإن ذهبنا بك قبل أن نريك ما نعدهم من العذاب، فاعلم بخبرنا الصادق أننا منهم منتقمون. 41

تفسير السعدي

الذي وعدناهم من العذاب فإننا عليهم مقتدرون ولكن ذلك متوقف على اقتضاء الحكمة لتعجيله أو تأخيرها، فهذه حالك وحال هؤلاء المكذبين. 42
أو نرينك

عليك زيادة التمسك به والاهتداء إذا علمت أنه حق وعدل وصدق، تكون بانيا على أصل أصيل، إذا بنى غيرك على الشكوك والأوهام، والظلم والجور. 43
بما يأمر بالاتصاف به ودعوة إليه، وحرصا على تنفيذه في نفسك وفي غيرك. إنك على صراط مستقيم موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وهذا مما يوجب
وأما أنت فاستمسك بالذي أوحى إليك فعلا واتصافا،

ويذكركم الشر ويذهبكم عنه، وسوف تسألون عنه، هل قمتم به فارتفعتم وانتفعتم، أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم، وكفرا منكم بهذه النعمة؟ 44
لذكر لك ولقومك أي: فخر لكم، ومنقبة جلية، ونعمة لا يقادر قدرها، ولا يعرف وصفها، ويذكركم أيضا ما فيه الخير الدنيوي والأخروي، ويحثكم عليه،
وإنه أي: هذا القرآن الكريم

بعنه الله، يقول لقومه: اعبدا الله ما لكم من إله غيره، فدل هذا أن المشركين ليس لهم مستند في شركهم، لا من عقل صحيح، ولا نقل عن الرسل. 45
من أولهم إلى آخرهم، يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له. قال تعالى: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وكل رسول
نوع حجة، يتبعون فيها أحدا من الرسل، فإنك لو سألتهم واستخبرتهم عن أحوالهم، لم تجد أحدا منهم يدعو إلى اتخاذ إله آخر مع الله مع أن كل الرسل،
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون حتى يكون للمشركين
وإرسال الجراد، والقمل، إلى آخر الآيات. إلى فرعون وملئه فقال إني رسول رب العالمين فدعاهم إلى الإقرار بربهم، ونهاهم عن عبادة ما سواه. 46
الله تعالى أكثر من ذكرها في كتابه، فذكر حاله مع فرعون، فقال: ولقد أرسلنا موسى بآياتنا التي دلت دلالة قاطعة على صحة ما جاء به، كالعصا، والحية،
واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بين تعالى حال موسى ودعوته، التي هي أشهر ما يكون من دعوات الرسل، ولأن
لما قال تعالى:

فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون أي: ردوها وأنكروها، واستهزأوا بها، ظلما وعلوا، فلم يكن لقصور بالآيات، وعدم وضوح فيها. 47

وأخذناهم بالعذاب كالجراد، والقمل، والضفادع، والدم، آيات مفصلات. لعلهم يرجعون إلى الإسلام، ويدعنون له، ليزول شركهم وشرهم. 48
وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها أي: الآية المتأخرة أعظم من السابقة،

ادع لنا ربك بما عهد عندك أي: بما خصك الله به، وفصلك به، من الفضائل والمناقب، أن يكشف عنا العذاب إننا لمهتدون إن كشف الله عنا ذلك. 49
به، وإما أن يكون هذا الخطاب عندهم مدحا، فتضرعوا إليه بأن خاطبوه بما يخاطبون به من يزعمون أنهم علماؤهم، وهم السحرة، فقالوا: يا أيها الساحر
وقالوا عندما نزل عليهم العذاب: يا أيها الساحر يعنون موسى عليه السلام، وهذا، إما من باب التهكم

له؟ بل ننزل عليكم الكتاب، ونوضح لكم فيه كل شيء، فإن آمنتم به واهتديتم، فهو من توفيقكم، وإلا قامت عليكم الحجة، وكنتم على بينة من أمركم. 5
أفنضرب عنكم الذكر صفحا أي: أفعرض عنكم، ونترك إنزال الذكر إليكم، ونضرب عنكم صفحا، لأجل إعراضكم، وعدم انقيادكم

ادع لنا ربك بما عهد عندك لن كشف عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكتون 50
كقوله تعالى: فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى
فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكتون أي: لم يفوا بما قالوا، بل غدروا، واستمروا على كفرهم. وهذا

أفلا تبصرون هذا الملك الطويل العريض، وهذا من جهله البليغ، حيث افتخر بأمر خارج عن ذاته، ولم يفخر بأوصاف حميدة، ولا أفعال سديدة. 51
أليس لي ملك مصر أي: ألسنت المالك لذلك، المتصرف فيه، وهذه الأنهار تجري من تحتي أي: الأنهار المنسحبة من النيل، في وسط القصور والبساتين.
ونادى فرعون في قومه قال مستعليا بباطله، قد غره ملكه، وأطفاه ماله وجنوده: يا قوم

لا يكاد يبين عما في ضميره بالكلام، لأنه ليس بفصيح اللسان، وهذا ليس من العيوب في شيء، إذا كان يبين ما في قلبه، ولو كان ثقيلا عليه الكلام. 52
يعني قبحه الله بالمهين، موسى بن عمران، كليم الرحمن، الوجيه عند الله، أي: أنا العزيز، وهو الذليل المهان المحتقر، فأبنا خير؟ و مع هذا ف
أم أنا خير من هذا الذي هو مهين

فهلا كان موسى بهذه الحالة، أن يكون مزينا مجملا بالحلي والأساور؟ أو جاء معه الملائكة مقترنين يعاونونه على دعوته، ويؤيدونه على قوله. 53
ثم قال فرعون: فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أي:

لقي مالا لا معقول عندهم، فمهما قال اتبعوه، من حق وباطل. إنهم كانوا قوما فاسقين فسبب فسقهم، قبيح لهم فرعون، يزين لهم الشرك والشر. 54
أن فرعون محق، لكون ملك مصر له، وأنهاره تجري من تحته؟ وأي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقله أتباعه، وثقل لسانه، وعدم تحلية الله له، ولكنه
من هذه الشبه، التي لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا حقيقة تحتها، وليست دليلا على حق ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعفاء العقول. فأني دليل يدل على
فاستخف قومه فأطاعوه أي: استخف عقولهم بما أبدى لهم

تفسير السعدي

فلما آسفونا أي: أغضبونا بأفعالهم انتقمنا منهم فأغرقتناهم أجمعين 55

فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ليعتبر بهم المعتبرون، ويتعظ بأحوالهم المتعظون. 56

منه أي: من أجل هذا المثل المضروب، يصدون أي: يستلجون في خصومتهم لك، ويصيحون، ويزعمون أنهم قد غلبوا في حجتهم، وأفلجوا. 57
يقول تعالى: ولما ضرب ابن مريم مثلاً أي: نهى عن عبادته، وجعلت عبادته بمنزلة عبادة الأصنام والأنداد. إذا قومك المكدبون لك

لا يستحقها أحد من الخلق، لا الملائكة المقربون، ولا الأنبياء المرسلون، ولا من سواهم من الخلق، فأى شبهة في تسوية النهي عن عبادة عيسى وغيره؟ 58
ولله الحمد من أضعف الشبه وأبطلها، فإن تسوية الله بين النهي عن عبادة المسيح، وبين النهي عن عبادة الأصنام، لأن العبادة حق لله تعالى،
فهل هذا إلا تناقض؟ وتناقض الحجة دليل على بطلانها، هذا أنهى ما يقررون به هذه الشبهة الذي فرحوا بها واستبشروا، وجعلوا يصدون ويتبشرون. وهي
فلولا أن حجتك باطلة لم تتناقض. ولم قلت: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وهذا اللفظ بزعمهم، يعم الأصنام، وعيسى،
أنهم قالوا: قد تقرر عندنا وعندك يا محمد، أن عيسى من عباد الله المقربين، الذين لهم العاقبة الحسنة، فلم سويت بينه وبينها في النهي عن عبادة الجميع؟
وشورك بينهم بالوعيد على من عبدهم، ونزل أيضاً قوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ووجه حجتهم الظالمة،
وقالوا أأللهتنا خير أم هو يعني: عيسى، حيث نهى عن عبادة الجميع،

قال بعد هذه الآية: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فلا شك أن عيسى وغيره من الأنبياء والأولياء، داخلون في هذه الآية. 59
لا يعقل، لا يدخل فيه المسيح ونحوه. الثاني: أن الخطاب للمشركين، الذين بمكة وما حولها، وهم إنما يعبدون أصناماً وأوثاناً ولا يعبدون المسيح. الثالث: أن الله
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فالجواب عنها من ثلاثة أوجه: أحدها: أن قوله: إنكم وما تعبدون من دون الله أن ما اسم لما
أنعمنا عليه بالنبوة والحكمة والعلم والعمل، وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل يعرفون به قدرة الله تعالى على إيجاده من دون أب. وأما قوله تعالى: إنكم
وليس تفضيل عيسى عليه السلام، وكونه مقرباً عند ربه ما يدل على الفرق بينه وبينها في هذا الموضع، وإنما هو كما قال تعالى: إن هو إلا عبد
سنتنا في الخلق، أن لا نتركهم هملاً، فكم أرسلنا من نبي في الأولين يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، ولم يزل التكذيب موجوداً في الأمم. 6
يقول تعالى: إن هذه

جنسهم، وأما أنتم يا معشر البشر، فلا تطيقون أن ترسل إليكم الملائكة، فمن رحمة الله بكم، أن أرسل إليكم رسلاً من جنسكم، تتمكنون من الأخذ عنهم. 60
تعالى: ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون أي: لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يخلفونكم في الأرض، ويكونون في الأرض حتى نرسل إليهم ملائكة من
ثم قال

لا تشكن في قيام الساعة، فإن الشك فيها كفر. واتبعون بامثال ما أمرتكم، واجتناب ما نهيتكم، هذا صراط مستقيم موصل إلى الله عز وجل. 61
بلا أب، قادر على بعث الموتى من قبورهم، أو وإن عيسى عليه السلام، سينزل في آخر الزمان، ويكون نزوله علامة من علامات الساعة فلا تمترن بها أي:
وإنه لعلم للساعة أي: وإن عيسى عليه السلام، لدليل على الساعة، وأن القادر على إيجاده من أم
ولا يصدنكم الشيطان عما أمركم الله به، فإن الشيطان لكم عدو حريص على إغوائكم، باذل جهده في ذلك. 62

له، وقبول ما جاءهم به. فاتقوا الله وأطيعون أي: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وامتلئوا أمره، واجتنبوا نهيه، وآمنوا بي وصدقوني وأطيعوني. 63
وجوابه، فيزول عنكم بذلك اللبس، فجاء عليه السلام مكملًا ومتمماً لشريعة موسى عليه السلام، ولأحكام التوراة. وأتى ببعض التسهيلات الموجبة للانقياد
قال لبني إسرائيل: قد جئتمكم بالحكمة النبوة والعلم، بما ينبغي على الوجه الذي ينبغي. ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه أي: أبين لكم صوابه
ولما جاء عيسى بالبينات الدالة على صدق نبوته وصحة ما جاءهم به، من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، ونحو ذلك من الآيات.

عبد من عباد الله، ليس كما قال فيه النصارى: إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة والإخبار بأن هذا المذكور صراط مستقيم، موصل إلى الله وإلى جنته. 64
بأن الله هو الربى جميع خلقه بأنواع النعم الظاهرة والباطنة، والإقرار بتوحيد العبودية، بالأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وإخبار عيسى عليه السلام أنه
إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ففيه الإقرار بتوحيد الربوبية،

ما جاء به، وقالوا: إنه عبد الله ورسوله. فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم أي: ما أشد حزن الظالمين وما أعظم خسارهم في ذلك اليوم. 65
على التكذيب من بينهم كل قال بعيسى عليه السلام مقالة باطلة، ورد ما جاء به، إلا من هدى الله من المؤمنين، الذين شهدوا له بالرسالة، وصدقوا بكل
فلما جاءهم عيسى عليه السلام بهذا اختلف الأحزاب المتحزبون

المكذبون، وهل يتوقعون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون أي: فإذا جاءت، فلا تسأل عن أحوال من كذب بها، واستهزأ بمن جاء بها. 66
يقول تعالى: ما ينتظر

ومحبتهم في الدنيا لغير الله، فانقلبت يوم القيامة عداوة. إلا المتقين للشرك والمعاصي، فإن محبتهم تدوم وتتصل، بدوام من كانت المحبة لأجله. 67
وإن الأخلاء يومئذ، أي: يوم القيامة، المتخالين على الكفر والتكذيب ومعصية الله، بعضهم لبعض عدو لأن خلتهم

تفسير السعدي

- تحنون أي: لا خوف يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور، ولا حزن يصيبكم فيما مضى منها، وإذا انتفى المكروه من كل وجه، ثبت المحبوب المطلوب. 68
- ثم ذكر ثواب المتقين، وأن الله تعالى يناديهم يوم القيامة بما يسر قلوبهم، ويذهب عنهم كل آفة وشر، فيقول: يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم
- التصديق إلا به، من العلم بمعناها والعمل بمقتضاها. وكانوا مسلمين لله منقادين له في جميع أحوالهم، فجمعوا بين الاتصاف بعمل الظاهر والباطن. 69
- الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين أي: وصفهم بالإيمان بآيات الله، وذلك ليشمل التصديق بها، وما لا يتم وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزنون جحدا لما جاء به، وتكبيرا على الحق. 7
- وصاحب، وغيرهم. تحبرون أي: تنعمون وتكرمون، ويأتيكم من فضل ربكم من الخيرات والسرور والأفراح واللذات، ما لا تعبر الألسن عن وصفه. 70
- ادخلوا الجنة التي هي دار القرار أنتم وأزواجكم أي: من كان على مثل عملكم، من كل مقارن لكم، من زوجة، وولد، ولهم ما يدعون وأنتم فيها خالدون وهذا هو تمام نعيم أهل الجنة، وهو الخلد الدائم فيها، الذي يتضمن دوام نعيمها وزيادته، وعدم انقطاعه. 71
- من مناظر حسنة، وأشجار محدقة، ونعم مونة، ومبان مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معد لأهلها، على أكمل الوجوه وأفضلها، كما قال تعالى: لهم فيها فاكهة الأعين وهذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم وفرح، وقرة عين، وسرور قلب، فكل ما اشتتهته النفوس، من مطاعم، ومشارب، وملابس، ومناكح، ولذته العيون، بالطف الأواني، وهي الأكواب التي لا عرى لها، وهي من أصفى الأواني، من فضة أعظم من صفاء القوارير. وفيها أي: الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ يطاق عليهم بصحاف من ذهب وأكواب أي: تدور عليهم خدامهم، من الولدان المخلدين بطعامهم، بأحسن الأواني وأفخرها، وهي صحاف الذهب وشرابهم،
- بأكمل الصفات، هي التي أورتتموها بما كنتم تعملون أي: أورتكم الله إياها بأعمالكم، وجعلها من فضله جزاء لها، وأودع فيها من رحمته ما أودع. 72
- وتلك الجنة الموصوفة
- زوجان منها تأكلون أي: مما تتخيرون من تلك الفواكه الشهية، والثمار اللذيذة تأكلون ولما ذكر نعيم الجنة، عقبه بذكر عذاب جهنم، فقال: 73
- لكم فيها فاكهة كثيرة كما في الآية الأخرى: فيهما من كل فاكهة
- الذين أجرموا بكفرهم وتكذيبهم في عذاب جهنم أي: منغمرون فيه، محيط بهم العذاب من كل جانب، خالدون فيه، لا يخرجون منه أبدا 74
- إن المجرمين
- أي: آيسون من كل خير، غير راجين للفرج، وذلك أنهم ينادون ربهم فيقولون: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون 75
- لا يفتر عنهم العذاب ساعة، بإزالته، ولا يتهوين عذابه، وهم فيه مبلسون
- وهذا العذاب العظيم، بما قدمت أيديهم، وبما ظلموا به أنفسهم. والله لم يظلمهم ولم يعاقبهم بلا ذنب ولا جرم. 76
- عليهم: إنكم ماكنون أي: مقيمون فيها، لا تخرجون عنها أبدا، فلم يحصل لهم ما قصدوه، بل أجابهم بنقيض قصدهم، وزادهم غما إلى غمهم. 77
- أي: ليمتنا فنستريح، فإننا في غم شديد، وعذاب غليظ، لا صبر لنا عليه ولا جلد. ف قال لهم مالك خازن النار حين طلبوا منه أن يدعو الله لهم أن يقضي ونادوا وهم في النار، لعلهم يحصل لهم استراحة، يا مالك ليقيض علينا ربك
- لقد جنناكم بالحق الذي يوجب عليكم أن تتبعوه فلو تبعتموه، لفزتم وسعدتم، ولكن أكثركم للحق كارهون فلذلك شقيتم شقاوة لا سعادة بعدها. 78
- ثم وبخهم بما فعلوا فقال:
- وينقضه ويبطله، وهو ما قيضه الله من الأسباب والأدلة لإحقاق الحق وإبطال الباطل، كما قال تعالى: بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه 79
- كيذا، ومكروا للحق ولمن جاء بالحق، ليدحضوه، بما موهوا من الباطل المزخرف المزوق، فإنا مبرمون أي: محكمون أمرا، ومدبرون تدبيرا يعلو تدبيرهم، يقول تعالى: أم أبرم المكذبون بالحق المعاندون له أمرا أي: كادوا
- أي: قوة وأفعالا وآثارا في الأرض، ومضى مثل الأولين أي: مضت أمثالهم وأخبارهم، وبيننا لكم منها ما فيه عبرة ومزجر عن التكذيب والإنكار. 8
- فأهلكنا أشد من هؤلاء بطشا
- ورسلنا الملائكة الكرام، لديهم يكتبون كل ما عملوه، وسيحفظ ذلك عليهم، حتى يردوا القيامة، فيجدوا ما عملوا حاضرا، ولا يظلم ربك أحدا. 80
- يتناجون به، أي: فلذلك أقدموا على المعاصي، وظنوا أنها لا تبعة لها ولا مجازاة على ما خفي منها. فرد الله عليهم بقوله: بلى أي: إنا نعلم سرهم ونجواهم، أم يحسبون بجهلهم وظلمهم أن لا نسمع سرهم الذي لم يتكلموا به، بل هو سر في قلوبهم ونجواهم أي: كلامهم الخفي الذي
- ما نفاه، فهذا من العبادة القولية الاعتقادية، ويلزم من هذا، لو كان حقا، لكنت أول مثبت له، فعلم بذلك بطلان دعوى المشركين وفسادها، عقلا ونقلا. 81
- أفضل الرسل أول من عبده، ولم يسبقه إليه المشركون. ويحتمل أن معنى الآية: لو كان للرحمن ولد، فإنا أول العابدين لله، ومن عبادتي لله، إثبات ما أثبتته، ونفي فهم أول الناس سبقا إليه وتكميلا له، وكل شر فهم أول الناس تركا له وإنكارا له وبعدا منه، فلو كان على هذا للرحمن ولد وهو الحق، لكان محمد بن عبد الله، ولكني أول المنكرين لذلك، وأشدهم له نفيا، فعلم بذلك بطلانه، فهذا احتجاج عظيم عند من عرف أحوال الرسل، وأنه إذا علم أنهم أكمل الخلق، وأن كل خير

تفسير السعدي

- ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد. قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لذلك الولد، لأنه جزء من والده، وأنا أول الخلق انقيادا للأمور المحبوبة لله، أي: قل يا أيها الرسول الكريم، للذين جعلوا لله ولدا، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة
- سبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون من الشريك والظهير، والعوين، والولد، وغير ذلك، مما نسبته إليه المشركون. 82
- أمامهم من يوم القيامة فقال: حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فسيعلمون فيه ماذا حصلوا، وما حصلوا عليه من الشقاء الدائم، والعذاب المستمر. 83
- وهي الخوض والبحث بالعلوم التي يعارضون بها الحق وما جاءت به الرسل، وأعمالهم لعب وسفاهة، لا تزكي النفوس، ولا تثمر المعارف. ولهذا توعدهم بما فذرهم يخوضوا ويلعبوا أي: يخوضوا بالباطل، ويلعبوا بالمحال، فعلومهم ضارة غير نافعة،
- والجزائي مشتمل على الحكمة. العليم بكل شيء، يعلم السر وأخفى، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي، ولا أصغر منها ولا أكبر. 84
- بجلاله، متمجد بكماله، وهو الحكيم الذي أحكم ما خلقه، وأتقن ما شرعه، فما خلق شيئا إلا لحكمة، ولا شرع شيئا إلا لحكمة، وحكمه القدري والشرعي مختارين، وكارهين. وهذه كقوله تعالى: وهو الله في السماوات وفي الأرض أي: ألوهيته ومحبته فيهما. وأما هو فهو فوق عرشه، بآن من خلقه، متوحد فهو تعالى المألوه المعبود، الذي يألهه الخلائق كلهم، طائعين
- أي: في الآخرة فيحكم بينهم بحكمه العدل، ومن تمام ملكه، أنه لا يملك أحد من خلقه من الأمر شيئا، ولا يقدم على الشفاعة عنده أحد إلا بإذنه. 85
- علم الساعة قدم الظرف، ليفيد الحصر، أي: لا يعلم متى تجيء الساعة إلا هو، ومن تمام ملكه وسعته، أنه مالك الدنيا والآخرة، ولهذا قال: وإليه ترجعون علمه، وأنه بكل شيء عليم، حتى إنه تعالى، انفرد بعلم كثير من الغيوب، التي لم يطلع عليها أحد من الخلق، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب، ولهذا قال: وعنده الأرض وما بينهما تبارك بمعنى تعالى وتعظم، وكثر خيره، واتسعت صفاته، وعظم ملكه. ولهذا ذكر سعة ملكه للسماوات والأرض وما بينهما، وسعة وتبارك الذي له ملك السماوات
- ما جاءوا به، من أصول الدين وفروعه، وحقائقه وشرائعه، فهؤلاء الذين تنفع فيهم شفاعت الشافعين، وهؤلاء الناجون من عذاب الله، الحائزون لثوابه. 86
- بالحق أي: نطق بلسانه، مقرا بقلبه، عالما بما شهد به، ويشترط أن تكون شهادته بالحق، وهو الشهادة لله تعالى بالوحدانية، ولرسله بالنبوة والرسالة، وصحة كل من دعي من دون الله، من الأنبياء والملائكة وغيرهم، لا يملكون الشفاعة، ولا يشفعون إلا بإذن الله، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ولهذا قال: إلا من شهد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة أي:
- يصرفون عن عبادة الله والإخلاص له وحده؟ إقرارهم بتوحيد الربوبية، يلزمهم به الإقرار بتوحيد الألوهية، وهو من أكبر الأدلة على بطلان الشرك. 87
- سألتهم من خلقهم ليقولن الله أي: ولئن سألت المشركين عن توحيد الربوبية، ومن هو الخالق، لأقروا أنه الله وحده لا شريك له. فأنى يؤفكون أي: فكيف ثم قال تعالى: ولئن
- على عدم إيمانهم، فالله تعالى عالم بهذه الحال، قادر على معاجلتهم بالعقوبة، ولكنه تعالى حلیم، يمهّل العباد ويستأني بهم، لعلهم يتوبون ويرجعون. 88
- هذا معطوف على قوله: وعنده علم الساعة أي: وعنده علم قبيله، أي: الرسول صلى الله عليه وسلم، شاكيا لربه تكذيب قومه، متحزنا على ذلك، متحسرا وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون
- فضل به أهل الأرض والسماء، وارتفع به أعلى من كواكب الجوزاء. وقوله: فسوف يعلمون أي: غب ذنوبهم، وعاقبة جرمهم. تم تفسير سورة الزخرف 89
- قومه وغيرهم من الأئني، بالعفو والصفح، ولم يقابلهم عليه إلا بالإحسان إليهم والخطاب الجميل. فصولات الله وسلامه على من خصه الله بالخلق العظيم، الذي عن عباده الصالحين: وإذا خاطبهم الجاهلون أي: خطابا بمقتضى جهلهم قالوا سلاما فامتثل صلى الله عليه وسلم، لأمر ربه، وتلقى ما يصدر إليه من أي: اصفح عنهم ما يأتيك من أدبيتهم القولية والفعلية، واعف عنهم، ولا يبدر منك لهم إلا السلام الذي يقابل به أولو الألباب والبصائر الجاهلين، كما قال تعالى فاصفح عنهم وقل سلام
- وأوانلها وأواخرها، فإذا كانوا مفرين بذلك، فكيف يجعلون له الولد والصاحبة والشريك؟! وكيف يشركون به من لا يخلق ولا يرزق، ولا يميت ولا يحيي؟! 9
- أنك لو سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله وحده لا شريك له، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات، العليم بظواهر الأمور وبواطنها، يخبر تعالى عن المشركين،

سورة 44

- فضل به أهل الأرض والسماء، وارتفع به أعلى من كواكب الجوزاء. وقوله: فسوف يعلمون أي: غب ذنوبهم، وعاقبة جرمهم. تم تفسير سورة الزخرف 1
- قومه وغيرهم من الأئني، بالعفو والصفح، ولم يقابلهم عليه إلا بالإحسان إليهم والخطاب الجميل. فصولات الله وسلامه على من خصه الله بالخلق العظيم، الذي عن عباده الصالحين: وإذا خاطبهم الجاهلون أي: خطابا بمقتضى جهلهم قالوا سلاما فامتثل صلى الله عليه وسلم، لأمر ربه، وتلقى ما يصدر إليه من أي: اصفح عنهم ما يأتيك من أدبيتهم القولية والفعلية، واعف عنهم، ولا يبدر منك لهم إلا السلام الذي يقابل به أولو الألباب والبصائر الجاهلين، كما قال تعالى

فارتقب أي: انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب وأن أوانه، يوم تأتي السماء بدخان مبين 10

المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعدهم بالكفار والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه وتسليّة الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم. 11 الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم. ويؤيد هذا يغشى الناس أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: هذا عذاب أليم واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقيل: إنه الدخان

المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعدهم بالكفار والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه وتسليّة الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم. 12 الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم. ويؤيد هذا يغشى الناس أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: هذا عذاب أليم واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقيل: إنه الدخان

ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون أن هذا كله يكون يوم القيامة. 13 المؤمنين منهم كهينة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم قالوا: وهي وقعة بدر وفي هذا القول نظر ظاهر. وقيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب قليلا إنكم عائدون إخبار بأن الله سيصرفه عنكم وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب وإخبار بوقوعه فوق وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فدعا ربه فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: إنا كاشفوا العذاب على هذا قوله: يوم تأتي السماء بدخان أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة. ولم يزلوا بهذه الحالة حتى استرحموا فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهينة الدخان وليس به، وذلك من شدة الجوع. فيكون ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان واستكبروا على الحق فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع. وقيل: إن المراد بذلك

ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون أن هذا كله يكون يوم القيامة. 14 المؤمنين منهم كهينة الدخان، والقول هو الأول، وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم قالوا: وهي وقعة بدر وفي هذا القول نظر ظاهر. وقيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب قليلا إنكم عائدون إخبار بأن الله سيصرفه عنكم وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب وإخبار بوقوعه فوق وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فدعا ربه فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: إنا كاشفوا العذاب على هذا قوله: يوم تأتي السماء بدخان أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة. ولم يزلوا بهذه الحالة حتى استرحموا فأرسل الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهينة الدخان وليس به، وذلك من شدة الجوع. فيكون ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان واستكبروا على الحق فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع. وقيل: إن المراد بذلك

هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك. بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم. 15 وأن قوله تعالى: إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم. وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك. بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم. 16 وأن قوله تعالى: إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم. وإذا نزلت قوم فرعون أي: ابتليناهم واختبرناهم بإرسال رسولنا موسى بن عمران إليهم الرسول الكريم الذي فيه من الكرم ومكارم الأخلاق ما ليس في غيره. 17 صلى الله عليه وسلم ذكر أن لهم سلفا من المكذبين، فذكر قصتهم مع موسى وما أحل الله بهم ليرتدع هؤلاء المكذبون عن ما هم عليه فقال: ولقد فتننا قبلهم لما ذكر تعالى تكذيب من كذب الرسول محمدا

إني لكم رسول أمين أي: رسول من رب العالمين أمين على ما أرسلني به لا أكتممكم منه شيئا ولا أزيد فيه ولا أنقص وهذا يوجب تمام الانقياد له. 18 من عذابكم وسومكم إياهم سوء العذاب فإنهم عشبتي وأفضل العالمين في زمانهم. وأنتم قد ظلمتموهم واستعبدتموهم بغير حق فأرسلوهم ليعبدوا ربهم، أن أدوا إلي عباد الله أي: قال لفرعون وملئه: أدوا إلي عباد الله، يعني بهم: بني إسرائيل أي: أرسلوهم وأطلقوهم وهو ما أتى به من المعجزات الباهرات والأدلة القاهرات، فكذبوه وهموا بقتله فلجأ بالله من شرهم فقال: وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون 19 وأن لا تلوا على الله بالاستكبار عن عبادته والعلو على عباد الله، إني آتيكم بسلطان مبين أي: بحجة بينة ظاهرة

هذا قسم بالقرآن على القرآن. 2

أي: تقتلونني أشر القتل بالرم بالحجارة. 20

تحصل منهم المرتبة الأولى ولا الثانية بل لم يزالوا متمردين عاتين على الله محاربين لنبيه موسى عليه السلام غير ممكنين له من قومه بني إسرائيل. 21
لم تؤمنوا لي فاعتزلون أي: لكم ثلاث مراتب: الإيمان بي وهو مقصودي منكم فإن لم تحصل منكم هذه المرتبة فاعتزلوني لا علي ولا لي، فاكفوني شركم. فلم وإن

العقوبة. فأخبر عليه السلام بحالهم وهذا دعاء بالحال التي هي أبلغ من المقال، كما قال عن نفسه عليه السلام رب إنني لما أنزلت إلي من خير فقير 22
فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون أي: قد أجرموا جرماً يوجب تعجيل

فأمره الله أن يسري بعباده ليلاً وأخبره أن فرعون وقومه سيتبعونه. 23

وجنوده إنهم جند مغرقون فلما تكامل قوم موسى خارجين منه وقوم فرعون داخلين فيه أمره الله تعالى أن يلتطم عليهم فغرقوا عن آخرهم. 24
اثنى عشر طريقاً وصار الماء من بين تلك الطرق كالجبال العظيمة فسلكه موسى وقومه. فلما خرجوا منه أمره الله أن يتركه رهواً أي: بحاله ليسلكه فرعون
واترك البحر رهواً أي: بحاله وذلك أنه لما سرى موسى ببني إسرائيل كما أمره الله ثم تبعهم فرعون فأمر الله موسى أن يضرب البحر فضربه فصار
وأورثه الله بني إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم ولهذا قال: كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين 25
وتركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا

وأورثه الله بني إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم ولهذا قال: كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين 26
وتركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا

وأورثه الله بني إسرائيل الذين كانوا مستعبدين لهم ولهذا قال: كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين 27
وتركوا ما متعوا به من الحياة الدنيا

كذلك وأورثناها أي: هذه النعمة المذكورة قوماً آخرين في الآية الأخرى كذلك وأورثناها بني إسرائيل 28

من آثارهم إلا ما يسود وجوههم ويوجب عليهم اللعنة والمقت من العالمين. وما كانوا منظرين أي: ممهلين عن العقوبة بل اصطلمتهم في الحال. 29
الله وأهلكهم لم تترك عليهم السماء والأرض أي: لم يحزن عليهم ولم يؤس على فراقهم، بل كل استبشر بهلاكهم وتلفهم حتى السماء والأرض لأنهم ما خلفوا
فما بكت عليهم السماء والأرض أي: لما أتلّفهم

من هدها ويسيروا وراءه فيحصل لهم الخير الدنيوي والخير الآخروي ولهذا قال: إنا كنا منذرين فيها أي: في تلك الليل الفاضلة التي نزل فيها القرآن 3
فأنزل أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام، بلغة العرب الكرام لينذر به قوماً عمتهم الجهالة وغلبت عليهم الشقاوة فيستضيئوا بنوره ويقتبسوا
فأقسم بالكتاب المبين لكل ما يحتاج إلى بيانه أنه أنزله في ليلة مباركة أي: كثيرة الخير والبركة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر،

ثم امتن تعالى على بني إسرائيل فقال: ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين الذي كانوا فيه . 30

أبناءهم ويستحيي نساءهم. إنه كان عالياً أي: مستكبراً في الأرض بغير الحق من المسرفين المتجاوزين لحدود الله المتجربين على محارمه. 31
من فرعون إذ يذبح

حتى أتى الله بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فضلوا العالمين كلهم وجعلهم الله خير أمة أخرجت للناس وامتن عليهم بما لم يمتن به على غيرهم. 32
ولقد اخترناهم أي: اصطفييناهم وانتقييناهم على علم منا بهم وباستحقاقهم لذلك الفضل على العالمين أي: عالمي زمانهم ومن قبلهم وبعدهم

الباهرة والمعجزات الظاهرة. ما فيه بلاء مبين أي: إحسان كثير ظاهر منا عليهم وحجة عليهم على صحة ما جاءهم به نبيهم موسى عليه السلام. 33
وآتيناهم أي: بني إسرائيل من الآيات

يقولون مستبعدة للبعث والنشور: إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين أي: ما هي إلا الحياة الدنيا فلا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار. 34
يخبر تعالى إن هؤلاء المكذبين

يقولون مستبعدة للبعث والنشور: إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين أي: ما هي إلا الحياة الدنيا فلا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار 35
يخبر تعالى إن هؤلاء المكذبين

الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه متوقف على الإتيان بآبائهم؟ فإن الآيات قد قامت على صدق ما جاءهم به وتواترت تواتراً عظيماً من كل وجه. 36
ثم قالوا متجربين على ربهم معجزين له: فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين وهذا من اقتراح الجهلة المعاندين في مكان سحيق، فأى ملازمة بين صدق

والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين فإنهم ليسوا خيراً منهم وقد اشتبكوا في الإجرام فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب إخوانهم المجرمين. 37

تفسير السعدي

قال تعالى: أهم خير أي: هؤلاء المخاطبون أم قوم تبع

يخبر تعالى عن كمال قدرته وتعام حكمته وأنه ما خلق السماوات والأرض لعبا ولا لهوا أو سدى من غير فائدة 38

ليعبوده وحده لا شريك له وليأمر العباد وينهاهم ويثيبهم ويعاقبهم. ولكن أكثرهم لا يعلمون فلذلك لم يتفكروا في خلق السماوات والأرض. 39 وأنه ما خلقهما إلا بالحق أي: نفس خلقهما بالحق وخلقهما مشتمل على الحق، وأنه أوجدهما

ويحفظون عليه أعماله، ثم إنه تعالى يقدر في ليلة القدر ما يكون في السنة، وكل هذا من تمام علمه وكمال حكمته وإتقان حفظه واعتناؤه تعالى بخلقه. 4 وأحوالهم، ثم إن الله تعالى قد وكل ملائكة تكتب ما سيجري على العبد وهو في بطن أمه، ثم وكلهم بعد وجوده إلى الدنيا وكل به كراما كاتبين يكتبون الكتابة والفرقان، الذي يكون في ليلة القدر أحد الكتابات التي تكتب وتميز فتطابق الكتاب الأول الذي كتب الله به مقادير الخلائق وأجالهم وأرزاقهم وأعمالهم يفرق كل أمر حكيم أي: يفصل ويميز ويكتب كل أمر قدري وشرعي حكم الله به، وهذه

إن يوم الفصل وهو يوم القيامة الذي يفصل الله به بين الأولين والآخرين وبين كل مختلفين ميقاتهم أي: الخلائق أجمعين 40

شيئا لا قريب عن قريبه ولا صديق عن صديقه، ولا هم ينصرون أي: يمنعون من عذاب الله عز وجل لأن أحدا من الخلق لا يملك من الأمر شيئا. 41 كلهم سيجمعهم الله فيه ويحضرهم ويحضر أعمالهم ويكون الجزاء عليها ولا ينفع مولى عن مولى

إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم فإنه هو الذي ينتفع ويرتفع برحمة الله تعالى التي تسبب إليها وسعى لها سعيها في الدنيا. ثم قال تعالى: 42

فريق في الجنة، وفريق في السعير وهم: الآثمون بعمل الكفر والمعاصي وأن طعامهم شجرة الزقوم شر الأشجار وأفطعها وأن طعمها كالمهل 43 لما ذكر يوم القيامة وأنه يفصل بين عبادته فيه ذكر افتراقهم إلى فريقين:

فريق في الجنة، وفريق في السعير وهم: الآثمون بعمل الكفر والمعاصي وأن طعامهم شجرة الزقوم شر الأشجار وأفطعها وأن طعمها كالمهل 44 لما ذكر يوم القيامة وأنه يفصل بين عبادته فيه ذكر افتراقهم إلى فريقين:

كالمهل أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة يغلي في بطونهم كغلي الحميم 45

كالمهل أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة يغلي في بطونهم كغلي الحميم 46

كالمهل أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة يغلي في بطونهم كغلي الحميم 47

كالمهل أي: كالصديد المنتن خبيث الريح والطعم شديد الحرارة يغلي في بطونهم كغلي الحميم 48

العزيز الكريم أي: بزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله وأنت كريم على الله لا يصيبك بعذاب، فالיום تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس. 49 ويقال للمعذب: ذق هذا العذاب الأليم والعقاب الوخيم إنك أنت

أمرنا من عندنا أي: هذا الأمر الحكيم أمر صادر من عندنا. إنا كنا مرسلين للرسول ومنزليين للكتب والرسول تبليغ أوامر المرسل وتخبر بأقداره. 5

إن هذا العذاب العظيم ما كنتم به تمتنون أي: تشكون فالآن صار عندكم حق اليقين. 50

الرضا من الله والثواب العظيم في ظل ظليل من كثرة الأشجار والفواكه وعيون سارحة تجري من تحتهم الأنهار يفجرونها تفجيرا في جنات النعيم. 51 هذا جزاء المتقين لله الذين اتقوا سخطه وعذابه بتركهم المعاصي وفعلهم الطاعات، فلما انتفى السخط عنهم والعذاب ثبت لهم

فأضاف الجنات إلى النعيم لأن كل ما اشتملت عليه كله نعيم وسرور، كامل من كل وجه ما فيه منغص ولا مكدر بوجه من الوجوه. 52

الحرير ورقيقه مما تشتهيهم أنفسهم. متقابلين في قلوبهم ووجوههم في كمال الراحة والطمأنينة والمحبة والعشرة الحسنة والآداب المستحسنة. 53 ولباسهم من الحرير الأخضر من السندس والإستبرق أي: غليظ

أي: نساء جميلات من جمالهن وحسنهن أنه يحار الطرف في حسنهن وينبه العقل بجمالهن وينخلب اللب لجمالهن عين أي: ضخام الأعين حسنها. 54 كذلك النعيم التام والسرور الكامل وزوجناهم بحور عين

أحضر لهم في الحال من غير تعب ولا كلفة، آمنين من انقطاع ذلك وآمنين من مضرته وآمنين من كل مكدر، وآمنين من الخروج منها والموت. 55 يدعون فيها أي: الجنة بكل فاكهة مما له اسم في الدنيا ومما لا يوجد له اسم ولا نظير في الدنيا، فمهما طلبوه من أنواع الفاكهة وأجناسها

موت بالكلية، ولو كان فيها موت يستثنى لم يستثنى الموتة الأولى التي هي الموتة في الدنيا فتم لهم كل محبوب مطلوب، ووقاهم عذاب الجحيم 56 لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى أي: ليس فيها

خير الآخرة وأعطاهم أيضا ما لم تبلغه أعمالهم، ذلك هو الفوز العظيم وأي فوز أعظم من نيل رضوان الله وجنته والسلامة من عذابه وسخطه؟ 57 فضلا من ربك أي: حصول النعيم واندفاع العذاب عنهم من فضل الله عليهم وكرمه فإنه تعالى هو الذي وفقهم للأعمال الصالحة التي بها نالوا

تفسير السعدي

الذي هو أفصح الألسنة على الإطلاق وأجلها فتيسر به لفظه وتيسر معناه. لعلهم يتذكرون ما فيه نفعهم فيفعلونه وما فيه ضررهم فيتركونه. 58
فإنما يسرناه أي: القرآن بلسانك أي: سهلناه بلسانك

الارتقاين: رسول الله وأتباعه يرتقبون الخير في الدنيا والآخرة، وضحهم يرتقبون الشر في الدنيا والآخرة. تم تفسير سورة الدخان، ولله الحمد والمنة 59
فارتقب أي: انتظر ما وعدك ربك من الخير والنصر إنهم يرتقبون ما يحل بهم من العذاب وفرق بين

ويعلم جميع الأمور الظاهرة والباطنة وقد علم تعالى ضرورة العباد إلى رسله وكتبه فرحمهم بذلك ومن عليهم فله تعالى الحمد والمنة والإحسان. 6
برحمة أجل من هدايتهم بالكتب والرسل، وكل خير ينالونه في الدنيا والآخرة فإنه من أجل ذلك وسببه، إنه هو السميع العليم أي: يسمع جميع الأصوات
رحمة من ربك أي: إن إرسال الرسل وإنزال الكتب التي أفضلها القرآن رحمة من رب العباد بالعباد، فما رحم الله عباده

أي: خالق ذلك ومدبره والمتصرف فيه بما شاء. إن كنتم موقنين أي: عالمين بذلك علما مفيدا لليقين فاعلموا أن الرب للمخلوقات هو إلهها الحق. 7
رب السماوات والأرض وما بينهما

بعد موتكم فيجزئكم بعملكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ربكم ورب آبائكم الأولين أي: رب الأولين والآخرين مربيهم بالنعم الدافع عنهم النقم. 8
لا إله إلا هو أي: لا معبود إلا وجهه، يحيي ويميت أي: هو المتصرف وحده بالإحياء والإماتة وسيجمعكم

مع هذا البيان في شك يلعبون أي: منغمرون في الشكوك والشبهات غافلون عما خلقوا له قد اشتغلوا باللعب الباطل، الذي لا يجدي عليهم إلا الضرر. 9
فلما قرر تعالى ربوبيته وألوهيته بما يوجب العلم التام ويدفع الشك أخبر أن الكافرين

سورة 45

الارتقاين: رسول الله وأتباعه يرتقبون الخير في الدنيا والآخرة، وضحهم يرتقبون الشر في الدنيا والآخرة. تم تفسير سورة الدخان، ولله الحمد والمنة 1
فارتقب أي: انتظر ما وعدك ربك من الخير والنصر إنهم يرتقبون ما يحل بهم من العذاب وفرق بين

البليغة. وأنه لا يغني عنهم ما كسبوا من الأموال ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء يستنصرون بهم فخذلوهم أحوج ما كانوا إليهم لو نفعوا. 10
وأخبر أن له عذابا أليما وأن من ورأهم جهنم تكفي في عقوبتهم

به فأفلحوا وسعدوا، والذين كفروا بآيات ربهم الواضحة القاطعة التي يكفر بها إلا من اشتد ظلمه وتضاعف طغيانه، لهم عذاب من رجز أليم 11
إلى الأعمال الصالحة ويدعو إليها ويبين الأعمال السيئة وينهى عنها، ويهدي إلى بيان الجزاء على الأعمال ويبين الجزاء الدنيوي والأخروي، فالمهتدون اهتدوا
وهذا وصف عام لجميع القرآن فإنه يهدي إلى معرفة الله تعالى بصفاته المقدسة وأفعاله الحميدة، ويهدي إلى معرفة رسله وأوليائه وأعدائه، وأوصافهم، ويهدي
فلما بين آياته القرآنية والعينية وأن الناس فيها على قسمين أخبر أن القرآن المشتمل على هذه المطالب العالمة أنه هدى فقال: هذا هدى

لتبتغوا من فضله بأنواع التجارات والمكاسب، ولعلكم تشكرون الله تعالى فإنكم إذا شكرتموه زادكم من نعمه وأثابكم على شكركم أجرا جزيلا. 12
يخبر تعالى بفضله على عباده وإحسانه إليهم بتسخير البحر لسير المراكب والسفن بأمره وتيسيره،

أنه وحده المألوه المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذل والمحبة إلا له وأن رسله صادقون فيما جاءوا به، فهذه أدلة عقلية واضحة لا تقبل ريبا ولا شكًا. 13
على أنه الفعال لما يريد، وما فيها من المنافع والمصالح الدنيوية والدنيوية دليل على سعة رحمته، وشمول فضله وإحسانه وبديع لطفه وبره، وكل ذلك دال على
الخلقة دال على كمال حكمته وعلمه، وما فيها من السعة والعظمة والكثرة دال على سعة ملكه وسلطانه، وما فيها من التخصيصات والأشياء المتضادات دليل
لآيات لقوم يتفكرون وجملة ذلك أن خلقها وتديرها وتسخيرها دال على نفوذ مشيئة الله وكمال قدرته، وما فيها من الإحكام والإتقان وبديع الصنعة وحسن
ومصالح ما هو من ضروراته، فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه ولهذا قال: إن في ذلك
من الشمس والقمر والكواكب والثوابت والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمرات وأجناس المعادن وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم
وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه أي: من فضله وإحسانه، وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض ولما أودع الله فيهما

وقائمه في العاصين فإنه تعالى سيجزي كل قوم بما كانوا يكسبون. فأنتم يا معشر المؤمنين يجزئكم على إيمانكم وصفحكم وصبركم، ثوبا جزيلا. 14
يأمر تعالى عباده المؤمنين بحسن الخلق والصبر على أذية المشركين به، الذين لا يرجون أيام الله أي: لا يرجون ثوابه ولا يخافون

على تكذيبهم فلا يحل بكم ما حل بهم من العذاب الشديد والخزي ولهذا قال: من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون 15

وهم إن استمروا

فهذه الشريعة شريعة بني إسرائيل جزء منها، فإن هذا الكتاب مهيم على سائر الكتب السابقة، ومحمد صلى الله عليه وسلم مصدق لجميع المرسلين. 16
وأياها فإن الفضائل التي فاق بها بنو إسرائيل من الكتاب والحكم والنبوة وغيرها من النعوت قد حصلت كلها لهذه الأمة، وزادت عليهم هذه الأمة فضائل كثيرة

تفسير السعدي

هذه الأمة فإنهم خير أمة أخرجت للناس. والسياق يدل على أن المراد غير هذه الأمة فإن الله يقص علينا ما امتن به على بني إسرائيل وميزهم عن غيرهم، الطيبات من المآكل والمشرب والملابس وإنزال المن والسلوى عليهم وفضلناهم على العالمين أي: على الخلق بهذه النعم ويخرج من هذا العموم اللفظي التوراة والإنجيل والحكم بين الناس والنبوة التي امتازوا بها وصارت النبوة في ذرية إبراهيم عليه السلام، أكثرهم من بني إسرائيل، ورزقناهم من أي: ولقد أنعمنا على بني إسرائيل نعمًا لم تحصل لغيرهم من الناس، وآتيناهم الكتاب أي:

على بعض والظلم. إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل والذي حمله على الاختلاف الهوى أو غيره. 17 فيما أمروا بالاجتماع به ولهذا قال: فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم أي: الموجب لعدم الاختلاف، وإنما حملهم على الاختلاف البغي من بعضهم بني إسرائيل تقتضي الحال أن يقوموا بها على أكمل الوجوه وأن يجتمعوا على الحق الذي بينه الله لهم، ولكن انعكس الأمر فعاملوها بعكس ما يجب. وافترقوا من الباطل من الأمر القدري الذي أوصله الله إليهم. وتلك الآيات هي المعجزات التي رأوها على يد موسى عليه السلام، فهذه النعم التي أنعم الله بها على وآتيناهم أي: آتيناهم بني إسرائيل بينات أي: دلالات تبين الحق

تكون أهويتهم غير تابعة للعلم ولا ماشية خلفه، وهم كل من خالف شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم هواه وإرادته فإنه من أهواء الذين لا يعلمون. 18 إلى كل خير وتنتهي عن كل شر من أمرنا الشرعي فاتبعها فإن في اتباعها السعادة الأبدية والصالح والفلاح، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أي: الذين أي: ثم شرعنا لك شريعة كاملة تدعو

توافقهم وتواليهم فإنك وإياهم متباينون، وبعضهم ولي لبعض والله ولي المتقين يخرجهم من الظلمات إلى النور بسبب تقواهم وعملهم بطاعته. 19 إنهم لن يغفوا عنك من الله شيئاً أي: لا ينفعونك عند الله فيحصلوا لك الخير ويدفعوا عنك الشر إن اتبعتهم على أهوائهم، ولا تصلح أن القرآن والاعتناء به وأنه تنزيل من الله المألوه المعبود لما اتصف به من صفات الكمال وانفرد به من النعم الذي له العزة الكاملة والحكمة التامة. 20 يخبر تعالى خبراً يتضمن الأمر بتعظيم

والسعادة في الدنيا والآخرة وهي الرحمة. فتزكو به نفوسهم وتزداد به عقولهم ويزيد به إيمانهم ويقينهم، وتقوم به الحجة على من أصر وعاند. 20 فيحصل به الانتفاع للمؤمنين، والهدى والرحمة. لقوم يوقنون فيهتدون به إلى الصراط المستقيم في أصول الدين وفروعه ويحصل به الخير والسرور أي: هذا القرآن الكريم والذكر الحكيم بصائر للناس أي: يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب في العاجل والآجل كل على قدر إحسانه، وأن المسيئين لهم الغضب والإهانة والعذاب والشقاء في الدنيا والآخرة. 21 العادلين ويناقض العقول السليمة والفطر المستقيمة، ويضاد ما نزلت به الكتب وأخبرت به الرسل، بل الحكم الواقع القطعي أن المؤمنين العاملين الصالحات هوى أنفسهم؟ أي: أحسبوا أن يكونوا سواء في الدنيا والآخرة؟ ساء ما ظنوا وحسبوا وساء ما حكموا به، فإنه حكم يخالف حكمة أحكم الحاكمين وخير الذنوب المقصرون في حقوق ربهم. أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن قاموا بحقوق ربهم، واجتنبوا مساخطه ولم يزلوا مؤثرين رضاه على أي: أم حسب المسيئون المكثرون من

له، ثم يجازي بعد ذلك من أمرهم بعبادته وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة هل شكروا الله تعالى وقاموا بالمأمور؟ أم كفروا فاستحقوا جزاء الكفور؟ 22 أي: خلق الله السماوات والأرض بالحكمة وليبعد وحده لا شريك

له أبواب الغواية، وما ظلمه الله ولكن هو الذي ظلم نفسه وتسبب لمنع رحمة الله عليه أفلا تذكرون ما ينفعكم فتسلكونه وما يضركم فتجتنبونه. 23 فلا يعي الخير وجعل على بصره غشاوة تمنعه من نظر الحق، فمن يهديه من بعد الله أي: لا أحد يهديه وقد سد الله عليه أبواب الهداية وفتح كان يرضي الله أو يسخطه. وأضل الله على علم من الله تعالى أنه لا تليق به الهداية ولا يزكو عليها. وختم على سمعه فلا يسمع ما ينفعه، وقلبه يقول تعالى: أفرأيت الرجل الضال الذي اتخذ إلهه هواه فما هويه سلكه سواء

ولا مجازي بعمله. وقولهم هذا صادر عن غير علم إن هم إلا يظنون فأنكروا المعاد وكذبوا الرسل الصادقين من غير دليل دلهم على ذلك ولا برهان. 24 حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر أي: إن هي إلا عادات وجري على رسوم الليل والنهار يموت أناس ويحيا أناس وما مات فليس يرجع إلى الله وقالوا أي: منكرو البعث ما هي إلا

بآبائهم، وأنهم لو جاءوهم بكل آية لم يؤمنوا إلا إن تبعتهم الرسل على ما قالوا، وهم كذبة فيما قالوا وإنما قصدتهم دفع دعوة الرسل لا بيان الحق. 25 حجتهم إلا أن قالوا آباءنا إن كنتم صادقين وهذا جراءة منهم على الله، حيث اقترحوا هذا الاقتراح وزعموا أن صدق رسل الله متوقف على الإتيان إن هي إلا ظنون واستبعادات خالية عن الحقيقة ولهذا قال تعالى: وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان

يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون وإلا فلو وصل العلم باليوم الآخر إلى قلوبهم، لعملوا له أعمالاً وتهينوا له. 26 قل الله يحييكم ثم

أعمالهم باطلة لأنها متعلقة بالباطل فبطلت في يوم القيامة، اليوم الذي تستبين به الحقائق، واضمحل عنهم وفاتهم الثواب وحصلوا على أليم العقاب. 27

تفسير السعدي

في جميع الأوقات وأنه يوم تقوم الساعة ويجمع الخلائق لموقف القيامة يحصل الخسار على المبطلين الذين أتوا بالباطل ليدحضوا به الحق، وكانت يخبر تعالى عن سعة ملكه وانفراده بالتصرف والتدبير

من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ويحتمل أن المعنيين كليهما مراد من الآية ويدل على هذا قوله: هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق 28 ويحتمل أن المراد بقوله: كل أمة تدعى إلى كتابها أي: إلى كتاب أعمالها وما سطر عليها من خير وشر وأن كل أحد يجازى بما عمله بنفسه كقوله تعالى: كذلك وأمة محمد كذلك، وهكذا غيرهم كل أمة تدعى إلى شرعها الذي كلفت به، هذا أحد الاحتمالات في الآية وهو معنى صحيح في نفسه غير مشكوك فيه، الذي جاءهم من عند الله، وهل قاموا بها فيحصل لهم الثواب والنجاة؟ أم ضيعوها فيحصل لهم الخسران؟ فأمة موسى يدعون إلى شريعة موسى وأمة عيسى وترى أيها الرائي لذلك اليوم كل أمة جاثية على ركبها خوفا وذعرا وانتظارا لحكم الملك الرحمن. كل أمة تدعى إلى كتابها أي: إلى شريعة نبيهم ثم وصف تعالى شدة يوم القيامة وهوله ليحذره العباد ويستعد له العباد فقال

أي: هذا كتابنا الذي أنزلنا عليكم، يفصل بينكم بالحق الذي هو العدل، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فهذا كتاب الأعمال. 29

ثم أيد ذلك بما ذكره من الآيات الأفقية والنفسية من خلق السماوات والأرض 3

والعيش السليم، ذلك هو الفوز المبين أي: المفاز والنجاة والربح والفلاح الواضح البين الذي إذا حصل للعبد حصل له كل خير واندفع عنه كل شر. 30 إيمانا صحيحا وصدقوا بإيمانهم بالأعمال الصالحة من واجبات ومستحبات فيدخلهم ربهم في رحمته التي محلها الجنة وما فيها من النعيم المقيم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات

نعمة وصلت إليكم لو وفقتم لها، ولكن استكبرتم عنها وأعرضتم وكفرتم بها فجنيتم أكبر جناية وأجرمتهم أشد الجرم فاليوم تجزون ما كنتم تعملون. 31 وأما الذين كفروا بالله فيقال لهم توبيخا وتقريعا: أفلم تكن آياتي تتلى عليكم وقد دلتكم على ما فيه صلاحكم ونهتكم عما فيه ضرركم وهي أكبر أيضا بقوله: وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم منكرين لذلك: ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين 32 ويوبخون

عقوبات أعمالهم، وحق بهم أي: نزل ما كانوا به يستهزون أي: نزل بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزون به وبوقوعه وبمن جاء به. 33 فهذه حالهم في الدنيا وحال البعث الإنكار له ورد قول من جاء به قال تعالى: وبدا لهم سينات ما عملوا أي: وظهر لهم يوم القيامة فإن الجزاء من جنس العمل ومأواكم النار أي: هي مقركم ومصيركم، وما لكم من ناصرين ينصرونكم من عذاب الله ويدفعون عنكم عقابه. 34 وقيل اليوم ننساكم أي: نترككم في العذاب كما نسيتم لقاء يومكم هذا إليها، وعلمتم لها وتركتكم العمل للدار الباقية. فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون أي: ولا يمهلون ولا يردون إلى الدنيا ليعملوا صالحا. 35 اتخذتم آيات الله هزوا مع أنها موجبة للجد والاجتهاد وتلقيها بالسرور والاستبشار والفرح. وغرتم الحياة الدنيا بزخارفها ولذاتها وشهواتها فاطمأنتم ذلكم الذي حصل لكم من العذاب بـ سبب أنكم

رب السماوات ورب الأرض رب العالمين أي: له الحمد على ربوبيته لسائر الخلائق حيث خلقهم ورباهم وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة. 36 فله الحمد كما ينبغي لجلاله وعظم سلطانه

الأشياء مواضعها، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة ومصلحة ولا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة ومنفعة. تم تفسير سورة الجاثية، ولله الحمد والنعمة والفضل 37 والعبادة مبنية على ركنين، محبة الله والذل له، وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه. وهو العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يضع في السماوات والأرض أي: له الجلال والعظمة والمجد. فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال ومحبه تعالى وإكرامه، والكبرياء فيها عظمتة وجلاله وله الكبرياء

وما بث فيهما من الدواب وما أودع فيهما من المنافع وما أنزل الله من الماء الذي يحيي به الله البلاد والعباد. 4

وما بث فيهما من الدواب وما أودع فيهما من المنافع وما أنزل الله من الماء الذي يحيي به الله البلاد والعباد. 5

يسمع آيات الله سمعا تقوم به الحجة عليه ثم يعرض عنها ويستكبر، كأنه ما سمعها لأنها لم تترك قلبه ولا طهرته بل بسبب استكباره عنها ازداد طغيانه. 6 المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إيمانا تاما وصل بهم إلى درجة البقيين، فزكى منهم العقول وازدادت به معارفهم وأباهم وعلومهم. وقسم الكمال وعلى البعث والنشور. ثم قسم تعالى الناس بالنسبة إلى الانتفاع بآياته وعدمه إلى قسمين: قسم يستدلون بها ويتفكرون بها وينتفعون فيرتفعون وهم فهذه كلها آيات بينات وأدلة واضحات على صدق هذا القرآن العظيم وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودالات أيضا على ما لله تعالى من

وأنه إذا علم من آيات الله شيئا اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال: ويل لكل أفاك أثيم أي: كذاب في مقاله أثيم في فعالة. 7

وأنه إذا علم من آيات الله شيئا اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال: ويل لكل أفاك أثيم أي: كذاب في مقاله أثيم في فعالة. 8

وأنه إذا علم من آيات الله شيئا اتخذها هزوا فتوعده الله تعالى بالويل فقال: ويل لكل أفاك أثيم أي: كذاب في مقاله أثيم في فعالة. 9

سورة 46

الأشياء مواضعها، فلا يشرع ما يشرعه إلا لحكمة ومصلحة ولا يخلق ما يخلقه إلا لفائدة ومنفعة. تم تفسير سورة الجاثية، ولله الحمد والنعمة والفضل 1 والعبادة مبنية على ركنين، محبة الله والذل له، وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه. وهو العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يضع في السماوات والأرض أي: له الجلال والعظمة والمجد. فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال ومحبه تعالى وإكرامه، والكبرياء فيها عظمتة وجلاله وله الكبرياء

أيها الجاهل الأغبياء فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر؟ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ومن الظلم الاستكبار عن الحق بعد التمكن منه. 10 وشهد على صحته الموفقون من أهل الكتاب الذين عندهم من الحق ما يعرفون أنه الحق فآمنوا به واهتدوا فتطابقت أنباء الأنبياء وأتباعهم النبلاء واستكبرتم قل أرايتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم أي: أخبروني لو كان هذا القرآن من عند الله دعاهم إليه أنهم لما لم يهتدوا بهذا القرآن وفاتهم أعظم المواهب وأجل الرغائب قدحوا فيه بأنه كذب وهو الحق الذي لا شك فيه ولا امتراء يعتريه. 11 صدر منهم يعززون به أنفسهم بمنزلة من لم يقدر على الشيء ثم طفق يذمه ولهذا قال: وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم أي: هذا السبب الذي في مكان، فأى دليل يدل على أن علامة الحق سبق المكذبين به للمؤمنين؟ هل هم أركى نفوساً؟ أم أكمل عقولاً؟ أم الهدى بأيديهم؟ ولكن هذا الكلام الذي قال الكفار بالحق معاندين له ورادين لدعوته: لو كان خيراً ما سبقونا إليه أي: ما سبقنا إليه المؤمنون أي: لكننا أول مبادر به وسابق إليه وهذا من البهجة أي:

ويبشر المحسنين في عبادة الخالق وفي نفع المخلوقين بالثواب الجزيل في الدنيا والآخرة ويذكر الأعمال التي ينذر عنها والأعمال التي يبشر بها. 12 لها وجعله الله لساناً عربياً ليسهل تناوله ويتيسر تذكره، لينذر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والفسوق والعصيان إن استمروا على ظلمهم بالعذاب الويل أي: يقتدي بها بنو إسرائيل ويهتدون بها فيحصل لهم خير الدنيا والآخرة. وهذا القرآن كتاب مصدق للكتب السابقة شهد بصدقها وصدقها بموافقتها الذي قد وافق الكتب السماوية خصوصاً أكملها وأفضلها بعد القرآن وهي التوراة التي أنزلها الله على موسى إماماً ورحمة والتزموا طاعتهم وداموا على ذلك، واستقاموا مدة حياتهم فلا خوف عليهم من كل شر أمامهم، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم. 13 أي: إن الذين أقروا بربهم وشهدوا له بالوحدانية

لا ييغون عنها حولا ولا يريدون بها بدلا، خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من الإيمان بالله المقتضى للأعمال الصالحة التي استقاموا عليها. 14 أولئك أصحاب الجنة أي: أهلها الملازمون لها الذين

أن صلاحهم يعود نفعه على والديهم لقوله: وأصلح لي إني تبت إليك من الذنوب والمعاصي ورجعت إلى طاعتك وإني من المسلمين 15 سالما مما يفسده، فهذا العمل الذي يرضاه الله ويقبله ويثيب عليه. وأصلح لي في ذريتي لما دعا لنفسه بالصلاح دعا لذريته أن يصلح الله أحوالهم، وذكر وآثارها، خصوصاً نعم الدين فإن صلاح الوالدين بالعلم والعمل من أعظم الأسباب لصلاح أولادهم. وأن أعمل صالحاً ترضاه بأن يكون جامعاً لما يصلحه منته بالاعتراف والعجز عن الشكر والاجتهاد في الثناء بها على الله، والنعم على الوالدين نعم على أولادهم وذريتهم لأنهم لا بد أن ينالهم منها ومن أسبابها أي: ألهمني ووفقني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي أي: نعم الدين ونعم الدنيا، وشكره بصرف النعم في طاعة مسديها وموليها ومقابلته سنتان إذا سقطت منها السنتان بقي ستة أشهر مدة للحمل، حتى إذا بلغ أشده أي: نهاية قوته وشبابه وكمال عقله، وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني للرضاع هذا هو الغالب. ويستدل بهذه الآية مع قوله: والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع وهي الرضاع وخدمة الحضانة، وليست المذكورات مدة يسيرة ساعة أو ساعتين، وإنما ذلك مدة طويلة قدرها ثلاثون شهراً للحمل تسعة أشهر ونحوها والباقي الإحسان. ثم نبه على ذكر السبب الموجب لذلك فذكر ما تحمته الأم من ولدها وما قاسته من المكاره وقت حملها ثم مشقة ولادتها المشقة الكبيرة ثم مشقة لطفه تعالى بعباده وشكره للوالدين أن وصى الأولاد وعهد إليهم أن يحسنوا إلى والديهم بالقول اللطيف والكلام اللين وبذل المال والنفقة وغير ذلك من وجوه هذا من

وزال عنهم الشر والمكروه. وعد الصدق الذي كانوا يوعدون أي: هذا الوعد الذي وعدناهم هو وعد صادق من أصدق القائلين الذي لا يخلف الميعاد. 16 نتقبل عنهم أحسن ما عملوا وهو الطاعات لأنهم يعملون أيضاً غيرها. ونتجاوز عن سيئاتهم في جملة أصحاب الجنة فحصل لهم الخير والمحسوب أولئك الذين ذكرت أوصافهم الذين

صلى الله عليه وسلم أمي لا يكتب ولا يقرأ ولا تعلم من أحد، فمن أين يتعلمه؟ وأنى للخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً؟ 17 وقدحا فيه، فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين أي: إلا منقول من كتب المتقدمين ليس من عند الله ولا أوحاه الله إلى رسوله، وكل أحد يعلم أن محمداً

تفسير السعدي

ويتوجعان له ويبينان له الحق فيقولان: إن وعد الله حق ثم يقيمان عليه من الأدلة ما أمكنهما، وولدهما لا يزداد إلا عتوا ونفورا واستكبارا عن الحق جهدهما ويسعيان في هدايته أشد السعي حتى إنهما من حرصهما عليه أنهما يستغيثان الله له استغاثة الغريق ويسألانه سؤال الشريك ويعذلان ولدهما على الكفر وهم الأئمة المقتدى بهم لكل كفور وجهول ومعاند؟ وهما أي: والداه يستغيثان الله عليه ويقولان له: ويلك آمن أي: يبذلان غاية جنتما به. ثم ذكر وجه استبعاده وإنكاره لذلك فقال: أتعانني أن أخرج من قبري إلى يوم القيامة وقد خلت القرون من قبلي على التكذيب وسلفوا أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما أن يدعوا إلى ما فيه سعادته الأبدية وفلاحه السرمدي فقابلهما بأقبح مقابلة فقال: أف لكما أي: تبا لكما ولما تعالى حال الصالح البار لوالديه ذكر حالة العاق وأنها شر الحالات فقال: والذي قال لوالديه إذ دعوا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر وخوفاه الجزاء. وهذا لما ذكر

مال الإنسان، وإذا فقد رأس ماله فالأرباح من باب أولى وأحرى، فهم قد فاتهم الإيمان ولم يحصلوا على شيء من النعيم ولا سلموا من عذاب الجحيم. 18 خلت من قبلهم من الجن والإنس على الكفر والتكذيب فسيدخل هؤلاء في غمارهم وسيغرقون في تيارهم. إنهم كانوا خاسرين والخسران فوات رأس أولئك الذين بهذه الحالة الذميمة حق عليهم القول أي: حقت عليهم كلمة العذاب في جملة أمم قد والشر ومنازلهم في الدار الآخرة على قدر أعمالهم ولهذا قال: وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون بأن لا يزداد في سيناتهم ولا ينقص من حسناتهم. 19 ولكل من أهل الخير وأهل الشر درجات مما عملوا أي: كل على حسب مرتبته من الخير

سينتقلون منها إلى دار الإقامة والقرار وموطن الخلود والدوام، وإنما أعمالهم التي عملوها في هذه الدار سيجدون ثوابها في تلك الدار كاملا موفرا. 2 وما في الأرض ثم أرسل إليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وأمرهم ونهاهم وأخبرهم أن هذه الدار دار أعمال وممر للعمال لا دار إقامة لا يرحل عنها أهلها، وأنهم من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون خلق السماوات والأرض بالحق فالله تعالى هو الذي خلق المكلفين وخلق مساكنهم وسخر لهم ما في السماوات كما قال تعالى: الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما وكما قال تعالى: ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء على تدبر آياته واستخراج كنوزه. ولما بين إنزال كتابه المتضمن للأمر والنهي ذكر خلقه السماوات والأرض فجمع بين الخلق والأمر ألا له الخلق والأمر هذا ثناء منه تعالى على كتابه العزيز وتعظيم له، وفي ضمن ذلك إرشاد العباد إلى الاهتداء بنوره والإقبال عن طاعته، فجمعوا بين قول الباطل والعمل بالباطل والكذب على الله بنسبته إلى رضا والقبح في الحق والاستكبار عنه فعوقبوا أشد العقوبة. 20 بما كنتم تقولون على الله غير الحق، أي: تنسبون الطريق الضالة التي أنتم عليها إلى الله وإلى حكمه وأنتم كذبة في ذلك، وبما كنتم تفسقون أي: تتكبرون عن السعي لآخرتكم وتمتعتم تمتع الأنعام السارحة فهي حظكم من آخرتكم، فاليوم تجزون عذاب الهون أي: العذاب الشديد الذي يهينكم ويفضحكم النار حين يوبخون ويقرعون فيقال لهم: أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا حيث اطمانتم إلى الدنيا، واغتررتم بلذاتها ورضيتم بشهواتها وألهتكم طيباتها يذكر تعالى حال الكفار عند عرضهم على

عبادة الله الجامعة لكل قول سديد وعمل حميد، ونهاهم عن الشرك والتنديد وخوفهم إن لم يطيعوه العذاب الشديد فلم تفد فيهم تلك الدعوة. 21 وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه فلم يكن بدعا منهم ولا مخالفا لهم، قائلا لهم: ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم فأمرهم بالدعوة إلى دينه وإرشاد الخلق إليه. إذ أنذر قومه وهم عاد بالأحقاف أي: في منازلهم المعروفة بالأحقاف وهي: الرمال الكثيرة في أرض اليمن. أي: واذكر بالثناء الجميل أبا عاد وهو هود عليه السلام، حيث كان من الرسل الكرام الذين فضلهم الله تعالى لك من القصد ولا معك من الحق إلا أنك حسدتنا على آلهتنا فأردت أن تصرفنا عنها. فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين وهذا غاية الجهل والعدا. 22 قالوا أجننتنا لتأفكتنا عن آلهتنا أي: ليس

ولكني أراكم قوما تجهلون فلذلك صدر منكم ما صدر من هذه الجرأة الشديدة، فأرسل الله عليهم العذاب العظيم وهو الريح التي دمرتهم وأهلكتهم. 23 قال إنما العلم عند الله فهو الذي بيده أزمة الأمور ومقاليدها وهو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء. وأبلغكم ما أرسلت به أي: ليس علي إلا البلاغ المبين،

بل هو ما استعجلتم به أي: هذا الذي جنيتم به على أنفسكم حيث قلتم: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ربح فيها عذاب أليم 24 على أوديتهم التي تسيل فتسقي نوابتهم ويشربون من آبارها وغدرانها. قالوا مستبشرين: هذا عارض ممطرنا أي: هذا السحاب سيمطرنا. قال تعالى: فلما رآوه أي: العذاب عارضا مستقبل أوديتهم أي: معترضا كالسحاب قد أقبل

بإذنه ومشيئته. فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم قد تلفت مواشيهم وأموالهم وأنفسهم. كذلك نجزي القوم المجرمين بسبب جرمهم وظلمهم. 25 تمر عليه من شدتها ونحسها فسلطها الله عليهم سبع ليالي وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية بأمر ربها أي: تدمر كل شيء

على توحيده وإفراذه بالعبادة. وحق بهم ما كانوا به يستهزنون أي: نزل بهم العذاب الذي يكذبون بوقوعه ويستهزنون بالرسول الذين حذروهم منه. 26 ولكن التوفيق بيد الله. فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفندتهم من شيء لا قليل ولا كثير، وذلك بسبب أنهم يجحدون بآيات الله الدالة

تفسير السعدي

وأبصارا وأفندة أي: لا قصور في أسماعهم ولا أبصارهم ولا أذهانهم حتى يقال إنهم تركوا الحق جهلا منهم وعدم تمكن من العلم به ولا خلل في عقولهم بكم وأنه سيدفع عنكم من عذاب الله شيئا، بل غيركم أعظم منكم تمكيننا فلم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم ولا جنودهم من الله شيئا. وجعلنا لهم سمعا عمرا يتذكر فيه من تذكر، ويتعظ فيه المهتدي، أي: ولقد مكنا عادة كما مكناكم يا هؤلاء المخاطبون أي: فلا تحسبوا أن ما مكناكم فيه مختص النعم العظيمة فلم يشكروه ولا ذكروه ولهذا قال: ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه أي: مكناهم في الأرض يتناولون طيباتها ويتمتعون بشهواتها وعمرناهم هذا مع أن الله تعالى قد أدر عليهم

في جزيرة العرب كعاد وثمود ونحوهم وأن الله تعالى صرف لهم الآيات أي: نوعها من كل وجه، لعلهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والتكذيب. 27 يحذر تعالى مشركي العرب وغيرهم بإهلاك الأمم المكذبين الذين هم حول ديارهم، بل كثير منهم

دفعوا عنهم، وذلك إفكهم وما كانوا يفترون من الكذب الذي يمتنون به أنفسهم حيث يزعمون أنهم على الحق وأن أعمالهم ستنتفعهم فضلت وبطلت. 28 شيء ولهذا قال هنا: فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة أي: يتقربون إليهم ويتألهونهم لرجاء نفعهم. بل ضلوا عنهم فلم يجيبوهم ولا فلما لم يؤمنوا أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ولم تنفعهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من

ولو إلى قومهم منذرين نصحا منهم لهم وإقامة لحجة الله عليهم وقيضهم الله معونة لرسوله صلى الله عليه وسلم في نشر دعوته في الجن. 29 إليه بقدرته وأرسل إليه نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا أي: وصى بعضهم بعضا بذلك، فلما قضى وقد وعوه وأثر ذلك فيهم إلى الخلق إنهم وجاهلهم وكان لا بد من إبلاغ الجميع لدعوة النبوة والرسالة فالإنس يمكنه عليه الصلاة والسلام دعوتهم وإنذارهم، وأما الجن فصرفهم الله كان الله تعالى قد أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم

وأما الذين آمنوا فلما علموا حقيقة الحال قبلوا وصايا ربهم، وتلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالانقياد والتعظيم فافازوا بكل خير، واندفع عنهم كل شر. 30 الدليل وأثار السبيل أخبر مع ذلك أن طائفة من الخلق قد أبوا إلا إعراضا عن الحق، وصدوفا عن دعوة الرسل فقال: والذين كفروا عما أنذروا معرضون خلقهما على عظمهما قادر على أن يعيد العباد بعد موتهم للجزاء وأن خلقهما وبقاءهما مقدر إلى أجل مسمى فلما أخبر بذلك وهو أصدق القائلين وأقام ولهذا قال هنا: ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي: لا عبثا ولا سدى بل ليعرف العباد عظمة خالقهما ويستدلوا على كماله ويعلموا أن الذي وأقام تعالى الأدلة على تلك الدار وأذاق العباد نموذجاً من الثواب والعقاب العاجل ليكون أدعى لهم إلى طلب المحبوب والهرب من المرهوب،

إلى الحق وهو الصواب في كل مطلوب وخبر وإلى طريق مستقيم موصل إلى الله وإلى جنته من العلم بالله وبأحكامه الدينية وأحكام الجزاء. 30 للإنجيل وعمدة لبني إسرائيل في أحكام الشرع، وإنما الإنجيل متمم ومكمل ومغير لبعض الأحكام. مصدقا لما بين يديه يهدي هذا الكتاب الذي سمعناه قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى لأن كتاب موسى أصل

ولهذا قالوا: يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم وإذا أجارهم من العذاب الأليم فما ثم بعد ذلك إلا النعيم فهذا جزاء من أجاب داعي الله. 31 أجبوا داعي الله أي: الذي لا يدعو إلا إلى ربه لا يدعوكم إلى غرض من أغراضه ولا هوى وإنما يدعوكم إلى ربكم ليثيبكم ويزيل عنكم كل شر ومكره، فلما مدحوا القرآن وبيّنوا محله ومرتبته دعوهم إلى الإيمان به، فقالوا: يا قومنا

أولئك في ضلال مبين وأي ضلال أبليغ من ضلال من نادته الرسل ووصلت إليه النذر بالآيات البينات، والحجج المتواترات فأعرض واستكبر؟ 32 ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض فإن الله على كل شيء قدير فلا يفوته هارب ولا يغالبه مغالب. وليس له من دونه أولياء

على عظمهما وسعتهما وإتقان خلقهما من دون أن يكثر بذلك ولم يعي بخلقهن فكيف تعجزه إعادتكم بعد موتكم وهو على كل شيء قدير؟ 33 هذا استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت بما هو أبليغ منها، وهو أنه الذي خلق السماوات والأرض

عيانا؟ قالوا بلى وربنا فاعترفوا بذنبهم وتبين كذبهم قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أي: عذابا لازما دائما كما كان كفركم صفة لازمة. 34 يخبر تعالى عن حال الكفار الفضيعة عند عرضهم على النار التي كانوا يكذبون بها وأنهم يوبخون ويقال لهم: أليس هذا بالحق فقد حضرتموه وشاهدتموه به الرسل. وأعذر الله لهم وأنذرهم فبعد ذلك إذ يستمرون على تكذيبهم وكفرهم نساللله العصمة. آخر تفسير سورة الأحقاف، والحمد لله رب العالمين 35 نعمة أنعم الله بها عليهم. فهل يهلك بالعقوبات إلا القوم الفاسقون أي: الذين لا خير فيهم وقد خرجوا عن طاعة ربهم ولم يقبلوا الحق الذي جاءهم فيه البيان التام بلاغ لكم، وزاد إلى الدار الآخرة، ونعم الزاد والبلغة زاد يوصل إلى دار النعيم ويعصم من العذاب الأليم، فهو أفضل زاد يتزوده الخلائق وأجل وهم صائرون إلى العذاب الوبيل. بلاغ أي: هذه الدنيا متاعها وشهوتها ولذاتها بلغة منغصة ودفع وقت حاضر قليل. أو هذا القرآن العظيم الذي بينا لكم أن تدعو الله عليهم بذلك فإن كل ما هو آت قريب، و كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار فلا يحزنك تمتعهم القليل ولا تستعجل لهم أي: لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب فإن هذا من جهلهم وحمقهم فلا يستخفك بجهلهم ولا يحملك ما ترى من استعجالهم على أعداء الله صابرا على ما يناله من الأذى، حتى مكن الله له في الأرض وأظهر دينه على سائر الأديان وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلم تسليما. وقوله: واحدة، وقاموا جميعا بصده عن الدعوة إلى الله وفعلوا ما يمكنهم من المعادة والمحاربة، وهو صلى الله عليه وسلم لم يزل صادعا بأمر الله مقيما على جهاد الخلق بالأسوة بهم والقفو لآثارهم والاهتداء بمنارهم. فامتثل صلى الله عليه وسلم لأمر ربه فصبر صبرا لم يصبره نبي قبله حتى رماه المعادون له عن قوس

تفسير السعدي

وأن لا يزال داعيا لهم إلى الله وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين سادات الخلق أولي العزائم والهمم العالية الذين عظم صبرهم، وتم يقينهم، فهم أحق ثم أمر تعالى رسوله أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له

فاسدة. يدلك على فسادها استقراء أحوالهم وتتبع علومهم وأعمالهم والنظر في حال من أفنوا أعمارهم بعبادته هل أفادهم شيئا في الدنيا أو في الآخرة؟ 4 الله ما لكم من إله غيره فعلم أن جدال المشركين في شرهم غير مستندين فيه على برهان ولا دليل وإنما اعتمدوا على ظنون كاذبة وآراء كاسدة وعقول الشرك به، وهي أعظم ما يؤثر عنهم من العلم قال تعالى: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وكل رسول قال لقومه: اعبدوا الرسل يأمر بذلك. من المعلوم أنهم عاجزون أن يأتوا عن أحد من الرسل بدليل يدل على ذلك، بل نجزم ونتيقن أن جميع الرسل دعوا إلى توحيد ربهم ونهوا عن أن كل من سوى الله فعبادته باطلة. ثم ذكر انتفاء الدليل النقلي فقال: انتوني بكتاب من قبل هذا الكتاب يدعو إلى الشرك أو إثارة من علم موروث عن هل أنبتوا أشجارا؟ هل كان منهم معاونة على خلق شيء من ذلك؟ لا شيء من ذلك بإقرارهم على أنفسهم فضلا عن غيرهم، فهذا دليل عقلي قاطع على أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات هل خلقوا من أجرام السماوات والأرض شيئا؟ هل خلقوا جبلا؟ هل أجروا أنهارا؟ هل نشروا حيوانا؟ لهؤلاء الذين أشركوا بالله أو ثانا وأندادا لا تملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، قل لهم مبينا عجز أو ثنائهم وأنها لا تستحق شيئا من العبادة: أي: قل

لا ينتفع به بمثقال ذرة وهم عن دعائهم غافلون لا يسمعون منهم دعاء ولا يجيبون لهم نداء هذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشرهم. 5 ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة أي: مدة مقامه في الدنيا وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء يلعن بعضهم بعضا ويبترا بعضهم من بعض وكانوا بعبادتهم كافرين 6

الرزينة بالباطل الذي هو السحر الذي لا يصدر إلا من ضال ظالم خبيث النفس خبيث العمل؟! فهو مناسب له وموافق لحاله وهل هذا إلا من البهجة؟ 7 الحق الذي علا وارتفع ارتفاعا على الأفلاك وفاق بضوئه ونوره نور الشمس وقامت الأدلة الأفقية والنفسية عليه، وأقرت به وأذعنت أولو البصائر والعقول على ضعفاء العقول، وإلا فبين الحق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبين السحر من المنافاة والمخالفة أعظم مما بين السماء والأرض، وكيف يقاس عليهم بذلك الحجة، ويقولون من إفكهم وافترائهم للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أي: ظاهر لا شك فيه وهذا من باب قلب الحقائق الذي لا يروج إلا أي: وإذا تتلى على المكذبين آياتنا بينات بحيث تكون على وجه لا يمتري بها ولا يشك في وقوعها وحققها لم تفدهم خيرا بل قامت الحق ومخاصمته فقال: وهو الغفور الرحيم أي: فتوبوا إليه وأقلعوا عما أنتم فيه يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم فيوفكم للخير ويثيبكم جزيل الأجر. 8 كنت متقولا عليه لأخذ مني باليمين ولعاقبني عقابا يراه كل أحد لأن هذا أعظم أنواع الافتراء لو كنت متقولا، ثم دعاهم إلى التوبة مع ما صدر منهم من معاندة عالم، فكيف لم يعاقبني على افترائي الذي زعمتم؟ فهل تملكون لي من الله شيئا إن أردني الله بضر أو أردني برحمة كفى به شهيدا بيني وبينكم فلو أم يقولون افتراه أي: افترى محمد هذا القرآن من عند نفسه فليس هو من عند الله. قل لهم: إن افتريته فالله علي قادر وبما تفيضون فيه فإن قبلتم رسالتي وأجبتكم دعوتي فهو حظكم ونصيبكم في الدنيا والآخرة، وإن رددتم ذلك علي فحسابكم على الله وقد أنذرتكم ومن أنذر فقد أعذر. 9 أي: لست إلا بشرا ليس بيدي من الأمر شيء والله تعالى هو المتصرف بي وبكم الحاكم علي وعليكم، ولست الآتي بالشيء من عندي، وما أنا إلا نذير مبين تستغربوا رسالتي وتستنكروا دعوتي فقد تقدم من الرسل والأنبياء من وافقت دعوتي دعوتهم فلا شيء تنكرون رسالتي؟ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم قل ما كنت بدعا من الرسل أي: لست بأول رسول جاءكم حتى

سورة 47

اتبعوا الباطل، وهو كل غاية لا يراد بها وجه الله من عبادة الأصنام والأوثان، والأعمال التي في نصر الباطل لما كانت باطلة، كانت الأعمال لأجلها باطلة. 1 الله، أن الله جعل كيدهم في نحورهم، فلم يدركوا مما قصدوا شيئا، وأعمالهم التي يرجون أن يثابوا عليها، أن الله سيحبطها عليهم، والسبب في ذلك أنهم الإيمان بما دعت إليه الرسل واتباعه. فهؤلاء أضل الله أعمالهم أي: أبطلها وأشقاهم بسببها، وهذا يشمل أعمالهم التي عملوها ليكيدوا بها الحق وأولياء الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وهؤلاء رؤساء الكفر، وأئمة الضلال، الذين جمعوا بين الكفر بالله وآياته، والصد لأنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، التي هي هذه الآيات مشتملات على ذكر ثواب المؤمنين وعقاب العاصين، والسبب في ذلك، ودعوة الخلق إلى الاعتبار بذلك، فقال:

في كل زمان ومكان، أمثال هذه العواقب الوخيمة، والعقوبات الذميمة. وأما المؤمنون، فإن الله تعالى ينجيهم من العذاب، ويجزل لهم كثير الثواب. 10 ولا يسرة إلا وجدوا ما حولهم، قد بادوا وهلكوا، واستأصلهم التكذيب والكفر، فخدموا، ودمر الله عليهم أموالهم وديارهم، بل دمر أعمالهم ومكرهم، وللكافرين هؤلاء المكذبون بالرسول صلى الله عليه وسلم، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فإنهم لا يجدون عاقبتهم إلا شر العواقب، فإنهم لا يلتفتون يمنة أي: أفلا يسيرون

إلى سبل السلام، ولا ينجيهم من عذاب الله وعقابه، بل أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون. 11

تفسير السعدي

الظلمات إلى النور، وتولى جزاءهم ونصرهم، وأن الكافرين بالله تعالى، حيث قطعوا عنهم ولاية الله، وسدوا على أنفسهم رحمته لا مولى لهم يهديهم ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا فتولاهم برحمته، فأخرجهم من

دائرة حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير والسعادة، ولهذا كانت النار مثوى لهم، أي: منزلا معدا، لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها. 12
بل نزلوا عنها دركات، وصاروا كالأنعام، التي لا عقل لها ولا فضل، بل جل همهم ومقصدهم التمتع بلذات الدنيا وشهواتها، فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة المثمرة، لكل زوج بهيج، وكل فاكهة لذيدة. ولما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم، ذكر أنهم وكلوا إلى أنفسهم، فلم يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات الإنسانية، ذكر تعالى أنه ولي المؤمنين، ذكر ما يفعل بهم في الآخرة، من دخول الجنات، التي تجري من تحتها الأنهار، التي تسقي تلك البساتين الزاهرة، والأشجار الناضرة لما

أفضل المرسلين، وخير الأولين والآخرين؟! أليسوا بأحق من غيرهم بالإهلاك والعقوبة، لولا أن الله تعالى بعث رسوله بالرحمة والتأني بكل كافر وجاحد؟ 13
المواعظ، فلا نجد لهم ناصرا، ولم تغن عنهم قوتهم من عذاب الله شيئا. فكيف حال هؤلاء الضعفاء، أهل قريتك، إذ أخرجوك عن وطنك وكذبوك، وعادوك، وأنت أي: وكمن من قرية من قرى المكذبين، هي أشد قوة من قريتك، في الأموال والأولاد والأعوان، والأبنية والآلات. أهلكناهم حين كذبوا رسلنا، ولم تغد فيهم هواه بغير هدى من الله، ومع ذلك، يرى أن ما هو عليه من الحق، فما أبعد الفرق بين الفريقين! وما أعظم التفاوت بين الطائفتين، أهل الحق وأهل الغي! 14
لا يستوي من هو على بصيرة من أمر دينه، علما وعملا، قد علم الحق واتبعه، ورجا ما وعده الله لأهل الحق، كمن هو أعمى القلب، قد رفض الحق وأضله، واتبع أي:

وتضاعف عذابها، وسقوا فيها ماء حميما أي: حارا جدا، فقطع أمعاءهم فسبحان من فاوت بين الدارين والجزاءين، والعاملين والعملين. 15
الدنيا، فهذا المحبوب المطلوب قد حصل لهم. ثم قال: ومغفرة من ربهم يزول بها عنهم المروءة، فأى هؤلاء خير أم من هو خالد في النار التي اشتد حرها، من غسل مصفى من شمع، وسائر أوساخه. ولهم فيها من كل الثمرات من نخيل، وعنب، وتفايح، ورماني، وأترج، وغير ذلك مما لا نظير له في بحموضة ولا غيرها، وأنهار من خمر لذة للشاربين أي: يلتذ به شاربه لذة عظيمة، لا كخمر الدنيا الذي يكره مذاقه ويصدع الرأس، ويغول العقل. وأنهار أي: غير متغير، لا يوخم ولا يبرح منتنة، ولا بمرارة، ولا بكدورة، بل هو أعذب المياه وأصفاه، وأطيبها ريحا، وألذها شربا. وأنهار من لبن لم يتغير طعمه أي: مثل الجنة التي أعدها الله لعباده، الذين اتقوا سخطه، واتبعوا رضوانه، أي: نعتها وصفتها الجميلة. فيها أنهار من ماء غير آسن
قال: أولئك الذين طبع الله على قلوبهم أي: ختم عليها، وسد أبواب الخير التي تصل إليها بسبب اتباعهم أهواءهم، التي لا يهتدون فيها إلا بالباطل. 16
قريبا، وهذا في غاية الذم لهم، فإنهم لو كانوا حريصين على الخير لألقوا إليه أسماهم، ووعته قلوبهم، وانقادت له جوارحهم، ولكنهم بعكس هذه الحال، ولهذا قلوبهم عنه، ولهذا قال: حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم مستفهمين عما قلت، وما سمعوا، مما لم يكن لهم فيه رغبة ماذا قال أنفا أي: يقول تعالى: ومن المنافقين من يستمع إليك ما تقول استمعا، لا عن قبول وانقياد، بل معرضة

هدى شكرا منه تعالى لهم على ذلك، وآتاهم تقواهم أي: وفقهم للخير، وحفظهم من الشر، فذكر للمهتدين جزاءين: العلم النافع، والعمل الصالح. 17
ثم بين حال المهتدين، فقال: والذين اهتدوا بالإيمان والانقياد، واتباع ما يرضي الله زادهم

وقت التذكر، فقد عمروا ما يتذكر فيه من تذكر، وجاءهم النذير. ففي هذا الحث على الاستعداد قبل مفاجأة الموت، فإن موت الإنسان قيام ساعته. 18
علاماتها الدالة على قربها. فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم أي: من أين لهم، إذا جاءتهم الساعة وانقطعت آجالهم أن يتذكروا ويستعتبوا؟ قد فات ذلك، وذهب أي: فهل ينظر هؤلاء المكذبون أو ينتظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة أي: فجأة، وهم لا يشعرون فقد جاء أشرطها أي:

وحركاتكم، وذهابكم ومجيئكم، ومثواكم الذي به تستقرون، فهو يعلمكم في الحركات والسكنات، فيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه. 19
اجتماعا تتألف به قلوبهم، ويزول ما بينهم من الأحقاد المفضية للمعاداة والشقاق، الذي به تكثر ذنوبهم ومعاصيهم. والله يعلم متقلبكم أي: تصرفاتكم لنفسه، ويكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، ويأمرهم بما فيه الخير لهم، وينهاهم عما فيه ضررهم، ويعفو عن مساوئهم ومعاصيهم، ويحرص على اجتماعهم لهم ويستغفر لذنوبهم، وإذا كان مأمورا بالاستغفار لهم المتضمن لإزالة الذنوب وعقوباتها عنهم، فإن من لوازم ذلك النصح لهم، وأن يحب لهم من الخير ما يحب والعفو عن الجرائم. واستغفر أيضا للمؤمنين والمؤمنات فإنهم بسبب إيمانهم كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة. ومن جملة حقوقهم أن يدعو في غيره. وقوله: واستغفر لذنوبك أي: اطلب من الله المغفرة لذنوبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية، وترك الذنوب العظيم، والأمر الكبير وهو تدبير هذا القرآن العظيم، والتأمل في آياته فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد ويحصل به من تفاصيله وجملة ما لا يحصل في قلب العبد، بحيث يكون كالجبال الرواسي، لا تزلزله الشبه والخيالات، ولا يزداد على تكرار الباطل والشبه إلا نموا وكمالا. هذا، وإن نظرت إلى الدليل في بعضها، لا بد أن يكون عنده يقين وعلم بذلك، فكيف إذا اجتمعت وتواطأت واتفقت، وقامت أدلة التوحيد من كل جانب، فهناك يرسخ الإيمان والعلم بذلك من لطائف صنعته، وبديع حكمته، وغرائب خلقه. فهذه الطرق التي أكثر الله من دعوة الخلق بها إلى أنه لا إله إلا الله، وأبداها في كتابه وأعادها عند تأمل العبد الربانيون قد شهدوا لله بذلك. الثامن: ما أقامه الله من الأدلة الأفقية والنفسية، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة، وتنادي عليه بلسان حالها بما أودعها اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه. السابع: أن خواص الخلق، الذين هم أكمل الخليقة أخلاقا وعقولا، ورأيا وصوابا، وعلماء وهم الرسل والأنبياء والعلماء

تفسير السعدي

ولا ينصرون من عبدهم، ولا ينفعونهم بمثقال ذرة، من جلب خير أو دفع شر، فإن العلم بذلك يوجب العلم بأنه لا إله إلا هو وبطلان إلهية ما سواه. السادس: والأنداد التي عبت مع الله، واتخذت آلهة، وأنها ناقصة من جميع الوجوه، فقيرة بالذات، لا تملك لنفسها ولا لعبديها نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، من النصر والنعم العاجلة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإن هذا داع إلى العلم، بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها. الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والباطنة، الدينية والدنيوية، فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته، والتأله له وحده لا شريك له. الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القانمين بتوحيده له كل حمد ومجد وجلال وجمال. الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير، فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية. الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة إلا هو أمور: أحدها بل أعظمها: تدبر أسمائه وصفاته، وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلالته فإنها توجب بذل الجهد في التأله له، والتعبد للرب الكامل الذي الذي أمر الله به وهو العلم بتوحيد الله فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك. والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتماهه أن يعمل بمقتضاه. وهذا العلم

فاتبعوه، فصلحت أمورهم، فلما كانت الغاية المقصودة لهم، متعلقة بالحق المنسوب إلى الله الباقي الحق المبين، كانت الوسيلة صالحة باقية، باقيا ثوابها. 2 اتبعوا الحق الذي هو الصدق واليقين، وما اشتمل عليه هذا القرآن العظيم، الصادر من ربهم الذي رباهم بنعمته، وديرهم بلطفه فرباهم تعالى بالحق الدنيا والآخرة. وأصلح بالهم أي: أصلح دينهم ودنياهم، وقلوبهم وأعمالهم، وأصلح جميع أحوالهم، والسبب في ذلك أنهم: بأن قاموا بما عليهم من حقوق الله، وحقوق العباد الواجبة والمستحبة. كفر الله عنهم سيئاتهم صغارها وكبارها، وإذا كفرت سيئاتهم، نجوا من عذاب وأما والذين آمنوا بما أنزل الله على رسله عموما، وعلى محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا، وعملوا الصالحات ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية 20 هذه الأوامر، ولهذا قال: رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت من كراهم لذلك، وشدته عليهم. وهذا كقوله تعالى: الأمر بالقتال. فإذا أنزلت سورة محكمة أي: ملزم العمل بها، وذكر فيها القتال الذي هو أشق شيء على النفوس، لم يثبت ضعفاء الإيمان على امتثال يقول تعالى: ويقول الذين آمنوا استعجالا ومبادرة للأوامر الشاقة: لولا نزلت سورة أي: فيها

قدرته، ثم كلما جاء وقت استقبله بنشاط وهمة عالية مجتمعة غير متفرقة، مستعينا بربه في ذلك، فهذا حري بالتوفيق والتسديد في جميع أموره. 21 أموره، فأحرى به أن يخذل ولا يقوم بما هم به ووطن نفسه عليه، فالذي ينبغي أن يجمع العبد همه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر، ويؤدي وظيفته بحسب عن نشاطها فلا يعان عليه. ومنها: أن العبد المؤمل للآمال المستقبلية، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر، شبيه بالمتألي الذي يجزم بقدرته، على ما يستقبل من عن العمل، بوظيفة وقته، وبوظيفة المستقبل، أما الحال، فلأن الهمة انتقلت عنه إلى غيره، والعمل تبع للهمة، وأما المستقبل، فإنه لا يجيء حتى تفتقر الهمة من وجوه: منها: أن العبد ناقص من كل وجه، لا قدرة له إلا أن أعانه الله، فلا يطلب زيادة على ما هو قائم بصدده. ومنها: أنه إذا تعلق نفسه بالمستقبل، ضعف الأمر أي: جاءهم الأمر جد، وأمر محتتم، ففي هذه الحال لو صدقوا الله بالاستعانة به، وبذل الجهد في امتثاله لكان خيرا لهم من حالهم الأولى، وذلك لهم أن يمتثلوا الأمر الحاضر المحتتم عليهم، ويجمعوا عليه همهم، ولا يطلبوا أن يشرع لهم ما هو شاق عليهم، وليفرحوا بعافية الله تعالى وعفوه. فإذا عزم ثم نذبهم تعالى إلى ما هو الأليق بحالهم، فقال: فأولى لهم طاعة وقول معروف أي: فأولى

لأوامره، فثم الخير والرشد والفلاح، وإما إعراض عن ذلك، وتول عن طاعة الله، فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام. 22 وأنه لا يتولى إلى خير، بل إلى شر، فقال: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أي: فهما أمران، إما التزام لطاعة الله، وامتثال ثم ذكر تعالى حال المتولي عن طاعة ربه،

سماع إذعان وقبول، وإنما تسمع سماعا تقوم به حجة الله عليها، ولهم أعين، ولكن لا يبصرون بها العبر والآيات، ولا يلتفتون بها إلى البراهين والبيئات. 23 الله بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله. فأصمهم وأعمى أبصارهم أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم ولا يبصرونه، فلم أذان، ولكن لا تسمع أولئك الذين أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم لعنهم

الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل. أم على قلوب أقفالها أي: قد أغلق على ما فيها من الشر وأقفلت، فلا يدخلها خير أبدا؟ هذا هو الواقع. 24 الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى لدلهم على كل خير، ولحذرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفندتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبين لهم الطريق أي: فهلا يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل، فإنهم لو تدبروه،

ذلك لا عن دليل دلهم ولا برهان، وإنما هو تسويل من عدوهم الشيطان وتزيين لهم، وإملاء منه لهم: يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا 25 يخبر تعالى عن حالة المرتدين عن الهدى والإيمان على أعقابهم إلى الضلال والكفران،

والإقامة على ما يوصلهم إلى الشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي. والله يعلم إسرارهم فلذلك فضحهم، وبينها لعباده المؤمنين، لتلا يغفروا بها. 26 و قالوا للذين كرهوا ما نزل الله من المبارزين العداوة لله ولرسوله سنطيعكم في بعض الأمر أي: الذي يوافق أهواءهم، فلذلك عاقبهم الله بالضلال، وذلك أنهم قد تبين لهم الهدى، فزهدوا فيه ورفضوه،

تفسير السعدي

- ترى حالهم الشنيعة، ورؤيتهم الفظيعة إذا توفتهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم، يضربون وجوههم وأدبارهم بالمقامع الشديدة؟! 27
- فكيف
- يدينهم منه، فأحبط أعمالهم أي: أبطلها وأذهبها، وهذا بخلاف من اتبع ما يرضي الله وكره سخطه، فإنه سيكفر عنه سيئاته، ويضاعف أجره وثوابه. 28
- الذي استحقوه ونالوه بسبب أنهم اتبعوا ما أسخط الله من كل كفر وفسوق وعصيان. وكرهوا رضوانه فلم يكن لهم رغبة فيما يقربهم إليه، ولا ذلك العذاب
- وضعف إيمانه، وخرج ما في قلبه من الضغن، وتبين نفاقه، هذا مقتضى الحكمة الإلهية، مع أنه تعالى قال: ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم 29
- من الكاذب، وذلك بالابتلاء بالمحن، التي من ثبت عليها، ودام إيمانه فيها، فهو المؤمن حقيقة، ومن ردت عليه فلم يصبر عليها، وحين أتاه الامتحان، جزع القلب عن حال صحته واعتداله، أن الله لا يخرج ما في قلوبهم من الأضغان والعداوة للإسلام وأهله؟ هذا ظن لا يليق بحكمة الله، فإنه لا بد أن يميز الصادق يقول تعالى: أم حسب الذين في قلوبهم مرض من شبهة أو شهوة، بحيث تخرج
- أمثالهم حيث بين لهم تعالى أهل الخير وأهل الشر، وذكر لكل منهم صفة يعرفون بها ويتميزون ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة 3
- كذلك يضرب الله للناس
- ما في قلوبهم، ويتبين بفلتات أسنتهم، فإن الألسن مغارف القلوب، يظهر منها ما في القلوب من الخير والشر والله يعلم أعمالكم فيجازيكم عليها. 30
- ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم أي: بعلاماتهم التي هي كالوسم في وجوههم. ولتعرفنهم في لحن القول أي: لا بد أن يظهر
- ونبلو أخباركم فمن امتثل أمر الله وجاهد في سبيل الله لنصر دينه وإعلاء كلمته فهو المؤمن حقا، ومن تكاسل عن ذلك، كان ذلك نقصا في إيمانه. 31
- ثم ذكر أعظم امتحان يمتحن به عباده، وهو الجهاد في سبيل الله، فقال: ولنبلونكم أي: نختبر إيمانكم وصبركم، حتى نعم المجاهدين منكم والصابرين أي: مساعيهم التي بذلوها في نصر الباطل، بأن لا تثمر لهم إلا الخيبة والخسران، وأعمالهم التي يرجون بها الثواب، لا تقبل لعدم وجود شرطها. 32
- بعد ما تبين لهم الهدى أي: عاندوه وخالفوه عن عمد وعناد، لا عن جهل وغي وضلال، فإنهم لن يضرروا الله شيئا فلا ينقص به ملكه. وسيحبط أعمالهم هذا وعيد شديد لمن جمع أنواع الشر كلها، من الكفر بالله، وصد الخلق عن سبيل الله الذي نصبه موصلا إليه. وشاقوا الرسول من
- من غير موجب لذلك، وإذا كان الله قد نهى عن إبطال الأعمال، فهو أمر بإصلاحها، وإكمالها وإتمامها، والإتيان بها، على الوجه الذي تصلح به علما وعملا. 33
- مفسداتها. فمبطلات الصلاة والصيام والحج ونحوها، كلها داخلية في هذا، ومنهي عنها، ويستدل الفقهاء بهذه الآية على تحريم قطع الفرض، وكرهه قطع النفل، وإعجاب، وفخر وسمعة، ومن عمل بالمعاصي التي تضمحل معها الأعمال، ويحبط أجرها، ويشمل النهي عن إفسادها حال وقوعها بقطعها، أو الإتيان بمفسد من الأمر، واجتناب النهي على الوجه المأمور به بالإخلاص وتام المتابعة. وقوله: ولا تبطلوا أعمالكم يشمل النهي عن إبطالها بعد عملها، بما يفسدها، من من بها يأمر تعالى المؤمنين بأمر به تتم أمورهم، وتحصل سعادتهم الدنيوية والدنيوية، وهو: طاعته وطاعة رسوله في أصول الدين وفروعه، والطاعة هي امتثال
- يغلقتها عن أحد، ما دام حيا متمكنا من التوبة. وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعافيه، ويرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم. 34
- لهم ويرحمهم، ويدخلهم الجنة، ولو كانوا مفنين أعمارهم في الكفر به والصد عن سبيله، والإقدام على معاصيه، فسبحان من فتح لعباده أبواب الرحمة، ولم العقاب، وفاتهم الثواب، ووجب عليهم الخلود في النار، وسدت عليهم رحمة الرحيم الغفار. ومفهوم الآية الكريمة أنهم إن تابوا من ذلك قبل موتهم، فإن الله يغفر بتزهدهم إياهم بالحق، ودعوتهم إلى الباطل، وتزيينه، ثم ماتوا وهم كفار لم يتوبوا منه، فلن يغفر الله لهم لا بشفاعاة ولا بغيرها، لأنه قد تحتم عليهم إحباط العمل بالكفر، فإنه مقيد بالموت عليه، فقال هنا: إن الذين كفروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وصدوا الخلق عن سبيل الله هذه الآية والتي في البقرة قوله: ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة مقيدتان، لكل نص مطلق، فيه
- إذا اجتمعت هذه الأمور الثلاثة فإن ذلك يوجب النشاط التام، فهذا من ترغيب الله لعباده، وتنشيطهم، وتقوية أنفسهم على ما فيه صلاحهم وفلاحهم. 35
- أحسن ما كانوا يعملون فإذا عرف الإنسان أن الله تعالى لا يضيع عمله وجهاده، أو جب له ذلك النشاط، وبذل الجهد فيما يترتب عليه الأجر والثواب، فكيف ينالون من عدو نبلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله فيه، إلى سبع مائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وقال تعالى: ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يظنون موطنًا يغيظ الكفار ولا وإقدامهم على عدوهم. الثالث: أن الله لا ينقصهم من أعمالهم شيئا، بل سيوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله، خصوصا عبادة الجهاد، فإن النفقة تضاعف وأضعف عددا، وعددا، وقوة داخلية وخارجية. الثاني: أن الله معهم، فإنهم مؤمنون، والله مع المؤمنين، بالعون، والنصر، والتأييد، وذلك موجب لقوة قلوبهم، منها مقتضى الصبر وعدم الوهن كونهم الأعلى، أي: قد توفرت لهم أسباب النصر، ووعدوا من الله بالوعد الصادق، فإن الإنسان، لا يهن إلا إذا كان أذل من غيره والمتاركة بينكم وبين أعدائكم، طلبا للراحة، و الحال أنكم أنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أي: ينقصكم أعمالكم فهذه الأمور الثلاثة، كل عليكم الخوف، بل اصبروا واثبتوا، ووطنوا أنفسكم على القتال والجلاد، طلبا لمرضاة ربكم، ونصحا للإسلام، وإغضابا للشيطان. ولا تدعوا إلى المسالمة فلا تهنوا أي: لا تضعفوا عن قتال عدوكم، ويستولي
- أجوركم ولا يسألكم أموالكم أي: لا يريد تعالى أن يكلفكم ما يشق عليكم، ويعنتكم من أخذ أموالكم، وبقائكم بلا مال، أو ينقصكم نقصا يضركم. 36

تفسير السعدي

أن يتنافس فيه، وتبذل الهمم والأعمال في طلبه، وهو مقصود الله من عباده رحمة بهم ولطفًا، ليثيبهم الثواب الجزيل، ولهذا قال: وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم واليوم الآخر، وتقوموا بتقواه التي هي من لوازم الإيمان ومقتضياته، وهي العمل بمرضاته على الدوام، مع ترك معاصيه، فهذا الذي ينفع العبد، وهو الذي ينبغي الزهد فيها، وعدم الرغبة فيها، والاهتمام بشأنها، وإنما الذي ينبغي أن يهتم به ما ذكره بقوله: وإن تؤمنوا وتتقوا بأن تؤمنوا بالله، وملأنكته وكتبه ورسله دنياه، ويحضره أجله، فإذا هذه الأمور قد ولت وفارقت، ولم يحصل العبد منها على طائل، بل قد تبين له خسارته وحرمانه، وحضر عذابه، فهذا موجب للعاقل النساء، والمآكل والمشارب، والمسكن والمجالس، والمناظر والرياسات، لاعبا في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر بين البطالة والغفلة والمعاصي، حتى تستكمل لعباده في الحياة الدنيا بإخبارهم عن حقيقة أمرها، بأنها لعب ولهو، لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فلا يزال العبد لاهيا في ماله، وأولاده، وزينته، ولذاته من هذا تزهيد منه

أي: ما في قلوبكم من الضغن، إذا طلب منكم ما تكرهون بذله. والدليل على أن الله لو طلب منكم أموالكم وأحفاكم بسؤالها، أنكم تمتنعون منها. 37
إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم

كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه تم تفسير سورة القتال، والحمد لله رب العالمين. 38
تتولوا عن الإيمان بالله، وامتنثال ما يأمركم به يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي، بل يطيعون الله ورسوله، ويحبون الله ورسوله، ثواب الله تعالى، وفاته خير كثير، ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئا. فإن الله هو الغني وأنتم الفقراء تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم، لجميع أموركم. وإن منكم أموالكم في غير أمر ترونه مصلحة عاجلة؟ أليس من باب أولى وأحرى امتناعكم من ذلك. ثم قال: ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه لأنه حرم نفسه أنكم تدعون لتنفقوا في سبيل الله على هذا الوجه، الذي فيه مصلحتكم الدينية والدنيوية. فمنكم من يبخل أي: فكيف لو سألكم، وطلب لتكون كلمة الله هي العليا. فهؤلاء لن يضل الله أعمالهم، أي: لن يحبطها ويبطلها، بل يتقبلها وينميها لهم، ويظهر من أعمالهم نتائجها، في الدنيا والآخرة. 4
ضعيف جدا، لا يكاد يستمر لصاحبه عند المحن والبلايا. والذين قتلوا في سبيل الله لهم ثواب جزيل، وأجر جميل، وهم الذين قاتلوا من أمروا بقتالهم، ليقوم سوق الجهاد، ويتبين بذلك أحوال العباد، الصادق من الكاذب، وليؤمن من آمن إيمانا صحيحا عن بصيرة، لا إيمانا مبنيا على متابعة أهل الغلبة، فإنه إيمان منهم فإنه تعالى على كل شيء قدير، وقادر على أن لا ينتصر الكفار في موضع واحد أبدا، حتى يبيد المسلمون خضراءهم. ولكن ليبلو بعضكم ببعض من الأسباب، فلا قتل ولا أسر. ذلك الحكم المذكور في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، ومداولة الأيام بينهم، وانتصار بعضهم على بعض ولو يشاء الله لانتصر في المسألة والمهادنة، فإن لكل مقام مقالا، ولكل حال حكما، فالحال المتقدمة، إنما هي إذا كان قتال وحرب. فإذا كان في بعض الأوقات، لا حرب فيه لسبب حتى يشتروا أنفسهم، أو يشتريهم أصحابهم بمال، أو بأسير مسلم عندهم. وهذا الأمر مستمر حتى تضع الحرب أوزارها أي: حتى لا يبقى حرب، وتبقون أطمأن المسلمون من هربهم ومن شرهم، فإذا كانوا تحت أسرهم، فأنتم بالخيار بين المن عليهم، وإطلاقهم بلا مال ولا فداء، وإما أن تفدوهم بأن لا تطلقوهم شوكتهم وتبطلوا شرتهم، فإذا فعلتم ذلك، ورأيتم الأسر أولى وأصلح، فشدوا الوثاق أي: الرباط، وهذا احتياط لأسرهم لئلا يهربوا، فإذا شد منهم الوثاق ما فيه صلاحهم، ونصرهم على أعدائهم: فإذا لقيتم الذين كفروا في الحرب والقتال، فاصدقوهم القتال، واضربوا منهم الأعناق، حتى تخنوهم وتكسروا يقول تعالى مرشدا عباده إلى

إلى سلوك الطريق الموصلة إلى الجنة، ويصلح بالهم أي: حالهم وأمورهم، وثوابهم يكون صالحا كاملا لا نكد فيه، ولا تنقيص بوجه من الوجوه. 5
سيديهم

القتل في سبيله، ووفقهم للقيام بما أمرهم به ورغبهم فيه، ثم إذا دخلوا الجنة، عرفهم منازلهم، وما احتوت عليه من النعيم المقيم، والعيش السليم. 6
ويدخلهم الجنة عرفها لهم أي: عرفها أولا، بأن شوقهم إليها، ونعتها لهم، وذكر لهم الأعمال الموصلة إليها، التي من جملتها ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد، أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولا، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره. 7
أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد

وأضل أعمالهم أي: أبطل أعمالهم التي يكيدون بها الحق، فرجع كيدهم في نحورهم، وبطلت أعمالهم التي يزعمون أنهم يريدون بها وجه الله. 8
وأما الذين كفروا بربهم، ونصروا الباطل، فإنهم في تعس، أي: انتكاس من أمرهم وخذلان.

كفروا، بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله من القرآن الذي أنزله الله، صلاحا للعباد، وفلاحا لهم، فلم يقبلوه، بل أبغضوه وكرهوه، فأحبط أعمالهم 9
ذلك الإضلال والتعس للذين

سورة 48

فتحا، ووصفه بأنه فتح مبين أي: ظاهر جلي، وذلك لأن المقصود في فتح بلدان المشركين إعزاز دين الله، وانتصار المسلمين، وهذا حصل بذلك الفتح. 1

تفسير السعدي

كان من تلك الأقطار، يتمكن من ذلك، وأمكن الحريص على الوقوف على حقيقة الإسلام، فدخل الناس في تلك المدة في دين الله أفواجا، فلذلك سماه الله عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده فعل. وبسبب ذلك لما آمن الناس بعضهم بعضا، اتسعت دائرة الدعوة لدين الله عز وجل، وصار كل مؤمن بأي محل على وضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين، وعلى أن يعتنق من العام المقبل، وعلى أن أراد أن يدخل في عهد قريش وحلفهم دخل، ومن أحب أن يدخل في الحديبية، حين صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء معتمرا في قصة طويلة، صار آخر أمرها أن صالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الفتح المذكور هو صلح

إليه، وعقوبته واصله له، ومن أوفى بما عاهد عليه الله أي: أتى به كاملا موفرا، فسيؤتيه أجرا عظيما لا يعلم عظمه وقدره إلا الذي آتاه إياه. 10 هذا لزيادة التأكيد والتقوية، وحملهم على الوفاء بها، ولهذا قال: فمن نكث فلم يف بما عاهد الله عليه فإنما ينكث على نفسه أي: لأن وبال ذلك راجع الأمر أنهم يبايعون الله ويعقدون العقد معه، حتى إنه من شدة تأكده أنه قال: يد الله فوق أيديهم أي: كأنهم بايعوا الله وصافحوه بتلك المبايعة، وكل أن لا يفروا عنه، فهي عقد خاص، من لوازمه أن لا يفروا، ولو لم يبق منهم إلا القليل، ولو كانوا في حال يجوز الفرار فيها، فأخبر تعالى: أن الذين بايعوك حقيقة هذه المبايعة التي أشار الله إليها هي بيعة الرضوان التي بايع الصحابة رضي الله عنهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، على

كان هذا الذي في قلوبهم، لكان استغفار الرسول نافعا لهم، لأنهم قد تابوا وأنبأوا، ولكن الذي في قلوبهم، أنهم إنما تخلفوا لأنهم ظنوا بالله ظن السوء. 11 فإن طلبهم الاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على ندمهم وإقرارهم على أنفسهم بالذنب، وأنهم تخلفوا تخلفا يحتاج إلى توبة واستغفار، فلو شغلهم عن الخروج في الجهاد، وأنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم، قال الله تعالى: يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم عن رسوله، في الجهاد في سبيله، من الأعراب الذين ضعف إيمانهم، وكان في قلوبهم مرض، وسوء ظن بالله تعالى، وأنهم سيعتذرون بأن أموالهم وأهليهم يذم تعالى المتخلفين

ويطمئنون إليه، حتى استحكم، وسبب ذلك أمران: أحدهما: أنهم كانوا قوما بورا أي: هلكى، لا خير فيهم، فلو كان فيهم خير لم يكن هذا في قلوبهم. 12 فظنوا أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا أي: إنهم سيقتلون ويستأصلون، ولم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم،

بوعد الله، ونصر دينه، وإعلاء كلمته، ولهذا قال: ومن لم يؤمن بالله ورسوله أي: فإنه كافر مستحق للعقاب، فإننا أعتدنا للكافرين سعيرا 13

الثاني: ضعف إيمانهم وبقينهم

عنه المغفرة والرحمة، فلا يزال في جميع الأوقات يغفر للمذنبين، ويتجاوز عن الخطائين، ويتقبل توبة التائبين، وينزل خيره المdrار، آناء الليل والنهار. 14 فقال: يغفر لمن يشاء وهو من قام بما أمره الله به ويعذب من يشاء ممن تهاون بأمر الله، وكان الله غفورا رحيمًا أي: وصفه اللازم الذي لا ينفك السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما يشاء من الأحكام القدريّة، والأحكام الشرعيّة، والأحكام الجزائيّة، ولهذا ذكر حكم الجزاء المرتب على الأحكام الشرعيّة، أي: هو تعالى المنفرد بملك

الموضع، ولو فهموا رشدهم، لعلموا أن حرمانهم بسبب عصيانهم، وأن المعاصي لها عقوبات دنيوية ودينية، ولهذا قال: بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا 15 أنفسهم، وبما تركتم القتال أول مرة. فسيقولون مجيبين لهذا الكلام، الذي منعه به عن الخروج: بل تحسدونا على الغنائم، هذا منتهى علمهم في هذا بعقوبتهم، واختصاص الصحابة المؤمنين بتلك الغنائم، شرعا وقدرًا. قل لهم لن تتبعونا كذلك قال الله من قبل إنكم محرومون منها بما جنبتم على إذا انطلقوا إلى غنائم لا قتال فيها ليأخذوها، طلبوا منهم الصلبة والمشاركة، ويقولون: ذرونا نتبعكم يريدون بذلك أن يبدلوا كلام الله حيث حكم لما ذكر تعالى المخلفين وذرهم، ذكر أن من عقوبتهم الدنيوية، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

إلى قتاله، يعذبكم عذابا أليما ودلت هذه الآية على فضيلة الخلفاء الراشدين، الداعين لجهاد أهل البأس من الناس، وأنه تجب طاعتهم في ذلك. 16 هؤلاء يؤتكم الله أجرا حسنا وهو الأجر الذي رتبته الله ورسوله على الجهاد في سبيل الله، وإن تتولوا كما توليتم من قبل عن قتال من دعاكم الرسول على ما هم عليه، فلما أئذختم المسلمون، وضعفوا وذلوا، ذهب بأسهم، فصاروا إما أن يسلموا، وإما أن يبذلوا الجزية، فإن طيعوا الداعي لكم إلى قتال قتالهم ومقاتلتهم لأولئك الأقوام، إذ كانت شدتهم وبأسهم معهم، فإنهم في تلك الحال لا يقبلون أن يبذلوا الجزية، بل إما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يقاتلوا الراشدين والأئمة، وهؤلاء القوم فارس والروم ومن نحا نحوهم وأشباههم. تتقاتلونهم أو يسلمون أي: إما هذا وإما هذا، وهذا هو الأمر الواقع، فإنهم في حال بل لمجرد الغنيمة، قال تعالى ممتحنًا لهم: قل للمخلفين من الأعراب استدعون إلى قوم أولي بأس شديد أي: سيدعوكم الرسول ومن ناب منابه من الخلفاء لما ذكر تعالى أن المخلفين من الأعراب يتخلفون عن الجهاد في سبيله، ويعتذرون بغير عذر، وأنهم يطلبون الخروج معهم إذا لم يكن شوكة ولا قتال،

الأنفس، وتلد الأعين، ومن يتول عن طاعة الله ورسوله يعذبه عذابا أليما فالسعادة كلها في طاعة الله، والشقاوة في معصيته ومخالفته. 17 في التخلف عن الجهاد لعذرهم المانع. ومن يطع الله ورسوله في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار فيها ما تشتهيه ثم ذكر الأعداء التي يعذر بها العبد عن الخروج إلى الجهاد، فقال: ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج أي:

وهو: فتح خيبر، لم يحضره سوى أهل الحديبية، فاخصوا بخيبر وغنائمها، جزاء لهم، وشكرا على ما فعلوه من طاعة الله تعالى والقيام بمرضاته. 18 وعلم ما في قلوبهم من الجزع من تلك الشروط التي شرطها المشركون على رسوله، فأنزل عليهم السكينة تثبتهم، وتطمئن بها قلوبهم، وأتابهم فتحا قريبا

تفسير السعدي

الحال، التي هي من أكبر الطاعات وأجل القربات، فعلم ما في قلوبهم من الإيمان، فأنزل السكينة عليهم شكرا لهم على ما في قلوبهم، زادهم هدى، المؤمنين، وكانوا نحواً من ألف وخمسمائة، فبايعوه تحت شجرة على قتال المشركين، وأن لا يفروا حتى يموتوا، فأخبر تعالى أنه رضي عن المؤمنين في تلك الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان لمكة في ذلك، فجاء خبر غير صادق، أن عثمان قتله المشركون، فجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من الله عليه وسلم لما دار الكلام بينه وبين المشركين يوم الحديبية في شأن مجيئه، وأنه لم يجرى لقتال أحد، وإنما جاء زائراً هذا البيت، معظماً له، فبعث رسول والآخر، وكان سبب هذه البيعة التي يقال لها بيعة الرضوان لرضا الله عن المؤمنين فيها، ويقال لها بيعة أهل الشجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر تعالى بفضلته ورحمته، برضاه عن المؤمنين إذ يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المبايعة التي بيضت وجوههم، واكتسبوا بها سعادة الدنيا التي قهر بها الأشياء، فلو شاء لانتصر من الكفار في كل وقعة تكون بينهم وبين المؤمنين، ولكنه حكيم، يبتلي بعضهم ببعض، ويمتحن المؤمن بالكافر. 19 ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً أي: له العزة والقدرة،

ويتم نعمته عليك بإعزاز دينك، ونصرك على أعدائك، واتساع كلمتك، ويهديك صراطاً مستقيماً تنال به السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي. 2 تلك الشروط التي لا يصبر عليها إلا أولو العزم من المرسلين، وهذا من أعظم مناقبه وكراماته صلى الله عليه وسلم، أن غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ما تقدم من ذنبك وما تأخر وذلك والله أعلم بسبب ما حصل بسببه من الطاعات الكثيرة، والدخول في الدين بكثرته، وبما تحمل صلى الله عليه وسلم من ورتب الله على هذا الفتحة عدة أمور، فقال: ليغفر لك الله

الحق، وثوابه للمؤمنين، وأن الذي قدرها سيقدر غيرها، ويهديكم بما يقيض لكم من الأسباب صراطاً مستقيماً من العلم والإيمان والعمل. 20 على قتالكم، الحريصين عليه عنكم فهي نعمة، وتخفيف عنكم. ولتكون هذه الغنيمة آية للمؤمنين يستدلون بها على خبر الله الصادق، ووعدته فجعل لكم هذه أي: غنيمة خبير أي: فلا تحسبوها وحدها، بل ثم شيء كثير من الغنائم سيتبعها، و احمدا الله إذ كف أيدي الناس القادرين وعذكم الله مغانم كثيرة تأخذونها وهذا يشمل كل غنيمة غنمها المسلمين إلى يوم القيامة،

قادر عليها، وتحت تدبيره وملكه، وقد وعدكموها، فلا بد من وقوع ما وعد به، لكامل اقتدار الله تعالى، ولهذا قال: وكان الله على كل شيء قديراً 21 وأخرى أي: وعذكم أيضاً غنيمة أخرى لم تقدروا عليها وقت هذا الخطاب، قد أحاط الله بها أي: هو لو قابلوهم وقاتلوهم لولوا الأبار ثم لا يجدون وليا يتولى أمرهم، ولا نصيراً ينصرهم ويعينهم على قتالكم، بل هم مخذولون مغلوبون. 22 هذه بشارة من الله لعباده المؤمنين، بنصرهم على أعدائهم الكافرين، وأنهم

وهذه سنة الله في الأمم السابقة، أن جند الله هم الغالبون، ولن تجد لسنة الله تبديلاً 23

يقتلوهم، رحمة من الله بالمؤمنين إذ لم يقتلوهم، وكان الله بما تعملون بصيراً فيجازي كل عامل بعمله، ويديركم أيها المؤمنون بتدبيره الحسن. 24 تحت ولايتكم بلا عقد ولا عهد، وهم نحو ثمانين رجلاً، انحدروا على المسلمين ليصيبوا منهم غرة، فوجدوا المسلمين منتبهين فأمسكواهم، فتركوهم ولم قتالهم، فقال: وهو الذي كف أيديهم أي: أهل مكة عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم أي: من بعد ما قدرتم عليهم، وصاروا يقول تعالى ممثناً على عباده بالعبادة، من شر الكفار ومن

لهذا السبب. لو تزيّلوا أي: لو زالوا من بين أظهرهم لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً بأن نبيح لكم قتالهم، ونأذن فيه، وننصرهم عليهم. 25 من نيلهم بالأذى والمكره، وفائدة أخروية، وهو: أنه ليدخل في رحمته من يشاء فيمن عليهم بالإيمان بعد الكفر، وبالهدى بعد الضلال، فيمنعكم من قتالهم المؤمنين، والنساء المؤمنات، الذين لا يعلمهم المسلمون أن تطأوهم، أي: خشية أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم والمعرة: ما يدخل تحت قتالهم، ولكن ثم مانع وهو: وجود رجال ونساء من أهل الإيمان بين أظهر المشركين، وليسوا متميزين بمحلة أو مكان يمكن أن لا ينالهم أذى، فلولا هؤلاء الرجال صدوا الهدي معكوفاً أي: محبوساً أن يبلغ محله وهو محل ذبحه وهو مكة، فمنعوه من الوصول إليه ظلماً وعدواناً، وكل هذه أمور موجبة وداعية إلى المشركين، وهي كفرهم بالله ورسوله، وصددهم رسول الله ومن معه من المؤمنين، أن يأتوا للبيت الحرام زائرين معظمين له بالحج والعمرة، وهم الذين أيضاً ثم ذكر تعالى الأمور المهيجة على قتال

أحق بها من غيرهم و كانوا أهلها الذين استأهلوها لما يعلم الله عندهم وفي قلوبهم من الخير، ولهذا قال: وكان الله بكل شيء عليماً 26 كانت، ولم يبالوا بقول القائلين، ولا لوم اللاتمين. وألزمهم كلمة التقوى وهي لا إله إلا الله وحقوقها، ألزمهم القيام بها، فالتزموها وقاموا بها، وكانوا وعلى المؤمنين فلم يحملهم الغضب على مقابلة المشركين بما قابلوهم به، بل صبروا لحكم الله، والتزموا الشروط التي فيها تعظيم حرمت الله ولو كانت ما لقريش وهذه الأمور ونحوها من أمور الجاهلية، لم تزل في قلوبهم حتى أوجبت لهم ما أوجبت من كثير من المعاصي، فأنزل الله سكينته على رسوله كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وأنفوا من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إليهم في تلك السنة، لئلا يقول الناس: دخلوا مكة قاهرين يقول تعالى: إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية حيث أنفوا من

مما تشوشت بها قلوب بعض المؤمنين، وخفيت عليهم حكمته، فبين تعالى حكمته ومنفعتنا، وهكذا سائر أحكامه الشرعية، فإنها كلها، هدى ورحمة. 27 والتقصير، وعدم الخوف، فعلم من المصلحة والمنافع ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك الدخول بتلك الصفة فتحاً قريباً ولما كانت هذه الواقعة

تفسير السعدي

المسجد الحرام إن شاء الله آمينين محلقيين رءوسكم ومقصرين أي: في هذه الحال المقتضية لتعظيم هذا البيت الحرام، وأدائكم للنسك، وتكميله بالخلق ستأوتونه وتطوفون به قال الله هنا: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق أي: لا بد من وقوعها وصدقها، ولا يقدح في ذلك تأخر تأويلها، لتدخلن منهم، حتى إنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ألم نخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ فقال: أخبرتكم أنه العام؟ قالوا: لا، قال: فإنكم في المدينة رؤيا أخبر بها أصحابه، أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، فلما جرى يوم الحديبية ما جرى، ورجعوا من غير دخول لمكة، كثر في ذلك الكلام يقول تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى

للفؤوس، مرب للأخلاق، معل للأقدار. ليظهره بما بعثه الله به على الدين كله بالحجة والبرهان، ويكون داعيا لإخضاعهم بالسيف والسنان. 28 من الضلالة، ويبين طرق الخير والشر. ودين الحق أي: الدين الموصوف بالحق، وهو العدل والإحسان والرحمة. وهو كل عمل صالح مزك للقلوب، مطهر أخبر بحكم عام، فقال: هو الذي أرسل رسوله بالهدى الذي هو العلم النافع، الذي يهدي ولجميع المسلمين آمين. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات 29 الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين آمين. بقلم الفقير إلى ربه سليمان بن حمد العبد الله البسام. غفر الله له ولوالديه والممنة وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، نقلته من خط المفسر رحمه الله وعفا عنه، وكان الفراغ من كتابته في 13 ذي الحجة 1345 وصلى هنيئا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فأنزل الله عز وجل: هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين الآية. انتهى. وهذا آخر تفسير سورة الفتح والله الحمد ثم رجع إلى المدينة. وفي مرجعه أنزل الله عليه: إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى آخرها، فقال عمر: أفتح هو يا رسول الله؟ فقال: نعم فقال الصحابة: إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات حتى بلغ بعصم الكوافر فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية، والأخرى صفوان بن أمية، حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما، ثم جاءت نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل: الله أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلق لك، فقام فخرج، فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا ثم احلقوا فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ثلاث مرات، فلما لم يقيم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: يا رسول بغيره حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق، قال عمر: فعملت لذلك أعمالا. فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا وانحروا، فأتيته أبا بكر، فقلت له كما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ورد عليه أبو بكر كما رد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء، وزاد: فاستمسك أعصيه قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، فأخبرت أنك تأتية العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتية ومطوف به قال: على الباطل؟ قال: بلى فقلت: علام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال: إني رسول الله، وهو ناصري، ولست والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيته النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله أليست نبي الله؟ قال: بلى قلت: ألسنا على الحق، وعدونا قد أجزأناه. فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما، ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذابا شديدا. قال عمر بن الخطاب: إذا لا أवालحك على شيء أبدا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فأجزه لي فقال: ما أنا بمجيزه، فقال: بلى فافعل قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما قاضيتك عليه، أن ترده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا لم نقض الكتاب بعد فقال: فوالله سبحانه الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن لك من العام المقبل، فكتب. فقال سهيل: على أن لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك، إلا رددته علينا. فقال المسلمون: رسول الله وإن كذبتهموني، اكتب: محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل: والله الله فقال سهيل: فوالله لو نعلم أنك رسول الله، ما صدناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم ثم قال: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما ندري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: فبينما هو يكلمه، إذ جاء سهيل بن عمرو، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد سهل لكم من أمركم فقال: هات، اكتب بيننا وبينك كتابا، فدعا الكاتب، آتة، فقالوا: انتة، فلما أشرف عليهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر فجعل يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فرجع إلى أصحابه، فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، وما أرى أن يصدوا عن البيت فقام مكرز بن حفص، وقال: دعوني رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثوها فاستقبله القوم يلبن، فلما رأى ذلك، قال: سبحان الله، لا إليه النظر تعظيما له، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتة، فقالوا: انتة. فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم، قال في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون لقد وفدت على الملوك، على كسرى، وقيصر، والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه، ما يعظم أصحاب محمد، والله ما تنخم نخامة إلا وقعت أمره، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم، خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر، تعظيما له. فخرج عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله صلى الله عليه وسلم، فوالله إن تنخم النبي صلى الله عليه وسلم نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها جلده ووجهه. وإذا أمرهم ابتدروا إلى أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب رسول

تفسير السعدي

وسلم، فرفع عروة رأسه، وقال: من ذا؟ قال: المغيرة بن شعبه، فقال: أي: غدر، أولست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية، فقتلهم وأخذ السيف، وعليه المغفر فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي صلى الله عليه وسلم، ضرب يده بنعل السيف، وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم أجزك بها، لأجبتك. وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم، وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبه على رأس النبي صلى الله عليه وسلم، ومعه الناس، خليفا أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟ قال: من ذا؟ قال: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد كانت عروة عند ذلك: أي: محمد، رأيت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فوالله إني لأرى وجوها، وأرى أوباشا من إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها، ودعوني آتة، فقالوا: انتة، فأتاه، فجعل يكلمه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل، فقال له عليكم، فقال سقهاؤهم: لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي: منهم: هات ما سمعته، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فقال عروة بن مسعود الثقفي: أو لينفذن الله أمره قال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشا، فقال: إني قد جئتمكم من عند هذا الرجل، وسمعته يقول قولاً، فإن شئتم عرضته الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلاوا، وإلا فقد جموا، وإن أبوا إلا القتال، فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، الله صلى الله عليه وسلم: إنا لم نجى لقتال أحد، ولكن جننا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم، فإن شاءوا أمادهم ويخلوا بيني وبين من أهل تهامة، فقال: إني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلون، وصادوك عن البيت. قال رسول في أول الناس، وأوسطهم، وآخرهم. فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي، في نفر من خزاعة، وكانوا عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معقل بن يسار، أخذ بغصنها يرفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أول من بايعه، أبو سنان الأسدي، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات، عليه وسلم، كان أعلمنا بالله، وأحسننا ظنا. وكان عمر أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم للبيعة تحت الشجرة، فبايعه المسلمون كلهم إلا الجد ابن قيس، بالحديبية، ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد دعيتني قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت، فقال المسلمون: رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما طفت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت، فقال: بنسما ظننتم بي، والذي نفسي بيده، لو مكثت بها سنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم، مقيم تحت الشجرة، فبايعوه على أن لا يفروا، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد نفسه، وقال: هذه عن عثمان ولما تمت البيعة، رجع عثمان، فقال من الفريقين بمن فيهم، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان قد قتل، فدعا إلى البيعة. فثار المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أمر الصلح، فرمى رجل من أحد الفريقين رجلا من الفريق الآخر، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحجارة، وصاح الفريقان كلاهما، وارتهن كل واحد محصورون فقالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟ قال: ذاك ظني به، أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه واختلط المسلمون بالمشركين جاء مكة، وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان: خلص عثمان قبلنا إلى البيت وطاف به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أظنه طاف بالبيت ونحن قالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك. وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل عثمان على الفرس، فأجاره، وأردفه أبان حتى على قريش ببلدح، فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام، ونخبركم أنا لم نأت لقتال، وإنما جننا عمارا، بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات، فیدخل عليهم ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله عز وجل مظهر دينه بمكة، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان، فانطلق عثمان، فمر الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، فأرسله إلى قريش، وقال: أخبرهم أنا لم نأت لقتال، إنما جننا عمارا، وادعهم إلى الإسلام وأمره أن يأتي رجالا لبيعته إليهم، فقال: يا رسول الله، ليس بمكة أحد من بني كعب يغضب لي، إن أوديت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت. فدعا رسول لهم بالري حتى صدروا عنها، وفزعت قريش لنزوله عليهم، فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليهم رجلا من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش. فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوها فيه، قال: فوالله ما زال يجيش خطة يعظمون فيها حرماوات الله إلا أعطيتموها ثم زجرها، فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية، على ثمد قليل الماء، إنما يتبرضه الناس تبرضا، القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال: والذي نفسي بيده، لا يسألوني يركض نذيرا لقريش. وسار النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، برکت راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت، فقالوا: خلأت صلى الله عليه وسلم: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد، حتى إذا هو بغيرة الجيش، فانطلق نجى لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فروحوا إذا فراحوا، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي موتورين محزونين، وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت؟ فمن صدنا عنه قاتلناه؟ قال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، إنما جننا معتمرين، ولم وهم مقاتلون وصادوك عن البيت. واستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه: أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا يديه من خزاعة، يخبره عن قريش، حتى إذا كانوا قريبا من عسفان، أتاه عينه، فقال: إني قد تركت كعب بن لؤي، قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعا، الحديث بعينه، أنهم كانوا ألفا وأربعمائة. فصل فلما كانوا بذي الحليفة، قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث عينا له بين على ما قاله هذا القائل، فإنه قد صرح بأن البدنة كانت في هذه الغزوة عن سبعة، فلو كانت السبعون عن جميعهم، لكانوا أربعمائة وتسعين رجلا، وقد قال بتمام ألفا وأربعمائة، وغلط غلطا بينا من قال: كانوا سبعمائة، وعذره أنهم نحروا يومئذ سبعين بدنة، والبدنة قد جاء إجزاؤها عن سبعة أو عشرة، وهذا لا يدل في أصح الروايتين، وقول المسيب بن حزن، قال شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة له: كم كنتم؟ قال: ألفا وأربعمائة، بخيلنا ورجلنا، يعني: فارسهم وراجلهم. والقلب إلى هذا أميل، وهو قول البراء بن عازب، ومعقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع،

تفسير السعدي

الله وهم، وهو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة، قلت: وقد صح عن جابر القولان، وصح عنه أنهم نحروا عام الحديبية سبعين بدنة، البدنة عن سبعة، فقيّل بن المسيّب: كم كان الجماعة الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مائة، قال: قلت: فإن جابر بن عبد الله قال: كانوا أربع عشرة مائة، قال: يرحمه ألف وخمسمائة، هكذا في الصحيحين عن جابر، وعنه فيهما: كانوا ألفاً وأربعمائة، وفيهما، عن عبد الله بن أبي أوفى: كنا ألفاً وثلاثمائة، قال قتادة: قلت لسعيد ذي القعدة على الصواب. وفي الصحيحين عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر، كلهن في ذي القعدة، فذكر منهن عمرة الحديبية، وكان معه الله صلى الله عليه وسلم إلى الحديبية في رمضان، وكانت في شوال، وهذا وهم، وإنما كانت غزاة الفتح في رمضان. قال أبو الأسود عن عروة: إنها كانت في ست في ذي القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقاتدة، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم. وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الهدي النبوي فإن فيها إعانة على فهم هذه السورة، وتكلم على معانيها وأسرارها، قال رحمه الله تعالى: فصل في قصة الحديبية قال نافع: كانت سنة التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة. ولنسق قصة الحديبية بطولها، كما ساقها الإمام شمس الدين ابن القيم في الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا فالصحابة رضي الله عنهم، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، فاستغلت، ولهذا قال: ليغيب بهم الكفار حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال. وعد الله وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، كالزراع الذي أخرج شطأه، فأزره وحسنه واعتداله، كذلك الصحابة رضي الله عنهم، هم كالزراع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، فوازرته فراخه في الشباب والاستواء. فاستغلت ذلك الزرع أي: قوي وغلظ فاستوى على سوقه جمع ساق، يعجب الزراع من كماله واستوائه، الله به، مذكور بالتوراة هكذا. وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، وأنهم في كمالهم وتعاونهم كزرع أخرج شطأه فأزره أي: أخرج فراخه، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم. ذلك المذكور مثلهم في التوراة أي: هذا وصفهم الذي وصفهم أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه. سيماهم في وجوههم من أثر السجود أي: قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم، مع الخالق فإنك تراهم ركعا سجدا أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود. يبتغون بتلك العبادة فضلا من الله ورضوانا المسلمون، رحماء بينهم أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم الكفار أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم يخبر تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم أشداء على بل يحصل الانتصار التام، وقمع الكافرين، وذلمهم ونقصهم، مع توفر قوى المسلمين ونموهم، ونمو أموالهم. ثم ذكر آثار هذا الفتح على المؤمنين فقال: 3 وينصرك الله نصرا عزيزا أي: قويا لا يتضعضع فيه الإسلام، المشركون أن الله لا ينصر دينه ونبيه، ولكنه تعالى عليم حكيم، فتقتضي حكمته المداولة بين الناس في الأيام، وتأخير نصر المؤمنين إلى وقت آخر. 4 عليها ووطنوا أنفسهم لها، ازدادوا بذلك إيمانا مع إيمانهم. وقوله: ولله جنود السماوات والأرض أي: جميعها في ملكه، وتحت تدبيره وقهره، فلا يظن الله صلى الله عليه وسلم والمشركين، من تلك الشروط التي ظاهرها أنها غضاضة عليهم، وحط من أقدارهم، وتلك لا تكاد تصبر عليها النفوس، فلما صبروا ثابت ونفس مطمئنة، فيستعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه، فالصحابة رضي الله عنهم لما جرى ما جرى بين رسول القلوب، وتزعج الأبواب، وتضعف النفوس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبت على قلبه، وينزل عليه السكينة، ليتلقى هذه المشقات بقلب يخبر تعالى عن منته على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم، وهي السكون والطمأنينة، والثبات عند نزول المحن المقلقة، والأمور الصعبة، التي تشوش ويزيل عنهم المحذور بتكفير السيئات. وكان ذلك الجزاء المذكور للمؤمنين عند الله فوزا عظيما فهذا ما يفعل بالمؤمنين في ذلك الفتح المبين. 5 جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم فهذا أعظم ما يحصل للمؤمنين، أن يحصل لهم المرغوب المطلوب بدخول الجنات، ليدخل المؤمنين والمؤمنات الدنيا، وغضب الله عليهم بما اقترفوه من المحادة لله ولرسوله، ولعنهم أي: أبعدهم وأقصاهم عن رحمته وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا 6 بالله الظن السوء، أنه لا ينصر دينه، ولا يعلي كلمته، وأن أهل الباطل، ستكون لهم الدائرة على أهل الحق، فأدار الله عليهم ظنهم، وكانت دائرة السوء عليهم في وأما المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات، فإن الله يعذبهم بذلك، ويربهم ما يسوءهم؛ حيث كان مقصودهم خذلان المؤمنين، وظنوا الغالبون وكان الله عزيزا أي: قويا غالبا، قاهرا لكل شيء، ومع عزته وقوته فهو حكيم في خلقه وتدبيره، يجري على ما تقتضيه حكمته وإتقانه. 7 بأن له ملك السماوات والأرض وما فيهما من الجنود، ليعلم العباد أنه تعالى هو المعز المنزل، وأنه سينصر جنوده المنسوبة إليه، كما قال تعالى: وإن جندنا لهم ككر الإخبار العاجل والآجل، ومن تمام البشارة والندارة، بيان الأعمال والأخلاق التي يبشر بها وينذر، فهو المبين للخير والشر، والسعادة والشقاوة، والحق من الباطل. 8 لله تعالى بالوحدانية والانفراد بالكمال من كل وجه، ومبشرا من أطاعك وأطاع الله بالثواب الديني والديني والأخروي، ومنذرا من عصى الله بالعقاب أي: إنا أرسلناك أيها الرسول الكريم شاهدا لأمتك بما فعلوه من خير وشر، وشاهدا على المقالات والمسائل، حقها وباطلها، وشاهدا

تفسير السعدي

بين الله وبين رسوله، وهو الإيمان بهما، والمختص بالرسول، وهو التعزيز والتوقير، والمختص بالله، وهو التسبيح له والتقديس بصلاة أو غيرها. 9
بحقوقه، كما كانت له المنة العظيمة بربابكم، وتسبحوه أي: تسبحوا لله بكرة وأصيلا أول النهار وآخره، فذكر الله في هذه الآية الحق المشترك
بالله ورسوله، المستلزم ذلك لطاعتها في جميع الأمور. وتعزروه وتوقروه أي: تعزروا الرسول صلى الله عليه وسلم وتوقروه أي: تعظموه وتجلوه، وتقوموا
لتؤمنوا بالله ورسوله أي: بسبب دعوة الرسول لكم، وتعليمه لكم ما ينفعكم، أرسلناه لتقوموا بالإيمان

سورة 49

بعد النهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله، والأمر بتقواه حث على امتثال تلك الأوامر الحسنة، والآداب المستحسنة، وترهيب عن عدم الامتثال 1
الأوقات، في خفي المواضع والجهات، عليم بالظواهر والبواطن، والسوابق واللاحق، والواجبات والمستحيلات والممكنات وفي ذكر الاسمين الكريمين
الله، على نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، على نور من الله، تخشى عقاب الله. وقوله: إن الله سمع أي: لجميع الأصوات في جميع
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجب اتباعها، وتقديمها على غيرها، كائنا ما كان ثم أمر الله بتقواه عموما، وهي كما قال طلق بن حبيب: أن تعمل بطاعة
وبفواته، تفوته السعادة الأبدية، والنعيم السرمدي، وفي هذا، النهي الشديد عن تقديم قول غير الرسول صلى الله عليه وسلم، على قوله، فإنه متى استبان
بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا، حتى يقول، ولا يأمر، حتى يأمر، فإن هذا، حقيقة الأدب الواجب، مع الله ورسوله، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه،
امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وأن يكونوا ماشين، خلف أوامر الله، متبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، في جميع أمورهم، وأن لا يتقدموا
مع الله تعالى، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتعظيم له، واحترامه، وإكرامه، فأمر الله عباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان، بالله وبرسوله، من
هذا متضمن للأدب،

وجه لا يجوز الإقرار عليه والتزامه، أنه لا يجوز ذلك، وأن أموالهم معصومة، لأن الله أباح دماءهم وقت استمرارهم على بغيهم خاصة، دون أموالهم. 10
وعلى وجوب الإصلاح، بين المؤمنين بالعدل، وعلى وجوب قتال البغاة، حتى يرجعوا إلى أمر الله، وعلى أنهم لو رجعوا، لغير أمر الله، بأن رجعوا على
من أكبر الكبائر، وأن الإيمان، والأخوة الإيمانية، لا تزول مع وجود القتال كغيره من الذنوب الكبار، التي دون الشرك، وعلى ذلك مذهب أهل السنة والجماعة،
القيام بحقوق المؤمنين، من أعظم حواجب الرحمة. وفي هاتين الآيتين من الفوائد، غير ما تقدم: أن الاقتتال بين المؤمنين مناف للأخوة الإيمانية، ولهذا، كان
ورتب على القيام بحقوق المؤمنين وبتقوى الله، الرحمة فقال: لعلكم ترحمون وإذا حصلت الرحمة، حصل خير الدنيا والآخرة، ودل ذلك، على أن عدم
إذا وقع الاقتتال بينهم، الموجب لتفرق القلوب وتباغضها وتدابرها، فليصلح المؤمنون بين إخوانهم، وليسعوا فيما به يزول شأنهم. ثم أمر بالتقوى عموما،
أمر الله ورسوله، بالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادة، والتواصل بينهم، كل هذا، تأييد لحقوق بعضهم على بعض، فمن ذلك،
يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه. ولقد
وسلم أمرا بحقوق الأخوة الإيمانية: لا تحاسدوا، ولا تتاجشوا، ولا تباغضوا، ولا يبيع أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المؤمن أخو المؤمن، لا
واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه
إنما المؤمنون إخوة هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله،
والمدح له مقابلة على ذمه. ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فالناس قسمان: ظالم لنفسه غير تائب، وتائب مفلح، ولا ثم قسم ثالث غيرهما. 11
بالألقاب. ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فهذا هو الواجب على العبد، أن يتوب إلى الله تعالى، ويخرج من حق أخيه المسلم، باستحلاله، والاستغفار،
الفسوق بعد الإيمان أي: بنسما تبدلت عن الإيمان والعمل بشرائعه، وما تقتضيه، بالإعراض عن أوامره ونواهيه، باسم الفسوق والعصيان، الذي هو التنازع
تنازعوا بالألقاب أي: لا يعير أحدكم أخاه، ويلقبه بلقب ذم يكره أن يطلق عليه وهذا هو التنازع، وأما الألقاب غير المذمومة، فلا تدخل في هذا. بنس الاسم
الأخ المؤمن نفسا لأخيه، لأن المؤمنين ينبغي أن يكون هكذا حالهم كالجسد الواحد، ولأنه إذا همز غيره، أوجب للغير أن يهزمه، فيكون هو المتسبب لذلك. ولا
أي: لا يعب بعضكم على بعض، واللمز: بالقول، والهمز: بالفعل، وكلاهما منهي عنه حرام، متوعد عليه بالنار. كما قال تعالى: ويل لكل همزة لمزة الآية، وسمي
الأخلاق، متحل بكل خلق ذميم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر، أن يحقر أخاه المسلم ثم قال: ولا تلمزوا أنفسكم
دال على إعجاب الساخر بنفسه، وعسى أن يكون المسخور به خيرا من الساخر، كما هو الغالب والواقع، فإن السخرية، لا تقع إلا من قلب ممتلئ من مساوئ
من حقوق المؤمنين، بعضهم على بعض، أن لا يسخر قوم من قوم بكل كلام، وقول، وفعل دال على تحقير الأخ المسلم، فإن ذلك حرام، لا يجوز، وهو
وهذا أيضا،

وقبل منهم التوبة، وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر. 12
حيا. واتقوا الله إن الله تواب رحيم والتواب، الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفقه لها، ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم،
ميتا، المكروه للنفوس غاية الكراهة، باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمة، وخصوصا إذا كان ميتا، فاقد الروح، فكذلك، فلتكرهوا غيبته، وأكل لحمة
عليه وسلم: ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه ثم ذكر مثلا منفرا عن الغيبة، فقال: أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه شبه أكل لحمة

تفسير السعدي

واتركوا المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن أحواله التي إذا فتشت، ظهر منها ما لا ينبغي. ولا يغتبط بعضكم بعضا والغيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضا، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه. ولا تجسسوا أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، الذي يقتدر به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين، ف إن بعض الظن إثم وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء،

ظاهرا لا باطنا، فيجزي كلاً، بما يستحق. وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبا وقبائل، لأجل ذلك. 13 وانكافا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوما، ولا أشرفهم نسبا، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرا وباطنا، ممن يقوم بذلك، وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله، أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك، التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبا إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجلا كثيرا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوبا وقبائل أي: قبائل صغارا وكبارا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأُنثى، ويرجعون جميعهم

بل يوفيكهم إياها، أكمل ما تكون لا تفقدون منها، صغيرا، ولا كبيرا، إن الله غفور رحيم أي: غفور لمن تاب إليه وأتاب، رحيم به، حيث قبل توبته. 14 بالإيمان الحقيقي، والجهد في سبيل الله، وإن تطيعوا الله ورسوله بفعل خير، أو ترك شر لا يلتكم من أعمالكم شيئا أي: لا ينقصكم منها، مثقال ذرة، وفي قوله: ولما يدخل الإيمان في قلوبكم أي: وقت هذا الكلام، الذي صدر منكم فكان فيه إشارة إلى أحوالهم بعد ذلك، فإن كثيرا منهم، من الله عليهم في ذلك، أنه لما يدخل الإيمان في قلوبكم وإنما آمنتم خوفا، أو رجاء، أو نحو ذلك، مما هو السبب في إيمانكم، فلذلك لم تدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم، قل لم تؤمنوا أي: لا تدعوا لأنفسكم مقام الإيمان، ظاهرا، وباطنا، كاملا. ولكن قولوا أسلمنا أي: دخلنا في الإسلام، واقتصروا على ذلك. و السبب بما يجب وبقتضيه الإيمان، أنهم ادعوا مع هذا وقالوا: آمنا أي: إيماننا كاملا، مستوفيا لجميع أموره هذا موجب هذا الكلام، فأمر الله رسوله، أن يرد عليهم، فقال: يخبر تعالى عن مقالة الأعراب، الذين دخلوا في الإسلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، دخولا من غير بصيرة، ولا قيام

وليس لدعواه فائدة، فإن الإيمان في القلب لا يطلع عليه إلا الله تعالى. فإثباته ونفيه، من باب تعليم الله بما في القلب، وهذا سوء أدب، وظن بالله. 15 السعادة، والفوز الأبدي، والفلاح السرمدى، فمن ادعاه، وقام بواجباته، ولوازمه، فهو الصادق المؤمن حقا، ومن لم يكن كذلك، علم أنه ليس بصادق في دعواه، صدقوا إيمانهم بأعمالهم الجميلة، فإن الصدق، دعوى كبيرة في كل شيء يدعى يحتاج صاحبه إلى حجة وبرهان، وأعظم ذلك، دعوى الإيمان، الذي هو مدار وهو الشك، لأن الإيمان النافع هو الجزم اليقيني، بما أمر الله بالإيمان به، الذي لا يعتريه شك، بوجه من الوجوه. وقوله: أولئك هم الصادقون أي: الذين بشرائعهم، فجهدوا لنفسه على ذلك، من باب أولى وأحرى؛ ولأن من لم يقو على الجهاد، فإن ذلك، دليل على ضعف إيمانه، وشرط تعالى في الإيمان عدم الريب، الله أي: من جمعوا بين الإيمان والجهاد في سبيله، فإن من جاهد الكفار، دل ذلك، على الإيمان التام في القلب، لأن من جاهد غيره على الإسلام، والقيام إنما المؤمنون أي: على الحقيقة الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

كلها، التي من جملتها، ما في القلوب من الإيمان والكفران، والبر والفجور، فإنه تعالى، يعلم ذلك كله، ويجازي عليه، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. 16 قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم وهذا شامل للأشياء أعظم من كل شيء، ولهذا قال تعالى: يمتنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين . 17 به فإن المنة لله تعالى عليهم، فكما أنه تعالى يمن عليهم، بالخلق والرزق، والنعم الظاهرة والباطنة، فمنتهم عليهم بهدايتهم إلى الإسلام، ومنتهم عليهم بالإيمان، وأنهم قد بذلوا له وتبرعوا بما ليس من مصالحهم، بل هو من حظوظه الدنيوية، وهذا تجمل بما لا يجمل، وفخر بما لا ينبغي لهم أن يفتخروا على رسوله أحوال من ادعى لنفسه الإيمان، وليس به، فإنه إما أن يكون ذلك تعليما لله، وقد علم أنه عالم بكل شيء، وإما أن يكون قصدهم بهذا الكلام، المنة على رسوله، هذه حالة من

رحمته الواسعة، وحكمته البالغة. تم تفسير سورة الحجر اتبعون الله ومنه وجوده وكرمه، فلك اللهم من الحمد أكمله وأتمه، ومن الجود أفضله وأعمه 18 في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين والله بصير بما تعملون يحصي عليكم أعمالكم، ويوفيكهم إياها، ويجازيكم عليها بما تقتضيه ومهامه القفار، وما جنة الليل أو واره النهار، يعلم قطرات الأمطار، وحبات الرمال، ومكنونات الصدور، وخبايا الأمور. وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة إن الله يعلم غيب السماوات والأرض أي: الأمور الخفية فيها، التي تخفى على الخلق، كالذي في لجج البحار،

إلا به، فإن في عدم القيام بذلك، محذورا، وخشية أن يحبط عمل العبد وهو لا يشعر، كما أن الأدب معه، من أسباب حصول الثواب وقبول الأعمال. 2 وإعظام، ولا يكون الرسول كأحد، بل يميزوه في خطابهم، كما تميز عن غيره، في وجوب حقه على الأمة، ووجوب الإيمان به، والحب الذي لا يتم الإيمان عليه وسلم، في خطابه، أي: لا يرفع المخاطب له، صوته معه، فوق صوته، ولا يجهر له بالقول، بل يفيض الصوت، ويخاطبه بأدب ولين، وتعظيم وتكريم، وإجلال يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول وهذا أدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أمر الله، واتبع رضاه، وسارع إلى ذلك، وقدمه على هواه، تمحض وتمحض للتقوى، وصار قلبه صالحا لها ومن لم يكن كذلك، علم أنه لا يصلح للتقوى. 3

تفسير السعدي

- العظيم، الذي لا يعلم وصفه إلا الله تعالى، وفي الأجر العظيم وجود المحبوب وفي هذا، دليل على أن الله يمتحن القلوب، بالأمر والنهي والمحن، فمن لازم قلوبهم للتقوى، أي: ابتلاها واختبرها، فظهرت نتيجة ذلك، بأن صلت قلوبهم للتقوى، ثم وعدهم المغفرة لذنوبهم، المتضمنة لزوال الشر والمكروه، والأجر ثم مدح من غض صوته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأن الله امتحن
- يا محمد، أي: أخرج إلينا، فذمهم الله بعدم العقل، حيث لم يعقلوا عن الله الأدب مع رسوله واحترامه، كما أن من العقل وعلامته استعمال الأدب. 4
- الله على رسوله، قدموا وافدين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدوه في بيته وحجرات نسائه، فلم يصبروا ويتأدبوا حتى يخرج، بل نادوه: يا محمد نزلت هذه الآيات الكريمة، في أناس من الأعراب، الذين وصفهم الله تعالى بالجفاء، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل
- لكان خيرا لهم والله غفور رحيم أي: غفور لما صدر عن عباده من الذنوب، والإخلال بالآداب، رحيم بهم، حيث لم يعاجلهم بذنوبهم بالعقوبات والمثلثات. 5
- فأدب العبد، عنوان عقله، وأن الله مريد به الخير، ولهذا قال: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم
- وخبر الكاذب، مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج، المعروفين بالصدق، ولو كانوا فاسقا. 6
- التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردا، فإن في ذلك خطرا كبيرا، ووقوعا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر وهذا أيضا، من الآداب التي على أولي الأبواب، التأدب بها واستعمالها،
- والذنوب ذنبهم، فإنهم لما فسقوا طبع الله على قلوبهم، ولما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ولما لم يؤمنوا بالحق لما جاءهم أول مرة، قلب الله أفندتهم. 7
- صلحت علومهم وأعمالهم، واستقاموا على الدين القويم، والصراط المستقيم. وضدهم الغاؤون، الذين حبب إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وكره إليهم الإيمان، من الكراهة في القلوب له أولئك أي: الذين زين الله الإيمان في قلوبهم، وحببه إليهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان هم الراشدون أي: الذين دون ذلك من الذنوب بما أودع في قلوبكم من كراهة الشر، وعدم إرادة فعله، وبما نصبه من الأدلة والشواهد على فساد، وعدم قبول الفطر له، وبما يجعله الله الدالة على صحته، وقبول القلوب والفطر له، وبما يفعله تعالى بكم، من توفيقه للإجابة إليه، ويكره إليكم الكفر والفسوق، أي: الذنوب الكبار، والعصيان: هي ما يرشدكم، والله تعالى يحب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم، بما أودع الله في قلوبكم من محبة الحق وإيثاره، وبما ينصب على الحق من الشواهد، والأدلة بكم الخير وينصح لكم، وتريدون لأنفسكم من الشر والمضرة، ما لا يوافقكم الرسول عليه، ولو يطيعكم في كثير من الأمر لشق عليكم وأغنتكم، ولكن الرسول أي: ليكن لديكم معلوما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بين أظهركم، وهو الرسول الكريم، البار، الراشد، الذي يريد
- لا بحولهم وقوتهم. والله عليم حكيم أي: عليم بمن يشكر النعمة، فيوفقه لها، ممن لا يشكرها، ولا تليق به، فيضع فضله، حيث تقتضيه حكمته. 8
- فضلا من الله ونعمة أي: ذلك الخير الذي حصل لهم، هو بفضل الله عليهم وإحسانه،
- في أهله، وعياله، في أدائه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح: المقسطون عند الله، على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا 9
- العدول عن العدل، إن الله يحب المقسطين أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها، حتى إنه، قد يدخل في ذلك عدل الرجل والحيث على أحد الخصمين، فهذا ليس هو الصلح المأمور به، فيجب أن لا يراعى أحدهما، لقاربة، أو وطن، أو غير ذلك من المقاصد والأغراض، التي توجب أعظمه، الاقتتال، وقوله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل هذا أمر بالصلح، وبالعدل في الصلح، فإن الصلح، قد يوجد، ولكن لا يكون بالعدل، بل بالظلم ونعمت، وإن بغت إحداها على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله أي: ترجع إلى ما حد الله ورسوله، من فعل الخير وترك الشر، الذي من من المؤمنين أن يتلافوا هذا الشر الكبير، بالإصلاح بينهم، والتوسط بذلك على أكمل وجه يقع به الصلح، ويسلكوا الطريق الموصلة إلى ذلك، فإن صلحتا، فيها هذا متضمن لتهي المؤمنين، عن أن يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضا، وأنه إذا اقتتل طائفتان من المؤمنين، فإن على غيرهم

سورة 50

- حوى من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، وهذا موجب لكمال اتباعه، وسرعة الانقياد له، وشكر الله على المنة به. 1
- الوجوه كثير البركات، جزيل المبرات. والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها، وأحق كلام يوصف بهذا، هذا القرآن، الذي قد احتوى على علوم الأولين والآخرين، الذي يقسم تعالى بالقرآن المجيد أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير
- إلا له تعالى. وما فيها من إحياء الأرض بعد موتها، دليل على إحياء الله الموتى، ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج 10
- دليل على أن الله تعالى، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وأنه الذي لا تبغي العبادة، والذل والحب عليم، وما فيها من المنافع والمصالح للعباد، دليل على رحمة الله، التي وسعت كل شيء، وجوده، الذي عم كل حي، وما فيها من عظم الخلقة، وبديع النظام، والشدة والقوة، دليل على كمال قدرة الله تعالى، وما فيها من الحسن والإتقان، وبديع الصنعة، وبديع الخلقة دليل على أن الله أحكم الحاكمين، وأنه بكل شيء

تفسير السعدي

وحاصل هذا، أن ما فيها من الخلق الباهر،

بهذه الآيات السماوية والأرضية، خوفهم أخذات الأمم، وألا يستمروا على ما هم عليه من التكذيب، فيصيبهم ما أصاب إخوانهم من المكذبين، فقال: 11
له تعالى. وما فيها من إحياء الأرض بعد موتها، دليل على إحياء الله الموتى، ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج ولما ذكرهم
دليل على أن الله تعالى، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وأنه الذي لا تنبغي العبادة، والذل والحب إلا
عليه، وما فيها من المنافع والمصالح للعباد، دليل على رحمة الله، التي وسعت كل شيء، وجوده، الذي عم كل حي، وما فيها من عظم الخلقة، وبديع النظام،
والشدة والقوة، دليل على كمال قدرة الله تعالى، وما فيها من الحسن والإتقان، وبديع الصنعة، وبديع الخلقة دليل على أن الله أحكم الحاكمين، وأنه بكل شيء
وحاصل هذا، أن ما فيها من الخلق الباهر،

أي: كذب الذين من قبلهم من الأمم، رسلهم الكرام، وأنبياءهم العظام، ك نوح كذبه قومه، وثمود كذبوا صالحا 12

وعاد، كذبوا هودا وإخوان لوط كذبوا لوطا 13

ولستم أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم، خيرا منهم، ولا رسلهم أكرم على الله من رسولكم، فاحذروا جرمهم، لئلا يصيبكم ما أصابهم. 14
الذين لا تخفى ماجرياتهم على العرب خصوصا مثل هذه الحادثة العظيمة. فهؤلاء كلهم كذبوا الرسل، الذين أرسلهم الله إليهم، فحق عليهم وعيد الله وعقوبته،
الرسول، الذي أرسله الله إليهم، ولم يخبرنا الله من هو ذلك الرسول، وأي تبع من التبابعة، لأنه والله أعلم كان مشهورا عند العرب لكونهم من العرب العرباء،
وأصحاب الأيكة كذبوا شعبيا وقوم تبع، وتبع كل ملك ملك اليمن في الزمان السابق قبل الإسلام فقوم تبع كذبوا

فيه، والتبس عليهم أمره، مع أنه لا محل للبس فيه، لأن الإعادة، أهون من الابتداء كما قال تعالى: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه 15
وضعت قدرتنا بالخلق الأول ؟ ليس الأمر كذلك، فلم نعجز ونعي عن ذلك، وليسوا في شك من ذلك، وإنما هم في لبس من خلق جديد هذا الذي شكوا
الآخر، وهو النشأة الآخرة. فكما أنه الذي أوجدهم بعد العدم، كذلك يعيدهم بعد موتهم وصيرورتهم إلى الرفات والرمم، فقال: أفعيينا أي: أفعجزنا
ثم استدل تعالى بالخلق الأول وهو المنشأ الأول على الخلق

وكذلك ينبغي له أن يجعل الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيجلهم ويوفرهم، ويحذر أن يفعل أو يقول ما يكتب عنه، مما لا يرضي رب العالمين. 16
وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه، المطلع على ضميره وباطنه، القريب منه في جميع أحواله، فيستحي منه أن يراه، حيث نهاه، أو يفقده، حيث أمره،
وإناتهم، وأنه يعلم أحواله، وما يسره، ويؤسوس في صدره وأنه أقرب إليه من حبل الوريد، الذي هو أقرب شيء إلى الإنسان، وهو العرق المكتنف لثغرة النحر،
يخبر تعالى، أنه المتفرد بخلق جنس الإنسان، ذكورهم

واحد عن اليمين يكتب الحسنات و الآخر عن الشمال يكتب السيئات، وكل منهما قعيد بذلك متهيئ لعمله الذي أعد له، ملازم له 17

إذ يتلقى المتلقيان أي: يتلقيان عن العبد أعماله كلها،

من قول خير أو شر إلا لديه رقيب عتيد أي: مراقب له، حاضر لحاله، كما قال تعالى: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون 18

ما يلفظ

أي وجاءت هذا الغافل المكذب بآيات الله سكرة الموت بالحق الذي لا مرد له ولا مناص، ذلك ما كنت منه تحيد أي: تتأخر وتتقص عنه. 19
من هذه حاله ؟ وهل تعجبه، إلا دليل على زيادة وظلمه وجهله ؟ وإما أن يكونوا متعجبين، على وجه يعلمون خطأهم فيه، فهذا من أعظم الظلم وأشنعه. 2
يستغرب كلام العاقل، وبمنزلة الجبان الذي يتعجب من لقاء الفارس للفرسان، وبمنزلة البخيل، الذي يستغرب سخاء أهل السخاء، فأى ضرر يلحق من تعجب
أي: مستغرب، وهم في هذا الاستغراب بين أمرين: إما صادقون في استغرابهم وتعجبهم، فهذا يدل على غاية جهلهم، وضعف عقولهم، بمنزلة المجنون، الذي
لهم التعجب منه، بل يتعجب من عقل من تعجب منه. فقال الكافرون الذين حملهم كفرهم وتكذيبهم، لا نقص بذكائهم وأرائهم هذا شيء عجيب
أن جاءهم منذر منهم أي: ينذرهم ما يضرهم، ويأمرهم بما ينفعهم، وهو من جنسهم، يمكنهم التلقي عنه، ومعرفة أحواله وصدقه. فتعجبوا من أمر، لا ينبغي
ولكن أكثر الناس، لا يقدر نعم الله قدرها، ولهذا قال تعالى: بل عجبوا أي: المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم،

ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد أي: اليوم الذي يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب، والمؤمنين ما وعدهم به من الثواب. 20

وهذا يدل على اعتناء الله بالعباد، وحفظه لأعمالهم، ومجازاته لهم بالعدل، فهذا الأمر، مما يجب أن يجعله العبد منه على بال، ولكن أكثر الناس غافلون. 21
وجاءت كل نفس معها سائق يسوقها إلى موقف القيامة، فلا يمكنها أن تتأخر عنه، وشهيد يشهد عليها بأعمالها، خيرها وشرها،

وقت لا يمكنه أن يتدارك الفارط، ولا يستدرك الفائت، وهذا كله تخويف من الله للعباد، وترهيب، بذكر ما يكون على المكذبين، في ذلك اليوم العظيم. 22
ويروعه، من أنواع العذاب والنكال. أو هذا خطاب من الله للعبد، فإنه في الدنيا، في غفلة عما خلق له، ولكنه يوم القيامة، ينتبه ويزول عنه وسنه، ولكنه في
لقد كنت مكذبا بهذا، تاركا للعمل له فالآن كشفنا عنك غطاءك الذي غطى قلبك، فكثير نومك، واستمر إعراضك، فبصرك اليوم حديد ينظر ما يزعجه
لقد كنت في غفلة من هذا أي: يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام، توبيخا، ولوما وتعنيفا أي:

تفسير السعدي

- أعماله، فيحضره يوم القيامة ويحضر أعماله ويقول: هذا ما لدي عتيد أي: قد أحضرت ما جعلت عليه، من حفظه، وحفظ عمله، فيجازي بعمله. 23
- يقول تعالى: وقال قرينه أي: قرين هذا المكذب المعرض، من الملائكة، الذين وكلهم الله على حفظه، وحفظ
- ويقال لمن استحق النار: ألقيا في جهنم كل كفار عنيد أي: كثير الكفر والعناد لآيات الله، المكتر من المعاصي، المجترئ على المحارم والمآثم. 24
- مريب أي: شاك في وعد الله ووعيده، فلا إيمان ولا إحسان ولكن وصفه الكفر والعدوان، والشك والريب، والشح، واتخاذ الآلهة من دون الرحمن. 25
- مناع للخير أي: يمنع الخير الذي عنده الذي أعظمه، الإيمان بالله وملائكته وتبه، ورسله مناع، لنفع ماله وبدنه، معتد على عباد الله، وعلى حدوده
- لا يملك لنفسه نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة، ولا نشوراً، فألقياه أيها الملكان القرينان في العذاب الشديد الذي هو معظمها وأشدّها وأشنعها. 26
- الذي جعل مع الله إلهاً آخر أي: عبد معه غيره، ممن
- الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم الآية 27
- عليه سلطان، ولا حجة ولا برهان، ولكن كان في الضلال البعيد، فهو الذي ضل وأبعد عن الحق باختياريه، كما قال في الآية الأخرى: وقال الشيطان لما قضي
- قال قرينه الشيطان، متبرئاً منه، حاملاً عليه إثمه: ربنا ما أطغيته لأنني لم يكن لي
- البينات، والحجج الواضحات، والبراهين الساطعات، فقامت عليكم حجتِي، وانقطعت حجتكم، وقدمتم علي بما أسلفتم من الأعمال التي وجب جزاؤها. 28
- تعالى مجيباً لاختصاصهم: لا تختصموا لدي أي: لا فائدة في اختصاصكم عندي، و الحال أني قد قدمت إليكم بالوعيد أي: جاءكم رسلي بالآيات
- قال الله
- لا أصدق من الله قِيلاً، ولا أصدق حديثاً. وما أنا بظلام للعبيد بل أجزئهم بما عملوا من خير وشر، فلا يزداد في سيئاتهم، ولا ينقص من حسناتهم. 29
- ما يبدل القول لدي أي: لا يمكن أن يخلف ما قاله الله وأخبر به، لأنه
- من هو على كل شيء قدير، الكامل من كل وجه، بقدرة العبد الفقير العاجز من جميع الوجوه، وقاسوا الجاهل، الذي لا علم له، بمن هو بكل شيء عليم. 3
- ثم ذكر وجه تعجبهم فقال: أنذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد فقاوسا قدرة
- والناس أجمعين حتى يضع رب العزة عليها قدمه الكريمة المنزهة عن التشبيه، فينزوي بعضها على بعض، وتقول: قط قط، قد اكتفيت وامتألت. 30
- من مزيد أي: لا تزال تطلب الزيادة، من المجرمين العاصين، غضباً لربها، وغيظاً على الكافرين. وقد وعدوا الله مألهاً، كما قال تعالى لأملأن جهنم من الجنة
- يقول تعالى، مخوفاً لعباده: يوم نقول لجهنم هل امتألت وذلك من كثرة ما ألقى فيها، وتقول هل
- من النعيم المقيم، والحبرة والسرور، وإنما أزلت وقربت، لأجل المتقين لربهم، التاركين للشرك، صغيره وكبيره، الممثلين لأوامر ربهم، المنقادين له. 31
- وأزلت الجنة أي: قربت بحيث تشاهد وينظر ما فيها،
- به، ودعائه، وخوفه، ورجائه. حفيظ أي: يحافظ على ما أمر الله به، بامتثاله على وجه الإخلاص والإكمال له، على أكمل الوجوه، حفيظ لحدوده. 32
- حفيظ أي: هذه الجنة وما فيها، مما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، هي التي وعد الله كل أواب أي: رجع إلى الله، في جميع الأوقات، بذكره وحبه، والاستعانة
- ويقال لهم على وجه التهنية: هذا ما توعدون لكل أواب
- لا اختارياً حيث يعاين العذاب وتأتي آيات الله وهذا هو الظاهر وجاء بقلب منيب أي: وصفه الإنابة إلى مولاه، وانجذاب دواعيه إلى مرضيه. 33
- خشية الله في الغيب والشهادة ويحتمل أن المراد بخشية الله بالغيب كالمراد بالإيمان بالغيب وأن هذا مقابل للشهادة حيث يكون الإيمان والخشية ضرورياً
- أعين الناس، وهذه هي الخشية الحقيقية، وأما خشيته في حال نظر الناس وحضورهم، فقد تكون رياء وسمعة، فلا تدل على الخشية، وإنما الخشية النافعة،
- من خشية الرحمن أي: خافه على وجه المعرفة بربه، والرجاء لرحمته ولازم على خشية الله في حال غيبه أي: مغيبه عن
- مأمونا فيه جميع مكاره الأمور، فلا انقطاع لنعيمهم، ولا كدر ولا تنغيص، ذلك يوم الخلود الذي لا زوال له ولا موت، ولا شيء من المكدرات. 34
- ويقال لهؤلاء الأتقياء الأبرار: ادخلوها بسلام أي: دخولاً مقروناً بالسلامة من الآفات والشورور،
- ولا خطر على قلب بشر، وأعظم ذلك، وأجله، وأفضله، النظر إلى وجه الله الكريم، والتمتع بسماع كلامه، والتنعيم بقربه، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم. 35
- يشاءون فيها أي: كل ما تعلق به مشيئتهم، فهو حاصل فيها ولهم فوق ذلك مزيد أي: ثواب يمدهم به الرحمن الرحيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت،
- لهم ما
- الأيام، والعذاب الشديد، ف هل من محيص أي: لا مفر لهم من عذاب الله، حين نزل بهم، ولا منقذ، فلم تغن عنهم قوتهم، ولا أموالهم، ولا أولادهم. 36
- الحصون المنبئة والمنازل الرفيعة، وغرسوا الأشجار، وأجروا الأنهار، وزرعوا، وعمروا، ودمروا، فلما كذبوا رسل الله، وجحدوا آيات الله، أخذهم الله بالعقاب
- المكذبين للرسول: وكم أهلكنا قبلهم من قرن أي: أمما كثيرة هم أشد من هؤلاء بطشاً أي: قوة وآثارا في الأرض. ولهذا قال: فنقبوا في البلاد أي: بنوا
- يقول تعالى مخوفاً للمشركين
- وشفاء وهدي. وأما المعرض، الذي لم يلق سمعه إلى الآيات، فهذا لا تفيده شيئاً، لأنه لا قبول عنده، ولا تقتضي حكمة الله هداية من هذا وصفه ونعته. 37

تفسير السعدي

الله، تذكر بها، وانتفع، فارتفع وكذلك من ألقى سمعه إلى آيات الله، واستمعها، استماعا يسترشد به، وقلبه شهيد أي: حاضر، فهذا له أيضا ذكرى وموعظة، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي: قلب عظيم حي، ذكي، فهذا إذا ورد عليه شيء من آيات

يوم الجمعة، من غير تعب، ولا نصب، ولا لغوب، ولا إعياء، فالذي أوجدها على كبرها وعظمتها قادر على إحياء الموتى، من باب أولى وأحرى. 38
منه تعالى عن قدرته العظيمة، ومشينته النافذة، التي أوجد بها أعظم المخلوقات السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها وهذا إخبار

فأصبر على ما يقولون من الذم لك والتكذيب بما جنت به، واشتغل عنهم واله بطاعة ربك وتسبيحه، أول النهار وآخره 39
التغيير والتبديل، كل ما يجري عليهم في حياتهم، ومماتهم، وهذا الاستدلال، بكمال علمه، وسعته التي لا يحيط بها إلا هو، على قدرته على إحياء الموتى. 4
الذي يعلم ما تنقص الأرض من أجسادهم مدة مقامهم في برزخهم، وقد أحصى في كتابه الذي هو عنده محفوظ عن وفي أوقات الليل، وأدبار الصلوات. فإن ذكر الله تعالى، مسل للنفس، مؤنس لها، مهون للصبر. 40

أي: واستمع بقلبك نداء المنادي وهو إسرافيل عليه السلام، حين ينفخ في الصور من مكان قريب من الخلق 41
يسمعون تلك الصيحة المزعجة المهولة بالحق الذي لا شك فيه ولا امتراء. ذلك يوم الخروج من القبور، الذي انفرد به القادر على كل شيء. 42
يوم يسمعون الصيحة أي: كل الخلائق

يسمعون تلك الصيحة المزعجة المهولة بالحق الذي لا شك فيه ولا امتراء. ذلك يوم الخروج من القبور، الذي انفرد به القادر على كل شيء. 43
يوم يسمعون الصيحة أي: كل الخلائق
عن الأموات سراحا أي: يسرعون لإجابة الداعي لهم، إلى موقف القيامة، ذلك حشر علينا يسير أي: هين على الله يسير لا تعب فيه ولا كلفة. 44
يوم تشقق الأرض عنهم أي:

به، فهذا فائدة تذكيره، إقامة الحجة عليه، لئلا يقول: ما جاءنا من بشير ولا نذير آخر تفسير سورة ق والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا 45
في العقول والفطر، من محبة الخير وإيثاره، وفعله، ومن بغض الشر ومجانبته، وإنما يتذكر بالتذكير، من يخاف وعيد الله، وأما من لم يخف الوعيد، ولم يؤمن وما أنت عليهم بجبار أي: مسلط عليهم إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ولهذا قال: فذكر بالقرآن من يخاف وعيد والتذكير، هو تذكير ما تقرر لك على أعدائك، فليفرح قلبك، ولتطمئن نفسك، ولتعلم أننا أرحم بك وأرف، من نفسك، فلم يبق لك إلا انتظار وعد الله، والتأسي بأولي العزم، من رسل الله، نحن أعلم بما يقولون لك، مما يحزنك، من الأذى، وإذا كنا أعلم بذلك، فقد علمت كيف اعتناؤنا بك، وتيسيرنا لأمرنا، ونصرنا

لا يدري له وجهة ولا قرار، فترى أموره متناقضة مؤتفكة كما أن من اتبع الحق وصدق به، قد استقام أمره، واعتدل سبيله، وصدق فعله قيله. 5
إنك ساحر، وتارة مجنون، وتارة شاعر، وكذلك جعلوا القرآن عضيض، كل قال فيه، ما اقتضاه رأيه الفاسد، وهكذا، كل من كذب بالحق، فإنه في أمر مختلط، للحق الذي هو أعلى أنواع الصدق لما جاءهم فهم في أمر مريج أي: مختلط مشتبه، لا يثبتون على شيء، ولا يستقر لهم قرار، فتارة يقولون عنك: أي: بل كلامهم الذي صدر منهم، إنما هو عناد وتكذيب

غاية الحسن والملاحة، لا ترى فيها عيبا، ولا فرجا، ولا خلا، ولا إخلالا. قد جعلها الله سقفا لأهل الأرض، وأودع فيها من مصالحهم الضرورية ما أودع. 6
في غاية السهولة، فينظرون كيف بنيها قبة مستوية الأرجاء، ثابتة البناء، مزينة بالنجوم الخنس، والجوار الكنس، التي ضربت من الأفق إلى الأفق في الأفقية، كي يعتبروا، ويستدلوا بها، على ما جعلت أدلة عليه فقال: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم أي: لا يحتاج ذلك النظر إلى كلفة وشد رحل، بل هو لما ذكر تعالى حالة المكذبين، وما ذمهم به، دعاهم إلى النظر في آياته

بالمطر، وما هو أثره من الأنهار، التي على وجه الأرض، والتي تحتها من حب الحصيد، أي: من الزرع المحصود، من بر وشعير، وذرة، وأرز، ودخن وغيره. 7
يبلغه كثير من الأشجار، فتخرج من الطلع النضيد، في قنوانها، ما هو رزق للعباد، قوتا وأدما وفاكهة، يأكلون منه ويدخرون، هم ومواسيهم وكذلك ما يخرج الله العنب والرمان والأترج والتفاح، وغير ذلك، من أصناف الفواكه، ومن النخيل الباسقات، أي: الطوال، التي يطول نفعها، وترتفع إلى السماء، حتى تبلغ مبلغا، لا ناظرها، وتعجب مبصرها، وتقر عين راميها، لكل بني آدم، وأكل بهائمهم ومنافعهم، وخص من تلك المنافع بالذكر، الجنات المشتملة على الفواكه اللذيذة، من والاستعداد لجميع مصالحه، وأرأسها بالجبال، لتستقر من التزلزل، والتموج، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج أي: من كل صنف من أصناف النبات، التي تسر و إلى الأرض كيف مدناها ووسعناها، حتى أمكن كل حيوان السكون فيها والاستقرار

لكل عبد منيب إلى الله أي: مقبل عليه بالحب والخوف والرجاء، وإجابة داعيه، وأما المكذب والمعرض، فما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون. 8
تبصرة يتبصر بها، من عمى الجهل، وذكرى يتذكر بها، ما ينفع في الدين والدنيا، ويتذكر بها ما أخبر الله به، وأخبرت به رسله، وليس ذلك لكل أحد، بل فإن في النظر في هذه الأشياء

إلا له تعالى. وما فيها من إحياء الأرض بعد موتها، دليل على إحياء الله الموتى، ليجازيهم بأعمالهم، ولهذا قال: وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج 9

تفسير السعدي

دليل على أن الله تعالى، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وأنه الذي لا تنبغي العبادة، والذل والحب عليهم، وما فيها من المنافع والمصالح للعباد، دليل على رحمة الله، التي وسعت كل شيء، وجوده، الذي عم كل حي، وما فيها من عظم الخلقة، وبديع النظام، والشدة والقوة، دليل على كمال قدرة الله تعالى، وما فيها من الحسن والإتقان، وبديع الصنعة، وبديع الخلقة دليل على أن الله أحكم الحاكمين، وأنه بكل شيء وحاصل هذا، أن ما فيها من الخلق الباهر،

سورة 51

به المكذبون، ويعرض عن العمل له العاملون. والمراد بالذاريات: هي الرياح التي تذر، في هبوبها ذروا بلينها، ولطفها، ولطفها وقوتها، وإزعاجها. 1
الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا محالة، ما له من دافع، فإذا أخبر به الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام الأدلة والبراهين عليه، فلم يكذب هذا قسم من الله الصادق في قيله، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح والمنافع، ما جعل على أن وعده صدق، وأن الدين قتل الخراصون أي: قاتل الله الذين كذبوا على الله، وجحدوا آياته، وخاضوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون. 10
يقول تعالى:

الذين هم في غمرة أي: في لجة من الكفر، والجهل، والضلال، ساهون 11

يسألون على وجه الشك والتكذيب أيان يبعثون أي: متى يبعثون، مستبشرين لذلك، فلا تسأل عن حالهم وسوء مآلهم 12

يوم هم على النار يفتنون أي: يعذبون بسبب ما انطوا عليه من خبث الباطن والظاهر. 13

هذا العذاب، الذي وصلت إليه، هو الذي كنتم به تستعجلون فالآن، تمتعوا بأنواع العقاب والنكال والسلاسل والأغلال، والسخط والوبال. 14
ويقال لهم: ذوقوا فتننكم أي: العذاب والنار، الذي هو أثر ما افتتنوا به، من الابتلاء الذي صيرهم إلى الكفر، والضلال،

العيون إلى مثله، ولم تسمع الأذان، ولم يخطر على قلوب العباد وعيون سارحة، تشرب منها تلك البساتين، ويشرب بها عباد الله، يفجرونها تفجيروا. 15
وطاعة الله دنائهم، في جنات مشتملات على جميع أصناف الأشجار، والفواكه، التي يوجد لها نظير في الدنيا، والتي لا يوجد لها نظير، مما لم تنظر يقول تعالى في ذكر ثواب المتقين وأعمالهم، التي أوصلتهم إلى ذلك الجزاء: إن المتقين أي: الذين كانت التقوى شعارهم،

إلى الممالك، والبهائم المملوكة، وغير المملوكة من أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق، صلاة الليل، الدالة على الإخلاص، وتواطؤ القلب واللسان. 16
نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو غير ذلك من وجوه الإحسان وطرق الخيرات، حتى إنه يدخل في ذلك، الإحسان بالقول، والكلام اللين، والإحسان لإحسانهم بعبادة ربهم، بأن يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم، وللإحسان إلى عباد الله ببذل النفع والإحسان، من مال، أو علم، أو جاه أو الأول، أصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا، وأعمالهم بقوله: إنهم كانوا قبل ذلك الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم محسنين وهذا شامل بالانزجار عنه لله، على أكمل وجه، فإن الذي أعطاهم الله من الأوامر والنواهي، هو أفضل العطايا، التي حقها، أن تتلقى بالشكر لله عليها، والانقياد والمعنى وأنهم أخذوا ما آتاهم الله، من الأوامر والنواهي، أي: قد تلقوها بالرحب، وانشرح الصدر، منقادين لما أمر الله به، بالامتثال على أكمل الوجوه، ولما نهى عنه، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلا، ولا ييغون عنه حولا، وكل قد ناله من النعيم، ما لا يطلب عليه المزيد، ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، ما آتاهم ربهم يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك، راضين به، قد قرت به أعينهم، آخذين

من الليل ما يهجعون أي: كان هجوعهم أي: نومهم بالليل، قليلا، وأما أكثر الليل، فإنهم قانتون لربهم، ما بين صلاة، وقراءة، وذكر، ودعاء، وتضرع. 17
كانوا أي: المحسنون قليلا

المذنب لذنبه، وللأستغفار بالأسحار، فضيلة وخصيصة، ليست لغيره، كما قال تعالى في وصف أهل الإيمان والطاعة: والمستغفرين بالأسحار 18
التي هي قبيل الفجر هم يستغفرون الله تعالى، فمدوا صلاتهم إلى السحر، ثم جلسوا في خاتمة قيامهم بالليل، يستغفرون الله تعالى، استغفار وبالأسحار

وفي أموالهم حق واجب ومستحب للسائل والمحروم أي: للمحتاجين الذين يطلبون من الناس، والذين لا يطلبون منهم 19

فالحاملات وقرا السحاب، تحمل الماء الكثير، الذي ينفع الله به البلاد والعباد. 2

وأنهار، وأشجار، ونبات تدل المتفكر فيها، المتأمل لمعانيها، على عظمة خالقها، وسعة سلطانه، وعميم إحسانه، وإحاطة علمه، بالظواهر والبواطن. 20
يقول تعالى داعيا عباده إلى التفكير والاعتبار: وفي الأرض آيات للموقنين وذلك شامل لنفس الأرض، وما فيها، من جبال وبحار،

كذلك في نفس العبد من العبر والحكمة والرحمة ما يدل على أن الله وحده الأحد الفرد الصمد، وأنه لم يخلق الخلق سدى. 21

تفسير السعدي

- رزقكم، من الأمطار، وصنوف الأقدار، الرزق الديني والدنيوي، وما توعدون من الجزاء في الدنيا والآخرة، فإنه ينزل من عند الله، كسائر الأقدار. 22 وفي السماء رزقكم أي مادة
- وهو النطق، فقال: فارب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون فكما لا تشكون في نطقكم، فكذلك لا ينبغي الشك في البعث بعد الموت 23 فلما بين الآيات ونبه عليها تنبيهها، ينتبه به الذكي اللبيب، أقسم تعالى على أن وعده وجزاءه حق، وشبه ذلك، بأظهر الأشياء لنا
- المكرمين ونباههم الغريب العجيب، وهم: الملائكة، الذين أرسلهم الله، لإهلاك قوم لوط، وأمرهم بالمرور على إبراهيم، فجاؤوه في صورة أضياف. 24 يقول تعالى: هل أتاك أي: أما جاءك حديث ضيف إبراهيم
- فقالوا سلاما قال مجيبا لهم سلام أي: عليكم قوم منكرون أي: أنتم قوم منكرون، فأحب أن تعرفوني بأنفسكم، ولم يعرفهم إلا بعد ذلك. 25 إذ دخلوا عليه
- ولهذا راغ إلى أهله أي: ذهب سريعا في خفية، ليحضر لهم قراهم، فجاء بعجل سمين 26
- فقربه إليهم وعرض عليهم الأكل، ف قال ألا تأكلون 27
- فأوجس منهم خيفة حين رأى أيديهم لا تصل إليه، قالوا لا تخف وأخبروه بما جاؤوا له وبشروه بغلام عليم وهو: إسحاق عليه السلام. 28
- رحمي للولادة أصلا، فثم مانعان، كل منهما مانع من الولد، وقد ذكرت المانع الثالث في سورة هود بقولها: وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب 29 المخالفة للطبيعة والعادة، وقالت عجوز عقيم أي: أنى لي الولد، وأنا عجوز، قد بلغت من السن، ما لا تلد معه النساء، ومع ذلك، فأنا عقيم، غير صالح
- أقبلت فرحة مستبشرة في صرة أي: صيحة فصكت وجهها وهذا من جنس ما يجري من لنساء عند السرور ونحوه من الأقوال والأفعال فلما سمعت المرأة البشارة
- فالجاريات يسرا النجوم، التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها السماوات، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها. 3
- عجب في قدرة الله تعالى إنه هو الحكيم العليم أي: الذي يضع الأشياء مواضعها، وقد وسع كل شيء علما فسلموا لحكمه، واشكروه على نعمته. 30 قالوا كذلك قال ربك أي: الله الذي قدر ذلك وأمضاه، فلا
- لهم إبراهيم عليه السلام: فما خطبكم أيها المرسلون الآيات، أي: ما شأنكم وما تريدون؟ لأنه استشعر أنهم رسل، أرسلهم الله لبعض الشئون المهمة. 31 قال
- إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين وهم قوم لوط، قد أجرموا، أشركوا بالله، وكذبوا رسولهم، وأتوا الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم إليها أحد من العالمين. 32 قالوا
- لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين أي: معلمة، على كل حجر منها سمة صاحبه لأنهم أسرفوا، وتجاوزوا الحد 33
- يجادلهم في قوم لوط، لعل الله يدفع عنهم العذاب، فقال الله: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود 34 لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين أي: معلمة، على كل حجر منها سمة صاحبه لأنهم أسرفوا، وتجاوزوا الحد فجعل إبراهيم
- فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهم بيت لوط عليه السلام، إلا امرأته، فإنها من المهلكين. 35
- وهم بيت لوط عليه السلام، إلا امرأته، فإنها من المهلكين. 36
- امرأة إبراهيم، حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها، وصرتها غير المعهودة. ومنها: ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة، بغلام عليم. 37
- ما يؤمن روعه، ويسكن جأشه، كما قالت الملائكة لإبراهيم لما خافهم: لا تخف وأخبروه بتلك البشارة السارة، بعد الخوف منهم. ومنها: شدة فرح سارة، أو: ألا تتفضلون علينا وتشرفوننا وتحسنون إلينا ونحوه. ومنها: أن من خاف من الإنسان لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له بل أتى بأداة العرض، فقال: ألا تأكلون فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: ألا تأكلون خصوصا، عند تقديم الطعام إليه، فإن إبراهيم عرض عليهم عرضا لطيفا، وقال: ألا تأكلون ولم يقل: كلوا ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها، المكان الذي هم فيه، ولم يجعله في موضع، ويقول لهم: تفضلوا، أو اثنوا إليه لأن هذا أيسر عليهم وأحسن. ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، يأتي به من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك. ومنها: أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وكبير من ضيف الضيفان. ومنها: أنه قربه إليهم في عليه السلام، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون. ومنها: ما من الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضرا عنده وفي بيته معدا، لا يحتاج إلى أن قري أضيافه. ومنها: أن الذبيحة الحاضرة، التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم ولم يقل: أنكرتكم وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفى. ومنها: المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله ولهذا بادر إبراهيم بإحضار مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك، فوائد كثيرة. ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: قوم منكرون وإنما سلكوا طريق الأدب، في الابتداء السلام فرد عليهم إبراهيم سلاما، أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتى به جملة اسمية، دالة على الثبوت والاستمرار. ومنها:

تفسير السعدي

- قولا وفعلًا، ومكرمون أيضا عند الله تعالى. ومنها: أن إبراهيم عليه السلام، قد كان بيته، مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول، والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم، بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم، ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة، الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله هذا النبي وأمته، أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له والثناء. ومنها: وصلت بهم الأحوال. ومنها: فضل إبراهيم الخليل، عليه الصلاة والسلام، حيث ابتدأ الله قصته، بما يدل على الاهتمام بشأنها، والاعتناء بها. ومنها: مشروعية مصدقون. فصل في ذكر بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم والأحكام منها: أن من الحكمة، قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بحالهم وأين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، يعتبرون بها ويعلمون، أن الله شديد العقاب، وأن رسله صادقون، وما أرسله الله به إلى فرعون وملئه، بالآيات البينات، والمعجزات الظاهرات، آية للذين يخافون العذاب الأليم، فلما أتى موسى بذلك السلطان المبين 38 أي: وفي موسى
- وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقال موسى لفرعون: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر الآية، 39 شعبذة ليس من الحق في شيء، وإما أن يكون مجنونًا، لا يؤخذ بما صدر منه، لعدم عقله. هذا، وقد علموا، خصوصا فرعون، أن موسى صادق، كما قال تعالى: بركته أي: أعرض بجانبه عن الحق، ولم يلتفت إليه، وقدر فيه أعظم القدر فقالوا: ساحر أو مجنون أي: إن موسى، لا يخلو، إما أن يكون أتى به فتولى فرعون
- تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا وأمور الآخرة، لا يتعدى ما قدر له وما حد ورسم، ولا ينقص منه. 40 فالمقسمات أمرا الملائكة التي
- فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم أي: مذنب طاع، عات على الله، فأخذه عزيز مقتدر. 40
- أي وفي عاد القليلة المعروفة آية عظيمة إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم أي: التي لا خير فيها، حين كذبوا نبيهم هودا عليه السلام. 41 جعلته كالريميم أي: كالريميم البالية، فالذي أهلكهم على قوتهم وبطشهم، دليل على كمال قوته واقتداره، الذي لا يعجزه شيء، المنتقم ممن عصاه. 42 ما تذر من شيء أنت عليه إلا
- أرسل الله إليهم صالحا عليه السلام، فكذبوه وعاندوه، وبعث الله له الناقة، آية مبصرة، فلم يزداهم ذلك إلا عتوا ونفورا. فليل لهم تمتعوا حتى حين 43 أي وفي ثمود آية عظيمة، حين
- فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة أي: الصيحة العظيمة المهلكة وهم ينظرون إلى عقوبتهم بأعينهم. 44
- فما استطاعوا من قيام ينجون به من العذاب، وما كانوا منتصرين لأنفسهم. 45
- فأرسل الله عليهم السماء والأرض بالماء المنهمر، فأغرقهم الله تعالى عن آخرهم، ولم يبق من الكافرين ديارا، وهذه عادة الله وسنته، فيمن عصاه. 46 أي: وكذلك ما فعل الله بقوم نوح، حين كذبوا نوحا عليه السلام وفسقوا عن أمر الله،
- إليها من الرزق، ما يكفيها، وساق إليها من الإحسان ما يغنيها. فسبحان من عم بجوده جميع المخلوقات، وتبارك الذي وسعت رحمته جميع البريات. 47 لأرجائها وأنعائها، وإنا لموسعون أيضا على عبادنا، بالرزق الذي ما ترك الله دابة في مهامه القفار، ولجج البحار، وأقطار العالم العلوي والسفلي، إلا وأوصل تعالى مبينا لقدرته العظيمة: والسماء بنيانها أي: خلقناها وأتقناها، وجعلناها سقفا للأرض وما عليها. بأيدي أي: بقوة وقدرة عظيمة وإنا لموسعون يقول
- أحسن مهاد، على أكمل الوجوه وأحسنها، وأثنى على نفسه بذلك فقال: فنعم الماهدون الذي مهد لعباده ما اقتضته حكمته ورحمته وإحسانه. 48 وسلوك للطرق الموصلة إلى مقاصدهم ومآربهم، ولما كان الفراش، قد يكون صالحا للارتفاع من كل وجه، وقد يكون من وجه دون وجه، أخبر تعالى أنه مهدها والأرض فرشناها أي: جعلناها فراشا للخلق، يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم، من مساكن، وغراس، وزرع، وحرث وجلوس،
- تقدير ذلك، وحكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها، لتقوموا بتنميتها وخدمتها وتربيتها، فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع. 49 ومن كل شيء خلقنا زوجين أي: صنفين، ذكر وأنثى، من كل نوع من أنواع الحيوانات، لعلكم تذكرون لنعم الله التي أنعم بها عليكم في
- تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا وأمور الآخرة، لا يتعدى ما قدر له وما حد ورسم، ولا ينقص منه. 50 فالمقسمات أمرا الملائكة التي
- فررت منه إلى الله تعالى، فإنه بحسب الخوف منه، يكون الفرار إليه، إني لكم منه نذير مبين أي: منذر لكم من عذاب الله، ومخوف بين النذارة. 50
- المخاوف والمكاره، وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن، والسرور والسعادة والفوز، فيفر العبد من قضاؤه وقدره، إلى قضاؤه وقدره، وكل من خفت منه هذه الأمور، فقد استكمل الدين كله وقد زال عنه المرهوب، وحصل له، نهاية المراد والمطلوب. وسمى الله الرجوع إليه، فرارا، لأن في الرجوع لغيره، أنواع ظاهرا وباطنا، إلى ما يحبه، ظاهرا وباطنا، فرار من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى ذكر الله فمن استكمل

تفسير السعدي

- فلما دعا العباد النظر إلى آياته الموجبة لخشيته والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه أي: الفرار مما يكرهه الله من اتخاذ آلهة غير الله، من الأوثان، والأنداد والقبور، وغيرها، مما عبد من دون الله، ويخلص العبد لربه العبادة والخوف، والرجاء والدعاء، والإنابة. 51 ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر هذا من الفرار إلى الله، بل هذا أصل الفرار إليه أن يفر العبد الشنيعة، ما هو منزعه عنه، وأن هذه الأقوال، ما زالت دأباً وعادة للمجرمين المكذبين للرسل فما أرسل الله من رسول، إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون. 52 يقول الله مسلماً لرسوله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب المشركين بالله، المكذبين له، القائلين فيه من الأقوال المؤمنين، لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق وطلبه، والسعي فيه، بادروا إلى الإيمان برسولهم وتعظيمهم، وتوقيرهم، وخطابهم بالخطاب اللائق بهم. 53 طغيانهم؟ وهذا هو الواقع، كما قال تعالى: وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم وكذلك بعضهم بعضاً بها؟ فلا يستغرب بسبب ذلك اتفاقهم عليها: أم هم قوم طاغون تشابهت قلوبهم وأعمالهم بالكفر والطغيان، فتشابهت أقوالهم الناشئة عن يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم الأولين والآخرين هل هي أقوال تواصلوا بها، ولقن فتول عنهم أي: لا تبال بهم ولا تؤاخذهم، وأقبل على شأنك. فليس عليك لوم في ذنبهم، وإنما عليك البلاغ، وقد أدبت ما حملت، وبلغت ما أرسلت به. 54 يقول تعالى أمراً رسوله بالإعراض عن المعرضين المكذبين: التذكير، فهذا لا ينفع تذكيره، بمنزلة الأرض السبخة، التي لا يفيدها المطر شيئاً، وهؤلاء الصنف، لو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم. 55 وتقع الموعظة منهم موقعها كما قال تعالى: فذكر إن نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى وأما من ليس له معه إيمان ولا استعداد لقبول لهم الانتفاع والارتفاع. وأخبر الله أن الذكرى تنفع المؤمنين، لأن ما معهم من الإيمان والخشية والإنابة، واتباع رضوان الله، يوجب لهم أن تنفع فيهم الذكرى، انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيذكرون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروهم، من ذلك، وليحدث لهم نشاطاً وهممة، وتوجب أن يذكر ما في الأمور به، من الخير والحسن والمصالح، وما في المنهي عنه، من المضار. والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكرهه الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك، فكل أمر ونهي من الشرع، فإنه من التذكير، وتام التذكير، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين والتذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم. 56 جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث تعالى الله الغني المغني عن الحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وإنما جميع الخلق، فقراء إليه، في جميع حوائجهم ومطالبهم، الضرورية وغيرها، 57 فما يريد منهم من رزق وما يريد أن يطمعوه، وابتلعتهم الطيور والسباع، وتفرقوا وتمزقوا في مهامهم القفار، ولجج البحار، فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين. 58 ولا يخرج عن سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم، ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعد ما مزقهم البلى، وعصفت بترابهم الرياح، العظيمة، السفلية والعلوية، وبها تصرف في الظواهر والبواطن، ونفذت مشيئته في جميع البريات، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، ذو القوة المتين أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام إن الله هو الرزاق أي: كثير الرزق، الذي ما في الأمم واحدة، فكل مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة وإنابة، فإنه لا بد أن يقع عليه العذاب، ولو تأخر عنه مدة، ولهذا توعدهم الله بيوم القيامة 59 الله عليه وسلم، من العذاب والنكال ذنوباً أي: نصيباً وقسطاً، مثل ما فعل بأصحابهم من أهل الظلم والتكذيب. فلا يستعجلون بالعذاب، فإن سنة الله أي: وإن للذين ظلموا وكذبوا محمداً صلى تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا وأمور الآخرة، لا يتعدى ما قدر له وما حد ورسم، ولا ينقص منه. 60 فالمقسمات أمراً الملائكة التي وهو يوم القيامة، الذي قد وعدوا فيه بأنواع العذاب والنكال والسلاسل والأغلال، فلا مغيب لهم، ولا منقذ من عذاب الله تعالى نعوذ بالله منه. 60 فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون أي: والسماء ذات الطرائق الحسنة، التي تشبه حبك الرمال، ومياه الغدران، حين يحركها النسيم. 7 من يقول ساحر، ومنكم من يقول كاهن، ومنكم من يقول: مجنون، إلى غير ذلك من الأقوال المختلفة، الدالة على حيرتهم وشكهم، وأن ما هم عليه باطل. 8 إنكم أيها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم، لفي قول مختلف منكم، يصدق بعضه بعضاً، لا تناقض فيه، ولا اختلاف، وذلك، دليل على صحته، وأنه من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً 9

الإيمان، وانصرف قلبه عن أدلة الله اليقينية وبراهينه، واختلاف قولهم، دليل على فساده وبطلانه، كما أن الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، متفق يؤفك عنه من أفك أي: يصرف عنه من صرف عن

سورة 52

- وأوحى إليه ما أوحى من الأحكام، وفي ذلك من المنة عليه وعلى أمته، ما هو من آيات الله العظيمة، ونعمه التي لا يقدر العباد لها على عد ولا ثمن. 1
- على الحكم الجليلة، على البعث والجزاء للمتقين والمكذابين، فأقسم بالطور الذي هو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، يقسم تعالى بهذه الأمور العظيمة، المشتملة
- وذلك كله لعظم هول يوم القيامة، وفظاعة ما فيه من الأمور المزعجة، والزلازل المقلقة، التي أزجت هذه الأجرام العظيمة، فكيف بالآدمي الضعيف!؟ 10
- وتسير الجبال سيرا أي: تزول عن أماكنها، وتسير كسير السحاب، وتتلون كالعهن المنفوش، وتثبت بعد ذلك حتى تصير مثل الهباء،
- فويل يومئذ للمكذابين والويل: كلمة جامعة لكل عقوبة وحزن وعذاب وخوف. 11
- بالحق، والتصديق بالباطل، وأعمالهم أعمال أهل الجهل والسفه واللعب، بخلاف ما عليه أهل التصديق والإيمان من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة. 12
- الذين استحقوا به الويل، فقال: الذين هم في خوض يلعبون أي: خوض في الباطل ولعب به. فعلمهم وبحوثهم بالعلوم الضارة المتضمنة للتكذيب
- ثم ذكر وصف المكذابين
- يوم يدعون إلى نار جهنم دعا أي: يوم يدفعون إليها دفعا، ويساقون إليها سوقا عنيفا، ويجرون على وجوههم، 13
- ويقال لهم توبيخا ولوما: هذه النار التي كنتم بها تكذبون فاليوم ذوقوا عذاب الخلد الذي لا يبلغ قدره، ولا يوصف أمره. 14
- الله عليه وسلم سحر أم عدم بصيرة بكم، حتى اشتبه عليكم الأمر، وحقيقة الأمر أنه أوضح من كل شيء وأحق الحق، وأن حجة الله قامت عليهم 15
- أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الحق المبين، والصراط المستقيم أي: هذا الذي جاء به محمد صلى
- ودعته الرسل إلى الإيمان بذلك، وأقامت من الأدلة والبراهين على ذلك، ما يجعله من أعظم الأمور المبرهنة الواضحة الجلية. ويحتمل أن الإشارة بقوله:
- فقد ظهر لهم أنه أحق الحق، وأصدق الصدق، المخالف للسحر من جميع الوجوه، وأما كونهم لا يبصرون، فإن الأمر بخلاف ذلك، بل حجة الله قد قامت عليهم،
- أم أنتم في الدنيا لا تبصرون أي: لا بصيرة لكم ولا علم عندهم، بل كنتم جاهلين بهذا الأمر، لم تقم عليكم الحجة؟ والجواب انتفاء الأمرين: أما كونه سحرا،
- يحتمل أن الإشارة إلى النار والعذاب، كما يدل عليه سياق الآية أي: لما رأوا النار والعذاب قيل لهم من باب التقرير: أهذا سحر لا حقيقة له، فقد رأيتموه،
- أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون
- إذا صبر العبد عليها هانت مشقتها وزالت شدتها. وإنما فعل بهم ذلك، بسبب أعمالهم الخبيثة وكسبهم، ولهذا قال إنما تجزون ما كنتم تعملون 16
- فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم أي: لا يفيدكم الصبر على النار شيئا، ولا يتأسى بعضكم ببعض، ولا يخفف عنكم العذاب، وليست من الأمور التي
- اصلوها أي: ادخلوا النار على وجه تحيط بكم، وتستوعب جميع أبدانكم وتطلع على أفئدتكم.
- اكتست رياضها من الأشجار الملتفة، والأنهار المتدفقة، والقصور المحدقة، والمنازل المزخرفة، ونعيم وهذا شامل لنعيم القلب والروح والبدن 17
- الخوف والرجاء، فقال: إن المتقين لربهم، الذين اتقوا سخطه وعذابه، بفعل أسبابه من امتثال الأوامر واجتناب النواهي. في جنات أي: بساتين، قد
- لما ذكر تعالى عقوبة المكذابين، ذكر نعيم المتقين، ليجمع بين الترغيب والترهيب، فتكون القلوب بين
- نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، ووقاهم عذاب الجحيم، وفرزهم المحبوب، ونجاهم من المرهوب، لما فعلوا ما أحبه الله، وجانبوا ما يسخطه وبأباه. 18
- فاكهين بما آتاهم ربهم أي: معجبين به، متمتعين على وجه الفرح والسرور بما أعطاهم الله من النعيم الذي لا يمكن وصفه، ولا تعلم
- المأكل والمشارب على وجه الفرح والسرور والبهجة والحبور. بما كنتم تعملون أي: نلتهم ما نلتهم بسبب أعمالكم الحسنة، وأقوالكم المستحسنة. 19
- كلوا واشربوا أي: مما تشتهي أنفسكم، من أصناف المأكول والمشرب اللذيذة، هنينا أي: متهنئين بتلك
- الله به كل شيء، ويحتمل أن المراد به القرآن الكريم، الذي هو أفضل كتاب أنزله الله محتويا على نبا الأولين والآخرين، وعلوم السابقين واللاحقين. 2
- وكتاب مسطور يحتمل أن المراد به اللوح المحفوظ، الذي كتب

ويسلبن عقول العالمين، وتكاد الأفئدة أن تطيش شوقا إليهن، ورغبة في وصالهن، والعين: حسان الأعين مليحاتها، التي صفا بياضها وسوادها. 20

وزوجناهم بحور عين وهن النساء اللواتي قد جمعن من جمال الصورة الظاهرة وبهاءها، ومن الأخلاق الفاضلة، ما يوجب أن يحيرن بحسنهن الناضرين،

والمجالس الحسنة الأنيقة، لم يبق إلا التمتع بالنساء اللاتي لا يتم سرور بدونهن فذكر الله أن لهم من الأزواج أكمل النساء أوصافا وخلقا وأخلاقا، ولهذا قال:

معاشرتهم، ولطف كلام بعضهم لبعض فلما اجتمع لهم من نعيم القلب والروح والبدن ما لا يخطر بالبال، ولا يدور في الخيال، من المأكول والمشرب اللذيذة،

تفسير السعدي

- بأنواع الزينة من اللباس الفاخر والفرش الزاهية. ووصف الله السرر بأنها مصفوفة، ليدل ذلك على كثرتها، وحسن تنظيمها، واجتماع أهلها وسرورهم، بحسن متكئين على سرر مصفوفة الاتكاء: هو الجلوس على وجه التمكن والراحة والاستقرار، والسرر: هي الأرائك المزينة
- كل امرئ بما كسب رهين أي: مرتين بعمله، فلا تزر وازرة وزر أخرى، ولا يحمل على أحد ذنب أحد. هذا اعتراض من فوائده إزالة الوهم المذكور. 21
- كذلك، يلحق الله بهم أبناءهم وذريتهم، أخبر أنه ليس حكم الدارين حكما واحدا، فإن النار دار العدل، ومن عدله تعالى أن لا يعذب أحدا إلا بذنب، ولهذا قال: آبائهم في الجنة وإن لم يبلغوها، جزاء لآبائهم، وزيادة في ثوابهم، ومع ذلك، لا ينقص الله الآباء من أعمالهم شيئا، ولما كان ربما توهم متوهم أن أهل النار الصادر من آبائهم، فصارت الذرية تبعا لهم بالإيمان، ومن باب أولى إذا تبعتهم ذريتهم بإيمانهم الصادر منهم أنفسهم، فهؤلاء المذكورون، يلحقهم الله بمنازل وهذا من تمام نعيم أهل الجنة، أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان أي: الذين لحقوهم بالإيمان
- والتفاح، وأصناف الفواكه اللذيذة الزائدة على ما به يتقوتون، ولحم مما يشتهون من كل ما طلبوه واشتهته أنفسهم، من لحم الطير وغيرها. 22
- وأمددناهم أي: أمددنا أهل الجنة من فضلنا الواسع ورزقنا العميم، بفاكهة من العنب والرمان
- مفرح للقلوب، يتعاضون أحسن عشرة، ويتنادمون أطيب المنادمة، ولا يسمعون من ربه، إلا ما يقر أعينهم، ويدل على رضاه عنهم ومحبتهم لهم. 23
- لغو، وهو الذي لا فائدة فيه ولا تأثيم، وهو الذي فيه إثم ومعصية، وإذا انتفى الأمران، ثبت الأمر الثالث، وهو أن كلامهم فيها سلام طيب طاهر، مسر للنفوس، الرحيق والخمر عليهم، ويتعاطونها فيما بينهم، وتطوف عليهم الولدان المخلدون بأكواب وأباريق وكأس لا لغو فيها ولا تأثيم أي: ليس في الجنة كلام يتنازعون فيها كأسا أي: تدور كاسات
- كانهم لؤلؤ مكنون من حسنهم وبهائهم، يدورون عليهم بالخدمة وقضاء ما يحتاجون إليه وهذا يدل على كثرة نعيمهم وسعته، وكمال راحتهم. 24
- ويطوف عليهم غلمان لهم أي: خدم شباب
- وأقبل بعضهم على بعض يتسألون عن أمور الدنيا وأحوالها. 25
- من الحبرة والسرون: إنا كنا قبل أي: في دار الدنيا في أهلنا مشفقين أي: خائفين وجلين، فتركنا من خوفه الذنوب، وأصلحنا لذلك العيوب. 26
- قالوا في ذكر بيان الذي أوصلهم إلى ما هم فيه
- فمن الله علينا بالهداية والتوفيق، ووقانا عذاب السموم أي: العذاب الحار الشديد حره. 27
- نزل نتقرب إليه بأنواع القربات وندعوه في سائر الأوقات، إنه هو البر الرحيم فمن بره بنا ورحمته إيانا، أنالنا رضاه والجنة، ووقانا سخطه والنار. 28
- إنا كنا من قبل ندعوه أن يقينا عذاب السموم، ويوصلنا إلى النعيم، وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة أي: لم
- الغيوب، التي يضم إليها مائة كذبة، ولا مجنون فاقد للعقل، بل أنت أكمل الناس عقلا، وأبعدهم عن الشياطين، وأعظمهم صدقا، وأجلهم وأكملهم. 29
- علمهم أنه أبعد الناس عنها، ولهذا نفى عنه كل نقص رموه به فقال: فما أنت بنعمة ربك أي: منه ولطفه، بكاهن أي: له رني من الجن، يأتيه بأخبار بعض لتقوم حجة الله على الظالمين، ويهتدي بتذكيره الموفقون، وأنه لا يبالي بقول المشركين المكذبين وأذيتهم وأقوالهم التي يصدون بها الناس عن اتباعه، مع يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يذكر الناس، مسلمهم وكافرهم،
- وقوله: في رق أي: ورق منشور أي: مكتوب مسطر، ظاهر غير خفي، لا تخفى حاله على كل عاقل بصير. 3
- والذي جاء به شعر، والله يقول: وما علمناه الشعر وما ينبغي له نترصد به ريب المنون أي: نتتظر به الموت فسيبطل أمره، ونستريح منه. 30
- وتارة يقولون فيه: إنه شاعر يقول الشعر،
- لهذا الكلام السخيف: تريضوا أي: انتظروا بي الموت، فإني معكم من المتربصين نترصد بكم، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، أو بأيدينا، 31
- قل لهم جوابا
- حملهم على ذلك ظلمهم وطغيانهم؟ وهو الواقع، فالطغيان ليس له حد يقف عليه، فلا يستغرب من الطاغية المتجاوز الحد كل قول وفعل صدر منه. 32
- أثرت، وصدر منها ما صدر فإن عقولا جعلت أكمل الخلق عقلا مجنونا، وأصدق الصدق وأحق الحق كذبا وباطلا، لهي العقول التي ينزه المجانين عنها، أم الذي أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أي: أهذا التكذيب لك، والأقوال التي قالوها؟ هل صدرت عن عقولهم وأحلامهم؟ فبئس العقول والأحلام، التي أثرت ما أم تأمرهم
- أم يقولون تقوله أي: تقول محمد القرآن، وقاله من تلقاء نفسه؟ بل لا يؤمنون فلو آمنوا، لم يقولوا ما قالوا. 33
- والجن، لم تقدر على معارضته والإتيان بمثله، فحينئذ أنتم بين أمرين: إما مؤمنون به، مهتدون بهديه، وإما معاندون متبعون لما علمتم من الباطل. 34
- أنه تقوله، فإنكم العرب الفصحاء، والفحول البلغاء، وقد تحداكم أن تأتوا بمثله، فتصدق معارضتكم أو تقرروا بصدقه، وأنكم لو اجتمعتم، أنتم والإنس فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين
- تعين القسم الثالث أن الله الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن الله تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى. 35

تفسير السعدي

ولا موجد، وهذا عين المحال. أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم فإذا بطل هذان الأمران، وبان استحالتهم، أن الله خلقهم. وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير إيجاد عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون وهذا استدلال

فيكونوا شركاء لله، وهذا أمر واضح جدا. ولكن المكذبين لا يوقنون أي: ليس عندهم علم تام، ويقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشرعية والعقلية. 36 أم خلقوا السماوات والأرض وهذا استفهام يدل على تقرير النفي أي: ما خلقوا السماوات والأرض،

معيشتهم في الحياة الدنيا أم هم المسيطرون أي: المتسلطون على خلق الله وملكه، بالقهر والغلبة؟ ليس الأمر كذلك، بل هم العاجزون الفقراء 37 خزائن رحمة الله، وهم أحقر وأذل من ذلك، فليس في أيديهم لأنفسهم نفع ولا ضرر، ولا موت ولا حياة ولا نشور. أ هم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم من يشاءون ويمنعون من يريدون؟ أي: فلذلك حجروا على الله أن يعطي النبوة عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، وكأنهم الوكلاء المفوضون على أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أي: أعند هؤلاء المكذبين خزائن رحمة ربك، فيعطون

من الأدلة والبراهين على ما أخبر به، ما يوجب أن يكون خبره عين اليقين وأكمل الصدق، وهم لم يقيموا على ما ادعوه شبهة، فضلا عن إقامة حجة. 38 ذلك من أخباره الصادقة، والمكذبون هم أهل الجهل والضلال والغي والعداء، فأى المخبرين أحق بقبول خبره؟ خصوصا والرسول صلى الله عليه وسلم قد أقام يخبره بما أراد من علمه. وإذا كان محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل وأعلمهم وإمامهم، وهو المخبر بما أخبر به، من توحيد الله، ووعدته، ووعدته، وغير فليأت مستمعهم المدعي لذلك بسلطان مبين وأنى له ذلك؟ والله تعالى عالم الغيب والشهادة، فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول أم لهم سلم يستمعون فيه أي: أ لهم اطلاع على الغيب، واستماع له بين الملأ الأعلى، فيخبرون عن أمور لا يعلمها غيرهم؟

ولكم البنون فتجمعون بين المحذورين؟ جعلكم له الولد، واختياركم له أنقص الصنفين؟ فهل بعد هذا التنقص لرب العالمين غاية أو دونه نهاية؟ 39 أم له البنات كما زعمتم

العظام، التي لا يتم إلا بها، وهو الذي بناه إبراهيم وإسماعيل، وجعله الله مثابة للناس وأمنا، أن يقسم الله به، ويبين من عظمت ما هو اللائق به وبحرمته. 4 بالحج والعمرة. كما أقسم الله به في قوله: وهذا البلد الأمين وحقيق ببيت أفضل بيوت الأرض، الذي قصده بالحج والعمرة، أحد أركان الإسلام، ومبانيه فيه لربهم ثم، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة وقيل: إن البيت المعمور هو بيت الله الحرام، والمعمور بالطائفين والمصلين والذاكرين كل وقت، وبالوفود إليه والبيت المعمور وهو البيت الذي فوق السماء السابعة، المعمور مدى الأوقات بالملائكة الكرام، الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يتعبدون

شيء، بل تبذل لهم الأموال الجزيلة، على قبول رسالتك، والاستجابة لأمركو دعوتك، وتعطي المؤلف قلوبهم ليتمكن العلم والإيمان من قلوبهم. 40 أم تسألهم يا أيها الرسول أجرا على تبليغ الرسالة، فهم من مغرم مثقلون ليس الأمر كذلك، بل أنت الحرص على تعليمهم، تبرعا من غير

عليه أحدا من الخلق، وهذا كله إلزام لهم بالطرق العقلية والنقلية على فساد قولهم، وتصوير بطلانه بأحسن الطرق وأوضحها وأسلمها من الاعتراض. 41 علم أنهم الأمة الأمية، الجهال الضالون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي عنده من العلم أعظم من غيره، وأنباه الله من علم الغيب على ما لم يطلع الغيب فهم يكتبون ما كانوا يعلمونه من الغيوب، فيكونون قد اطلعوا على ما لم يطلع عليه رسول الله، فعارضوه وعاندوه بما عندهم من علم الغيب؟ وقد أم عندهم

إليهم، وقد فعل الله ذلك ولله الحمد فلم يبق الكفار من مقدورهم من المكر شيئا إلا فعلوه، فنصر الله نبيه ودينه عليهم وخذلهم وانتصر منهم. 42 بقدرهم فيك وفيما جئتهم به كيدا يبطلون به دينك، ويفسدون به أملك؟ فالذين كفروا هم المكيدون أي: كيدهم في نحورهم، ومضرتهم عائدة وقوله: أم يريدون

الأسماء والصفات، كثير النعوت الحسنة، والأفعال الجميلة، ذو الجلال والإكرام، والعز الذي لا يرام، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الكبير الحميد المجيد. 43 القاطعة، وأن ما عليه المشركون هو الباطل، وأن الذي ينبغي أن يعبد ويصلى له ويسجد ويخلص له دعاء العبادة ودعاء المسألة، هو الله المألوه المعبود، كامل له شريك في الملك، ولا شريك في الوجدانية والعبادة، وهذا هو المقصود من الكلام الذي سبق لأجله، وهو بطلان عبادة ما سوى الله وبيان فسادها بتلك الأدلة أم لهم إله غير الله أي: أ لهم إله يدعى ويرجى نفعه، ويخاف من ضره، غير الله تعالى؟ سبحان الله عما يشركون فليس

يقولوا سبحانه مركوم أي: هذا سبحانه متراكم على العادة أي: فلا يبالون بما رأوا من الآيات ولا يعتبرون بها، وهؤلاء لا دواء لهم إلا العذاب والنكال 44 كل دليل لما اتبعوه، ولخالفوه وعاندوه، وإن يروا كسفا من السماء ساقطا أي: لو سقط عليهم من السماء من الآيات الباهرة كسف أي: قطع كبار من العذاب يقول تعالى في ذكر بيان أن المشركين المكذبين بالحق الواضح، قد عتوا عن الحق وعسوا على الباطل، وأنه لو قام على الحق

فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو يوم القيامة الذي يصيبهم فيه من العذاب والنكال، ما لا يقادر قدره، ولا يوصف أمره. 45

في الدنيا قد يوجد منهم كيد يعيشون به زمنا قليلا، فيوم القيامة يضمحل كيدهم، وتبطل مساعيهم، ولا ينتصرون من عذاب الله ولا هم ينصرون 46

تفسير السعدي

يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا أي: لا قليلا ولا كثيرا، وإن كان

الدنيا، بالقتل والسبي والإخراج من الديار، ولعذاب البرزخ والقبر، ولكن أكثرهم لا يعلمون أي: فلذلك أقاموا على ما يوجب العذاب، وشدة العقاب. 47
لما ذكر الله عذاب الظالمين في القيامة، أخبر أن لهم عذابا دون عذاب يوم القيامة وذلك شامل لعذاب

بأعيننا أي: بمراى منا وحفظ، واعتناء بأمرك، وأمره أن يستعين على الصبر بالذكر والعبادة، فقال: وسبح بحمد ربك حين تقوم أي: من الليل. 48
أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يعبأ بهم شيئا، وأن يصبر لحكم ربه القدري والشرعي بلزومه والاستقامة عليه، ووعد الله بالكفاية بقوله: فإنك
ولما بين تعالى الحجج والبراهين على بطلان أقوال المكذبين،

الخمس، بدليل قوله: ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم أي: آخر الليل، ويدخل فيه صلاة الفجر، والله أعلم. تم تفسير سورة والطور والحمد لله 49
ففيه الأمر بقيام الليل، أو حين تقوم إلى الصلوات

أي: السماء، التي جعلها الله سقفا للمخلوقات، وبناء للأرض، تستمد منها أنوارها، ويقتدى بعلاماتها ومناورها، وينزل الله منها المطر والرحمة وأنواع الرزق. 5
والسقف المرفوع

على عظمتها وسعته من أصناف العذاب. هذه الأشياء التي أقسم الله بها، مما يدل على أنها من آيات الله وأدلة توحيده، وبراهين قدرته، وبعثه الأموات 6
والفيضان، ليعيش من على وجه الأرض، من أنواع الحيوان وقيل: إن المراد بالمسجور، الموقد الذي يوقد نارا يوم القيامة، فيصير نارا تلتظي، ممتلئا
المملوء ماء، قد سجره الله، ومنعه من أن يفيض على وجه الأرض، مع أن مقتضى الطبيعة، أن يغمر وجه الأرض، ولكن حكمته اقتضت أن يمنعه عن الجريان
والبحر المسجور أي:

إن عذاب ربك لواقع أي: لا بد أن يقع، ولا يخلف الله وعده وقيله. 7

ما له من دافع يدفعه، ولا مانع يمنعه، لأن قدرة الله تعالى لا يغالها مغالب، ولا يفوتها هارب، ثم ذكر وصف ذلك اليوم، الذي يقع فيه العذاب. 8

يوم تمور السماء مورا أي: تدور السماء وتضطرب، وتدوم حركتها بانزعاج وعدم سكون، 9

سورة 53

فإن الله تعالى جعل النجوم زينة للسماء، فكذلك الوحي وآثاره زينة للأرض، فلولا العلم الموروث عن الأنبياء، لكان الناس في ظلمة أشد من الليل البهيم. 1
أن النجم، اسم جنس شامل للنجوم كلها، وأقسم بالنجوم على صحة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الوحي الإلهي، لأن في ذلك مناسبة عجيبة،
تعالى بالنجم عند هويته أي: سقوطه في الأفق في آخر الليل عند إدبار الليل وإقبال النهار، لأن في ذلك من آيات الله العظيمة، ما أوجب أن أقسم به، والصحيح
يقسم

الله بواسطة جبريل عليه السلام إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى أي: الذي أوحاه إليه من الشرع العظيم، والنبأ المستقيم. 10

فأوحى

هو عليها مرتين، مرة في الأفق الأعلى، تحت السماء الدنيا كما تقدم، والمرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم. 11
ولكن الصحيح القول الأول، وأن المراد به جبريل عليه السلام، كما يدل عليه السياق، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته الأصلية التي
صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء، وتكليمه إياه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا،
وسلم ليلة أسري به، من آيات الله العظيمة، وأنه تيقنه حقا بقلبه ورؤيته، هذا هو الصحيح في تأويل الآية الكريمة، وقيل: إن المراد بذلك رؤية الرسول
الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقيا لا شك فيه ولا شبهة ولا ريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشك بذلك. ويحتمل أن المراد بذلك ما رأى صلى الله عليه
اتفق فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا دليل على كمال الوحي الذي أوحاه
ما كذب الفؤاد ما رأى أي:

هو عليها مرتين، مرة في الأفق الأعلى، تحت السماء الدنيا كما تقدم، والمرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم. 12
ولكن الصحيح القول الأول، وأن المراد به جبريل عليه السلام، كما يدل عليه السياق، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل في صورته الأصلية التي
صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء، وتكليمه إياه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا،
وسلم ليلة أسري به، من آيات الله العظيمة، وأنه تيقنه حقا بقلبه ورؤيته، هذا هو الصحيح في تأويل الآية الكريمة، وقيل: إن المراد بذلك رؤية الرسول
الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقيا لا شك فيه ولا شبهة ولا ريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره، ولم يشك بذلك. ويحتمل أن المراد بذلك ما رأى صلى الله عليه
اتفق فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وتواطأ عليه سمعه وقلبه وبصره، وهذا دليل على كمال الوحي الذي أوحاه
ما كذب الفؤاد ما رأى أي:

ولقد رآه نزلة أخرى أي: رأى محمد جبريل مرة أخرى، نازلا إليه. 13

محمد صلى الله عليه وسلم جبريل في ذلك المكان، الذي هو محل الأرواح العلوية الزاكية الجميلة، التي لا يقربها شيطان ولا غيره من الأرواح الخبيثة. 14 إليها ما ينزل من الله، من الوحي وغيره، أو لانتهاه علم الخلق إليها أي: لكونها فوق السماوات والأرض، فهي المنتهى في علوها أو لغير ذلك، والله أعلم. فرأى عند سدره المنتهى وهي شجرة عظيمة جدا، فوق السماء السابعة، سميت سدره المنتهى، لأنه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض، وينزل بحيث كانت محلا تنتهي إليه الأماني، وترغب فيه الإرادات، وتأوي إليها الرغبات، وهذا دليل على أن الجنة في أعلى الأماكن، وفوق السماء السابعة. 15 عند تلك الشجرة جنة المأوى أي: الجنة الجامعة لكل نعيم،

إذ يغشى السدر ما يغشى أي: يغشاها من أمر الله، شيء عظيم لا يعلم وصفه إلا الله عز وجل. 16

بما أمر به، أو يقوم به على وجه التفریط، أو على وجه الإفراط، أو على وجه الحيدة يمينا وشمالا، وهذه الأمور كلها منتفية عنه صلى الله عليه وسلم. 17 عنه ولا تجاوزه ولا حاد عنه، وهذا أكمل ما يكون من الأدب العظيم، الذي فاق فيه الأولين والآخرين، فإن الإخلال يكون بأحد هذه الأمور: إما أن لا يقوم العبد زاغ يمنة ولا يسرة عن مقصوده وما طغى أي: وما تجاوز البصر، وهذا كمال الأدب منه صلوات الله وسلامه عليه، أن قام مقاما أقامه الله فيه، ولم يقصر ما زاغ البصر وما طغى أي: ما

لقد رأى من آيات ربه الكبرى من الجنة والنار، وغير ذلك من الأمور التي رآها صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به. 18

إلحادا في أسماء الله وتجريا على الشرك به، وهذه أسماء متجردة عن المعاني، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها. 19 مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا اللات من الإله المستحق للعبادة، والعزى من العزيز ومنة من المنان فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال، فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة، وهذه الأنناد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها شيء، ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى، سماها المشركون هم وأباؤهم الجهال الضلال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، والأمر بعبادة الله وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال لما ذكر تعالى ما

ما عليه أهل الضلال من فساد العلم، وفساد القصد وقال صاحبكم لينبهم على ما يعرفونه منه، من الصدق والهداية، وأنه لا يخفى عليهم أمره. 20 تنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن الضلال في علمه، والغى في قصده، ويلزم من ذلك أن يكون مهتديا في علمه، هاديا، حسن القصد، ناصحا للأمة بعكس والمقسم عليه،

إلحادا في أسماء الله وتجريا على الشرك به، وهذه أسماء متجردة عن المعاني، فكل من له أدنى مسكة من عقل، يعلم بطلان هذه الأوصاف فيها. 20 مشتقة من أوصاف هي متصفة بها، فسموا اللات من الإله المستحق للعبادة، والعزى من العزيز ومنة من المنان فخدعوا بها أنفسهم وغيرهم من الضلال، فالآلهة التي بهذه الحال، لا تستحق مثقال ذرة من العبادة، وهذه الأنناد التي سموها بهذه الأسماء، زعموا أنها شيء، ولا تنفع ولا تضر، وإنما هي أسماء فارغة عن المعنى، سماها المشركون هم وأباؤهم الجهال الضلال، ابتدعوا لها من الأسماء الباطلة التي لا تستحقها، جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، والأمر بعبادة الله وتوحيده، ذكر بطلان ما عليه المشركون من عبادة من ليس له من أوصاف الكمال لما ذكر تعالى ما

ألكم الذكر وله الأنثى أي: أتجعلون لله البنات بزعمكم، ولكم البنون؟. 21

تلك إذا قسمة ضيزى أي: ظالمة جائرة، وأي ظلم أعظم من قسمة تقتضي تفضيل العبد المخلوق على الخالق؟ تعالى عن قولهم علوا كبيرا. 22 الظن، ونهايته الشقاء الأبدي والعذاب السرمدى، فالبقاء على هذه الحال، من أسفه السفه، وأظلم الظلم، ومع ذلك يتمنون الأماني، ويغترون بأنفسهم. 23 وأقام عليه من الأدلة والبراهين، ما يوجب لهم ولغيرهم اتباعه، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة من بعد البيان والبرهان، وإذا كان ما هم عليه، غايته اتباع الهدى أي: الذي يرشدهم في باب التوحيد والنبوة، وجميع المطالب التي يحتاج إليها العباد، فكلها قد بينها الله أكمل بيان وأوضحه، وأدله على المقصود، أنفسهم من الشرك، والبدع الموافقة لأهويتهم، والحال أنه لا موجب لهم يقتضي اتباعهم الظن، من فقد العلم والهدى، ولهذا قال تعالى: ولقد جاءهم من ربهم بآبطل فاسد، لا يتخذ دينا، وهم في أنفسهم ليسوا بمتبعين لبرهان، يتيقنون به ما ذهبوا إليه، وإنما دلهم على قولهم، الظن الفاسد، والجهل الكاسد، وما تهواه إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أي: من حجة وبرهان على صحة مذهبكم، وكل أمر ما أنزل الله به من سلطان، فهو ولهذا أنكر تعالى على من زعم أنه يحصل له ما تمنى وهو كاذب في ذلك، فقال: أم للإنسان ما تمنى 24

فله الآخرة والأولى فيعطى منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، فليس الأمر تابعا لأمانيتهم، ولا موافقا لأهوائهم. 25

ما كان خالصا لوجه الله، موافقا فيه صاحبه الشريعة، فالمشركون إذا لا نصيب لهم من شفاعة الشافعين، وقد سدوا على أنفسهم رحمة أرحم الراحمين. 26 يأذن الله لمن يشاء ويرضى أي: لا بد من اجتماع الشرطين: إذنه تعالى في الشفاعة، ورضاه عن المشفوع له. ومن المعلوم المتقرر، أنه لا يقبل من العمل إلا

تفسير السعدي

- وكم من ملك في السماوات من الملائكة المقربين، وكرام الملائكة، لا تغني شفاعتهم شيئا أي: لا تفيد من دعاها وتعلق بها ورجاها، إلا من بعد أن يقول تعالى منكرا على من عبد غيره من الملائكة وغيرهم، وزعم أنها تنفعه وتشفع له عند الله يوم القيامة:
- والأفعال المحادة لله ولرسوله، من قولهم: الملائكة بنات الله فلم ينزهوا ربهم عن الولادة، ولم يكرموا الملائكة ويجلوهم عن تسميتهم إياهم إناثا. 27 يعني أن المشركين بالله المكذبين لرسوله، الذين لا يؤمنون بالآخرة، وبسبب عدم إيمانهم بالآخرة تجرأوا على ما تجرأوا عليه، من الأقوال، يتبعون في ذلك القول القبيح، وهو الظن الذي لا يغني عن الحق شيئا، فإن الحق لا بد فيه من اليقين المستفاد من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة. 28 لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، وأن الملائكة كرام مقربون إلى الله، قائمون بخدمته لا يعصون الله ما أمروهم ويفعلون ما يؤمرون والمشركون إنما ولا عن رسوله، ولا دلت على ذلك الفطر والعقول، بل العلم كله دال على نقيض قولهم، وأن الله منزّه عن الأولاد والصاحبة، لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي والحال أنه ليس لهم بذلك علم، لا عن الله،
- العظيم، والنبأ الكريم، فأعرض عن العلوم النافعة، ولم يرد إلا الحياة الدنيا، فهذا منتهى إرادته، ومن المعلوم أن العبد لا يعمل إلا للشيء الذي يريده، 29 أنهم لا غرض لهم في اتباع الحق، وإنما غرضهم ومقصودهم، ما تهواه نفوسهم، أمر الله رسوله بالإعراض عما تولى عن ذكره، الذي هو الذكر الحكيم، والقرآن ولما كان هذا دأب هؤلاء المذكورين
- وما ينطق عن الهوى أي: ليس نطقه صادرا عن هوى نفسه 3
- فيضل عن سبيل الله، ولهذا قال تعالى: إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى فيضع فضله حيث يعلم المحل اللائق به. 30 العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم بمن يستحق الهداية فيهديه، ممن لا يستحق ذلك فيكمله إلى نفسه، ويخذه، أي: هذا منتهى علمهم وغايتهم، وأما المؤمنون بالآخرة، المصدقون بها، أولو الألباب والعقول، فهمتهم وإرادتهم للدار الآخرة، وعلومهم أفضل العلوم وأجلها، وهو فسعيهم مقصور على الدنيا ولذاتها وشهواتها، كيف حصلت حصولها، وبأي: طريق سنحت ابتدروها، ذلك مبلغهم من العلم
- الله تعالى، وأحسنوا إلى خلق الله، بأنواع المنافع بالحسن أي: بالحالة الحسنة في الدنيا والآخرة، وأكبر ذلك وأجله رضا ربهم، والفوز بنعيم الجنة 31 ويعاقب العاصي، ليجزي الذين أساءوا العمل السيئات من الكفر بما عملوا من أعمال الشر بالعقوبة البليغة ويجزي الذين أحسنوا في عبادة الملك العظيم، في عبيده ومماليكه، ينفذ فيهم قدره، ويجري عليهم شرعه، ويأمرهم وينهاهم، ويجزيهم على ما أمرهم به ونهاهم عنه، فيثيب المطيع، يخبر تعالى أنه مالك الملك، المتفرد بملك الدنيا والآخرة، وأن جميع من في السماوات والأرض ملك لله، يتصرف فيهم تصرف
- هو أعلم بمن اتقى فإن التقوى، محلها القلب، والله هو المطلع عليه، المجازي على ما فيه من بر وتقوى، وأما الناس، فلا يغنون عنكم من الله شيئا. 32 يكون من مغفرة ربه قريبا وأن يكون الله له في جميع أحواله مجيبا، ولهذا قال تعالى: فلا تزكوا أنفسكم أي: تخبرون الناس بطهارتها على وجه التمدح التي يتممت بها عند مولاه، ثم تقع منه الفتنة بعد الفتنة، فإن الله تعالى أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين أرحم بعباده من الوالدة بولدها، فلا بد لمثل هذا أن ويزيل عنكم الجرائم والمآثم، خصوصا إذا كان العبد مقصوده مرضاة ربه في جميع الأوقات، وسعيه فيما يقرب إليه في أكثر الآثات، وفراره من الذنوب ما أمركم به، ولكن الضعف لم يزل، فلعلمه تعالى بأحوالكم هذه، ناسبت الحكمة الإلهية والجود الرباني، أن يتغمدكم برحمته ومغفرته وعفوه، ويغفركم بإحسانه، والضعف موجود مشاهد منكم حين أنشاكم الله من الأرض، وإذ كنتم في بطون أمهاتكم، ولم يزل موجودا فيكم، وإن كان الله تعالى قد أوجد فيكم قوة على كلها، وما جبلكم عليه، من الضعف والخور، عن كثير مما أمركم الله به، ومن كثرة الدواعي إلى بعض المحرمات، وكثرة الجوازب إليها، وعدم الموانع القوية، مكفريات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر وقوله: هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم أي: هو تعالى أعلم بأحوالكم السماء على الأرض، ولما ترك على ظهرها من دابة. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، المحرمات، تدخل تحت مغفرة الله التي وسعت كل شيء، ولهذا قال: إن ربك واسع المغفرة فلولاً مغفرته لهلكت البلاد والعباد، ولولا عفوه وحلمه لسقطت بها العبد، المرة بعد المرة، على وجه الندرة والقلة، فهذه ليس مجرد الإقدام عليها مخرجا للعبد من أن يكون من المحسنين، فإن هذه مع الإتيان بالواجبات وترك الكبائر، كالزنا، وشرب الخمر، وأكل الربا، والقتل، ونحو ذلك من الذنوب العظيمة، إلا اللطم وهي الذنوب الصغار، التي لا يصير صاحبها عليها، أو التي يلم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش أي: يفعلون ما أمرهم الله به من الواجبات، التي يكون تركها من كبائر الذنوب، ويتركون المحرمات
- إلى آخر السورة يقول تعالى: أفرايت قبح حالة من أمر بعبادة ربه وتوحيده، فتولى عن ذلك وأعرض عنه؟ 33
- سجية له وطبيعة بل طبعه التولي عن الطاعة، وعدم الثبوت على فعل المعروف، ومع هذا، فهو يزكي نفسه، وينزلها غير منزلتها التي أنزلها الله بها. 34 فإن سمحت نفسه ببعض الشيء، القليل، فإنه لا يستمر عليه، بل يبخل ويكدي ويمنع. فإن المعروف ليس
- من الغيب، وأنه لو قدر أنه ادعى ذلك فالإخبارات القاطعة عن علم الغيب التي على يد النبي المعصوم، تدل على نقيض قوله، وذلك دليل على بطلانه. 35
- أعنده علم الغيب فهو يرى الغيب ويخبر به، أم هو متقول على الله، متجرئ على الجمع بين الإساءة والتزكية كما هو الواقع، لأنه قد علم أنه ليس عنده علم

أم لم ينبأ هذا المدعي بما في صحف موسى 36

وإبراهيم الذي وفى أي: قام بجميع ما ابتلاه الله به، وأمره به من الشرائع وأصول الدين وفروعه 37

وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى أي: كل عامل له عمله الحسن والسيئ، فليس له من عمل غيره وسعيهم شيء، ولا يتحمل أحد عن أحد ذنبا 38 وفي تلك الصحف أحكام كثيرة من أهمها ما ذكره الله بقوله: ألا تزر وازرة

وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى أي: كل عامل له عمله الحسن والسيئ، فليس له من عمل غيره وسعيهم شيء، ولا يتحمل أحد عن أحد ذنبا 39 وفي تلك الصحف أحكام كثيرة من أهمها ما ذكره الله بقوله: ألا تزر وازرة

وأُنزل الله عليك الكتاب والحكمة وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى. 4
أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره. ودل هذا على أن السنة وحي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: إن هو إلا وحي يوحى

وأن سعيه سوف يرى في الآخرة فيميز حسنه من سيئه. 40

إذا أهداه ذلك الغير له، كما أنه ليس للإنسان من المال إلا ما هو في ملكه وتحت يده، ولا يلزم من ذلك، أن لا يملك ما وهبه له الغير من ماله الذي يملكه. 41
وفي هذا الاستدلال نظر، فإن الآية إنما تدل على أنه ليس للإنسان إلا ما سعى بنفسه، وهذا حق لا خلاف فيه، وليس فيها ما يدل على أنه لا ينتفع بسعي غيره، إلا ما سعى من يرى أن القرب لا يفيد إهداؤها للأحياء ولا للأموات قالوا لأن الله قال: وأن ليس للإنسان ما سعى فوصول سعي غيره إليه مناف لذلك، من حمد ربهم، والإقرار له بكمال الحكمة ومقت أنفسهم، وأنهم الذين أوصلوا أنفسهم وأوردوها شر الموارد، وقد استدل بقوله تعالى: وأن ليس للإنسان والسيئ الخالص بالسوإى، والمشوب بحسبه، جزاء تقر بعدله وإحسانه الخليقة كلها، وتحمد الله عليه، حتى إن أهل النار ليدخلون النار، وإن قلوبهم مملوءة ثم يجزاه الجزاء الأوفى أي: المستكمل لجميع العمل الحسن الخالص بالحسنى،

إليه تنتهي الأمور، وإليه تصير الأشياء والخالق بالبعث والنشور، وإلى الله المنتهى في كل حال، فإليه ينتهي العلم والحكم، والرحمة وسائر الكمالات. 42
وأن إلى ربك المنتهى أي:

وأبكى أي: هو الذي أوجد أسباب الضحك والبكاء، وهو الخير والشر، والفرح والسرور والهم والحزن، وهو سبحانه له الحكمة البالغة في ذلك، 43
وأنه هو أضحك

أي: هو المنفرد بالإيجاد والإعدام، والذي أوجد الخلق وأمرهم ونهاهم، سيعيدهم بعد موتهم، ويجازيهم بتلك الأعمال التي عملوها في دار الدنيا. 44
وأنه هو أمات وأحيا

وأنه خلق الزوجين فسر الزوجين بقوله: الذكر والأنثى وهذا اسم جنس شامل لجميع الحيوانات، ناطقها وبهيما، فهو المنفرد بخلقها. 45
ماء مهين، ثم نماها وكمّلها، حتى بلغت ما بلغت، ثم صار الآدمي منها إما إلى أرفع المقامات في أعلى عليين، وإما إلى أدنى الحالات في أسفل سافلين. 46
من نطفة إذا تمنى وهذا من أعظم الأدلة على كمال قدرته وانفراده بالعزة العظيمة، حيث أوجد تلك الحيوانات، صغيرها وكبيرها من نطفة ضعيفة من البداية على الإعادة، فقال: وأن عليه النشأة الأخرى فيعيد العباد من الأجداث، ويجمعهم ليوم الميقات، ويجازيهم على الحسنات والسيئات. 47

استدل

مقتنين لها، ومالكين لكثير من الأعيان، وهذا من نعمه على عباده أن جميع النعم منه تعالى وهذا يوجب للعباد أن يشكروه، ويعبدوه وحده لا شريك له 48
أي: أغنى العباد بتيسير أمر معاشهم من التجارات وأنواع المكاسب، من الحرف وغيرها، وأقنى أي: أفاد عباده من الأموال بجميع أنواعها، ما يصيرون به وأنه هو أغنى وأقنى

وإن كان رب كل شيء، لأن هذا النجم مما عبد في الجاهلية، فأخبر تعالى أن جنس ما يعبد المشركون مربوب مدبر مخلوق، فكيف تتخذ إلهًا مع الله 49
وأنه هو رب الشعري وهي النجم المعروف بالشعري العبور، المسماة بالمرزم، وخصها الله بالذكر،

صلى الله عليه وسلم، ومنعه من اختلاس الشياطين له، أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه، أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين. 5
عليه وسلم جبريل عليه السلام، شديد القوى أي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول عليه وسلم، وهو جبريل عليه السلام، أفضل الملائكة الكرام وأقواهم وأكملهم، فقال: علمه شديد القوى أي: نزل بالوحي على الرسول صلى الله

ثم ذكر المعلم للرسول صلى الله

وأنه أهلك عادا الأولى وهم قوم هود عليه السلام، حين كذبوا هودا، فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية 50

أرسله الله إلى ثمود فكذبوه، فبعث الله إليهم الناقة آية، فعقروها وكذبوه، فأهلكهم الله تعالى، فما أبقي منهم أحدا، بل أهلكهم الله عن آخرهم 51

تفسير السعدي

وثمود قوم صالح عليه السلام،

وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى من هؤلاء الأمم، فأهلكهم الله وأغرقهم في اليم 52

قوم لوط عليه السلام أهوى أي: أصابهم الله بعذاب ما عذب به أحدا من العالمين، قلب أسفل ديارهم أعلاها، وأمطر عليهم حجارة من سجيل. 53
والمؤتفة وهم

فغشاها ما غشى أي: غشيها من العذاب الأليم الوخيم ما غشى أي: شيء عظيم لا يمكن وصفه. 54

فبأي: نعم الله وفضله تشك أيها الإنسان؟ فإن نعم الله ظاهرة لا تقبل الشك بوجه من الوجوه، فما بالعباد من نعمة إلا منه تعالى، ولا يدفع النقم إلا هو. 55
فبأي آلاء ربك تتماهى أي:

ألم يهلك الله من كذب من قبله من الرسل الكرام؟ فما الذي يمنع العذاب عن المكذبين لمحمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين؟ 56
الرسول الكرام، أليست دعوته إلى كل خير والنهي عن كل شر؟ ألم يأت بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد؟
ببدع من الرسل، بل قد تقدمه من الرسل السابقين، ودعوا إلى ما دعا إليه، فلا شيء تنكر رسالته؟ وبأي حجة تبطل دعوته؟ أليست أخلاقه أعلا أخلاق
هذا نذير من النذر الأولى أي: هذا الرسول القرشي الهاشمي محمد بن عبد الله، ليس
أزفت الأزفة أي: قربت القيامة، ودنا وقتها، وبانت علاماتها. 57

ليس لها من دون الله كاشفة أي: إذا أتت القيامة وجاءهم العذاب الموعود به. 58

من خشية الله، الذي يزيد ذوي الأحلام رأيا وعقلا، وتسديدا وثباتا، وإيمانا ويقينا والذي ينبغي العجب من عقل من تعجب منه، وسفهة وضلاله. 59
وإلا فهو الحديث الذي إذا حدث صدق، وإذا قال قولا فهو القول الفصل الذي ليس بالهزل، وهو القرآن العظيم، الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا متصدعا
هو خير الكلام وأفضله وأشرفه تتعجبون منه، وتجعلونه من الأمور المخالفة للعادة الخارقة للأمور والحقائق المعروفة؟ هذا من جهلهم وضلالهم وعنادهم،
لرسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، المكذبين لما جاء به من القرآن الكريم، فقال: أفمن هذا الحديث تعجبون؟ أي: أفمن هذا الحديث الذي
ثم تواعد المنكرين

ذو مرة أي: قوة، وخلق حسن، وجمال ظاهر وباطن. فاستوى جبريل عليه السلام 6

أن الذي ينبغي أن تتأثر منه النفوس، وتلين له القلوب، وتبكي له العيون، سماعا لأمره ونهيه، وإصغاء لوعده ووعيده، والتفاتا لأخباره الحسنة الصادقة 60
وتضحكون ولا تبكون أي: تستعملون الضحك والاستهزاء به، مع

لاهون عن تدبره، وهذا من قلة عقولكم وأديانكم فلو عبدتم الله وطلبتهم رضاه في جميع الأحوال لما كنتم بهذه المثابة التي يأنف منها أولو الألباب، 61
وأنتم سامدون أي: غافلون عنه،

سورة النجم، والحمد لله الذي لا نحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، وصلى الله على محمد وسلم تسليما كثيرا. 62
أعضائه على الأرض المهينة موضع وطء الأقدام. ثم أمر بالعبادة عموما، الشاملة لجميع ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة. تم تفسير
ذلك على فضله وأنه سر العبادة ولها، فإن لبها الخشوع لله والخضوع له، والسجود هو أعظم حالة يخضع بها العبد فإنه يخضع قلبه وبدنه، ويجعل أشرف
فاسجدوا لله واعبدوا الأمر بالسجود لله خصوصا، ليدل

وهو بالأفق الأعلى أي: أفق السماء الذي هو أعلى من الأرض، فهو من الأرواح العلوية، التي لا تنالها الشياطين ولا يتمكنون من الوصول إليها. 7

ثم دنا جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم، لإيصال الوحي إليه. فتدلى عليه من الأفق الأعلى 8

أو أدنى أي: أقرب من القوسين، وهذا يدل على كمال المباشرة للرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام. 9
فكان في قربه منه قاب قوسين أي: قدر قوسين، والقوس معروف،

سورة 54

وفلقة على جبل قعيقعان، والمشركون وغيرهم يشاهدون هذه الآية الكبرى الكائنة في العالم العلوي، التي لا يقدر الخلق على التمويه بها والتخيل. 1
من خوارق العادات ما يدل على صحة ما جاء به و صدقه، أشار صلى الله عليه وسلم إلى القمر بإذن الله تعالى، فانشق فلقتين، فلقة على جبل أبي قبيس،
وقوعها ما يؤمن على مثله البشر، فمن أعظم الآيات الدالة على صحة ما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، أنه لما طلب منه المكذبون أن يريهم
اقتربت وأن أوانها، وحان وقت مجيئها، ومع ذلك، فهؤلاء المكذبون لم يزالوا مكذبين بها، غير مستعدين لنزولها، ويريههم الله من الآيات العظيمة الدالة على
يخبر تعالى أن الساعة وهي القيامة

تفسير السعدي

- النادر، ولا قدرة لهم على مقاومة قومهم، فانتصر اللهم لي منهم، وقال في الآية الأخرى: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا الآيات 10
- فعند ذلك دعا نوح ربه فقال: أني مغلوب لا قدرة لي على الانتصار منهم، لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل
- فأجاب الله سؤاله، وانتصر له من قومه، قال تعالى: ففتحن أبواب السماء بماء منهمر أي: كثير جدا متتابع 11
- فالتقى الماء أي: ماء السماء والأرض على أمر من الله له بذلك، قد قدر أي: قد كتبه الله في الأزل وقضاه، عقوبة لهؤلاء الظالمين الطاغين 12
- ينزل منها من الماء شيء خارق للعادة، وتفجرت الأرض كلها، حتى التنور الذي لم تجر العادة بوجود الماء فيه، فضلا عن كونه منبعا للماء، لأنه موضع النار.
- وفجرت الأرض عيونا فجعلت السماء
- على ذات ألواح ودسر أي: ونجينا عبدنا نوحا على السفينة ذات الألواح والدسر أي: المسامير التي قد سمرت بها ألواحها وشد بها أسرها 13
- وحملناه
- أن المراد: أنا أهلكتنا قوم نوح، وفعلنا بهم ما فعلنا من العذاب والخزي، جزاء لهم على كفرهم وعنادهم، وهذا متوجه على قراءة من قرأها بفتح الكاف 14
- يرده عنه راد، ولا صده عنه صاد، كما قال تعالى عنه في الآية الأخرى: قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية. ويحتمل
- جزاء لمن كان كفر أي: فعلنا بنوح ما فعلنا من النجاة من الغرق العام، جزاء له حيث كذبه قومه وكفروا به فصبر على دعوتهم، واستمر على أمر الله، فلم
- بنوح ومن آمن معه، ومن حملة من أصناف المخلوقات برعاية من الله، وحفظ منه لها عن الغرق ونظر، وكلائه منه تعالى، وهو نعم الحافظ الوكيل،
- تجري بأعيننا أي: تجري
- وعنايته، وكمال قدرته، وبديع صنعته، فهل من مدكر ؟ أي: فهل من متذكر للآيات، ملق ذهنه وفكرته لما يأتيه منها، فإنها في غاية البيان واليسر؟ 15
- يعود إلى السفينة وجنسها، وأن أصل صنعتها تعليم من الله لعبده نوح عليه السلام، ثم أبقى الله تعالى صنعتها وجنسها بين الناس ليدل ذلك على رحمته بخلقه
- آية فهل من مدكر أي: ولقد تركنا قصة نوح مع قومه آية يتذكر بها المتذكرون، على أن من عصى الرسل وعانداهم أهلكه الله بعقاب عام شديد، أو أن الضمير
- ولقد تركناها
- فكيف كان عذابي ونذر أي: فكيف رأيت أيها المخاطب عذاب الله الأليم وإنذاره الذي لا يبغي لأحد عليه حجة. 16
- عليه، قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيعان عليه؟ ولهذا يدعو الله عباده إلى الإقبال عليه والتذكر بقوله: فهل من مدكر 17
- والعبر، والعقائد النافعة والأخبار الصادقة، ولهذا كان علم القرآن حفظا وتفسيرا، أسهل العلوم، وأجلها على الإطلاق، وهو العلم النافع الذي إذا طلبه العبد أعين
- يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه، والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون من الحلال والحرام، وأحكام الأمر والنهي، وأحكام الجزاء والمواظ
- ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء، ومعانيه للفهم والعلم، لأنه أحسن الكلام لفظا، وأصدق معنى، وأبينه تفسيرا، فكل من أقبل عليه
- ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر أي:
- وعاد هي القبيلة المعروفة باليمن، أرسل الله إليهم هودا عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، فكذبوه 18
- الله عليهم ريحا صرصرا أي: شديدة جدا، في يوم نحس أي: شديد العذاب والشقاء عليهم، مستمر عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما. 19
- فأرسل
- ولم يعد الضمير على انشقاق القمر فلم يقل: وإن يروها بل قال: وإن يروا آية يعرضوا وليس قصدهم اتباع الحق والهدى، وإنما قصدهم اتباع الهوى، 2
- الهدى والعقل، وهذا ليس إنكارا منهم لهذه الآية وحدها، بل كل آية تأتيهم، فإنهم مستعدون لمقابلتها بالباطل والرد لها، ولهذا قال: وإن يروا آية يعرضوا
- فسألوا كل من قدم، فأخبرهم بوقوع ذلك، فقالوا: سحر مستمر سحرنا محمد وسحر غيرنا، وهذا من البهت، الذي لا يروج إلا على أسفه الخلق وأضلهم عن
- وقالوا: سحرنا محمد، ولكن علامة ذلك أنكم تسألون من قدم إليكم من السفر، فإنه وإن قدر على سحرهم، لا يقدر أن يسحر من ليس مشاهدا مثلكم،
- بل ولم يسمعوا أنه جرى لأحد من المرسلين قبله نظيره، فانبهروا لذلك، ولم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم يرد الله بهم خيرا، ففزعوا إلى بهتهم وطغيانهم،
- فشاهدوا أمرا ما رأوا مثله،
- نخل منقر أي: كأن جثثهم بعد هلاكهم مثل جذوع النخل الخاوي الذي أصابته الريح فسقط على الأرض، فما أهون الخلق على الله إذا عصوا أمره 20
- تنزع الناس من شدتها، فترفعهم إلى جو السماء، ثم تدفعهم بالأرض فتهلكهم، فيصيحون كأنهم أعجاز
- فكيف كان عذابي ونذر كان والله العذاب الأليم، والندارة التي ما أبقت لأحد عليه حجة، 21
- ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر تعالى ذلك رحمة بعباده وعناية بهم، حيث دعاهم إلى ما يصلح دنياهم وأخراهم. 22
- القبيلة المعروفة المشهورة في أرض الحجر، نبههم مصالحا عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأنذرهم العقاب إن هم خالفوه 23
- أي كذبت ثمود وهم
- أي: إنا لضالون أشقياء، وهذا الكلام من ضلالهم وشقائهم، فإنهم أنفوا أن يتبعوا رسولا من البشر، ولم يأنفوا أن يكونوا عابدين للشجر والحجر والصور. 24

تفسير السعدي

- نتبع بشرا، لا ملكا منا، لا من غيرنا، ممن هو أكبر عند الناس منا، ومع ذلك فهو شخص واحد إنا إذا أي: إن اتبعناه وهو بهذه الحال لفي ضلال وسعر فكذبوه واستكبروا عليه، وقالوا كبرا وتبها: أبشرا منا واحدا نتبعه أي: كيف
- الكذب والشر، فقبحهم الله ما أسفه أحلامهم وأظلمهم، وأشدهم مقابلة للصادقين الناصحين بالخطاب الشنيع، لا جرم عاقبهم الله حين اشتد طغيانهم 25 لهم بالعقاب العاجل. والمقصود بهذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح، تكذيبه، ولهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر، فقالوا: بل هو كذاب أشر أي: كثير بوحيه، ومن رحمته وحكمته أن كانوا من البشر، فلو كانوا من الملائكة لم يمكن البشر، أن يتلقوا عنهم، ولو جعلهم من الملائكة لعاجل الله المكذبين إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فالرسل من الله عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا لرسالات ربهم والاختصاص من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصلون ويجولون ويردون به دعوة الرسل، وقد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم: قالت رسلهم أولقي الذكر عليه من بيننا أي: كيف يخصه الله من بيننا وينزل عليه الذكر؟ فأي مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض
- الكذب والشر، فقبحهم الله ما أسفه أحلامهم وأظلمهم، وأشدهم مقابلة للصادقين الناصحين بالخطاب الشنيع، لا جرم عاقبهم الله حين اشتد طغيانهم 26 لهم بالعقاب العاجل. والمقصود بهذا الكلام الصادر من ثمود لنبيهم صالح، تكذيبه، ولهذا حكموا عليه بهذا الحكم الجائر، فقالوا: بل هو كذاب أشر أي: كثير بوحيه، ومن رحمته وحكمته أن كانوا من البشر، فلو كانوا من الملائكة لم يمكن البشر، أن يتلقوا عنهم، ولو جعلهم من الملائكة لعاجل الله المكذبين إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فالرسل من الله عليهم بصفات وأخلاق وكمالات، بها صلحوا لرسالات ربهم والاختصاص من المكذبين على الله، لم يزالوا يدلون به، ويصلون ويجولون ويردون به دعوة الرسل، وقد أجاب الله عن هذه الشبهة بقول الرسل لأممهم: قالت رسلهم أولقي الذكر عليه من بيننا أي: كيف يخصه الله من بيننا وينزل عليه الذكر؟ فأي مزية خصه من بيننا؟ وهذا اعتراض
- فتنة لهم أي: اختبارا منه لهم وامتحانا فارتقبهم واصطبر أي: اصبر على دعوتك إياهم، وارتقب ما يحل بهم، أو ارتقب هل يؤمنون أو يكفرون؟ 27 فأرسل الله الناقة التي هي من أكبر النعم عليهم، آية من آيات الله، ونعمة يحتلبون من ضرعها ما يكفيهم أجمعين،
- بينهم وبين الناقة، لها شرب يوم ولهم شرب يوم آخر معلوم، كل شرب محتضر أي: يحضره من كان قسمته، ويحظر على من ليس بقسمة له. 28 ونبئهم أن الماء قسمة بينهم أي: وأخبرهم أن الماء أي: مورد لهم الذي يستعذبونه، قسمة
- فنادوا صاحبهم الذي باشر عقرها، الذي هو أشقى القبيلة فتعاطى أي: انقاد لما أمروه به من عقرها فعقر 29
- ومنتهاه، وسيصير الأمر إلى آخره، فالمصدق يتقلب في جنات النعيم، ومغفرة الله ورضوانه، والمكذب يتقلب في سخط الله وعذابه، خالدا مخلدا أبدا. 3
- يديه من البيئات والبراهين والحجج القواطع، ما دل على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، وكل أمر مستقر أي: إلى الآن، لم يبلغ الأمر غايته فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم فإنه لو كان قصدهم اتباع الهدى، لآمنوا قطعاً، واتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم، لأنه أراهم الله على وكذبوا واتبعوا أهواءهم كقوله تعالى:
- فكيف كان عذابي ونذر كان أشد عذاب 30
- أرسل الله عليهم صيحة ورجفة أهلكتهم عن آخرهم، ونجى الله صالحا ومن آمن معه 31
- ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر 32
- كذبت قوم لوط لوطا عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، 33 أي:
- كذبت قوم لوط لوطا عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، 34 أي:
- كذبت قوم لوط لوطا عليه السلام، حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، 35 أي:
- فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراودوه عنهم، فأمر الله جبريل عليه السلام، فطمس أعينهم بجناحه، وأنذرهم نبيهم بطشة الله وعقوبته فتماروا بالنذر 36 فكذبوه واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف حين سمع بهم قوم لوط، جاؤوهم مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة
- فيهم، لعنهم الله وقبحهم، وراودوه عنهم، فأمر الله جبريل عليه السلام، فطمس أعينهم بجناحه، وأنذرهم نبيهم بطشة الله وعقوبته فتماروا بالنذر 37 فكذبوه واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف حين سمع بهم قوم لوط، جاؤوهم مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة
- من سجيل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين، ونجى الله لوطا وأهله من الكرب العظيم، جزاء لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له. 38
- ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة
- من سجيل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين، ونجى الله لوطا وأهله من الكرب العظيم، جزاء لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له. 39

تفسير السعدي

- ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة
اتباع للهدى: ولقد جاءهم من الأنباء أي: الأخبار السابقة واللاحقة والمعجزات الظاهرة ما فيه مزدجر أي: زاجر يزرهم عن غيهم وضلالهم، 4
وقال تعالى مبينا أنهم ليس لهم قصد صحيح، ولا
من سجل منضود، مسومة عند ربك للمسرفين، ونجى الله لوطا وأهله من الكرب العظيم، جزاء لهم على شكرهم لربهم، وعبادته وحده لا شريك له. 40
ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر قلب الله عليهم ديارهم، وجعل أسفلها أعلاها، وتتبعهم بحجارة
أي: ولقد جاء آل فرعون أي: فرعون وقومه النذر فأرسل الله إليهم موسى الكليم، وأيده بالآيات الباهرات، والمعجزات القاهرة 41
كلها، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، فأغرقهم في اليم هو وجنوده والمراد من ذكر هذه القصص تحذير الناس و المكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم. 42
وأشهدهم من العبر ما لم يشهد عليه أحد غيرهم فكذبوا بآيات الله
للعدل والحكمة، فليس من الحكمة نجا أمثال هؤلاء المعاندين المكذبين، لأفضل الرسل وأكرمهم على الله، فلم يبق إلا أن يكون بهم قوة ينتصرون بها، 43
على الأنبياء، فتعتقدون حينئذ أنكم الناجون بإخبار الله ووعدته؟ وهذا غير واقع، بل غير ممكن عقلا وشرعا، أن تكتب براءتهم في الكتب الإلهية المتضمنة
وليس الأمر كذلك، فإنهم إن لم يكونوا شرا منهم، فليسوا بخير منهم، أم لكم براءة في الزبر أي: أم أعطاكم الله عهدا وميثاقا في الكتب التي أنزلها
الرسل، خير من أولئك المكذبين، الذين ذكر الله هلاكهم وما جرى عليهم؟ فإن كانوا خيرا منهم، أمكن أن ينجوا من العذاب، ولم يصبهم ما أصاب أولئك الأشرار،
أكفاركم خير من أولئكم أي: هؤلاء الذين كذبوا أفضل
فأخبر تعالى أنهم يقولون: نحن جميع منتصر 44
ويولون الدبر فوقع كما أخبر، هزم الله جمعهم الأكبر يوم بدر، وقتل من صناديدهم وكبرائهم ما دلوا به ونصر الله دينه ونبيه وحزبه المؤمنين. 45
قال تعالى مبينا لضعفهم، وأنهم مهزومون: سيهزم الجمع
بل الساعة موعدهم الذي يحازون به، ويؤخذ منهم الحق بالقسط، والساعة أدهى وأمر أي: أعظم وأشق، وأكبر من كل ما يتوهم، أو يدور بالبال 46
ومع ذلك، فالهم موعد يجمع به أولهم وآخرهم، ومن أصيب في الدنيا منهم، ومن متع بلذاته، ولهذا قال:
العلم، وضلال عن العمل، الذي ينجيهم من العذاب، ويوم القيامة في العذاب الأليم، والنار التي تتسعر بهم، وتشتعل في أجسامهم، حتى تبلغ أفئدتهم. 47
أي: الذين أكثروا من فعل الجرائم، وهي الذنوب العظيمة من الشرك وغيره، من المعاصي في ضلال وسعر أي: هم ضالون في الدنيا، ضلال عن
إن المجرمين
ما بهم من الأعضاء، وألمها أشد من ألم غيرها، فيهانون بذلك ويخزون، ويقال لهم: ذوقوا مس سقر أي: ذوقوا ألم النار وأسفها وغيظها ولهبها. 48
يوم يسحبون في النار على وجوههم التي هي أشرف
ولا مشارك له في خلقها وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها، وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير، 49
إنا كل شيء خلقناه بقدر وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، أن الله تعالى وحده خلقها لا خالق لها سواه،
على المخالفين ولا يبقى لأحد على الله حجة بعد الرسل، فما تغن النذر كقوله تعالى: ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم 5
حكمة منه تعالى بالغة أي: لتقوم حجته
وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر فإذا أراد شيئا قال له كن فيكون كما أراد، كلمح البصر، من غير ممانعة ولا صعوبة. 50
أي: متذكر يعلم أن سنة الله في الأولين والآخرين واحدة، وأن حكمته كما اقتضت إهلاك أولئك الأشرار، فإن هؤلاء مثلهم، ولا فرق بين الفريقين. 51
ولقد أهلكنا أشياءكم من الأمم السابقين الذين عملوا كما عملتم، وكذبوا كما كذبتهم فهل من مدكر
وكل شيء فعلوه في الزبر أي: كل ما فعلوه من خير وشر مكتوب عليهم في الكتب القدسية 52
الله تعالى، وسطرها عنده في اللوح المحفوظ، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. 53
وكل صغير وكبير مستطر أي: مسطر مكتوب، وهذا حقيقة القضاء والقدر، وأن جميع الأشياء كلها، قد علمها
والقصور الرفيعة، والمنازل الأنيفة، والمآكل والمشارب اللذيذة، والصور الحسان، والروضات البهية في الجنان، ورضوان الملك الديان، والفوز بقربه. 54
والصغائر. في جنات ونهر أي: في جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من الأشجار الياضعة، والأنهار الجارية،
إن المتقين لله، بفعل أوامره وترك نواهيه، الذين اتقوا الشرك والكبائر
من كرامته وجوده، ويمدهم به من إحسانه ومنته، جعلنا الله منهم، ولا حرمننا خير ما عنده بشر ما عندنا. تم تفسير سورة اقتربت، ولله الحمد والشكر 55
في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا تسأل بعد هذا عما يعطيهم ربهم

تفسير السعدي

- إلى شيء نكر أي: إلى أمر فظيع تنكره الخليقة، فلم تر منظرا أفضع ولا أوجع منه، فينفخ إسرافيل نفخة، يخرج بها الأموات من قبورهم لموقف القيامة 6
يبقى إلا الإعراض عنهم والتولي عنهم، فقال: فتول عنهم وانتظر بهم يوما عظيما وهولا جسيما، وذلك حين يدعو الداع إسرافيل عليه السلام
يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: قد بان أن المكذبين لا حيلة في هداهم، فلم
أبصارهم. يخرجون من الأحداث وهي القبور، كأنهم من كثرتهم، وروجان بعضهم ببعض جراد منتشر أي: مبعوث في الأرض، متكاثرا جدا، 7
خشعا أبصارهم أي: من الهول والفرع الذي وصل إلى قلوبهم، فخضعت وذلت، وخشعت لذلك
يقول الكافرون الذين قد حضر عذابهم: هذا يوم عسر كما قال تعالى على الكافرين غير يسير مفهوم ذلك أنه يسير سهل على المؤمنين 8
إلى الداع أي: مسرعين لإجابة النداء الداعي وهذا يدل على أن الداعي يدعوهم ويأمرهم بالحضور لموقف القيامة، فيلبون دعوته، ويسرعون إلى إجابته،
مهطعين
يكفهم قبحهم الله عدم الإيمان به، ولا تكذيبهم إياه، حتى أوصلا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، وهكذا جميع أعداء الرسل، هذه حالهم مع أنبيائهم. 9
النيرة المستقيمة، إلى الهدى والنور والرشد، وما هم عليه جهل وضلال مبين، وقوله: وازجر أي: زجره قومه وعنفوه عندما دعاهم إلى الله تعالى، فلم
والسلام جهل وضلال، لا يصدر إلا من المجانين، وكذبوا في ذلك، وقلبوا الحقائق الثابتة شرعا وعقلا، فإن ما جاء به هو الحق الثابت، الذي يرشد العقول
ولهذا قال هنا: فكذبوا عبدنا وقالوا مجنونون لزعمهم أن ما هم عليه وآبائهم من الشرك والضلال هو الذي يدل عليه العقل، وأن ما جاء به نوح عليه الصلاة
تذرن ودا ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا ولم يزل نوح يدعوهم إلى الله ليلا ونهارا، وسرا وجهارا، فلم يزددهم ذلك إلا عنادا وطغيانا، وقدحا في نبهم،
نوح، أول رسول بعثه الله إلى قوم يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فامتنعوا من ترك الشرك وقالوا: لا تذرن آلهتكم ولا
لرسوله، وأن الآيات لا تنفع فيهم، ولا تجدي عليهم شيئا، أنذرهم وخوفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسل، وكيف أهلكهم الله وأحل بهم عقابه. فذكر قوم
لما ذكر تبارك وتعالى حال المكذبين

سورة 55

- الله إلى عباده من النعم الدينية والدنيوية والآخروية وبعد كل جنس ونوع من نعمه، ينبه الثقيلين لشكره، ويقول: فبأي آلاء ربكما تكذبان . 1
الجليلة، افتتحها باسمه الرحمن الدال على سعة رحمته، وعموم إحسانه، وجزيل بره، وواسع فضله، ثم ذكر ما يدل على رحمته وأثرها الذي أوصله
هذه السورة الكريمة
وفراشا يبنون بها، ويحرثون ويغرسون ويحفرون ويسلكون سبلها فجاجا، وينتفعون بمعادنها وجميع ما فيها، مما تدعو إليه حاجتهم، بل ضرورتهم. 10
والأرض وضعها الله على ما كانت عليه من الكثافة والاستقرار واختلاف أوصافها و أحوالها للأنام أي: للخلق، لكي يستقروا عليها، وتكون لهم مهادا
الذي ينفلق عن القنوان التي تخرج شيئا فشيئا حتى تتم، فتكون قوتا يؤكل ويدخر، يتزود منه المقيم والمسافر، وفاكهة لذيدة من أحسن الفواكه. 11
فاكهة وهي جميع الأشجار التي تثمر الثمرات التي يتفكه بها العباد، من العنب والتين والرمان والتفاح، وغير ذلك، والنخل ذات الأكمام أي: ذات الوعاء
ثم ذكر ما فيها من الأقوات الضرورية، فقال: فيها
الرياحان المعروف، وأن الله امتن على عباده بما يسره في الأرض من أنواع الروائح الطيبة، والمشام الفاخرة، التي تسر الأرواح، وتشرح لها النفوس. 12
يأكلها الادميون، فيكون هذا من باب عطف العام على الخاص، ويكون الله قد امتن على عباده بالقوت والرزق، عموما وخصوصا، ويحتمل أن المراد بالرياحان،
فينتفع بتنبهه للأنعام وغيرها، ويدخل في ذلك حب البر والشعير والذرة والأرز والدخن، وغير ذلك، والرياحان يحتمل أن المراد بذلك جميع الأرزاق التي
والحب ذو العصف أي: ذو الساق الذي يداس،
إلا قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا تكذب، فلك الحمد، فهذا الذي ينبغي للعبد إذا تليت عليه نعم الله وآلاؤه، أن يقر بها ويشكر، ويحمد الله عليها. 13
فبأي نعم الله الدينية والدنيوية تكذبان؟ وما أحسن جواب الجن حين تلا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة، فما مر بقوله: فبأي آلاء ربكما تكذبان
ولما ذكر جملة كثيرة من نعمه التي تشاهد بالأبصار والبصائر، وكان الخطاب للثقيلين، الإنس والجن، قررهم تعالى بنعمه، فقال: فبأي آلاء ربكما تكذبان أي:
من صلصال كالفخار أي: من طين مبلول، قد أحكم به وأتقن، حتى جف، فصار له صلصلة وصوت يشبه صوت الفخار الذي طبخ على النار . 14
وهذا من نعمه تعالى على عباده، حيث أراهم من آثار قدرته وبديع صنعته، أن خلق أبا الإنس وهو آدم عليه السلام
المخلوق من الطين والتراب، الذي هو محل الرزانة والثقل والمنافع، بخلاف عنصر الجان وهو النار، التي هي محل الخفة والطيش والشر والفساد. 15
وخلق الجان أي: أبا الجن، وهو إبليس اللعين من مارج من نار أي: من لهب النار الصافي، أو الذي قد خالطه الدخان، وهذا يدل على شرف عنصر الآدمي

تفسير السعدي

ولما بين خلق الثقلين ومادة ذلك وكان ذلك منة منه تعالى على عباده قال: فبأي آلاء ربكما تكذبان 16

النيرة، وكل ما غربت عليه، وكل ما كانا فيه فهي تحت تدبيره وربوبيته، وثناهما هنا لإرادة العموم مشرقي الشمس شتاء وصيفا، ومغربها كذلك 17 أي: هو تعالى رب كل ما أشرقت عليه الشمس والقمر، والكواكب

النيرة، وكل ما غربت عليه، وكل ما كانا فيه فهي تحت تدبيره وربوبيته، وثناهما هنا لإرادة العموم مشرقي الشمس شتاء وصيفا، ومغربها كذلك 18 أي: هو تعالى رب كل ما أشرقت عليه الشمس والقمر، والكواكب

المراد بالبحرين: البحر العذب، والبحر المالح، فهما يلتقيان كلاهما، فيصب العذب في البحر المالح، ويختلطان ويمتزجان، 19

على عباده، وهذا أعظم منة ورحمة رحم بها عباده، حيث أنزل عليهم قرآنا عربيا بأحسن ألفاظ، وأحسن تفسير، مشتمل على كل خير، زاجر عن كل شر. 2 فذكر أنه علم القرآن أي: علم عباده ألفاظه ومعانيه، ويسرها

منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسماك، واللؤلؤ والمرجان، ويكون مستقرا مسخرا للسفن والمراكب. 20 ولكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض، حتى لا يبيغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب

منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسماك، واللؤلؤ والمرجان، ويكون مستقرا مسخرا للسفن والمراكب. 21 ولكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض، حتى لا يبيغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب

منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسماك، واللؤلؤ والمرجان، ويكون مستقرا مسخرا للسفن والمراكب. 22 ولكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض، حتى لا يبيغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب

منه يشربون وتشرب أشجارهم وزروعهم، والملح به يطيب الهواء ويتولد الحوت والسماك، واللؤلؤ والمرجان، ويكون مستقرا مسخرا للسفن والمراكب. 23 ولكن الله تعالى جعل بينهما برزخا من الأرض، حتى لا يبيغي أحدهما على الآخر، ويحصل النفع بكل منهما، فالعذب

عليها أمتعتهم وأنواع تجارتهم، وغير ذلك مما تدعو إليه حاجتهم وضرورتهم، وقد حفظها حافظ السماوات والأرض، وهذه من نعم الله الجليلة. 24 السفن الجواري، التي تمخر البحر وتشقه بإذن الله، التي ينشئها الأدميون، فتكون من كبرها وعظمتها كالأعلام، وهي الجبال العظيمة، فيركبها الناس، ويحملون أي: وسخر تعالى لعباده

عليها أمتعتهم وأنواع تجارتهم، وغير ذلك مما تدعو إليه حاجتهم وضرورتهم، وقد حفظها حافظ السماوات والأرض، وهذه من نعم الله الجليلة. 25 السفن الجواري، التي تمخر البحر وتشقه بإذن الله، التي ينشئها الأدميون، فتكون من كبرها وعظمتها كالأعلام، وهي الجبال العظيمة، فيركبها الناس، ويحملون أي: وسخر تعالى لعباده

أي: كل من على الأرض، من إنس وجن، ودواب، وسائر المخلوقات، يفنى ويموت ويببىد 26

والجود، والداعي لأن يكرم أوليائه وخواص خلقه بأنواع الإكرام، الذي يكرمه أولياؤه ويجلونه، ويعظمونه ويحبونه، وينيبون إليه ويعبدونه، 27 ويبقى الحي الذي لا يموت ذو الجلال والإكرام أي: ذو العظمة والكبرياء والمجد، الذي يعظم ويبجل ويجل لأجله، والإكرام الذي هو سعة الفضل

فبأي آلاء ربكما تكذبان 28

ينفذ فيهم أحكام الجزاء، ويريه من عدله وفضله وكثرة إحسانه، ما به يعرفونه ويوحده، نقل المكلفين من دار الابتلاء والامتحان إلى دار الحيوان. 29 الدينية التي هي الأمر والنهي، والقدرية التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار، حتى إذا تمت هذه الخليفة وأفناهم الله تعالى وأراد تعالى أن تعالى كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته، وهي أحكامه جميع الخلق في كل الآتات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه، وهذه الشئون التي أخبر أنه شأن، ولا تغلظه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسماوات، وعم لطفه أقل من ذلك، وهو تعالى كل يوم هو في شأن يغني فقيرا، ويجبر كسيرا، ويعطي قوما، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن بذاته عن جميع مخلوقاته، وهو واسع الجود والكرم، فكل الخلق مفتقرون إليه، يسألونه جميع حوائجهم، بحالهم ومقالهم، ولا يستغنون عنه طرفة عين ولا أي: هو الغني

خلق الإنسان في أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفي الأجزاء، محكم البناء، قد أتقن البديع تعالى البديع خلقه أي إتقان.. 3

ينفذ فيهم أحكام الجزاء، ويريه من عدله وفضله وكثرة إحسانه، ما به يعرفونه ويوحده، نقل المكلفين من دار الابتلاء والامتحان إلى دار الحيوان. 30 الدينية التي هي الأمر والنهي، والقدرية التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار، حتى إذا تمت هذه الخليفة وأفناهم الله تعالى وأراد تعالى أن تعالى كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته، وهي أحكامه جميع الخلق في كل الآتات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه، وهذه الشئون التي أخبر أنه

تفسير السعدي

شأن، ولا تغلظه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسموات، وعم لطفه أقل من ذلك، وهو تعالى كل يوم هو في شأن يغني فقيرا، ويجبر كسيرا، ويعطي قوما، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن بذاته عن جميع مخلوقاته، وهو واسع الجود والكرم، فكل الخلق مفتقرون إليه، يسألونه جميع حوائجهم، بحالهم ومقالهم، ولا يستغنون عنه طرفة عين ولا أي: هو الغني

سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان أي: سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في دار الدنيا. 31

سنفرغ لكم أيها الثقلان فبأي آلاء ربكما تكذبان أي: سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في دار الدنيا. 32

ففي ذلك الموقف لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا تسمع إلا همسا، وفي ذلك الموقف يستوي الملوك والمماليك، والرؤساء والمرءوسون، والأغنياء والفقراء. 33
إلا بسلطان أي: لا تخرجون عنه إلا بقوة وتسلط منكم، وكما لا قدرة، وأنى لهم ذلك، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟!
معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض أي: تجدون منفذا مسلكا تخرجون به عن ملك الله وسلطانه، فانفذوا لا تنفذون أي: إذا جمعهم الله في موقف القيامة، أخبرهم بعجزهم وضعفهم، وكما لا سلطان، ونفوذ مشيئته وقدرته، فقال معجزا لهم: يا

ففي ذلك الموقف لا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا تسمع إلا همسا، وفي ذلك الموقف يستوي الملوك والمماليك، والرؤساء والمرءوسون، والأغنياء والفقراء. 34
إلا بسلطان أي: لا تخرجون عنه إلا بقوة وتسلط منكم، وكما لا قدرة، وأنى لهم ذلك، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟!
معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض أي: تجدون منفذا مسلكا تخرجون به عن ملك الله وسلطانه، فانفذوا لا تنفذون أي: إذا جمعهم الله في موقف القيامة، أخبرهم بعجزهم وضعفهم، وكما لا سلطان، ونفوذ مشيئته وقدرته، فقال معجزا لهم: يا

أن هذين الأمرين الفظيعين يرسلان عليكما يا معشر الجن والإنس، ويحيطان بكما فلا تنتصران، لا بناصر من أنفسكم، ولا بأحد ينصركم من دون الله. 35
من نار ونحاس فلا تنصران فبأي آلاء ربكما تكذبان أي: يرسل عليكما لهب صاف من النار. ونحاس وهو الذهب، الذي قد خالطه الدخان، والمعنى ثم ذكر ما أعد لهم في ذلك الموقف العظيم فقال: يرسل عليكما شواظ

ولما كان تخويفه لعباده نعمة منه عليهم، وسوطا يسوقهم به إلى أعلى المطالب وأشرف المواهب، امتن عليهم فقال: فبأي آلاء ربكما تكذبان 36
فانخسفت شمسها وقمرها، وانتثرت نجومها، فكانت من شدة الخوف والانزعاج وردة كالدهان أي: كانت كالمهل والرصاص المذاب ونحوه 37
فإذا انشقت السماء أي يوم القيامة من شدة الأهوال، وكثرة البلبال، وترادف الأوجال،
فانخسفت شمسها وقمرها، وانتثرت نجومها، فكانت من شدة الخوف والانزعاج وردة كالدهان أي: كانت كالمهل والرصاص المذاب ونحوه 38
فإذا انشقت السماء أي يوم القيامة من شدة الأهوال، وكثرة البلبال، وترادف الأوجال،

يجازي العباد بما علمه من أحوالهم، وقد جعل لأهل الخير والشر يوم القيامة علامات يعرفون بها، كما قال تعالى: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه 39
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان أي: سؤال استعلام بما وقع، لأنه تعالى عالم الغيب والشهادة والماضي والمستقبل، ويريد أن
أي: التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم النطقي والتعليم الخطي، فالبيان الذي ميز الله به الآدمي على غيره من أجل نعمه، وأكبرها عليه. 4
وميزه على سائر الحيوانات بأن علمه البيان

يجازي العباد بما علمه من أحوالهم، وقد جعل لأهل الخير والشر يوم القيامة علامات يعرفون بها، كما قال تعالى: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه 40
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان أي: سؤال استعلام بما وقع، لأنه تعالى عالم الغيب والشهادة والماضي والمستقبل، ويريد أن
فيها، وإنما يسألهم تعالى سؤال توبيخ وتقرير بما وقع منهم، وهو أعلم به منهم، ولكنه تعالى يريد أن تظهر للخلق حجته البالغة، وحكمته الجليلة. 41
وقال هنا: يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام أي: فيؤخذ بنواصي المجرمين وأقدامهم، فيلقون في النار ويسحبون
فيها، وإنما يسألهم تعالى سؤال توبيخ وتقرير بما وقع منهم، وهو أعلم به منهم، ولكنه تعالى يريد أن تظهر للخلق حجته البالغة، وحكمته الجليلة. 42
وقال هنا: يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام أي: فيؤخذ بنواصي المجرمين وأقدامهم، فيلقون في النار ويسحبون
تسعر الجحيم: هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون فليهنهم تكذيبهم بها، وليذوقوا من عذابها ونكالها وسعيرها وأغلالها، ما هو جزاء لتكذيبهم 43
أي: يقال للمكذبين بالوعد والوعيد حين

يطوفون بينها أي: بين أطباق الجحيم ولهبها وبين حميم آن أي: ماء حار جدا قد انتهى حره، وزمهرير قد اشتد برده وقره، 44

فبأي آلاء ربكما تكذبان 45

عنه، وفعل ما أمره به، له جنتان من ذهب أنيتهما وحليتهما وبنيناهما وما فيهما، إحدى الجنتين جزاء على ترك المنهيات، والأخرى على فعل الطاعات. 46
أي: وللذي خاف ربه وقيامه عليه، فترك ما نهى

تفسير السعدي

- عنه، وفعل ما أمره به، له جنتان من ذهب أنيتهما وحليتهما وبنيانهما وما فيهما، إحدى الجنتين جزاء على ترك المنهيات، والأخرى على فعل الطاعات. 47
أي: وللذي خاف ربه وقيامه عليه، فترك ما نهى
- الزاهرة ذوات الغصون الناعمة، التي فيها الثمار اليانعة الكثيرة اللذيذة، أو ذوات أنواع وأصناف من جميع أصناف النعيم وأنواعه جمع فن، أي: صنف. 48
ذوات أفنان أي: فيهما من ألوان النعيم المتنوعة نعيم الظاهر والباطن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر أن فيهما الأشجار الكثيرة
ومن أوصاف تلك الجنتين أنهما
- الزاهرة ذوات الغصون الناعمة، التي فيها الثمار اليانعة الكثيرة اللذيذة، أو ذوات أنواع وأصناف من جميع أصناف النعيم وأنواعه جمع فن، أي: صنف. 49
ذوات أفنان أي: فيهما من ألوان النعيم المتنوعة نعيم الظاهر والباطن ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر أن فيهما الأشجار الكثيرة
ومن أوصاف تلك الجنتين أنهما
- وسخرهما يجريان بحساب مقنن، وتقدير مقدر، رحمة بالعباد، وعناية بهم، وليقوم بذلك من مصالحهم ما يقوم، وليعرف العباد عدد السنين والحساب. 5
الشمس والقمر بحسبان أي: خلق الله الشمس والقمر،
- وفي تلك الجنتين عينان تجريان يفجرونها على ما يريدون ويشتهون. 50
وفي تلك الجنتين عينان تجريان يفجرونها على ما يريدون ويشتهون. 51
- فيهما من كل فاكهة من جميع أصناف الفواكه زوجان أي: صنفان، كل صنف له لذة ولون، ليس للنوع الآخر. 52
فيهما من كل فاكهة من جميع أصناف الفواكه زوجان أي: صنفان، كل صنف له لذة ولون، ليس للنوع الآخر. 53
- التي تلي بشرتهم؟! وجنى الجنتين دان الجنى هو الثمر المستوي أي: وثمر هاتين الجنتين قريب التناول، يناله القائم والقاعد والمضطجع. 54
الأسرة، وتلك الفرش، لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عز وجل، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها، من إستبرق، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها
بطائنها من إستبرق هذه صفة فرش أهل الجنة وجلوسهم عليها، وأنهم متكئون عليها، أي: جلوس تمكن واستقرار وراحة، كجلوس من الملوك على
متكئين على فرش
- التي تلي بشرتهم؟! وجنى الجنتين دان الجنى هو الثمر المستوي أي: وثمر هاتين الجنتين قريب التناول، يناله القائم والقاعد والمضطجع. 55
الأسرة، وتلك الفرش، لا يعلم وصفها وحسنها إلا الله عز وجل، حتى إن بطائنها التي تلي الأرض منها، من إستبرق، وهو أحسن الحرير وأفخره، فكيف بظواهرها
بطائنها من إستبرق هذه صفة فرش أهل الجنة وجلوسهم عليها، وأنهم متكئون عليها، أي: جلوس تمكن واستقرار وراحة، كجلوس من الملوك على
متكئين على فرش
- إنس قبلهم ولا جان أي: لم ينلهم قبلهم أحد من الإنس والجن، بل هن أبكار عرب، متحبيات إلى أزواجهن، بحسن التبعل والتفنج والملاحة والدلال 56
طرفهن على أزواجهن، من حسنهم وجمالهم، وكمال محبتهم لهن، وقصرن أيضا طرف أزواجهن عليهن، من حسنهن وجمالهن ولذة وصالهن، لم يطمثن
فيهن قاصرات الطرف أي: قد قصرن
- إنس قبلهم ولا جان أي: لم ينلهم قبلهم أحد من الإنس والجن، بل هن أبكار عرب، متحبيات إلى أزواجهن، بحسن التبعل والتفنج والملاحة والدلال 57
طرفهن على أزواجهن، من حسنهم وجمالهم، وكمال محبتهم لهن، وقصرن أيضا طرف أزواجهن عليهن، من حسنهن وجمالهن ولذة وصالهن، لم يطمثن
فيهن قاصرات الطرف أي: قد قصرن
- كأنهن الياقوت والمرجان وذلك لصفائهن وجمال منظرهن وبهائهن. 58
كأنهن الياقوت والمرجان وذلك لصفائهن وجمال منظرهن وبهائهن. 59
- والنجم والشجر يسجدان أي: نجوم السماء، وأشجار الأرض، تعرف ربها وتسجد له، وتطيع وتخضع وتنقاد لما سخرها له من مصالح عباده ومنافعهم. 6
في عبادة الخالق ونفع عبده، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير، والنعيم المقيم، والعيش السليم، فهاتان الجنتان العاليتان للمقربين. 60
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان أي: هل جزاء من أحسن
- في عبادة الخالق ونفع عبده، إلا أن يحسن إليه بالثواب الجزيل، والفوز الكبير، والنعيم المقيم، والعيش السليم، فهاتان الجنتان العاليتان للمقربين. 61
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان أي: هل جزاء من أحسن
- ومن دونهما جنتان من فضة بنيانها وأنيتهما وحليتهما وما فيهما لأصحاب اليمين. 62
ومن دونهما جنتان من فضة بنيانها وأنيتهما وحليتهما وما فيهما لأصحاب اليمين. 63

تفسير السعدي

وتلك الجنتان مدهامتان أي: سوداوان من شدة الخضرة التي هي أثر الري. 64

وتلك الجنتان مدهامتان أي: سوداوان من شدة الخضرة التي هي أثر الري. 65

فيهما عينان نضاختان أي: فوارتان. 66

فيهما عينان نضاختان أي: فوارتان. 67

فيهما فاكهة من جميع أصناف الفواكه، وأخصها النخل والرمان، اللذان فيهما من المنافع ما فيهما. 68

فيهما فاكهة من جميع أصناف الفواكه، وأخصها النخل والرمان، اللذان فيهما من المنافع ما فيهما. 69

والمكيال الذي تكال به الأشياء والمقادير والمساحات التي تضبط بها المجهولات، والحقائق التي يفصل بها بين المخلوقات، ويقام بها العدل بينهم. 7
الأرضية، ووضع الله الميزان أي: العدل بين العباد، في الأقوال والأفعال، وليس المراد به الميزان المعروف وحده، بل هو كما ذكرنا، يدخل فيه الميزان المعروف، والسماء رفعها سقفها للمخلوقات

فيهن أي: في الجنات كلها خيرات حسان أي: خيرات الأخلاق حسان الأوجه، فجمعن بين جمال الظاهر والباطن، وحسن الخلق والخلق. 70

فيهن أي: في الجنات كلها خيرات حسان أي: خيرات الأخلاق حسان الأوجه، فجمعن بين جمال الظاهر والباطن، وحسن الخلق والخلق. 71

تهيأن وأعددن أنفسهن لأزواجهن، ولا ينفي ذلك خروجهن في البساتين ورياض الجنة، كما جرت العادة لبنات الملوك ونحوهن المخدرات الخفريات. 72
حور مقصورات في الخيام أي: محبوسات في خيام اللؤلؤ، قد

تهيأن وأعددن أنفسهن لأزواجهن، ولا ينفي ذلك خروجهن في البساتين ورياض الجنة، كما جرت العادة لبنات الملوك ونحوهن المخدرات الخفريات. 73
حور مقصورات في الخيام أي: محبوسات في خيام اللؤلؤ، قد

الأخريين. وقال في الأوليين: فيهما من كل فاكهة زوجان وفي الأخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقد علم ما بين الوصفين من التفاوت. 74
فيهما عينان تجريان وفي الأخريين: عينان نضاختان ومن المعلوم الفرق بين الجارية والنضاجة. وقال في الأوليين: ذواتا أفنان ولم يقل ذلك في
دون الجنتين الأوليين، كما نص الله على ذلك بقوله: ومن دونهما جنتان وكما وصف الأوليين بعدة أوصاف لم يصف بها الأخريين، فقال في الأوليين:
وعبقرى حسان العبقرى: نسبة لكل منسوج نسجا حسنا فاخرا، ولهذا وصفها بالحسن الشامل، لحسن الصنعة وحسن المنظر، ونعومة الملمس، وهاتان الجنتان
الرفراف الأخضر، وهي الفرش التي فوق المجالس العالية، التي قد زادت على مجالسهم، فصار لها رفرفة من وراء مجالسهم، لزيادة البهاء وحسن المنظر،
لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر أي: أصحاب هاتين الجنتين، متكأهم على

الأخريين. وقال في الأوليين: فيهما من كل فاكهة زوجان وفي الأخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان وقد علم ما بين الوصفين من التفاوت. 75
فيهما عينان تجريان وفي الأخريين: عينان نضاختان ومن المعلوم الفرق بين الجارية والنضاجة. وقال في الأوليين: ذواتا أفنان ولم يقل ذلك في
دون الجنتين الأوليين، كما نص الله على ذلك بقوله: ومن دونهما جنتان وكما وصف الأوليين بعدة أوصاف لم يصف بها الأخريين، فقال في الأوليين:
وعبقرى حسان العبقرى: نسبة لكل منسوج نسجا حسنا فاخرا، ولهذا وصفها بالحسن الشامل، لحسن الصنعة وحسن المنظر، ونعومة الملمس، وهاتان الجنتان
الرفراف الأخضر، وهي الفرش التي فوق المجالس العالية، التي قد زادت على مجالسهم، فصار لها رفرفة من وراء مجالسهم، لزيادة البهاء وحسن المنظر،
لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر أي: أصحاب هاتين الجنتين، متكأهم على

الأعين، وأهلها في غاية الراحة والرضا والطمأنينة وحسن المأوى، حتى إن كلا منهم لا يرى أحدا أحسن حالا منه، ولا أعلى من نعيمه الذي هو فيه. 76
الأخريين معدتان لعموم المؤمنين، وفي كل من الجنات المذكورات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفيهن ما تشتهيهُ الأنفس وتلذ
يدل على فضلها. فبهذه الأوجه يعرف فضل الأوليين على الأخريين، وأنها معدتان للمقربين من الأنبياء، والصديقين، وخوادم عباد الله الصالحين، وأن
في الأوليين هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فدل ذلك أن الأوليين جزاء المحسنين، ولم يقل ذلك في الأخريين. ومجرد تقديم الأوليين على الأخريين،
وأزواجهن: فيهن قاصرات الطرف لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان وقال في الأخريين: حور مقصورات في الخيام وقد علم التفاوت بين ذلك. وقال
من إستبرق وجنى الجنتين دان ولم يقل ذلك في الأخيرتين، بل قال: متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان وقال في الأوليين، في وصف نسائهم
قال في الأوليين: متكئين على فرش بطائنها

الأعين، وأهلها في غاية الراحة والرضا والطمأنينة وحسن المأوى، حتى إن كلا منهم لا يرى أحدا أحسن حالا منه، ولا أعلى من نعيمه الذي هو فيه. 77
الأخريين معدتان لعموم المؤمنين، وفي كل من الجنات المذكورات ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفيهن ما تشتهيهُ الأنفس وتلذ
يدل على فضلها. فبهذه الأوجه يعرف فضل الأوليين على الأخريين، وأنها معدتان للمقربين من الأنبياء، والصديقين، وخوادم عباد الله الصالحين، وأن
في الأوليين هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فدل ذلك أن الأوليين جزاء المحسنين، ولم يقل ذلك في الأخريين. ومجرد تقديم الأوليين على الأخريين،
وأزواجهن: فيهن قاصرات الطرف لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان وقال في الأخريين: حور مقصورات في الخيام وقد علم التفاوت بين ذلك. وقال

تفسير السعدي

من إستبرق وجنى الجنتين دان ولم يقل ذلك في الأخيرتين، بل قال: متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان وقال في الأوليين، في وصف نسائهم قال في الأوليين: متكئين على فرش بطائنها والإكرام أي: تعاطف وكثر خيره، الذي له الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه. تم تفسير سورة الرحمن، ولله الحمد والشكر والثناء الحسن. 78 ولما ذكر سعة فضله وإحسانه، قال: تبارك اسم ربك ذي الجلال الله الميزان، لئلا تتجاوزوا الحد في الميزان، فإن الأمر لو كان يرجع إلى عقولكم وآرائكم، لحصل من الخلل ما الله به عليكم، ولفسدت السماوات والأرض. 8 ألا تطغوا في الميزان أي: أنزل أي: اجعلوه قائما بالعدل، الذي تصل إليه مقدرتكم وإمكانكم، ولا تخسروا الميزان أي: لا تنقصوه وتعملوا بضده، وهو الجور والظلم والطغيان. 9 وأقيموا الوزن بالقسط

سورة 56

يخبر تعالى بحال الواقعة التي لا بد من وقوعها، وهي القيامة التي 1

والسابقون السابقون أي: السابقون في الدنيا إلى الخيرات، هم السابقون في الآخرة لدخول الجنات. 10

وأولئك المقربون 11

وأولئك الذين هذا وصفهم، المقربون عند الله، في جنات النعيم، في أعلى عليين، في المنازل العاليات، التي لا منزلة فوقها. 12

وهؤلاء المذكورون ثلثة من الأولين أي: جماعة كثيرون من المتقدمين من هذه الأمة وغيرهم. 13

وهذا يدل على فضل صدر هذه الأمة في الجملة على متأخريها، لكون المقربين من الأولين أكثر من المتأخرين. والمقربون هم خواص الخلق، 14

على سرر موضونة أي: مرمولة بالذهب والفضة، واللؤلؤ، والجوهر، وغير ذلك من الحلي الزينة، التي لا يعلمها إلا الله تعالى. 15

تلك السرر، جلوس تمكن وطمأنينة وراحة واستقرار. متقابلين وجه كل منهم إلى وجه صاحبه، من صفاء قلوبهم، وحسن أدبهم، وتقابل قلوبهم. 16 متكئين عليها أي: على

غاية الحسن والبهاء، كأنهم لؤلؤ مكنون أي: مستور، لا يناله ما يغيره، مخلوقون للبقاء والخلد، لا يهرمون ولا يتغيرون، ولا يزيدون على أسنانهم. 17

أي: يدور على أهل الجنة لخدمة وقضاء حوائجهم، ولدان صغار الأسنان، في

عليهم بآنية شرابهم بأكواب وهي التي لا عرى لها، وأباريق الأواني التي لها عرى، وكأس من معين أي: من خمر لذيق المشرب، لا آفة فيها. 18

ويدورون

غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وذكر هنا خمر الجنة، ونفى عنها كل آفة توجد في الدنيا. 19

يكون لخمر الدنيا. والحاصل: أن جميع ما في الجنة من أنواع النعيم الموجود جنسه في الدنيا، لا يوجد في الجنة فيه آفة، كما قال تعالى: فيها أنهار من ماء

لا يصدعون عنها أي: لا تصدعهم رءوسهم كما تصدع خمرة الدنيا رأس شاربها. ولا هم عنها ينزفون، أي: لا تنزف عقولهم، ولا تذهب أحلامهم منها، كما

ليس لوقعتها كاذبة أي: لا شك فيها، لأنها قد تظاهرت عليها الأدلة العقلية والسمعية، ودلت عليها حكمته تعالى. 2

مما يتخيرون أي: مهما تخيروا، وراق في أعينهم، واشتهته نفوسهم، من أنواع الفواكه الشهية، والجنى اللذيذ، حصل لهم على أكمل وجه وأحسنه. 20

وفاكهة

ولحم طير مما يشتهون أي: من كل صنف من الطيور يشتهونه، ومن أي جنس من لحمه أرادوا، وإن شاءوا مشويا، أو طبيخا، أو غير ذلك. 21

والحوراء: التي في عينها كحل وملاحة، وحسن وبهاء، والعين: حسان الأعين وضخامها وحسن العين في الأنثى، من أعظم الأدلة على حسناتها وجمالها. 22

وحور عين أي: ولهم حور عين،

الحور العين، لا عيب فيهن بوجه، بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت. فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسر خاطر ويروق الناظر. 23

اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي، المستور عن الأعين والريح والشمس، الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه، فكذاك

كأمثال اللؤلؤ المكنون أي: كأنهن

وذلك النعيم المعد لهم جزاء بما كانوا يعملون فكما حسنت منهم الأعمال، أحسن الله لهم الجزاء، ووفر لهم الفوز والنعيم. 24

لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما أي: لا يسمعون في جنات النعيم كلاما يلغى، ولا يكون فيه فائدة، ولا كلاما يؤثم صاحبه. 25

تفسير السعدي

- طيب، وهذا دليل على حسن أدب أهل الجنة فيما بينهم، وأنه أطيب كلام، وأسرّه للنفوس وأسلمه من كل لغو وإثم، نسأل الله من فضله. 26
- إلا قتيلا سلاما سلاما أي: إلا كلاما طيبا، وذلك لأنها دار الطيبين، ولا يكون فيها إلا كل
- وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين أي: شأنهم عظيم، وحالهم جسيم. 27
- أي: مقطوع ما فيه من الشوك والأغصان الرديئة المضرة، مجعول مكان ذلك الثمر الطيب، وللسدر من الخواص، الظل الظليل، وراحة الجسم فيه. 28
- في سدر مخضود
- وطلح منضود والطلح معروف، وهو شجر كبار يكون بالبادية، تنضد أغصانه من الثمر اللذيذ الشهي. 29
- خافضة رافعة أي: خافضة لأناس في أسفل سافلين، رافعة لأناس في أعلى عليين، أو خفضت بصوتها فأسمعت القريب، ورفعت فأسمعت البعيد. 3
- وطلح منضود والطلح معروف، وهو شجر كبار يكون بالبادية، تنضد أغصانه من الثمر اللذيذ الشهي. 30
- وماء مسكوب أي: كثير من العيون والأنهار السارحة، والمياه المتدفقة. 31
- في وقت من الأوقات، وتكون ممتنعة أي: متعسرة على مبتغيها، بل هي على الدوام موجودة، وجناها قريب يتناولها العبد على أي حال يكون. 32
- وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة أي: ليست بمنزلة فاكهة الدنيا تنقطع
- في وقت من الأوقات، وتكون ممتنعة أي: متعسرة على مبتغيها، بل هي على الدوام موجودة، وجناها قريب يتناولها العبد على أي حال يكون. 33
- وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة أي: ليست بمنزلة فاكهة الدنيا تنقطع
- وفرش مرفوعة أي: مرفوعة فوق الأسرة ارتفاعا عظيما، وتلك الفرش من الحرير والذهب واللؤلؤ وما لا يعلمه إلا الله. 34
- إنا أنشأنهن إنشاء أي: إنا أنشأن نساء أهل الجنة نشأة غير النشأة التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء. 35
- فجعلناهن أبكارا صغارهن وكبارهن. 36
- سن الشباب، فنسأوهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، راضيات مرضيات، لا يحزن ولا يحزن، بل هن أفراح النفوس، وقرة العيون، وجلاء الأبصار. 37
- ذلك الموضع منها ريحا طيبا ونورا، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع. والأتراب اللاتي على سن واحدة، ثلاث وثلاثين سنة، التي هي غاية ما يتمنى ونهاية عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة والنفحات المطربة، وإن نظر إلى أدبها وسمتها ودلها ملأت قلب بعلاها فرحا وسرورا، وإن برزت من محل إلى آخر، امتلا المتحبة إلى بعلاها بحسن لفظها، وحسن هيئتها ودلالها وجمالها ومحبتها، فهي التي إن تكلمت سبت العقول، وود السامع أن كلامها لا ينقضي، خصوصا ونساء أهل الدنيا، وأن هذا الوصف وهو البكارة ملازم لهن في جميع الأحوال، كما أن كونهن عربا أترابا ملازم لهن في كل حال، والعروب: هي المرأة وعموم ذلك، يشمل الحور العين
- لأصحاب اليمين أي: معدات لهم مهيئات. 38
- ثلة من الأولين وثلة من الآخرين أي: هذا القسم من أصحاب اليمين عدد كثير من الأولين، وعدد كثير من الآخرين. 39
- إذا رجت الأرض رجا أي: حركت واضطربت. 4
- ثلة من الأولين وثلة من الآخرين أي: هذا القسم من أصحاب اليمين عدد كثير من الأولين، وعدد كثير من الآخرين. 40
- المراد بأصحاب الشمال هم: أصحاب النار، والأعمال المشئومة. 41
- حقيقون به، فأخبر أنهم في سموم أي: ريح حارة من حر نار جهنم، يأخذ بأنفاسهم، وتقلقهم أشد القلق، وحميم أي: ماء حار يقطع أمعاءهم. 42
- فذكر الله لهم من العقاب، ما هم
- وظل من يحموم أي: لهب نار، يختلط بدخان. 43
- لا بارد ولا كريم أي: لا برد فيه ولا كرم، والمقصود أن هناك الهم والغم، والحزن والشر، الذي لا خير فيه، لأن نفي الضد إثبات لصدده. 44
- كانوا قبل ذلك مترفين أي: قد ألهمهم دنياهم، وعملوا لها، وتنعموا وتمتعوا بها، فألهمهم الأمل عن إحسان العمل، فهذا هو الترف الذي ذمهم الله عليه. 45
- ثم ذكر أعمالهم التي أوصلتهم إلى هذا الجزاء فقال: إنهم
- أي: وكانوا يفعلون الذنوب الكبار ولا يتوبون منها، ولا يندمون عليها، بل يصرون على ما يسخط مولاهم، فقدموا عليه بأوزار كثيرة غير مغفورة. 46
- وكانوا يصرون على الحنث العظيم
- وعظاما أننا لمبعوثون أو بأبأنا الأولون أي: كيف نبعث بعد موتنا وقد بلبنا، فكنا ترابا وعظاما؟ هذا من المحال أننا لمبعوثون أو بأبأنا الأولون 47
- وكانوا ينكرون البعث، فيقولون استبعادا لوقوعه: أنذا متنا وكنا ترابا

تفسير السعدي

- وعظاما أننا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون أي: كيف نبعث بعد موتنا وقد بلينا، فكنا ترابا وعظاما؟ هذا من المحال أننا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون 48 وكانوا ينكرون البعث، فيقولون استبعادا لوقوعه: أئذا متنا وكنا ترابا
- الله ويجمعهم لميقات يوم معلوم، قدره الله لعباده، حين تنقضي الخليقة، ويريد الله تعالى جزاءهم على أعمالهم التي عملوها في دار التكليف. 49 قال تعالى جوابا لهم وردا عليهم: قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم أي: قل إن متقدم الخلق ومتأخرهم، الجميع سيجمعهم وبست الجبال بسا أي: فتنت. 5
- الله ويجمعهم لميقات يوم معلوم، قدره الله لعباده، حين تنقضي الخليقة، ويريد الله تعالى جزاءهم على أعمالهم التي عملوها في دار التكليف. 50 قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم أي: قل إن متقدم الخلق ومتأخرهم، الجميع سيجمعهم
- ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى، التابعون لطريق الردى، المكذبون بالرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق والوعد والوعيد. 51
- لاكلون من شجر من زقوم وهو أقبح الأشجار وأخسها، وأنتنها ريحا، وأبشعها منظرا. 52
- الجوع المفرط، الذي يلتهب في أكبادهم وتكاد تنقطع منه أفئدتهم. هذا الطعام الذي يدفعون به الجوع، وهو الذي لا يسمن ولا يغني من جوع. 53 فمائلون منها البطون والذي أوجب لهم أكلها مع ما هي عليه من الشناعة
- الحميم الذي يغلي في البطون شرب الإبل الهيم أي: العطاش، التي قد اشتد عطشها، أو أن الهيم داء يصيب الإبل، لا تروى معه من شراب الماء. 54 وأما شرابهم، فهو بنس الشراب، وهو أنهم يشربون على هذا الطعام من الماء
- الماء الحميم الذي يغلي في البطون شرب الإبل الهيم أي: العطاش، التي قد اشتد عطشها، أو أن الهيم داء يصيب الإبل، لا تروى معه من شراب الماء 55 وأما شرابهم، فهو بنس الشراب، وهو أنهم يشربون على هذا الطعام من
- وآثروها على ضيافة الله لأوليائه. قال تعالى: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا 56 هذا الطعام والشراب نزلهم أي: ضيافتهم يوم الدين وهي الضيافة التي قدموها لأنفسهم،
- على ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟ بلى إنه على كل شيء قدير، ولهذا وبخهم على عدم تصديقهم بالبعث، وهم يشاهدون ما هو أعظم منه وأبلغ. 57 العقلي على البعث، فقال: نحن خلقناكم فلولا تصدقون أي: نحن الذين أوجدناكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا، من غير عجز ولا تعب، أفليس القادر
- ثم ذكر الدليل
- أي: أفرأيتم ابتداء خلقتكم من المني الذي تمنون. 58
- خلق فيكم من الشهوة وآلتها من الذكر والأنثى، وهدي كلا منهما لما هنالك، وحبب بين الزوجين، وجعل بينهما من المودة والرحمة ما هو سبب للتناسل. 59 فهل أنتم خالقون ذلك المني وما ينشأ منه؟ أم الله تعالى الخالق الذي
- فكانت هباء منبثا فأصبحت الأرض ليس عليها جبل ولا معلم، قاعا صافيا، لا ترى فيها عوجا ولا أمنا. 6
- خلق فيكم من الشهوة وآلتها من الذكر والأنثى، وهدي كلا منهما لما هنالك، وحبب بين الزوجين، وجعل بينهما من المودة والرحمة ما هو سبب للتناسل. 60 فهل أنتم خالقون ذلك المني وما ينشأ منه؟ أم الله تعالى الخالق الذي
- خلق فيكم من الشهوة وآلتها من الذكر والأنثى، وهدي كلا منهما لما هنالك، وحبب بين الزوجين، وجعل بينهما من المودة والرحمة ما هو سبب للتناسل. 61 فهل أنتم خالقون ذلك المني وما ينشأ منه؟ أم الله تعالى الخالق الذي
- على الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، فقال: ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أن القادر على ابتداء خلقكم، قادر على إعادتكم. 62 أحالهم الله تعالى
- من الأقوات والأرزاق والفواكه، ما هو من ضروراتهم وحاجاتهم ومصالحهم، التي لا يقدر أن يحصوها، فضلا عن شكرها، وأداء حقها، فقرهم بمنته. 63 وهذا امتنان منه على عباده، يدعوه به إلى توحيده وعبادته والإنابة إليه، حيث أنعم عليهم بما يسره لهم من الحرث للزروع والثمار، فتخرج من ذلك
- يكون بعد ذلك، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك ومع ذلك، فنبههم على أن ذلك الحرث معرض للأخطار لولا حفظ الله وإبقاؤه لكم بلغة ومناة إلى حين. 64 نضيجا؟ أم الله الذي انفرد بذلك وحده، وأنعم به عليكم؟ وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر، ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما
- تزرعونه أم نحن الزارعون أي: أنتم أخرجتموه نباتا من الأرض؟ أم أنتم الذين نميتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حبا حصيدا وثمرا أنتم
- جعله حطاما، بعد أن تعبت فيه وأنفقت النفقات الكثيرة تفكهون أي: تندمون وتحسرون على ما أصابكم، ويزول بذلك فرحكم وسروركم وتفكهكم 65

تفسير السعدي

- لو نشاء لجعلناه أي: الزرع المحروث وما فيه من الثمار حطاما أي: فتاتا متحطما، لا نفع فيه ولا رزق، فظلمت أي: فصرتم بسبب
- إنا لمغرمون أي: إنا قد نقصنا وأصابتنا مصيبة اجتاحتنا. 66
- فتقولون: بل نحن محرومون فاحمدوا الله تعالى حيث زرعه الله لكم، ثم أبواه وكملة لكم، ولم يرسل عليه من الآفات ما به تحرمون نفعه وخيره. 67
- ثم تعرفون بعد ذلك من أين أتيتم، وبأي سبب ذهبتكم،
- لما ذكر تعالى نعمته على عباده بالطعام، ذكر نعمته عليهم بالشراب العذب الذي منه يشربون، وأنهم لولا أن الله يسره وسهله، لما كان لكم سبيل إليه. 68
- ينزله الله تعالى فيكون منه الأنهار الجارية على وجه الأرض وفي بطنها، ويكون منه الغدران المتدفقة، ومن نعمته أن جعله عذبا فاراتا تسيغه النفوس 69
- وأنه الذي أنزله من المزن، وهو السحاب والمطر،
- وكنتم أيها الخلق أزواجا ثلاثة أي: انقسمتم ثلاث فرق بحسب أعمالكم الحسنة والسيئة. 7
- ولو شاء لجعله ملحا أجاجا مكروها للنفوس. لا ينتفع به فلولوا تشكرون الله تعالى على ما أنعم به عليكم. 70
- أن ينشئوا شجرها، وإنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الأخضر، فإذا هي نار توقد بقدر حاجة العباد، فإذا فرغوا من حاجتهم، أطفالوها وأخمدوها. 71
- التي لا غنى للخلق عنها، فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم وحوائجهم، فقرهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن الخلق لا يقدر
- وهذه نعمة تدخل في الضروريات
- أن ينشئوا شجرها، وإنما الله تعالى الذي أنشأها من الشجر الأخضر، فإذا هي نار توقد بقدر حاجة العباد، فإذا فرغوا من حاجتهم، أطفالوها وأخمدوها. 72
- التي لا غنى للخلق عنها، فإن الناس محتاجون إليها في كثير من أمورهم وحوائجهم، فقرهم تعالى بالنار التي أوجدها في الأشجار، وأن الخلق لا يقدر
- وهذه نعمة تدخل في الضروريات
- ربه، فهذه النار، جعلها الله متاعا للمسافرين في هذه الدار، وتذكرا لهم بدار القرار، فلما بين من نعمه ما يوجب الثناء عليه من عباده وشكره وعبادته، 73
- أو المسافرين وخص الله المسافرين لأن نفع المسافر بذلك أعظم من غيره، ولعل السبب في ذلك، لأن الدنيا كلها دار سفر، والعبد من حين ولد فهو مسافر إلى
- تذكرة للعباد بنعمة ربهم، وتذكرا بنار جهنم التي أعدها الله للعاصين، وجعلها سوطا يسوق به عباده إلى دار النعيم، ومتاعا للمقوين أي: المنتفعين
- نحن جعلناها
- كثير الإحسان والخيرات، واحمده بقلبك ولسانك، وجوارحك، لأنه أهل لذلك، وهو المستحق لأن يشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى. 74
- أمر بتسبيحه وتحميده فقال: فسبح باسم ربك العظيم أي: نزه ربك العظيم، كامل الأسماء والصفات،
- أقسم تعالى بالنجوم ومواقعها أي: مساقطها في مغاربها، وما يحدث الله في تلك الأوقات، من الحوادث الدالة على عظمته وكبريائه وتوحيده. 75
- به، فقال: وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وإنما كان القسم عظيما، لأن في النجوم وجريانها، وسقوطها عند مغاربها، آيات وعبرا لا يمكن حصرها. 76
- ثم عظم هذا المقسم
- إثبات القرآن، وأنه حق لا ريب فيه، ولا شك يعتريه، وأنه كريم أي: كثير الخير، غزير العلم، فكل خير وعلم، فإنما يستفاد من كتاب الله ويستنبط منه. 77
- وأما المقسم عليه، فهو
- بأيدي الملائكة الذين ينزلهم الله بوحيه وتنزيله وأن المراد بذلك أنه مستور عن الشياطين، لا قدرة لهم على تغييره، ولا الزيادة والنقص منه واستراقه. 78
- المحفوظ أي: إن هذا القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ، معظم عند الله وعند ملائكته في المأ الأعلى. ويحتمل أن المراد بالكتاب المكنون، هو الكتاب الذي
- في كتاب مكنون أي: مستور عن أعين الخلق، وهذا الكتاب المكنون هو اللوح
- دلت الآية بتنبئها على أنه لا يجوز أن يمس القرآن إلا طاهر، كما ورد بذلك الحديث، ولهذا قيل أن الآية خبر بمعنى النهي أي: لا يمس القرآن إلا طاهر. 79
- الذين طهرهم الله تعالى من الآفات، والذنوب والعيوب، وإذا كان لا يمس إلا المطهرون، وأن أهل الخبث والشياطين، لا استطاعة لهم، ولا يدان إلى مسه،
- لا يمس إلا المطهرون أي: لا يمس القرآن إلا الملائكة الكرام،
- ثم فصل أحوال الأزواج الثلاثة، فقال: فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة تعظيم لشأنهم، وتفخيم لأحوالهم. 8
- والدنيوية، ومن أجل تربية ربي بها عباده، إنزاله هذا القرآن، الذي قد اشتمل على مصالح الدارين، ورحم الله به العباد رحمة لا يقدر
- تنزيل من رب العالمين أي: إن هذا القرآن الموصوف بتلك الصفات الجليلة هو تنزيل رب العالمين، الذي يربي عباده بنعمه الدينية
- الكريم، فهو الحق الذي لا يغالب به مغالب إلا غلب، ولا يصول به صائل إلا كان العالي على غيره، وهو الذي لا يدهن به ولا يختفى، بل يصدع به ويعلم. 81
- تدهنون أي: تختفون وتدلسون خوفا من الخلق وعارهم وألسنتهم؟ هذا لا ينبغي ولا يليق، إنما يليق أن يدهن بالحديث الذي لا يثق صاحبه منه. وأما القرآن
- ومما يجب عليهم أن يقوموا به ويعملوه ويدعوا إليه ويصدعوا به، ولهذا قال: أفبهذا الحديث أنتم مدهنون أي: أفبهذا الكتاب العظيم والذكر الحكيم أنتم

تفسير السعدي

- لغير مسديها وموليها، فهلا شكرتم الله تعالى على إحسانه، إذ أنزله الله إليكم ليزيدكم من فضله، فإن التكذيب والكفر داع لرفع النعم وحلول النقم. 82
- وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي: تجعلون مقابلة منة الله عليكم بالرزق التكذيب والكفر لنعمة الله، فتقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وتضيفون النعمة أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وأنتم تنظرون المحتضر في هذه الحالة، والحال أنا نحن أقرب إليه منكم، بعلمنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرون. 83
- فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون
- أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وأنتم تنظرون المحتضر في هذه الحالة، والحال أنا نحن أقرب إليه منكم، بعلمنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرون. 84
- فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون
- أي: فهلا إذا بلغت الروح الحلقوم، وأنتم تنظرون المحتضر في هذه الحالة، والحال أنا نحن أقرب إليه منكم، بعلمنا وملائكتنا، ولكن لا تبصرون. 85
- فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون
- فلولا إن كنتم غير مدينين أي: فهلا إذا كنتم تزعمون، أنكم غير مبعوثين ولا محاسبين ومجازين. 86
- أنكم عاجزون عن ردها إلى موضعها، فحينئذ إما أن تقرروا بالحق الذي جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم، وإما أن تعاندوا وتعلم حالكم وسوء مآلكم. 87
- ترجعون الروح إلى بدنها إن كنتم صادقين وأنتم تقررون
- والموت، فقال: فأما إن كان الميت من المقربين وهم الذين أدوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وفضول المباحات. 88
- ذكر الله تعالى أحوال الطوائف الثلاث: المقربين، وأصحاب اليمين، والمكذبين الضالين، في أول السورة في دار القرار. ثم ذكر أحوالهم في آخرها عند الاحتضار من غفور رحيم وقد أول قوله تبارك تعالى: لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة أن هذه البشارة المذكورة، هي البشري في الحياة الدنيا. 89
- أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا عند الاحتضار بهذه البشارة، التي تكاد تطير منها الأرواح من الفرح والسرور. كما قال تعالى: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة تعبيراً بنوع الشيء عن جنسه العام وجنة نعيم جامعة للأميرين كليهما، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيبشر المقربون وبهجة، ونعيم القلب والروح، وريحان وهو اسم جامع لكل لذة بدنية، من أنواع المأكول والمشرب وغيرهما، وقيل: الريحان هو الطيب المعروف، فيكون ف لهم روح أي: راحة وطمأنينة، وسرور
- وأصحاب المشئمة أي: الشمال، ما أصحاب المشئمة تهويل لحالهم. 9
- من أصحاب اليمين وهم الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، وإن حصل منهم التقصير في بعض الحقوق التي لا تخل بتوحيدهم وإيمانهم، 90
- وأما إن كان ويحيونه عند وصوله إليهم ولقائهم له، أو يقال له: سلام لك من الآفات والبليات والعذاب، لأنك من أصحاب اليمين، الذين سلموا من الذنوب الموبقات. 91
- ف يقال لأحدهم: سلام لك من أصحاب اليمين أي: سلام حاصل لك من إخوانك أصحاب اليمين أي: يسلمون عليه
- وأما إن كان من المكذبين الضالين أي: الذين كذبوا بالحق وضلوا عن الهدى. 92
- التي تحيط بهم، وتصل إلى أفئدتهم، وإذا استغاثوا من شدة العطش والظمأ يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بنس الشراب وساءت مرتفقا 93
- فنزل من حميم وتصلية جحيم أي: ضيافتهم يوم قدومهم على ربهم تصلية الجحيم
- التي تحيط بهم، وتصل إلى أفئدتهم، وإذا استغاثوا من شدة العطش والظمأ يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بنس الشراب وساءت مرتفقا 94
- فنزل من حميم وتصلية جحيم أي: ضيافتهم يوم قدومهم على ربهم تصلية الجحيم
- على ذلك، حتى صار عند أولي الأبواب كأنهم ذائقون له مشاهدون له فحمدوا الله تعالى على ما خصهم به من هذه النعمة العظيمة، والمنحة الجسيمة. 95
- خيرها وشرها، وتفصيل ذلك لهو حق اليقين أي: الذي لا شك فيه ولا مرية، بل هو الحق الثابت الذي لا بد من وقوعه، وقد أشهد الله عباده الأدلة القواطع إن هذا الذي ذكره الله تعالى، من جزاء العباد بأعمالهم،
- ربنا العظيم، وتعالى وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. تم تفسير سورة الواقعة. 96
- فسبح باسم ربك العظيم فسبحان

سورة 57

فهذا فيه بيان عموم افتقار المخلوقات العلوية والسفلية لربها، في جميع أحوالها، وعموم عزته وقهره للأشياء كلها، وعموم حكمته في خلقه وأمره. 1

والجوامد تسبح بحمد ربها، وتنزه عما لا يليق بجلاله، وأنها قانتة لربها، منقادة لعزته، قد ظهرت فيها آثار حكمته، ولهذا قال: وهو العزيز الحكيم

تفسير السعدي

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وسعة سلطانه، أن جميع ما في السماوات والأرض من الحيوانات الناطقة والصامتة وغيرها،

10 الصحابة كلهم، رضي الله عنهم، حيث شهد الله لهم بالإيمان، ووعدهم الجنة، والله بما تعملون خبير فيجازي كلا منكم على ما يعلمه من عمله. احترز تعالى من هذا بقوله: وكلا وعد الله الحسنى أي: الذين أسلموا وقتلوا وأنفقوا من قبل الفتح وبعده، كلهم وعده الله الجنة، وهذا يدل على فضل هو مقتضى الحكمة، ولذلك كان السابقون وفضلاء الصحابة، غالبهم أسلم قبل الفتح، ولما كان التفضيل بين الأمور قد يتوهم منه نقص وقدح في المفضل، وغيرها من ديار المشركين يؤذى ويخاف، فلذلك كان من أسلم قبل الفتح وأنفق وقاتل، أعظم درجة وأجرا وثوابا ممن لم يسلم ويقاتل وينفق إلا بعد ذلك، كما عزا عظيمها، وكان المسلمون قبل هذا الفتح لا يقدرون على الدعوة إلى الدين في غير البقعة التي أسلم أهلها، كالمدينة وتوابعها، وكان من أسلم من أهل مكة حصل بها نشر الإسلام، واختلاط المسلمين بالكافرين، والدعوة إلى الدين من غير معارض، فدخل الناس من ذلك الوقت في دين الله أفواجا، واعتز الإسلام درجة من الدين أنفقوا من بعد وقتلوا المراد بالفتح هنا هو فتح الحديبية، حين جرى من الصلح بين الرسول وبين قريش مما هو أعظم الفتوحات التي أيديكم، وانتهزوا الفرصة، ثم ذكر تعالى تفاضل الأعمال بحسب الأحوال والحكمة الإلهية، فقال: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم ميراث السماوات والأرض فجميع الأموال ستنقل من أيديكم أو تنقلون عنها، ثم يعود الملك إلى مالكه تبارك وتعالى، فاغتنموا الإنفاق ما دامت الأموال في أي: وما الذي يمنعكم من النفقة في سبيل الله، وهي طرق الخير كلها، ويوجب لكم أن تبخلوا، والحال أنه ليس لكم شيء، بل لله

كثيرة، وهو الكريم الوهاب، وتلك المضاعفة محلها وموضعها يوم القيامة، يوم كل يتبين فقره، ويحتاج إلى أقل شيء من الجزاء الحسن، ولذلك قال: 11 لمرضاة الله، من مال حلال طيب، طيبة به نفسه، وهذا من كرم الله تعالى حيث سماه قرضا، والمال ماله، والعبد عبده، ووعد بالمضاعفة عليه أضعافا على النفقة فيه، وبذل الأموال في التجهيز له، فقال: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وهي النفقة الطيبة التي تكون خالصة لوجه الله، موافقة حث على النفقة في سبيله، لأن الجهاد متوقع

فيها ذلك هو الفوز العظيم فله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم، وألذها لنفوسهم، حيث حصل لهم كل مطلوب محبوب، ونجوا من كل شر ومرهوب 12 ونورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب، كل على قدر إيمانه، ويبشرون عند ذلك بأعظم بشارة، فيقال: بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين القمر، وصار الناس في الظلمة، ونصب الصراط على متن جهنم، فحينئذ ترى المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيمشون بأيمانهم واغتباط أهل به يوم القيامة: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم أي: إذا كان يوم القيامة، وكورت الشمس، وخسف يقول تعالى مبينا لفضل الإيمان

حصين، له باب باطنه فيه الرحمة وهو الذي يلي المؤمنين وظاهره من قبله العذاب وهو الذي يلي المنافقين، فينادي المنافقون المؤمنين، 13 نورا أي: إن كان ذلك ممكنا، والحال أن ذلك غير ممكن، بل هو من المحالات، فضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور أي: حائط منيع، وحصن قالوا للمؤمنين: انظرونا نقتبس من نوركم أي: أمهلونا لننال من نوركم ما نمشي به، لننجو من العذاب، ف قيل لهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به وهم قد طفى نورهم وبقوا في الظلمات حائرين،

الموت وأنتم بتلك الحال الذميمة. وغركم بالله الغرور وهو الشيطان، الذي زين لكم الكفر والريب، فاطمأنتم به، ووثقتم بوعده، وصدقتم خبره. 14 خبر الله الذي لا يقبل شكًا، وغرتكم الأمانى الباطلة، حيث تمنيتم أن تتألوا منال المؤمنين، وأنتم غير موقنين، حتى جاء أمر الله أي: حتى جاءكم في الظاهر مثل عملنا، ولكن أعمالكم أعمال المنافقين، من غير إيمان ولا نية صادقة صالحة، بل فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم أي: شكتم في تضرعا وترحمًا: ألم نكن معكم في الدنيا نقول: لا إله إلا الله ونصلي ونصوم ونجاهد، ونعمل مثل عملكم؟ قالوا بلى كنتم معنا في الدنيا، وعلمتم فيقولون لهم

هي مولاكم التي تتولاكم وتضمكم إليها، وبئس المصير النار. قال تعالى: وأما من خفت موازينه فأمله هاوية وما أدراك ما هية نار حامية 15 فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا فلو اقتديتم بمثل الأرض ذهبًا ومثله معه، لما تقبل منكم، مأواكم النار أي: مستقركم، فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزل له الله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين. 16 التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، فقسست قلوبهم وكثير منهم فاسقون على ذلك، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم الذي تلين به قلوبهم وتخضع لذكر الله، الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟ وهذا فيه الحث والاستكانة لعظمته، فعاتب الله المؤمنين على عدم ذلك، فقال: ألم يأن للذين آمنوا أن تخضع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق أي: ألم يجئ الوقت لما ذكر حال المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات في الدار الآخرة، كان ذلك مما يدعو القلوب إلى الخشوع لربها،

قادر على أن يحيي القلوب الميتة بما أنزله من الحق على رسوله، وهذه الآية تدل على أنه لا عقل لمن لم يهتد بآيات الله ولم ينقد لشرائع الله. 17 على العلم بالمطالب الإلهية، والذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على أن يحيي الأموات بعد موتهم، فيجازيهم بأعمالهم، والذي أحيا الأرض بعد موتها بماء المطر

تفسير السعدي

اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون فإن الآيات تدل العقول

يضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ولهم أجر كريم وهو ما أعد الله لهم في الجنة، مما لا تعلمه النفوس. 18
أكثرنا من الصدقات الشرعية، والنفقات المرضية، وأقرضوا الله قرضا حسنا بأن قدموا من أموالهم في طرق الخيرات ما يكون مدخرا لهم عند ربهم،
إن المصدقين والمصدقات بالتشديد أي: الذين

الواجبات وتركوا المحرمات، إلا أنهم حصل منهم تقصير ببعض حقوق الله وحقوق عباده، فهؤلاء مآلهم الجنة، وإن حصل لهم عقوبة ببعض ما فعلوا. 19
الله، وبذلوا أنفسهم وأموالهم فقتلوا، وأصحاب الجحيم هم الكفار الذين كذبوا بآيات الله. وبقي قسم ذكرهم الله في سورة فاطر، وهم المقتصدون الذين أدوا في سبيل الله. والصديقون هم الذينكملوا مراتب الإيمان والعمل الصالح، والعلم النافع، واليقين الصادق، والشهداء هم الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة والصديقين، والشهداء، وأصحاب الجحيم، فالمتصدقون الذين كان جل عملهم الإحسان إلى الخلق، وبذل النفع إليهم بغاية ما يمكنهم، خصوصا بالنفع بالمال يقتضي شدة علوهم ورفعتهم، وقربهم الله تعالى. والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم فهذه الآيات جمعت أصناف الخلق، المتصدقين، ونورهم كما ورد في الحديث الصحيح: إن في الجنة مائة درجة، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله وهذا فالذين جمعوا بين هذه الأمور هم الصديقون أي: الذين مرتبتهم فوق مرتبة عموم المؤمنين، ودون مرتبة الأنبياء. وقوله: والشهداء عند ربهم لهم أجرهم عند أهل السنة: هو ما دل عليه الكتاب والسنة، هو قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، فيشمل ذلك جميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة، والذين آمنوا بالله ورسوله والإيمان

ثم أخبر عن عموم ملكه، فقال: له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت أي: هو الخالق لذلك، الرازق المدبر لها بقدرته وهو على كل شيء قدير 2
إلا متاع الغرور أي: إلا متاع يتمتع به وينتفع به، ويستدفع به الحاجات، لا يغتر به ويطمئن إليه إلا أهل العقول الضعيفة الذين يغرهم بالله الغرور. 20
من أحله به دار الرضوان لمن عرف الدنيا، وسعى للآخرة سعيها. فهذا كله مما يدعو إلى الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، ولهذا قال: وما الحياة الدنيا هي غايته ومنتهاى مطلبه، فتجراً على معاصي الله، وكذب بآيات الله، وكفر بأنعم الله. وإما مغفرة من الله للسيئات، وإزالة للعقوبات، ورضوان من الله، يحل شديد ومغفرة من الله ورضوان أي: حال الآخرة، ما يخلو من هذين الأمرين: إما العذاب الشديد في نار جهنم، وأغلالها وسلاسلها وأهوالها لمن كانت الدنيا أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه. وأما العمل للآخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه، ويصحب العبد على الأبد، ولهذا قال تعالى: وفي الآخرة عذاب وجد أبوابه مفتحة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتابا لمن كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رؤي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار، الذين قصروا همهم ونظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلّفها فهاجت ويبست، فعادت على حالها الأولى، وينافسه بالأموال والأولاد، نافسه بالأعمال الصالحة. ثم ضرب للدنيا مثلاً بغيث نزل على الأرض، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا إليها. بخلاف من عرف الدنيا وحقيقتها، فجعلها معبرا ولم يجعلها مستقرا، فنافس فيما يقربه إلى الله، واتخذ الوسائل التي توصله إلى الله وإذا رأى من يكائره في أحوالها، وتكاثر في الأموال والأولاد أي: كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه، وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين والدور والقصور والجاه. وغير ذلك وتفاخر بينكم أي: كل واحد من أهلها يريد مفاخرة الآخر، وأن يكون هو الغالب في أمورها، والذي له الشهرة ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي. وقوله: وزينة أي: تزيين في اللباس والطعام والشراب، والمراكب عن ذكر الله وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها

من أعظم منتهاى عباده وفضله. والله ذو الفضل العظيم الذي لا يحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده 21
يؤتيه من يشاء أي: هذا الذي بيناه لكم، وذكرنا لكم فيه الطرق الموصلة إلى الجنة، والطرق الموصلة إلى النار، وأن فضل الله بالثواب الجزيل والأجر العظيم لذلك، فقال: وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله والإيمان بالله ورسوله يدخل فيه أصول الدين وفروعها، ذلك فضل الله الصالح، والحرص على ما يرضي الله على الدوام، من الإحسان في عبادة الخالق، والإحسان إلى الخلق بجميع وجوه النفع، ولهذا ذكر الله الأعمال الموجبة الله ورضوانه وجنته، وذلك يكون بالسعي بأسباب المغفرة، من التوبة النصوح، والاستغفار النافع، والبعد عن الذنوب ومظانها، والمسابقة إلى رضوان الله بالعمل ثم أمر بالمسابقة إلى مغفرة

عنده أفئدة أولي الألباب، ولكنه على الله يسير، وأخبر الله عباده بذلك لأجل أن تتقرر هذه القاعدة عندهم، ويبينوا عليها ما أصابهم من الخير والشر، 22
شامل لعموم المصائب التي تصيب الخلق، من خير وشر، فكلها قد كتبت في اللوح المحفوظ، صغيرها وكبيرها، وهذا أمر عظيم لا تحيط به العقول، بل تذهل يقول تعالى مخبرا عن عموم قضائه وقدره: ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم وهذا

بنفسه، فخور بنعم الله، ينسبها إلى نفسه، وتطفيه وتلهيه، كما قال تبارك وتعالى: ثم إذا خولناه نعمتنا منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنة 23

تفسير السعدي

وقوتهم، وإنما أدركوه بفضل الله ومنه، فيشتغلوا بشكر من أولى النعم ودفع النقم، ولهذا قال: والله لا يحب كل مختال فخور أي: متكبر فظ غليظ، معجب أن ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، لا بد من نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، ولا يفرحوا بما آتاهم الله فرح بطر وأشر، لعلمهم أنهم ما أدركوه بحولهم فلا يأسوا ويحزنوا على ما فاتهم، مما طمحت له أنفسهم وتشوفوا إليه، لعلمهم

السماوات والأرض، وهو الذي أغنى عباده وأقناهم، الحميد الذي له كل اسم حسن، ووصف كامل، وفعل جميل، يستحق أن يحمد عليه ويثنى ويعظم. 24 ربهم وتوليهم عنها، ومن يتول عن طاعة الله فلا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئا، فإن الله هو الغني الحميد الذي غناه من لوازم ذاته، الذي له ملك الواجبة، ويأمرون الناس بذلك، فلم يكفهم بخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثوهم على هذا الخلق الذميمة، بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل أي: يجمعون بين الأمرين الذميين، اللذين كل منهما كاف في الشر البخل: وهو منع الحقوق

والسيف الناصر بإذن الله، وكلاهما قيامه بالعدل والقسط، الذي يستدل به على حكمة الباري وكماله، وكمال شريعته التي شرعها على ألسنة رسله. 25 من ينصره بالغيب، وقرن تعالى في هذا الموضع بين الكتاب والحديد، لأن بهذين الأمرين ينصر الله دينه، ويعلي كلمته بالكتاب الذي فيه الحجة والبرهان يفوته هارب، ومن قوته وعزته أن أنزل الحديد الذي منه الآلات القوية، ومن قوته وعزته أنه قادر على الانتصار من أعدائه، ولكنه يبتلي أوليائه بأعدائه، ليعلم في حال الغيب، التي ينفع فيها الإيمان قبل الشهادة، التي لا فائدة بوجود الإيمان فيها، لأنه حينئذ يكون ضروريا. إن الله قوي عزيز أي: لا يعجزه شيء، ولا يحتاج إلى الحديد. وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب أي: ليقيم تعالى سوق الامتحان بما أنزله من الكتاب والحديد، فيتبين من ينصره وينصر رسله والدروع وغير ذلك. ومنافع للناس وهو ما يشاهد من نفعه في أنواع الصناعات والحرف، والأواني وآلات الحرث، حتى إنه قل أن يوجد شيء إلا وهو في قاعدة الشرع، وهو القيام بالقسط، وإن اختلفت أنواع العدل، بحسب الأزمنة والأحوال، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد من آلات الحرب، كالسلاح وغير ذلك، وذلك ليقوم الناس بالقسط قياما بدين الله، وتحصيلا لمصالحهم التي لا يمكن حصرها وعدّها، وهذا دليل على أن الرسل متفقون الأقوال والأفعال، والدين الذي جاءت به الرسل، كله عدل وقسط في الأوامر والنواهي وفي معاملات الخلق، وفي الجنايات والقصاص والحدود والمواريث معهم الكتاب وهو اسم جنس يشمل سائر الكتب التي أنزلها الله لهداية الخلق وإرشادهم، إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، والميزان وهو العدل في يقول تعالى: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وهي الأدلة والشواهد والعلامات الدالة على صدق ما جاءوا به وحقيته. وأنزلنا

بهدهم. وكثير منهم فاسقون أي: خارجون عن طاعة الله وطاعة الرسل والأنبياء كما قال تعالى: وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين 26 عليهما السلام، وكذلك الكتب كلها نزلت على ذرية هذين النبيين الكريمين، فمنهم أي: ممن أرسلنا إليهم الرسل مهتد بدعوتهم، منقاد لأمرهم، مسترشد والكتاب في ذريتهما، فقال: ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب أي: الأنبياء المتقدمين والمتأخرين كلهم من ذرية نوح وإبراهيم ولما ذكر نبوة الأنبياء عموما، ذكر من خواصهم النبيين الكريمين نوحا وإبراهيم اللذين جعل الله النبوة

آمنوا منهم أجرهم أي: الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، مع إيمانهم بعبسى، كل أعطاه الله على حسب إيمانه وكثير منهم فاسقون 27 ابتداءهم، ومن جهة عدم قيامهم بما فرضه على أنفسهم. فهذه الحال هي الغالب من أحوالهم. ومنهم من هو مستقيم على أمر الله، ولهذا قال: فآتيناهم الذين بها من تلقاء أنفسهم، قصدهم بذلك رضا الله تعالى، ومع ذلك فما رعوها حق رعايتها أي: ما قاموا بها ولا أدوا حقوقها، فقصروا من وجهين: من جهة ابتدعوا والرهبانية: العبادة، فهم ابتدعوا من عند أنفسهم عبادة، ووظفوها على أنفسهم، والتزموا لوازم ما كتبها الله عليهم ولا فرضها، بل هم الذين التزموا ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون الآيات. ولهذا كان النصارى آيين من غيرهم قلوبا، حين كانوا على شريعة عيسى عليه السلام. ورهبانية اتبعوه رافة ورحمة كما قال تعالى: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى عليه السلام؛ لأن السياق مع النصارى، الذين يزعمون اتباع عيسى عليه السلام، وآتيناه الإنجيل الذي هو من كتب الله الفاضلة، وجعلنا في قلوب الذين ثم قفينا أي: أتبعنا على آثارهم برسلانا وقفينا بعبسى ابن مريم خص الله عيسى

فلا يستكثر هذا الثواب على فضل ذي الفضل العظيم، الذي عم فضله أهل السماوات والأرض، فلا يخلو مخلوق من فضله طرفة عين ولا أقل من ذلك. 28 مرة بعد أخرى. ويجعل لكم نورا تمشون به أي: يعطيكم علما وهدى ونورا تمشون به في ظلمات الجهل، ويغفر لكم السيئات. والله ذو الفضل العظيم وقدرهما إلا الله تعالى أجر على الإيمان، وأجر على التقوى، أو أجر على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، أو أن التثنية المراد بها تكرار الإيتاء والتقوى الذي يدخل فيه جميع الدين، ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، وأنهم إن امتثلوا هذا الأمر العظيم، أعطاهم الله كفلين من رحمته لا يعلم وصفهما ونصيب على إيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم. ويحتمل أن يكون الأمر عاما يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم، وهذا الظاهر، وأن الله أمرهم بالإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنهم إن فعلوا ذلك أعطاهم الله كفلين من رحمته أي: نصيبين من الأجر نصيب على إيمانهم بالأنبياء الأقدمين، يحتمل أنه خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام، يأمرهم أن يعملوا بمقتضى إيمانهم، بأن يتقوا الله فيتركوا معاصيه، ويؤمنوا وهذا الخطاب،

اقتضت حكمته تعالى أن يؤتیه من فضله، والله ذو الفضل العظيم الذي لا يقادر قدره. تم تفسير سورة الحديد، ولله الحمد والمنة، والحمد لله. 29 صلى الله عليه وسلم، المتقين لله، لهم كفلان من رحمته، ونور، ومغفرة، رغما على أنوف أهل الكتاب، وليعلموا أن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء ممن

تفسير السعدي

- وعقولهم الفاسدة، فيقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ويتمنون على الله الأماني الفاسدة، فأخبر الله تعالى أن المؤمنين برسوله محمد عاماً، واتقى الله، وآمن برسوله، لأجل أن أهل الكتاب يكون لديهم علم بأنهم لا يقدرُونَ على شيء من فضل الله أي: لا يحجرون على الله بحسب أهوائهم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرُونَ على شيء من فضل الله أي: بينا لكم فضلنا وإحساننا لمن آمن إيماناً شياً، والباطن الذي ليس دونه شيء. وهو بكل شيء عليم قد أحاط علمه بالظواهر والباطن، والسرائر والخفايا، والأمور المتقدمة والمتأخرة. 3 هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه
- والله بما تعملون بصير أي: هو تعالى بصير بما يصدر منكم من الأعمال، وما صدرت عنه تلك الأعمال، من بر وفجور، فمجازيكم عليها، وحافظها عليكم. 4 إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا وهذه المعية، معية العلم والاطلاع، ولهذا تواعد ووعد على المجازاة بالأعمال بقوله: وما يعرج فيها من الملائكة والأرواح، والأدعية والأعمال، وغير ذلك. وهو معكم أين ما كنتم كقوله: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة من حب وحيوان ومطر، وغير ذلك. وما يخرج منها من نبات وشجر وحيوان وغير ذلك، وما ينزل من السماء من الملائكة والأقمار والأرزاق. والأرض في ستة أيام أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ثم استوى على العرش استواء يليق بجلاله، فوق جميع خلقه، يعلم ما يلج في الأرض هو الذي خلق السماوات
- الربانية، وإلى الله ترجع الأمور من الأعمال والعمال، فيعرض عليه العباد، فيميز الخبيث من الطيب، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. 5 له ملك السماوات والأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً، يتصرف فيهم بما شاء من أوامره القدرية والشرعية، الجارية على الحكمة
- الظاهرة والباطنة، وهو عليم بذات الصدور أي: بما يكون في صدور العالمين، فيوفق من يعلم أنه أهل لذلك، ويخذل من يعلم أنه لا يصلح لهديته 6 حتى تقوم بذلك الفصول، وتستقيم الأزمنة، ويحصل من المصالح ما يحصل بذلك، فتبارك الله رب العالمين، وتعالى الكريم الجواد، الذي أنعم على عباده بالنعم العباد، ويقومون إلى مصالحهم ومعاشيهم، ولا يزال الله يكور الليل على النهار، والنهار على الليل، ويداول بينهما، في الزيادة والنقص، والطول والقصر، أي: يدخل الليل على النهار، فيغشيهم الليل بظلامه، فيسكنون ويهدأون، ثم يدخل النهار على الليل، فيزول ما على الأرض من الظلام، ويضيء الكون، فيتحرك يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
- والفوز بدار كرامته، وما فيها من النعيم المقيم، الذي أعده الله للمؤمنين والمجاهدين، ثم ذكر السبب الداعي لهم إلى الإيمان، وعدم المانع منه، فقال: 7 عليه من الثواب، فقال: فالذين آمنوا منكم وأنفقوا أي: جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، والنفقة في سبيله، لهم أجر كبير، أعظمه وأجله رضا ربهم، جاء به، وبالنفقة في سبيله، من الأموال التي جعلها الله في أيديهم واستخلفهم عليها، لينظر كيف يعملون، ثم لما أمرهم بذلك، رغبهم وحثهم عليه بذكر ما رتب يأمر تعالى عباده بالإيمان به وبرسوله وبما
- ذلك، من لطفه وعنايته بكم، أنه لم يكتف بمجرد دعوة الرسول الذي هو أشرف العالم، بل أيده بالمعجزات، ودلكم على صدق ما جاء به بالآيات البينات. 8 الله يدعوكم، فهذا مما يوجب المبادرة إلى إجابة دعوته، والتلبية والإجابة للحق الذي جاء به، وقد أخذ عليكم العهد والميثاق بالإيمان إن كنتم مؤمنين، ومع بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين أي: وما الذي يمنعكم من الإيمان، والحال أن الرسول محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الرسل وأكرم داع دعا إلى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا
- من ظلمات الجهل والكفر، إلى نور العلم والإيمان، وهذا من رحمته بكم ورأفته، حيث كان أرحم بعباده من الوالدة بولدها وإن الله بكم لرءوف رحيم على صدق كل ما جاء به وأنه حق اليقين، ليخرجكم بإرسال الرسول إليكم، وما أنزله الله على يده من الكتاب والحكمة. من الظلمات إلى النور أي: هو الذي ينزل على عبده آيات بينات أي: ظاهرات تدل أهل العقول

سورة 58

- بالأمور الدقيقة والجليلة، وفي ضمن ذلك الإشارة بأن الله تعالى سيزيل شكواها، ويرفع بلواها، ولهذا ذكر حكمها، وحكم غيرها على وجه العموم. 1 الأوقات، على تفنن الحاجات. بصير يبصر دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما أي: تخاطبكما فيما بينكما، إن الله سميع لجميع الأصوات، في جميع الأولاد، وكان هو رجلاً شيخاً كبيراً، فشكت حالها وحاله إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكررت ذلك، وأبدت فيه وأعادت. فقال تعالى: الآيات الكريمات في رجل من الأنصار اشتكت زوجته إلى الله، وجادته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حرمها على نفسه، بعد الصحبة الطويلة، نزلت هذه

- إلا شيء قدره الله وقضاه، وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي: ليعتمدوا عليه ويثقوا بوعده، فإن من توكل على الله كفاه، وتولى أمر دينه ودينه 10 وقال تعالى: ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله فأعداء الله ورسوله والمؤمنين، مهما تناجوا ومكروا، فإن ضرر ذلك عائد إلى أنفسهم، ولا يضر المؤمنين

تفسير السعدي

مفيد. ليحزن الذين آمنوا هذا غاية هذا المكر ومقصوده، وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله فإن الله تعالى وعد المؤمنين بالكفاية والنصر على الأعداء، يقول تعالى: إنما النجوى أي: تناجي أعداء المؤمنين بالمؤمنين، بالمكر والخديعة، وطلب السوء من الشيطان، الذي كيده ضعيف ومكره غير

تعملون خبير فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. وفي هذه الآية فضيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه. 11 المصلحة، فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان، والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان. والله بما الله له، ومن وسع لأخيه، وسع الله عليه. وإذا قيل انشزوا أي: ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض، فانشزوا أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك يفسحوا له تحصيلا لهذا المقصود. وليس ذلك بضار للجالس شيئا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو، والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح من الله لعباده المؤمنين، إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسيح له في المجلس، فإن من الأدب أن هذا تأديب

في الواجد للصدقة، وأما الذي لا يجد الصدقة، فإن الله لم يضيق عليه الأمر، بل عفا عنه وسامحه، وأباح له المناجاة، بدون تقديم صدقة لا يقدر عليها. 12 الخير والعلم، فلا يبالي بالصدقة، ومن لم يكن له حرص ولا رغبة في الخير، وإنما مقصوده مجرد كثرة الكلام، فينكف بذلك عن الذي يشق على الرسول، هذا الرسول صلى الله عليه وسلم والأدب معه بكثرة المناجاة التي لا ثمرة تحتها، فإنه إذا أمر بالصدقة بين يدي مناجاته صار هذا ميزانا لمن كان حريصا على صلى الله عليه وسلم، فإن هذا التعظيم، خير للمؤمنين وأظهر أي: بذلك يكثر خيركم وأجركم، وتحصل لكم الطهارة من الأدناس، التي من جملتها ترك احترام يأمر تعالى المؤمنين بالصدقة، أمام مناجاة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تأديبا لهم وتعليلما، وتعظيما للرسول

الإخلاص والإحسان، ولهذا قال: والله خبير بما تعملون فيعلم تعالى أعمالهم، وعلى أي: وجه صدرت، فيجازيهم على حسب علمه بما في صدورهم. 13 في ذلك طاعة الله وطاعة رسوله، بامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما، وتصديق ما أخبرا به، والوقوف عند حدود الله والعبرة في ذلك على فمن قام بهما على الوجه الشرعي، فقد قام بحقوق الله وحقوق عباده، ولهذا قال بعده: وأطيعوا الله ورسوله وهذا أشمل ما يكون من الأوامر. ويدخل بأركانها وشروطها، وجميع حدودها ولوازمها، وآتوا الزكاة المفروضة في أموالكم إلى مستحقها. وهاتان العبادتان هما أم العبادات البدنية والمالية، الصدقة، ولا يكفي هذا، فإنه ليس من شرط الأمر أن يكون هينا على العبد، ولهذا قيده بقوله: وتاب الله عليكم أي: عفا لكم عن ذلك، فأقيموا الصلاة المقصود هو الأدب مع الرسول والإكرام له، وأمرهم تعالى أن يقوموا بالأمورات الكبار المقصودة بنفسها، فقال: فإذا لم تفعلوا أي: لم يهن عليكم تقديم يؤاخذهم بترك الصدقة بين يدي المناجاة، وبقي التعظيم للرسول والاحترام بحاله لم ينسخ، لأن هذا الحكم من باب المشروع لغيره، ليس مقصودا لنفسه، وإنما ثم لما رأى تبارك وتعالى شفقة المؤمنين، ومشقة الصدقات عليهم عند كل مناجاة، سهل الأمر عليهم، ولم

المؤمنين، وهذا وصفهم الذي نعتهم الله به، والحال أنهم يحلفون على ضده الذي هو الكذب، فيحلفون أنهم مؤمنون، وهم يعلمون أنهم ليسوا مؤمنين. 14 الكافرين، مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فليسوا مؤمنين ظاهرا وباطنا لأن باطنهم مع الكفار، ولا مع الكفار ظاهرا وباطنا، لأن ظاهرهم مع حال المنافقين الذين يتولون الكافرين، من اليهود والنصارى وغيرهم ممن غضب الله عليهم، ونالوا من لعنة الله أوفى نصيب، وأنهم ليسوا من المؤمنين ولا من يخبر تعالى عن شناعة

أن الله أعد لهم عذابا شديدا، لا يقادر قدره، ولا يعلم وصفه، إنهم ساء ما كانوا يعملون، حيث عملوا بما يسخط الله ويوجب عليهم العقوبة واللعة. 15 فجزاء هؤلاء الخونة الفجرة الكذبة،

الجحيم، فلهم عذاب مهين حيث استكبروا عن الإيمان بالله والانقياد لأياته، أهانهم بالعذاب السرمدي، الذي لا يفتر عنهم ساعة ولا هم ينظرون. 16 فبسبب ذلك صدوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله، وهي الصراط الذي من سلكه أفضى به إلى جنات النعيم. ومن صد عنه فليس إلا الصراط الموصل إلى اتخذوا أيمانهم جنة أي: ترسا ووقاية، يتقون بها من لوم الله ورسوله والمؤمنين،

تحصل لهم قسطا من الثواب، أولئك أصحاب النار الملامزون لها، الذين لا يخرجون عنها، وهم فيها خالدون ومن عاش على شيء مات عليه. 17 لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا فلا تدفع عنهم شيئا من العذاب، ولا

حتى غرتهم وظنوا أنهم على شيء يعتد به، ويعلق عليه الثواب، وهم كاذبون في ذلك، ومن المعلوم أن الكذب لا يروج على عالم الغيب والشهادة. 18 جميعا، حلفوا لله كما حلفوا للمؤمنين، ويحسبون في حلفهم هذا أنهم على شيء، لأن كفرهم ونفاقهم وعقائدهم الباطلة، لم تزل ترسخ في أذهانهم شيئا فشيئا، فكما أن المنافقين في الدنيا يموهون على المؤمنين، ويحلفون لهم أنهم مؤمنون، فإذا كان يوم القيامة وبعثهم الله

حزبه ليكونوا من أصحاب السعير أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون الذين خسروا دينهم وديارهم وأنفسهم وأهلهم. 19 الذي جرى عليهم من استحواذ الشيطان الذي استولى عليهم، وزين لهم أعمالهم، وأساهم ذكر الله، وهو العدو المبين، الذي لا يريد بهم إلا الشر، إنما يدعو وهذا

ليقولون منكرا من القول وزورا أي: قولوا شنيعا، وزورا أي: كذبا. وإن الله لعفو غفور عمن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح. 20 أمهاتهم أي: كيف يتكلمون بهذا الكلام الذي يعلم أنه لا حقيقة له، فيشبهون أزواجهم بأمهاتهم اللاتي ولدنهم؟ ولهذا عظم الله أمره وقبحه، فقال: وإنهم

تفسير السعدي

أو أنت علي حرام وكان المعتاد عندهم في هذا لفظ الظهر ولهذا سماه الله ظهارا فقال: الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن من نسائهم إلا اللاتي ولدنهم المظاهرة من الزوجة: أن يقول الرجل لزوجته: أنت علي كظهر أمي أو غيرها من محارمه، الذين يظاهرون منكم

هذا وعد ووعد، وعيد لمن حاد الله ورسوله بالكفر والمعاصي، أنه مخذول مذلول، لا عاقبة له حميدة، ولا راية له منصوره. 20
الله المفلحين، أن لهم الفتح والنصر والغلبة في الدنيا والآخرة، وهذا وعد لا يخلف ولا يغير، فإنه من الصادق القوي العزيز الذي لا يعجزه شيء يريد. 21
ووعد لمن آمن به، وبرسله، واتبع ما جاء به المرسلون، فصار من حزب

لا تفيد شيئا ولا يصدق صاحبها. تم تفسير قد سمع الله، بحمد الله وعونه وتسديده. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وسلم تسليما 22
وهو مع ذلك مواد لأعداء الله، محب لمن ترك الإيمان وراء ظهره، فإن هذا إيمان زعمي لا حقيقة له، فإن كل أمر لا بد له من برهان يصدقه، فمجرد الدعوى، ووافر المثوبات، وجزيل الهبات، ورفع الدرجات بحيث لا يرون فوق ما أعطاهم مولاها غاية، ولا فوقه نهاية وأما من يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، وتلد الأعين، وتختار، ولهم أكبر النعيم وأفضله، وهو أن الله يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبدا، ويرضون عن ربه بما يعطيهم من أنواع الكرامات، ومعونته، ومدده الإلهي وإحسانه الرباني. وهم الذين لهم الحياة الطيبة في هذه الدار، ولهم جنات النعيم في دار القرار، التي فيها من كل ما تشتهي الأنفس، هم الذين كتب الله في قلوبهم الإيمان أي: رسمه وثبته وغرسه غرسا، لا يتزلزل، ولا تؤثر فيه الشبه والشكوك. وهم الذين قواهم الله بروح منه أي: بوحيه، ومولاته، وبغض من لم يقم به ومعاداته، ولو كان أقرب الناس إليه. وهذا هو الإيمان على الحقيقة، الذي وجدت ثمرته والمقصود منه، وأهل هذا الوصف الله ورسوله أي: لا يجتمع هذا وهذا، فلا يكون العبد مؤمنا بالله واليوم الآخر حقيقة، إلا كان عاملا على مقتضى الإيمان ولوازمه، من محبة من قام بالإيمان يقول تعالى: لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد

مع الترغيب والترهيب، فالذي يريد أن يظاهر، إذا ذكر أنه يجب عليه عتق رقبة كف نفسه عنه، والله بما تعملون خبير فيجازي كل عامل بعمله. 3
التي ظاهر منها حتى يكفر برقبة. ذلكم الحكم الذي ذكرناه لكم، توعظون به أي: يبين لكم حكمه مع الترهيب المقرون به، لأن معنى الوعد ذكر الحكم مؤمنة كما قيدت في آية أخرى ذكر أو أنثى، بشرط أن تكون سالمة من العيوب المضرة بالعمل. من قبل أن يتعاسا أي: يلزم الزوج أن يترك وطء زوجته على ذلك أن الله قال: ثم يعودون لما قالوا والذي قالوا إنما هو الوطء. وعلى كل من القولين ف إذا وجد العود، صار كفارة هذا التحريم تحرير رقبة عليه الكفارة المذكورة، ويدل على هذا، أن الله تعالى ذكر في الكفارة أنها تكون قبل المسيس، وذلك إنما يكون بمجرد العزم، وقيل: معناه حقيقة الوطء، ويدل والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اختلف العلماء في معنى العود، فقيل: معناه العزم على جماع من ظاهر منها، وأنه بمجرد عزمه تجب إطعام ستين مسكينا، فلو جمع طعام ستين مسكينا، ودفعها لواحد أو أكثر من ذلك، دون الستين لم يجز ذلك، لأن الله قال: إطعام ستين مسكينا 4 وجوب الكفارة قبل المسيس، أن ذلك ادعى لإخراجها، فإنه إذا اشتاق إلى الجماع، وعلم أنه لا يمكن من ذلك إلا بعد الكفارة، بادر لإخراجها. ومنها: أنه لا بد من يجب إخراجها إن كانت عتقا أو صياما قبل المسيس، كما قيده الله. بخلاف كفارة الإطعام، فإنه يجوز المسيس والوطء في أثنائها. ومنها: أنه لعل الحكمة في المظاهر، على اختلاف القولين السابقين، لا بمجرد الظهار. ومنها: أنه يجزئ في كفارة الرقبة، الصغير والكبير، والذكر والأنثى، لإطلاق الآية في ذلك. ومنها: أنه للرجل أن ينادي زوجته ويسميتها باسم محارمه، كقوله يا أمي يا أختي ونحوه، لأن ذلك يشبه المحرم. ومنها: أن الكفارة إنما تجب بالعود لما قال أن الظهار محرم، لأن الله سماه منكرا من القول وزورا. ومنها: تنبيه الله على وجه الحكم وحكمته، لأن الله تعالى قال: ما هن أمهاتهم ومنها: أنه يكره اليمين فقط. ومنها: أنه لا يصلح الظهار من امرأة قبل أن يتزوجها، لأنها لا تدخل في نسائه وقت الظهار، كما لا يصح طلاقها، سواء نجز ذلك أو علقه. ومنها: الظهار مختص بتحريم الزوجة، لأن الله قال من نسائهم فلو حرم أمته، لم يكن ذلك ظهارا، بل هو من جنس تحريم الطعام والشراب، تجب فيه كفارة الله بعباده واعتناؤه بهم، حيث ذكر شكوى هذه المرأة المصابة، وأزالها ورفع عنها البلوى، بل رفع البلوى بحكمه العام لكل من ابتلي بمثل هذه القضية. ومنها: أن وينمو. وتلك حدود الله التي تمنع من الوقوع فيها، فيجب أن لا تتعدى ولا يقصر عنها. وللکافرين عذاب أليم وفي هذه الآيات، عدة أحكام: منها: لطف وذلك بالتزام هذا الحكم وغيره من الأحكام، والعمل به، فإن التزام أحكام الله، والعمل بها من الإيمان، بل هي المقصودة ومما يزيد به الإيمان ويكمل كل مسكين مد بر أو نصف صاع من غيره مما يجزي في الفطرة، كما هو قول طائفة أخرى. ذلك الحكم الذي بيناه لكم، ووضحناه لكم لتؤمنوا بالله ورسوله قبل أن يتعاسا فمن لم يستطع الصيام فإطعام ستين مسكينا إما بأن يطعمهم من قوت بلده ما يكفيهم، كما هو قول كثير من المفسرين، وإما بأن يطعم فمن لم يجد رقبة يعتقها، بأن لم يجدها أو لم يجد ثمنها ف عليه صيام شهرين متتابعين من

فمن اتبعها وعمل عليها، فهو من المهتدين الفائزين، وللکافرين بها عذاب مهين أي: يهينهم ويذلهم، كما تكبروا عن آيات الله، أهانهم الله وأذلهم: 5
جزاء وفاقا. وليس لهم حجة على الله، فإن الله قد قامت حجته البالغة على الخلق، وقد أنزل من الآيات البينات والبراهين ما يبين الحقائق ويوضح المقاصد، خصوصا في الأمور الفظيعة، كمحاددة الله ورسوله بالكفر، ومعاداة أولياء الله. وقوله: كتبوا كما كبت الذين من قبلهم أي: أذلوا وأهينوا كما فعل بمن قبلهم، محادة الله ورسوله: مخالفتها ومعصيتها

والله على كل شيء شهيد على بالظواهر والسرائر، والخبائا والخفايا. ولهذا أخبر عن سعة علمه وإحاطته بما في السماوات والأرض من دقيق وجليل. 6

تفسير السعدي

- من خير وشر، لأنه علم ذلك، وكتبه في اللوح المحفوظ، وأمر الملائكة الكرام الحفظة بكتابتها، هذا و العاملون قد نسوا ما عملوه، والله أحصى ذلك.
- يقول الله تعالى: يوم يبعثهم الله جميعا فيقومون من أجداثهم سريعا فيجازيهم بأعمالهم فينبئهم بما عملوا
- هو معهم أينما كانوا والمراد بهذه المعية معية العلم والإحاطة بما تناجوا به وأسرّوه فيما بينهم، ولهذا قال: إن الله بكل شيء عليم ثم قال تعالى: 7 وأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا وهم كذبة في ذلك، وإما أناس من أهل الكتاب، الذين إذا سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: السام عليك يا محمد يعنون بذلك الموت. 8 وهؤلاء المذكورون إما أناس من المنافقين يظهرون الإيمان، ويخاطبون الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب الذي يوهمون أنهم أرادوا به خيرا يمهّل ولا يمهّل: حسبيهم جهنم يصلونها فيئس المصير أي: تكفيهم جهنم التي جمعت كل شقاء وعذاب عليهم، تحيط بهم، ويعذبون بها فيئس المصير لولا يعذبنا الله بما نقول ومعنى ذلك أنهم يتهاونون بذلك، ويستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم، أن ما يقولون غير محذور، قال تعالى في بيان أنه يحكيك به الله أي: يسيئون الأدب معك في تحيتهم لك، ويقولون في أنفسهم أي: يسرون في أنفسهم ما ذكره عالم الغيب والشهادة عنهم، وهو قولهم: الله، ويناجي بالآثم والعدوان ومعصية الرسول، كالمنافقين الذين هذا دأبهم وحالهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم. قال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم جامع لترك جميع المحارم والمآثم، فالمؤمن يمتثل هذا الأمر الإلهي، فلا تجده مناجيا ومتحدثا إلا بما يقربه من الله، ويباعده من سخطه، والفاجر يتهاون بأمر في الخير، وتكون في الشر. فأمر الله تعالى المؤمنين أن يتناجوا بالبر، وهو اسم جامع لكل خير وطاعة، وقيام بحق لله ولعباده والتقوى، وهي هنا: اسم النجوى هي: التناجي بين اثنين فأكثر، وقد تكون
- وهم كذبة في ذلك، وإما أناس من أهل الكتاب، الذين إذا سلموا على النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: السام عليك يا محمد يعنون بذلك الموت. 9 وهؤلاء المذكورون إما أناس من المنافقين يظهرون الإيمان، ويخاطبون الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الخطاب الذي يوهمون أنهم أرادوا به خيرا يمهّل ولا يمهّل: حسبيهم جهنم يصلونها فيئس المصير أي: تكفيهم جهنم التي جمعت كل شقاء وعذاب عليهم، تحيط بهم، ويعذبون بها فيئس المصير لولا يعذبنا الله بما نقول ومعنى ذلك أنهم يتهاونون بذلك، ويستدلون بعدم تعجيل العقوبة عليهم، أن ما يقولون غير محذور، قال تعالى في بيان أنه يحكيك به الله أي: يسيئون الأدب معك في تحيتهم لك، ويقولون في أنفسهم أي: يسرون في أنفسهم ما ذكره عالم الغيب والشهادة عنهم، وهو قولهم: الله، ويناجي بالآثم والعدوان ومعصية الرسول، كالمنافقين الذين هذا دأبهم وحالهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم. قال تعالى وإذا جاءوك حيوك بما لم جامع لترك جميع المحارم والمآثم، فالمؤمن يمتثل هذا الأمر الإلهي، فلا تجده مناجيا ومتحدثا إلا بما يقربه من الله، ويباعده من سخطه، والفاجر يتهاون بأمر في الخير، وتكون في الشر. فأمر الله تعالى المؤمنين أن يتناجوا بالبر، وهو اسم جامع لكل خير وطاعة، وقيام بحق لله ولعباده والتقوى، وهي هنا: اسم النجوى هي: التناجي بين اثنين فأكثر، وقد تكون

سورة 59

- لرسوله صلى الله عليه وسلم على الذين كفروا من أهل الكتاب من بني النضير حين غدروا برسوله فأخرجهم من ديارهم وأوطانهم التي ألفوها وأحبوها. 1 ولا يستعصي عليه مستعصي الحكيم في خلقه وأمره، فلا يخلق شيئا عبثا، ولا يشرع ما لا مصلحة فيه، ولا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته. ومن ذلك، نصر الله جميع من في السماوات والأرض تسبح بحمد ربها، وتنزهه عما لا يليق بجلاله، وتعبدته وتخضع لجلاله لأنه العزيز الذي قد قهر كل شيء، فلا يمتنع عليه شيء، فوجد من السلاح خمسين درعا، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً، هذا حاصل قصتهم كما ذكرها أهل السير. فافتتح تعالى هذه السورة بالإخبار أن أفاءها عليه، ولم يوجف المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، وأجلاهم إلى خيبر وفيهم حيي بن أخطب كبيرهم، واستولى على أرضهم وديارهم، وقبض السلاح، الله صلى الله عليه وسلم، الأموال والسلاح. وكانت بنو النضير، خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لنوائبه ومصالح المسلمين، ولم يخمسها، لأن الله وقطع نخلهم وحرّق. فأرسلوا إليه: نحن نخرج من المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم، وذرائعهم، وأن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح، وقبض رسول اللواء. فأقاموا على حصونهم يرمون بالنبل والحجارة، واعتزلتهم قريظة، وخانهم ابن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك. فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ونهضوا إليهم، وعلي بن أبي طالب يحمل معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، وتتصرمك قريظة وحلفاؤكم من غطفان. وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قال له، وبعث إلى رسول عشرين، فممن وجدت بعد ذلك بها ضربت عنقه فأقاموا أياما يتجهزون، وأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول: أن لا تخرجوا من دياركم، فإن نهضت ولم تشعر بك، فأخبرهم بما همت يهود به. وبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن اخرجوا من المدينة ولا تسكنوني بها، وقد أجلتكم بما همتم به، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه، وجاء الوحي على الفور إليه من ربه، بما هموا به، فنهض مسرعا، فتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه، فقالوا: وقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى فيصعد فيلقها على رأسه يشدخه بها؟ فقال أشقاها عمرو بن جحاش: أنا، فقال لهم سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليخبرن نفعل يا أبا القاسم، اجلس هاهنا حتى نقضي حاجتك، فخلا بعضهم ببعض، وسول لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم، فتآمروا بقتله صلى الله عليه وسلم، بعد وقعة بدر بستة أشهر أو نحوها، خرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم، وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري، فقالوا:

تفسير السعدي

كفروا به في جملة من كفر من اليهود، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هادن سائر طوائف اليهود الذين هم جيرانه في المدينة، فلما كان بني النضير وهم طائفة كبيرة من اليهود في جانب المدينة، وقت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم، وهاجر إلى المدينة، هذه السورة تسمى سورة

الثلاثة هم أصناف هذه الأمة، وهم المستحقون للفيء الذي مصرفه راجع إلى مصالح الإسلام. وهؤلاء أهل الذين هم أهل، جعلنا الله منهم، بمنه وكرمه. 10 كريمين، دالين على كمال رحمة الله وشدة رأفته وإحسانه بهم، الذي من جملته، بل من أجله، توفيقهم للقيام بحقوق الله وحقوق عبادته. فهؤلاء الأصناف يحب لنفسه وأن ينصح له حاضرا وغائبا، حيا وميتا، ودلت الآية الكريمة على أن هذا من جملة حقوق المؤمنين بعضهم لبعض، ثم ختموا دعاءهم باسمين في إزالة الغل والحقد عن قلوبهم لإخوانهم المؤمنين، لأن دعاءهم بذلك مستلزم لما ذكرنا، ومتضمن لمحبة بعضهم بعضا، وأن يحب أحدهم لأخيه ما وهم أهل السنة والجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم، ووصفهم بالإقرار بالذنوب والاستغفار منها، واستغفار بعضهم لبعض، واجتهادهم الله من بعد الصحابة بالإيمان، لأن قولهم: سبقونا بالإيمان دليل على المشاركة في الإيمان وأنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان وأصوله، عن القلب، الشامل لقليل الغل وكثيره الذي إذا انتفى ثبت ضده، وهو المحبة بين المؤمنين والموالات والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين. فوصف المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأخوة بين المؤمنين التي من فروعها أن يدعو بعضهم لبعض، وأن يحب بعضهم بعضا. ولهذا ذكر الله في الدعاء نفي الغل شامل لجميع المؤمنين، السابقين من الصحابة، ومن قبلهم ومن بعدهم، وهذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضهم ببعض، ويدعو بعضهم لبعض، بسبب أي: من بعد المهاجرين والأنصار يقولون على وجه النصح لأنفسهم ولسائر المؤمنين: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وهذا دعاء وحسب من بعدهم من الفضل أن يسير خلفهم، ويأتم بهداهم، ولهذا ذكر الله من اللاحقين، من هو مؤتم بهم وسائر خلفهم فقال: والذين جاءوا من بعدهم أبدا أي: لا تطيع في عدم نصرته أحدًا يعذلنا أو يخوفنا، وإن قوتلتهم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون في هذا الوعد الذي غروا به إخوانهم. 11 المنافقين، الذين طمعوا إخوانهم من أهل الكتاب، في نصرته، وموالاتهم على المؤمنين، وأنهم يقولون لهم: لن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا ثم تعجب تعالى من حال

ولئن نصرهم على الفرض والتقدير ليولن الأدبار ثم لا ينصرون أي: ليحصل منهم الإدبار عن القتال والنصرة، ولا يحصل لهم نصر من الله. 12 على القتال، وعدم وفائهم بوعدهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم بل يستولي عليهم الجبن، ويملكهم الفشل، ويخذلون إخوانهم، أحوج ما كانوا إليهم. الذي وجد مخبره كما أخبر الله به، ووقع طبق ما قال، فقال: لن أخرجوا من ديارهم جلاء ونفيا لا يخرجون معهم لمحبتهم للأوطان، وعدم صبرهم ولا يستكثر هذا عليهم، فإن الكذب وصفهم، والغرور والخداع، مقارنهم، والنفاق والجبن يصحبهم، ولهذا كذبهم الله بقوله، ولا يعرفون حقائق الأشياء، ولا يتصورون العواقب، وإنما الفقه كل الفقه، أن يكون خوف الخالق ورجاؤه ومحبته مقدمة على غيرها، وغيرها تبعها لها. 13 المخلوق الذي لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرا، على مخافة الخالق، الذي بيده الضر والنفع، والعتاء والمنع. ذلك بأنهم قوم لا يفقهون مراتب الأمور، والسبب الذي أوجب لهم ذلك أنكم أيها المؤمنون أشد رهبة في صدورهم من الله فخافوا منكم أعظم مما يخافون الله، وقدموا مخافة على مصالحهم ومنافعهم الدينية والدنيوية. مثل هؤلاء المخذولين من أهل الكتاب، الذين انتصر الله لرسوله منهم، وأذاقهم الخزي في الحياة الدنيا. 14 لآثروا الفاضل على المفضل، ولما رضوا لأنفسهم بأبخص الخطتين، ولكانت كلمتهم مجتمعة، وقلوبهم مؤتلفة، فبذلك يتناصرون ويتعاضدون، ويتعاونون أي: متباغضة متفرقة متشتتة. ذلك الذي أوجب لهم اتصافهم بما ذكر بأنهم قوم لا يعقلون أي: لا عقل عندهم، ولا لب، فإنهم لو كانت لهم عقول، في قوتهم، وإنما الآفة في ضعف إيمانهم وعدم اجتماع كلمتهم، ولهذا قال: تحسبهم جميعا حين تراهم مجتمعين ومتظاهرين. و لكن قلوبهم شتى اعتمادا على حصونهم وجدرهم، لا شجاعة بأنفسهم، وهذا من أعظم الذم، بأسهم بينهم شديد أي: بأسهم فيما بينهم شديد، لا آفة في أبدانهم ولا من وراء جدر أي: لا يثبتون لقتالكم ولا يعزمون عليه، إلا إذا كانوا متحصنين في القرى، أو من وراء الجدر والأسوار فإنهم إذ ذاك ربما يحصل منهم امتناع، لا يقاتلونكم جميعا أي: في حال الاجتماع إلا في قرى محصنة أو

وصناديدهم، وأسروا من أسروا منهم، وفر من فر، وذاقوا بذلك وبال أمرهم وعاقبة شرهم وبغيهم، هذا في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار. 15 عنهم العذاب، حتى أتوا بدرا بفخرهم وخيلائهم، ظانين أنهم مدركون برسول الله والمؤمنين أمانهم. فنصر الله رسوله والمؤمنين عليهم، فقتلوا كبارهم فلما تراءت الفتتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون الآية. فغرتهم أنفسهم، وغرهم من غرهم، الذين لم ينفعوهم، ولم يدفعوا من وعدهم بالمعاونة كمثل الذين من قبلهم قريبا وهم كفار قريش الذين زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم وعدم نصر

بل تبرأ منه و قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين أي: ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك، ولست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير. 16 إذ قال للإنسان اكفر أي: زين له الكفر وحسنه ودعاه إليه، فلما اغتر به وكفر، وحصل له الشقاء، لم ينفعه الشيطان، الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه، ومثل هؤلاء المنافقين الذين غروا إخوانهم من أهل الكتاب كمثل الشيطان عنهم. واللوم كل اللوم على من أطاعه، فإن الله قد حذر منه وأذنر، وأخبر بمقاصده وغاياته ونهايته، فالمقدم على طاعته، عاص على بصيرة لا عذر له. 17

تفسير السعدي

وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه، فإنه يدعوهم ويدليهم إلى ما يضرهم بغرور، حتى إذا وقعوا في الشباك، وحاقت بهم أسباب الهلاك، تبرأ منهم وتخلّى قال تعالى: إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وذلك جزاء الظالمين الذين اشتروا في الظلم والكفر، وإن اختلفوا في شدة العذاب وقوته، فكان عاقبتهم أي: الداعي الذي هو الشيطان، والمدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه أنهما في النار خالدين فيها كما

الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين من الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة. 18 وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زلا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرا في أمر من أوامر أيضا، أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم، ولا تضع لديه ولا يهملها، أوجب لهم الجد والاجتهاد. وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، قلوبهم، واهتموا بالمقام بها، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وتصفيته من القواطع والعوائق التي توقفهم عن السير أو تعوقهم أو تصرفهم، وإذا علموا وحدوده، وينظروا ما لهم وما عليهم، وماذا حصلوا عليه من الأعمال التي تنفعهم أو تضرهم في يوم القيامة، فإنهم إذا جعلوا الآخرة نصب أعينهم وقبلة يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يوجب الإيمان ويقتضيه من لزوم تقواه، سرا وعلانية، في جميع الأحوال، وأن يراعوا ما أمرهم الله به من أوامره وشرائعه فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبنا، لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم وأوضاعوا في معاصيه. 19 على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أساءهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطا، والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا

وتتنور البصيرة ويزداد الإيمان، ويحصل الفهم الحقيقي، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء اليهود لم يصبهم جميع ما يستحقون من العقوبة، وأن الله خفف عنهم. 2 وهو اعتبار النظير بنظيره، وقياس الشيء على مثله، والتفكير فيما تضمنته الأحكام من المعاني والحكم التي هي محل العقل والفكرة، وبذلك يزداد العقل، ولا حصنتهم حصونهم، حين جاءهم أمر الله، ووصل إليهم النكال بذنوبهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن هذه الآية تدل على الأمر بالاعتبار، النافذة، والعقول الكاملة، فإن في هذا معتبرا يعرف به صنع الله تعالى في المعاندين للحق، المتبعين لأهوائهم، الذين لم تنفعهم عزتهم، ولا منعهم قوتهم، بسبب بغيهم على إخراج ديارهم وهدم حصونهم، فهم الذين جنوا على أنفسهم، وصاروا من أكبر عون عليها، فاعتبروا يا أولي الأبصار أي: البصائر المؤمنين وذلك أنهم صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم، على أن لهم ما حملت الإبل. فنقضوا لذلك كثيرا من سقوفهم، التي استحسوها، وسلطوا المؤمنين والضعف، فأزال الله قوتها وشدتها، وأورثها ضعفا وخورا وجبنا، لا حيلة لهم ولا منعة معه فصار ذلك عوناً عليهم، ولهذا قال: يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي إليها، ومن وثق بغير الله فهو مخدول، ومن ركن إلى غير الله فهو عليه وبال. فأتاهم أمر سماوي نزل على قلوبهم، التي هي محل الثبات والصبر، أو الخور ينفع معه عدد ولا عدة، ولا قوة ولا شدة، فالأمر الذي يحتسبونه ويظنون أن الخلل يدخل عليهم منه إن دخل هو الحصون التي تحصنوا بها، واطمأنت نفوسهم أي: من الأمر والباب، الذي لم يخطر ببالهم أن يؤتوا منه، وهو أنه تعالى كذب في قلوبهم الرعب وهو الخوف الشديد، الذي هو جند الله الأكبر، الذي لا ولا يقدر عليها أحد، وقدر الله تعالى وراء ذلك كله، لا تغني عنه الحصون والقلاع، ولا تجدي فيهم القوة والدفاع. ولهذا قال: فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا أن يخرجوا من ديارهم، لحصانتها، ومنعتها، وعزهم فيها. وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاعجبوا بها وغررتم، وحسبوا أنهم لا ينالون بها، حشرا وجلاء غير هذا، فقد وقع حين أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم من خيبر، ثم عمر رضي الله عنه، أخرج بقيتهم منها. ما ظننتم أيها المسلمون وكان إخراجهم منها أول حشر وجلاء كتبه الله عليهم على يد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فجلاهم إلى خيبر، ودلت الآية الكريمة أن لهم

والصالحين ومن غفل عن ذكر الله، ونسي حقوقه، فشقي في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، والآخرين هم الخاسرون. 20 فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لغده، فاستحق جنات النعيم، والعيش السليم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء له طرق الخير والشر، ويحثه على مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق، فلا أنفع للعبد من التفكير في القرآن والتدبر لمعانيه. 21 أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده في كتابه الحلال والحرام، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكير فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبين وأيسرها على الأبدان، خالية من التكلف لا تناقض فيها ولا اختلاف، ولا صعوبة فيها ولا اعتساف، تصلح لكل زمان ومكان، وتليق لكل أحد. ثم أخبر تعالى في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيها محتوية على الحكم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس، وحثهم عليه، ولو كانوا في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي، فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل لرأيت خاشعا متصدعا من خشية الله أي: لكمال تأثيره ولما بين تعالى لعباده ما بين، وأمرهم ونهاهم في كتابه العزيز، كان هذا موجبا لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه

ولا لغيره شيئا، ثم وصف نفسه بعموم العلم الشامل، لما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، وبعموم رحمته التي وسعت كل شيء ووصلت إلى كل حي. 22 إلا هو، وذلك لكمالته العظيم، وإحسانه الشامل، وتدبيره العام، وكل إله سواه فإنه باطل لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأنه فقير عاجز ناقص، لا يملك لنفسه هذه الآيات الكريكات قد اشتملت على كثير من أسماء الله الحسنى وأوصافه العلى، عظيمة الشأن، وبديعة البرهان، فأخبر أنه الله المألوه المعبود، الذي لا إله له الكبرياء والعظمة، المنتزه عن جميع العيوب والظلم والجور. سبحانه الله عما يشركون وهذا تنزيه عام عن كل ما وصفه به من أشرك به وعانده. 23 يمانع، بل قد قهر كل شيء، وخضع له كل شيء، الجبار الذي قهر جميع العباد، وأذن له سائر الخلق، الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، المتكبر الذي أوصافه وجلاله. المؤمن أي: المصدق لرسله وأنبيائه بما جاءوا به، بالآيات البينات، والبراهين القاطعات، والحجج الواضحات. العزيز الذي لا يغالب ولا

تفسير السعدي

- مدبرون. القدوس السلام أي: المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم الممجّد، لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في ثم كرر ذكر عموم إلهيته وانفراده بها، وأنه المالك لجميع الممالك، فالعالم العلوي والسفلي وأهله، الجميع، مما يليك لله، فقراء
- وهو العزيز الحكيم الذي لا يريد شيئا إلا ويكون، ولا يكون شيئا إلا لحكمة ومصلحة. تم تفسير سورة الحشر، فله الحمد على ذلك، والمنة والإحسان. 24
- أن جميع من في السماوات والأرض مفتقرون إليه على الدوام، يسبحون بحمده، ويسألونه حوائجهم، فيعطيهم من فضله وكرمه ما تقتضيه رحمته وحكمته، بوجه من الوجوه، ومن حسنهما أن الله يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من عباده أن يدعوه ويسألوه بها. ومن كماله، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العليا، الكثيرة جدا، التي لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا الله هو، ومع ذلك، فكلها حسنى أي: صفات كمال، بل تدل على أكمل الصفات وأعظمها، لا نقص في شيء منها للمصورات، وهذه الأسماء متعلقة بالخلق والتدبير والتقدير، وأن ذلك كله قد انفرد الله به، لم يشاركه فيه مشارك. له الأسماء الحسنى أي: له الأسماء هو الله الخالق لجميع المخلوقات البارئ للمبروءات المصور
- أن يعلم شدته إلا الله تعالى، فلا يخطر ببالهم أن عقوبتهم قد انقضت وفرغت ولم يبق لهم منها بقية، فما أعد الله لهم من العذاب في الآخرة أعظم وأطم. 3
- الذي لا يبدل ولا يغير، لكان لهم شأن آخر من عذاب الدنيا ونكالها، ولكنهم وإن فاتهم العذاب الشديد الدنيوي فإن لهم في الآخرة عذاب النار، الذي لا يمكن فلولا أنه كتب عليهم الجلاء الذي أصابهم وقضاه عليهم وقدره بقدره
- لأنهم شاقوا الله ورسوله وعادوهما وحاربوهما، وسعوا في معصيتهما. وهذه عادته وسنته فيمن شاقه ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب 4
- وذلك
- نخلهم، الذي هو مادة قوتهم. واللينة: اسم يشمل سائر النخيل على أصح الاحتمالات وأولها، فهذه حال بني النضير، وكيف عاقبهم الله في الدنيا. 5
- وليخزي الفاسقين حيث سلطكم على قطع نخلهم، وتحريقها، ليكون ذلك نكالا لهم، وخزيا في الدنيا، وذلا يعرف به عجزهم التام، الذي ما قدروا على استنقاذ وزعموا أن ذلك من الفساد، وتوصلوا بذلك إلى الطعن بالمسلمين، أخبر تعالى أن قطع النخيل إن قطعوه أو إبقاءهم إياه إن أبقوه، إنه بإذنه تعالى، وأمره ولما لام بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين في قطع النخيل والأشجار،
- كهذا المال الذي فروا وتركوه خوفا من المسلمين، وسمي فينا، لأنه رجع من الكفار الذين هم غير مستحقين له، إلى المسلمين الذين لهم الحق الأوفر فيه. 6
- قدير من تمام قدرته أنه لا يمتنع منه ممتنع، ولا يتعزز من دونه قوي. وتعريف الفياء في اصطلاح الفقهاء: هو ما أخذ من مال الكفار بحق، من غير قتال، لا بأنفسكم ولا بمواشيكم، بل كذف الله في قلوبهم الرعب، فأنتكم صفوا عفوا، ولهذا. قال: ولكن الله يسلب رسله على من يشاء والله على كل شيء وهم بنو النضير. ف إنكم يا معشر المسلمين ما أوجفتم أي: ما أجبتم وأسرعتم وحشدتم، عليه من خيل ولا ركاب أي: لم تتعبوا بتحصيلها، ثم ذكر من انتقلت إليه أموالهم وأمتعتهم، فقال: وما أفاء الله على رسوله منهم أي: من أهل هذه القرية،
- الدائمة والفوز العظيم، وبإضاعته الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي، فقال: واتقوا الله إن الله شديد العقاب على من ترك التقوى، وأثر اتباع الهوى. 7
- لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله، ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب والأرواح والدنيا والآخرة، وبها السعادة وفروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى، ما لا يدخل تحت الحصر، ولذلك أمر الله بالقاعدة الكلية والأصل العام، فقال: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وهذا شامل لأصول الدين لتداولته الأغنياء الأثرياء، ولما حصل لغيرهم من العاجزين منه شيء، وفي ذلك من الفساد، ما لا يعلمه إلا الله، كما أن في اتباع أمر الله وشرعه من المصالح أوطانهم. وإنما قدر الله هذا التقدير، وحصر الفياء في هؤلاء المعينين لـ كي لا يكون دولة أي: مداولة واختصاصا بين الأغنياء منكم فإنه لو لم يقدره، في جاهلية ولا إسلام وخمس لفقراء اليتامى، وهم: من لا أب له ولم يبلغ، وخمس للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، وهم الغرباء المنقطع بهم في غير هجرهم وعداوتهم فنصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بخلاف غيرهم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم، في بني عبد المطلب: إنهم لم يفارقوني دخل بنو المطلب في خمس الخمس، مع بني هاشم، ولم يدخل بقية بني عبد مناف، لأنهم شاركوا بني هاشم في دخولهم الشعب، حين تعاقدت قريش على ولرسوله يصرف في مصالح المسلمين العامة، وخمس لذوي القربى، وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، حيث كانوا يسوى فيه بين، ذكورهم وإناثهم، وإنما في قوله: واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فهذا الفياء يقسم خمسة أقسام: خمس لله رسوله أو بعده، لمن يتولى من بعده أمته فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذه الآية نظير الآية التي في سورة الأنفال، وحكمه العام، كما ذكره الله في قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى عموما، سواء أفاء الله في وقت
- بمقتضى إيمانهم، وصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة والعبادات الشاقة، بخلاف من ادعى الإيمان وهو لم يصدق بالجهاد والهجرة وغيرهما من العبادات، 8
- المحوبات والمألوفات، من الديار والأوطان والأحباب والخلان والأموال، رغبة في الله ونصرة لدين الله، ومحبة لرسول الله، فهؤلاء هم الصادقون الذين عملوا الحكمة والسبب الموجب لجعله تعالى الأموال أموال الفياء لمن قدرها له، وأنهم حقيقون بالإعانة، مستحقون لأن تجعل لهم، وأنهم ما بين مهاجرين قد هجروا ثم ذكر تعالى
- الذين حازوا من السوابق والفضائل والمناقب ما سبقوا به من بعدهم، وأدركوا به من قبلهم، فصاروا أعيان المؤمنين، وسادات المسلمين، وقادات المتقين 9

تفسير السعدي

بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته، فهذان الصنفان، الفاضلان الزكيان هم الصحابة الكرام والأئمة الأعلام، ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعا منقادا، منشراحا بها صدره، وسمحت نفسه بترك لأنها من خصال البخل والشح، ومن رزق الإيثار فقد وقي شح نفسه ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها ذلك قصة الأنصاري الذي نزلت الآية بسببه، حين أثر ضيفه بطعامه وطعام أهله وأولاده وباتوا جوعا، والإيثار عكس الأثرة، فالإيثار محمود، والأثرة مذمومة، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخاصة، وهذا لا يكون إلا من خلق زكي، ومحبة لله تعالى مقدمة على محبة شهوات النفس ولذاتها، ومن أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها على من سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بمحاب النفس من الأموال وغيرها، أوتوا، فدل على أن الله تعالى آتاهم ما لم يؤت الأنصار ولا غيرهم، ولأنهم جمعوا بين النصرة والهجرة. وقوله: ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة الغل والحقد والحسد عنها. ويدل ذلك على أن المهاجرين، أفضل من الأنصار، لأن الله قدمهم بالذكر، وأخبر أن الأنصار لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي: لا يحسدون المهاجرين على ما آتاهم الله من فضله وخصهم به من الفضائل والمناقب التي هم أهلها، وهذا يدل على سلامة صدورهم، وانتفاء جملة أوصافهم الجميلة أنهم يحبون من هاجر إليهم وهذا لمحبتهم لله ولرسوله، أحبوا أحبائه، وأحبوا من نصر دينه. ولا يجدون في صدورهم حاجة حتى انتشر الإسلام وقوي، وجعل يزيد شيئا شيئا قليلا، حتى فتحوا القلوب بالعلم والإيمان والقرآن، والبلدان بالسيف والسنان. الذين من يرجع إليه المؤمنون، ويلجأ إليه المهاجرون، ويسكن بحماهم المسلمون إذ كانت البلدان كلها بلدان حرب وشرك وشر، فلم يزل أنصار الدين تأوي إلى الأنصار، ورسوله طوعا ومحبة واختيارا، وآووا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنعوه من الأحمر والأسود، وتبوا دار الهجرة والإيمان حتى صارت موئلا ومرجعا وبين أنصار وهم الأوس والخزرج الذين آمنوا بالله

سورة 60

ومن يفعله منكم أي: موالة الكافرين بعد ما حذركم الله منها فقد ضل سواء السبيل لأنه سلك مسلكا مخالفا للشرع وللعقل والمروءة الإنسانية. 1 مع علمكم أن الله عالم بما تخفون وما تعلنون؟! فهو وإن خفي على المؤمنين، فلا يخفى على الله تعالى، وسيجازي العباد بما يعلمه منهم من الخير والشر، ما يتقرب به المتقربون إلى ربهم ويبتغون به رضاه. تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتهم وما أعلنتم أي: كيف تسرون المودة للكافرين وتخفونها، في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وابتغاء مرضاة الله فاعملوا بمقتضى هذا، من موالة أولياء الله ومعاداة أعدائه، فإن هذا هو الجهاد في سبيله وهو من أعظم زمان أو مكان؟ ولا يمنعه من إلا خوف، أو مانع قوي. إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي أي: إن كان خروجكم مقصودكم به الجهاد الواجبات، وقمتم به، عادوكم، وأخرجوكم من أجله من دياركم، فأى دين، وأى مروءة وعقل، يبقى مع العبد إذا والى الكفار الذين هذا وصفهم في كل الذي يتعين على الخلق كلهم القيام بعبوديته، لأنه رباهم، وأنعم عليهم، بالنعم الظاهرة والباطنة، وهو الله تعالى. فلما عرضوا عن هذا الأمر، الذي هو أوجب البليغة أنهم يخرجون الرسول وإياكم أيها المؤمنون من دياركم، ويشردونكم من أوطانكم، ولا ذنب لكم في ذلك عندهم، إلا أنكم تؤمنون بالله ربكم فيه ولا مرية، ومن رد الحق فمحال أن يوجد له دليل أو حجة تدل على صحة قوله، بل مجرد العلم بالحق يدل على بطلان قول من رده وفساده. ومن عادوهم من الحق، ولا أعظم من هذه المخالفة والمشاقة، فإنهم قد كفروا بأصل دينكم، وزعموا أنكم ضلال على غير هدى. والحال أنهم كفروا بالحق الذي لا شك لا يريد له إلا الشر، ويخالف ربه ووليه الذي يريد به الخير، ويأمره به، ويحثه عليه؟! ومما يدعو المؤمن أيضا إلى معاداة الكفار، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين فخرج العبد من الإيمان، وصار من جملة أهل الكفران، وانفصل عن أهل الإيمان. وهذا المتخذ للكافر وليا، عادم المروءة أيضا، فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي تتخذوا عدو الله وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة أي: تسارعون في مودتهم وفي السعي بأسبابها، فإن المودة إذا حصلت، تبتعتها النصرة والموالة، الضرر إلى عدوه، فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اعملوا بمقتضى إيمانكم، من ولاية من قام بالإيمان، ومعاداة من عاداه، فإنه عدو لله، وعدو للمؤمنين. فلا الخليل عليه الصلاة والسلام، ومناقض للعقل الذي يوجب الحذر كل الحذر من العدو، الذي لا يبقى من مجهوده في العداوة شيئا، وينتهاز الفرصة في إيصال الله عليه وسلم، وهذه الآيات فيها النهي الشديد عن موالة الكفار من المشركين وغيرهم، وإلقاء المودة إليهم، وأن ذلك مناف للإيمان، ومخالف لملة إبراهيم مع امرأة، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بشأنه، فأرسل إلى المرأة قبل وصولها وأخذ منها الكتاب. وعاتب حاطب، فاعتذر رضي الله عنه بعذر قبله النبي صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح، فكتب حاطب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، ليتخذ بذلك يدا عنهم لا شكا و نفاقا، وأرسله ذكر كثير من المفسرين، رحمهم الله، أن سبب نزول هذه الآيات الكريمات في قصة حاطب بن أبي بلتعة، حين غزا النبي صلى الله

ذلكم الحكم الذي ذكره الله وبينه لكم يحكم به بينكم واللّه عليم حكيم فيعلم تعالى، ما يصلح لكم من الأحكام، ويشرع لكم ما تقتضيه الحكمة 10 هذا دليل على أن خروج البضع من الزوج متقوم، فإذا أفسد مفسد نكاح امرأة رجل، برضاع أو غيره، كان عليه ضمان المهر، وقوله: ذلكم حكم الله أي: إلى الكفار، فإذا كان الكفار يأخذون من المسلمين نفقة من أسلمت من نساكنهم، استحق المسلمون أن يأخذوا مقابلة ما ذهب من نساكنهم إلى الكفار، وفي تمسكوا بعصم الكوافر وإذا نهى عن الإمساك بعصمتها فالنهي عن ابتداء تزويجها أولى، واسألوا ما أنفقتم أيها المؤمنون، حين ترجع زوجاتكم مرتدات

تفسير السعدي

من المهر والنفقة، وكما أن المسلمة لا تحل للكافر، فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن يمسكها ما دامت على كفرها، غير أهل الكتاب، ولهذا قال تعالى: ولا أنفقوا عليهم من المهر وتواضعه عوضاً عنهم، ولا جناح حينئذ على المسلمين أن ينكحوهن ولو كان لهن أزواج في دار الشرك، ولكن بشرط أن يؤتوهن أجورهن إلى الكفار، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فهذه مفسدة كبيرة في ردهن راعاها الشارع، وراعى أيضاً الوفاء بالشرط، بأن يعطوا الكفار أزواجهن ما كن بهذا الوصف، تعين ردهن وفاء بالشرط، من غير حصول مفسدة، وإن امتحنوهن، فوجدن صادقات، أو علموا ذلك منهن من غير امتحان، فلا يرجعهن بما يظهر به صدقهن، من أيمان مغلظة وغيرها، فإنه يحتمل أن يكون إيمانها غير صادق بل رغبة في زوج أو بلد أو غير ذلك من المقاصد الدنيوية. فإن المصالح، وأما النساء فلما كان ردهن فيه مفسدات كثيرة، أمر الله المؤمنين إذا جاءهم المؤمنات مهاجرات، وشكوا في صدق إيمانهن، أن يمتحنوهن ويختبروهن، عاماً، مطلقاً يدخل في عمومهن النساء والرجال، فأما الرجال فإن الله لم ينه رسوله عن ردهم، إلى المشركين وفاء بالشرط وتتميماً للصلح الذي هو من أكبر لما كان صلح الحديبية، صالح النبي صلى الله عليه وسلم المشركين، على أن من جاء منهم إلى المسلمين مسلماً، أنه يرد إلى المشركين، وكان هذا لفظاً فعلى المسلمون من الغنيمة بدل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون فإيمانكم بالله، يقتضي منكم أن تكونوا ملازمين للتقوى على الدوام. 11 أنفقوا كما تقدم أن الكفار إذا كانوا يأخذون بدل ما يفوت من أزواجهن إلى المسلمين، فمن ذهبت زوجته من المسلمين إلى الكفار وفاتت عليه، لزم أن يعطيه وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار بأن ذهبن مرتدات فعاقبتهم فأتوا الذين ذهبت أزواجهن مثل ما

لخواطرن، إن الله غفور أي: كثير المغفرة للعاصين، والإحسان إلى المذنبين التائبين، رحيم وسعت رحمته كل شيء، وعم إحسانه البرايا. 12 النهي عن النباحة، وشق الثياب، وخمش الوجوه، والدعاء بدعاء الجاهلية. فبايعهن إذا التزم بجميع ما ذكر. واستغفر لهن الله عن تقصيرهن، وتطيبها أو سواء تعلق ذلك بغيرهم، ولا يعصينك في معروف أي: لا يعصينك في كل أمر تأمرهن به، لأن أمرك لا يكون إلا بمعروف، ومن ذلك طاعتهم لك في لنساء الجاهلية الجهلاء. ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن والبهتان: الافتراء على الغير أي: لا يفتريه بكل حالة، سواء تعلقت بهن وأزواجهن بالله شيئاً بأن يفردن الله وحده بالعبادة. ولا يزينن كما كان ذلك موجوداً كثيراً في البغايا وذوات الأخدان، ولا يقتلن أولادهن كما يجري النساء يبايعنه، والتزم ببهذه الشروط ببايعهن، وجبر قلوبهن، واستغفر لهن الله، فيما يحصل منهن من التقصير وأدخلهن في جملة المؤمنين بأن لا يشركن الأوقات. وأما الرجال، فيتفاوت ما يلزمهم بحسب أحوالهم ومراتبهم وما يتعين عليهم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمثّل ما أمره الله به، فكان إذا جاءته الشروط المذكورة في هذه الآية، تسمى مبايعة النساء اللاتي كن يبايعن على إقامة الواجبات المشتركة، التي تجب على الذكور والنساء في جميع

هذه

من الآخرة، كما ينس الكفار المنكرون للبعث في الدنيا من رجوع أصحاب القبور إلى الله تعالى. تم تفسير سورة الممتحنة، والحمد لله رب العالمين. 13 لهم منها. ويحتمل أن المعنى: قد يسوسوا من الآخرة أي: قد أنكروها وكفروا بها، فلا يستغرب حينئذ منهم الإقدام على مساخط الله وموجبات عذابه وإياهم الآخرة كما حرموا. وقوله كما ينس الكفار من أصحاب القبور حين أفضوا إلى الدار الآخرة، ووقفوا على حقيقة الأمر وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب الكفار. قد يسوسوا من الآخرة أي: قد حرموا من خير الآخرة، فليس لهم منها نصيب، فاحذروا أن تولوهم فتوافقوهم على شرهم وكفرهم فتحرموا خير إن كنتم مؤمنين بربكم، ومتبعين لرؤاه ومجانبيين لسخطه، لا تتولوا قوما غضب الله عليهم وإنما غضب عليهم لكفرهم، وهذا شامل لجميع أصناف أي: يا أيها المؤمنون،

بالقتل والضرب، ونحو ذلك. وأستنتهم بالسوء أي: بالقول الذي يسوء، من شتم وغيره، وودوا لو تكفروا فإن هذا غاية ما يريدون منكم. 2 تهيبوا للمؤمنين على عداوتهم، إن يثقوكم أي: يجدوكم، وتسبح لهم الفرصة في أذاكم، يكونوا لكم أعداء ظاهرين ويبسطوا إليكم أيديهم ثم بين تعالى شدة عداوتهم،

والأموال، فلن تغني عنكم أموالكم ولا أولادكم من الله شيئاً. والله بما تعملون بصير فلذلك حذرهم من موالاة الكافرين الذين تضرعوا موالاتهم. 3 فإن احتججتم وقلتم: نوالي الكفار لأجل القرابة

وجميع ما يقرب إليكم، فنحن في ذلك ساعون، وبفعل الخيرات مجتهدون، ونعلم أنا إليك نصير، فسنستعد للقدوم عليك، ونعمل ما يقربنا الزلفى إليك 4 فقالوا: ربنا عليك توكلنا أي: اعتمدنا عليك في جلب ما ينفعنا ودفع ما يضرنا، ووثقنا بك يا ربنا في ذلك. وإليك أنبنا أي: رجعنا إلى طاعتك ومرضاتك له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ولكم أسوة حسنة في إبراهيم ومن معه، حين دعوا الله وتوكلوا عليه وأنابوا إليه، واعترفوا بالعجز والتقصير، وتقولوا: إنا في ذلك متبعون لملة إبراهيم، فإن الله ذكر عذر إبراهيم في ذلك بقوله: وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين شيء لكنني أذعوا ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً، فليس لكم أن تقتدوا بإبراهيم في هذه الحالة التي دعا بها للمشرك، فليس لكم أن تدعوا للمشركين، إبراهيم لأبيه أزر المشرك، الكافر، المعاند، حين دعا إلى الإيمان والتوحيد، فامتنع، فقال إبراهيم: لأستغفرن لك و الحال أنني لا أملك لك من الله من في إبراهيم ومن معه في القيام بالإيمان والتوحيد، والقيام بلوازم ذلك ومقتضياته، وفي كل شيء تعبدوا به لله وحده، إلا في خصلة واحدة وهي قول على كفرهم حتى تؤمنوا بالله وحده أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودة وولاية، فلكم أيها المؤمنون أسوة حسنة العداوة والبغضاء أي: البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حد، بل ذلك أبداً ما دمتم مستمرين

تفسير السعدي

من المؤمنين، من قومهم المشركين ومما يعبدون من دون الله. ثم صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: كفرنا بكم وبدا أي: ظهر وبان بيننا وبينكم المؤمنين، لأنكم قد أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفا، إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله أي: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه قد كان لكم يا معشر المؤمنين أسوة حسنة أي: قدوة صالحة وائتمام ينفعكم، في إبراهيم والذين معه من

إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، فبعزتكم وحكمتك انصرنا على أعدائنا، واغفر لنا ذنوبنا، وأصلح عيوبنا. 5 لهم الغلبة، ظنوا أنهم على الحق وأنا على الباطل، فازدادوا كفرا وطغيانا، واغفر لنا ما اقترطنا من الذنوب والسيئات، وما قصرنا به من المأمورات، ربنا ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا أي: لا تسلطهم علينا بذنوبنا، فيفتنونا، ويمنعونا مما يقدرون عليه من أمور الإيمان، ويفتنون أيضا بأنفسهم، فإنهم إذا رأوا التام المطلق من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى أحد من خلقه بوجه، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فإنه محمود على ذلك كله. 6 إلى ذلك غاية الاضطرار. ومن يتول عن طاعة الله والتأسي برسول الله، فلن يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئا، فإن الله هو الغني الذي له الغنى يسهل على العبد كل عسير، ويقلل لديه كل كثير، ويوجب له الإكثار من الاقتداء بعباد الله الصالحين، والأنبياء والمرسلين، فإنه يرى نفسه مفتقرا ومضطرا لهم فيهم أسوة حسنة وليس كل أحد تسهل عليه هذه الأسوة، وإنما تسهل على من كان يرجو الله واليوم الآخر فإن الإيمان واحتساب الأجر والثواب، ثم كرر الحث لهم على الاقتداء بهم، فقال: لقد كان

إنه هو الغفور الرحيم وفي هذه الآية إشارة وبشارة إلى إسلام بعض المشركين، الذين كانوا إذ ذاك أعداء للمؤمنين، وقد وقع ذلك، ولله الحمد والمنة. 7 لا يتعاضله ذنب أن يغفره، ولا يكبر عليه عيب أن يستره، قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا الذين عاديتهم منهم مودة سببها رجوعهم إلى الإيمان، والله قدير على كل شيء، ومن ذلك هداية القلوب وتقليبها من حال إلى حال، والله غفور رحيم إلى الإيمان، فإن الحكم يدور مع علته، فإن المودة الإيمانية ترجع، فلا تيأسوا أيها المؤمنون، من رجوعهم إلى الإيمان، ف عسى الله أن يجعل بينكم وبين ثم أخبر تعالى أن هذه العداوة التي أمر بها المؤمنين للمشركين، ووصفهم بالقيام بها أنهم ما داموا على شركهم وكفرهم، وأنهم إن انتقلوا

قال تعالى عن الأيوين المشركين إذا كان ولدهما مسلما: وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا 8 كانوا بحال لم ينتصبا لقتالكم في الدين والإخراج من دياركم، فليس عليكم جناح أن تصلوهم، فإن صلتهم في هذه الحالة، لا محذور فيها ولا مفسدة كما أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين أي: لا ينهاكم الله عن البر والصلة، والمكافأة بالمعروف، والقسط للمشركين، من أقاربكم وغيرهم، حيث أن ذلك داخل فيما نهى الله عنه. فأخبرهم الله أن ذلك لا يدخل في المحرم فقال: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم هذه الآيات الكريمات، المهيجة على عداوة الكافرين، وقعت من المؤمنين كل موقع، وقاموا بها أتم القيام، وتأنموا من صلة بعض أقاربهم المشركين، وظنوا ولما نزلت

وذلك الظلم يكون بحسب التولي، فإن كان توليا تاما، صار ذلك كفرا مخرجا عن دائرة الإسلام، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ، وما هو دون ذلك. 9 بتول للمشركين، فلم ينهكم الله عنه، بل ذلك داخل في عموم الأمر بالإحسان إلى الأقارب وغيرهم من الآدميين، وغيرهم. ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون من دياركم وظاهروا أي: عاونوا غيرهم على إخراجكم نهاكم الله أن تولوهم بالمودة والنصرة، بالقول والفعل، وأما بركم وإحسانكم، الذي ليس إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين أي: لأجل دينكم، عداوة لدين الله ولمن قام به، وأخرجوكم

سورة 61

السموات والأرض يسبحون بحمد الله ويعبدونه ويسألونه حوائجهم، وهو العزيز الذي قهر الأشياء بعزته وسلطانه، الحكيم في خلقه وأمره. 1 وهذا بيان لعظمته تعالى وقهره، وذو جميع الخلق له تبارك وتعالى، وأن جميع من في وإرشاد من أرحم الراحمين لعباده المؤمنين، لأعظم تجارة، وأجل مطلوب، وأعلى مرغوب، يحصل بها النجاة من العذاب الأليم، والفوز بالنعيم المقيم. 10 هذه وصية ودلالة

عليها، فإنه خير لكم إن كنتم تعلمون فإن فيه الخير الدنيوي، من النصر على الأعداء، والعز المنافي للذل والرزق الواسع، وسعة الصدر وانسراحه. 11 ومهجمكم، لمصادمة أعداء الإسلام، والقصد نصر دين الله وإعلاء كلمته، وتتفقون ما تيسر من أموالكم في ذلك المطلوب، فإن ذلك، ولو كان كريها للنفس شاقا به، المستلزم لأعمال الجوارح، ومن أجل أعمال الجوارح الجهاد في سبيل الله فهذا قال: وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم بأن تبذلوا نفوسكم لبيب، فكأنه قيل: ما هذه التجارة التي هذا قدرها؟ فقال تؤمنون بالله ورسوله. ومن المعلوم أن الإيمان التام هو التصديق الجازم بما أمر الله بالتصديق وأتى بأداة العرض الدالة على أن هذا أمر يرغب فيه كل متبصر، ويسمو إليه كل

مقيمون فيها، لا يخرجون منها أبدا، ولا ييغون عنها حولا، ذلك الثواب الجزيل، والأجر الجميل، الفوز العظيم، الذي لا فوز مثله، فهذا الثواب الأخروي. 12 ما فيها من النعيم لما تخلف عنها أحد، ولما هناهم العيش في هذه الدار المنغصة، المشوب نعيمها بالمشقة، وسرورها بترحها. وسميت الجنة جنة عدن، لأن أهلها

تفسير السعدي

من الجلال والجمال ما يبهر عقول الخلق ويأخذ بأفئدتهم. وتعالى من له الحكمة التامة، التي من جملتها، أنه الله لو أرى الخلائق الجنة حين خلقها ونظروا إلى فسبحان من لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني عليه عباده وتبارك الجليل الجميل، الذي أنشأ دار النعيم، وجعل فيها حتى يروه، ويتمتعوا بحسنه وتقر أعينهم به، ففي تلك الحالة، لولا أن الله خلق أهل الجنة، وأنشأهم نشأة كاملة لا تقبل العدم، لأوشك أن يموتوا من الفرح، ظاهراً من باطنها، وباطنهم من ظاهرها، وفيها من الطيب والحسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين، ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يدركوه من لبن ذهب وبعضه من لبن فضة، وخيامها من اللؤلؤ والمرجان، وبعض المنازل من الزمرد والجواهر الملونة بأحسن الألوان، حتى إنها من صفائها يرى بناء وزخرفة، حتى إن أهل الغرف من أهل عليين، يتراءى لهم أهل الجنة كما يتراءى الكوكب الدري في الأفق الشرقي أو الغربي، وحتى إن بناء الجنة بعضه من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات، ومساكن طيبة في جنات عدن أي: جمعت كل طيب، من علو وارتفاع، وحسن ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار أي: من تحت مساكنها وقصورها وغرفها وأشجارها، أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار ولهذا ذكر الجزاء في الآخرة، فقال: يغفر لكم ذنوبكم وهذا شامل للصغائر والكبائر، فإن الإيمان بالله والجهاد في سبيله، مكفر للذنوب، ولو كانت كبائر. وفي الآخرة الفوز بثواب الله والنجاة من عقابه،

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله 13 تعالى من فضله وإحسانه، بل قال: وبشر المؤمنين أي: بالثواب العاجل والآجل، كل على حسب إيمانه، وإن كانوا لا يبلغون مبلغ المجاهدين في سبيل الله، به دائرة الإسلام، ويحصل به الرزق الواسع، فهذا جزاء المؤمنين المجاهدين، وأما المؤمنون من غير أهل الجهاد، إذا قام غيرهم بالجهاد فلم يؤيسهم الله وأخرى تحبونها أي: ويحصل لكم خصلة أخرى تحبونها وهي: نصر من الله لكم على الأعداء، يحصل به العز والفرح، وفتح قريب تتسع وأما الثواب الدنيوي لهذه التجارة، فذكره بقوله:

عليهم وقاهرين لهم، فأنتم يا أمة محمد، كونوا أنصار الله ودعاة دينه، ينصركم الله كما نصر من قبلكم، ويظهركم على عدوكم. تمت ولله الحمد 14 طائفة منهم، فلم ينقادوا لدعوتهم، فجاهد المؤمنون الكافرين، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم أي: قويناهم ونصرناهم عليهم. فأصبحوا ظاهرين عيسى عليه السلام على أمر الله ونصر دينه، هو ومن معه من الحواريين، فأمنت طائفة من بني إسرائيل بسبب دعوة عيسى والحواريين، وكفرت لهم عارضا ومنهضا من يعاونني ويقوم معي في نصرتي لدين الله، ويدخل مدخلي، ويخرج مخرجي؟ فابتدر الحواريون، فقالوا: نحن أنصار الله فمضى والنهي عن المنكر. ثم هيج الله المؤمنين بالافتداء بمن قبلهم من الصالحين بقوله: كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله أي: قال من العلم ورد الحق، بدحض حجته، وإقامة الحجة عليه، والتحذير منه. ومن نصر دين الله، تعلم كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، والأمر بالمعروف أي: بالأقوال والأفعال، وذلك بالقيام بدين الله، والحرص على إقامته على الغير، وجهاد من عانده ونابذه، بالأبدان والأموال، ومن نصر الباطل بما يزعمه يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله

أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به وأنتم لا تفعلونه، وتهنون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون به ومتصفون به. 2 يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون

الناس بالبر وتسنون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وقال شعيب عليه الصلاة والسلام لقومه: وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . 3 عند الله أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قال تعالى: أتأمرون أهل تليق بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم من أكبر المقت

بحيث لا يحصل اتكال بعضهم على بعض، بل تكون كل طائفة منهم مهتمة بمركزها وقائمة بوظيفتها، وبهذه الطريقة تتم الأعمال ويحصل الكمال. 4 بين المجاهدين والتعاقد وإرهاب العدو وتنشيط بعضهم بعضا، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حضر القتال، صف أصحابه، ورتبهم في مواقفهم، وأنه ينبغي لهم أن يصفوا في الجهاد صفا متراصا متساويا، من غير خلل يقع في الصفوف، وتكون صفوفهم على نظام وترتيب به تحصل المساواة هذا حث من الله لعباده على الجهاد في سبيله وتعليم لهم كيف يصنعون

وتقليب القلوب عقوبة لهم وعدلا منه بهم كما قال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون . 5 لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه لا يهدي القوم الفاسقين أي: الذين لم يزل الفسق وصفا لهم، لا لهم قصد في الهدى، وهذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده، ليس ظلما منه، ولا حجة أزاغ الله قلوبهم عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها، ولم يوقفهم الله للهدى، لأنهم لا يلبق بهم الخير، ولا يصلحون إلا للشر، والله بعد إحسان الله، ففي غاية الوقاحة والجرأة والزيغ عن الصراط المستقيم، الذي قد علموه وتركوه، ولهذا قال: فلما زاغوا أي: انصرفوا عن الحق بقصدهم أني رسول الله إليكم . والرسول من حقه الإكرام والإعظام، والانقياد بأوامره، والابتدار لحكمه. وأما أذية الرسول الذي إحسانه إلى الخلق فوق كل إحسان وإذ قال موسى لقومه موبخا لهم على صنيعهم، ومقرعا لهم على أذيتهم، وهم يعلمون أنه رسول الله: لم تؤذوني بالأقوال والأفعال وقد تعلمون أي:

تفسير السعدي

فهل في الخذلان أعظم من هذا؟ وهل في الافتراء أعظم من هذا الافتراء، الذي نفى عنه ما كان معلوما من رسالته، وأثبت له ما كان أبعد الناس منه؟ 6
للحق مكذبين له هذا سحر مبين وهذا من أعجب العجائب، الرسول الذي قد وضحت رسالته، وصارت أبين من شمس النهار، يجعل ساحرا بينا سحره،
جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي بشر به عيسى بالبينات أي: الأدلة الواضحة، الدالة على أنه هو، وأنه رسول الله حقا. قالوا معاندين
يصدق بالنبى السابق، ويبشر بالنبى اللاحق، بخلاف الكذابين، فإنهم يناقضون الأنبياء أشد مناقضة، ويخالفونهم في الأوصاف والأخلاق، والأمر والنهي فلما
مصادقا لها ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي الهاشمي. فعيى عليه الصلاة والسلام، كالأنبيا
والشرائع السماوية، ولو كنت مدعيًا للنبوة، لجنّت بغير ما جاءت به المرسلون، ومصدقًا لما بين يدي من التوراة أيضًا، أنها أخبرت بي وبشرت، فجئت وبعثت
وأنهاكم عن الشر، وأيدني بالبراهين الظاهرة، ومما يدل على صدقي، كوني، مصدقًا لما بين يدي من التوراة أي: جئت بما جاء به موسى من التوراة
عن عناد بني إسرائيل المتقدمين، الذين دعاهم عيسى ابن مريم، وقال لهم: يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم أي: أرسلني الله لأدعوكم إلى الخير
يقول تعالى مخبرا

على ظلمهم مستقيمين، لا تردهم عنه موعظة، ولا يزجرهم بيان ولا برهان، خصوصا هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه، ولينصروا الباطل. 7
وغيره، والحال أنه لا عذر له، وقد انقطعت حجته، لأنه يدعى إلى الإسلام ويبين له ببراهينه وبيّناته، والله لا يهدي القوم الظالمين الذين لا يزالون
ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب بهذا
إطفاء نور الله فإنهم مغلوبون. وصاروا بمنزلة من ينفخ عين الشمس بفيه ليطفئها، فلا على مرادهم حصولا، ولا سلمت عقولهم من النقص والقدر فيها. 8
تكفل الله بنصر دينه، وإتمام الحق الذي أرسل به رسله، وإشاعة نوره على سائر الأقطار، ولو كره الكافرون، وبذلوا بسبب كراحتهم كل سبب يتوصلون به إلى
من المقالات الفاسدة، التي يردون بها الحق، وهي لا حقيقة لها، بل تزيد البصير معرفة بما هم عليه من الباطل، والله متم نوره ولو كره الكافرون أي: قد
يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم أي: بما يصدر منهم

بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم، ويعرف هذا، من استقرأ الأحوال ونظر في أول المسلمين وآخرهم 9
إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، فكذلك لا يقوم لهم أحد، ولا بد أن يظهر على أهل الأديان، وإذا ضيعوه واكتفوا منه
الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجحه وبلسه، وصار له الظهور والقهر، وأما المنتسبون إليه، فإنهم
تفكروا، ازداد به فرحا وتبصرا. ليظهره على الدين كله أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان، فأما نفس
من الشر والفساد فما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، أكبر دليل وبرهان على صدقه، وهو برهان باق ما بقي الدهر، كلما ازداد العاقل
الذي يدان به، ويتعبد لرب العالمين الذي هو حق وصدق، لا نقص فيه، ولا خلل يعتريه، بل أوامره غذاء القلوب والأرواح، وراحة الأبدان، وترك نواهي سلامة
والعمل الصالح. بالعلم الذي يهدي إلى الله وإلى دار كرامته، ويهدي لأحسن الأعمال والأخلاق، ويهدي إلى مصالح الدنيا والآخرة. ودين الحق أي: الدين
ثم ذكر سبب الظهور والانتصار للدين الإسلامي، الحسي والمعنوي، فقال: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق أي: بالعلم النافع

سورة 62

عن كل آفة ونقص، العزيز القاهر للأشياء كلها، الحكيم في خلقه وأمره. فهذه الأوصاف العظيمة مما تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له. 1
ويعبد، جميع ما في السماوات والأرض، لأنه الكامل الملك، الذي له ملك العالم العلوي والسفلي، فالجميع ممالكه، وتحت تدبيره، القدوس المعظم، المنزه
أي: يسبح لله، وينقاد لأمره، ويتأله،
من ذكره، فقال: واذكروا الله كثيرا أي في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم، لعلكم تفلحون فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح. 10
فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض لطلب المكاسب والتجارات ولما كان الاشتغال في التجارة، مظنة الغفلة عن ذكر الله، أمر الله بالإكثار
لحضور الله والتجارات والشهوات، أن يذكرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه على هواه. ثم تفسير سورة الجمعة، ولله الحمد والثناء 11
الأمر بحضور الخطبتين يوم الجمعة، وذم من لم يحضرهما، ومن لازم ذلك الإنصات لهما. ومنها: أنه ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس
ذاك إلا لأنه يفوت الواجب ويشغل عنه، فدل ذلك على أن كل أمر ولو كان مباحا في الأصل، إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب، فإنه لا يجوز في تلك الحال. ومنها:
فأمر الله بالمضي إليه والسعي له. ومنها: مشروعية النداء ليوم الجمعة، والأمر به. ومنها: النهي عن البيع والشراء، بعد نداء الجمعة، وتحريم ذلك، وما
المؤمنين، يجب عليهم السعي لها، والمبادرة والاهتمام بشأنها. ومنها: أن الخطبتين يوم الجمعة، فريضتان يجب حضورهما، لأنه فسر الذكر هنا بالخطبتين،
على طاعة الله مفوتا للرزق، فإن الله خير الرازقين، فمن اتقى الله رزقه من حيث لا يحتسب. وفي هذه الآيات فوائد عديدة: منها: أن الجمعة فريضة على جميع
وصبر نفسه على عبادة الله. خير من اللهو ومن التجارة التي، وإن حصل منها بعض المقاصد، فإن ذلك قليل منغص، مفوت لخير الآخرة، وليس الصبر
المسجد، وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب استعجالا لما لا ينبغي أن يستعجل له، وترك أدب، قل ما عند الله من الأجر والثواب، لمن لازم الخير
وذلك في يوم الجمعة، بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الناس، إذ قدم المدينة، غير تحمل تجارة، فلما سمع الناس بها، وهم في المسجد، انفضوا من

تفسير السعدي

- وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها أي: خرجوا من المسجد، حرصا على ذلك اللهو، و تلك التجارة، وتركوا الخير، وتركوا قائما تخطب الناس، اهتدوا بأنفسهم، وهذوا غيرهم، فصاروا أئمة المهتدين، وهداة المؤمنين، فله عليهم ببعثه هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، أكمل نعمة، وأجل منحة 2 ذلك علوم الأولين والآخرين، فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية منه أعلم الخلق، بل كانوا أئمة أهل العلم والدين، وأكمل الخلق أخلاقا، وأحسنهم هديا وسمتا، ويزكيهم بأن يحثهم على الأخلاق الفاضلة، ويفصلها لهم، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة، ويعلمهم الكتاب والحكمة أي: علم القرآن وعلم السنة، المشتمل الأنبياء، فبعث الله فيهم رسولا منهم، يعرفون نسبه، وأوصافه الجميلة وصدقه، وأنزل عليه كتابه يتلو عليهم آياته القاطعة الموجبة للإيمان واليقين، وكانوا في ضلال مبين، يتعبدون للأشجار والأصنام والأحجار، ويتخلقون بأخلاق السباع الضارية، يأكل قويعهم ضعيفهم، وقد كانوا في غاية الجهل بعلوم ولا أثر رسالة من العرب وغيرهم، ممن ليسوا من أهل الكتاب، فامتن الله تعالى عليهم، منة عظيمة، أعظم من منته على غيرهم، لأنهم عادمون للعلم والخير، المراد بالأميين: الذين لا كتاب عندهم، أي: فيمن باشر دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لما يلحقوا بهم في الفضل، ويحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان، وعلى كل، فكلا المعنيين صحيح. 3 وآخرين منهم لما يلحقوا بهم أي: وامتن على آخرين من غيرهم أي: من غير الأميين، ممن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب، لما يلحقوا بهم، وهو أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن وسعة الرزق، وغير ذلك، من النعم الدنيوية، فلا أعظم من نعمة الدين التي هي مادة الفوز، والسعادة الأبدية. 4 من عزته وحكمته، حيث لم يترك عباده هملا ولا سدى، بل ابتعث فيهم الرسل، وأمرهم ونهاهم، وذلك من فضل الله العظيم، الذي يؤتاه من يشاء من عباده، فإن الذين بعث الله فيهم رسوله وشاهدوه وباشروا دعوته، حصل لهم من الخصائص والفضائل ما لا يمكن أحدا أن يلحقهم فيها، وهذا دام الظلم لهم وصفا، والعناد لهم نعتا ومن ظلم اليهود وعنادهم، أنهم يعلمون أنهم على باطل، ويزعمون أنهم على حق، وأنهم أولياء الله من دون الناس. 5 بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صدق رسولنا وصدق ما جاء به. والله لا يهدي القوم الظالمين أي: لا يرشدهم إلى مصالحهم، ما والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفه من التوراة إلا الخيبة والخسران وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم. بسبب ذلك؟ أم حظه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجله وأعظمه الأمر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم، لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة ذكر أن الذين حملهم الله التوراة من اليهود وكذا النصارى، وأمرهم أن يتعلموها، ويعملوا بما فيها ، وأنهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حملوا به، أنهم لا فضيلة التي لا يلحقهم فيها أحد وهم الأمة الأئمة الذين فاقوا الأولين والآخرين، حتى أهل الكتاب، الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيون والأخبار المتقدمون، لما ذكر تعالى منته على هذه الأمة، الذين ابتعث فيهم النبي الأمي، وما خصهم الله به من المزايا والمناقب، الذي جعله الله دليلا على صدقهم إن تمنوه، وكذبهم إن لم يتمنوه ولما لم يقع منهم مع الإعلان لهم بذلك، علم أنهم عالمون ببطلان ما هم عليه وفساده 6 لهم: إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم على الحق، وأولياء الله: فتمنوا الموت وهذا أمر خفيف، فإنهم لو علموا أنهم على حق لما توقفوا عن هذا التحدي أمر الله رسوله، أن يقول قدمت أيديهم أي من الذنوب والمعاصي، التي يستوحشون من الموت من أجلها، والله عليم بالظالمين فلا يمكن أن يخفى عليه من ظلمهم شيء 7 ولا يتمنونه أبدا بما عليهم. ثم بعد الموت واستكمال الآجال، يرد الخلق كلهم يوم القيامة إلى عالم الغيب والشهادة، فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير وشر، قليل وكثير. 8 كانوا لا يتمنون الموت بما قدمت أيديهم، ويفرون منه غاية الفرار، فإن ذلك لا ينجيهم، بل لا بد أن يلاقى الموت الذي قد حتمه الله على العباد وكتبه هذا وإن أن ما عند الله خير وأبقى، وأن من آثر الدنيا على الدين، فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح، وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة. 9 البيع، إذا نودي للصلاة، وامضوا إليها. فإن ذلكم خير لكم من اشتغالكم بالبيع، وتفويتكم الصلاة الفريضة، التي هي من أكد الفروض. إن كنتم تعلمون والمراد بالسعي هنا: المبادرة إليها والاهتمام لها، وجعلها أهم الأشغال، لا العدو الذي قد نهي عنه عند المضي إلى الصلاة، وقوله: وذروا البيع أي: اتركوا يأمر تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها، من حين ينادى لها والسعي إليها،

سورة 63

- لا حاجة لشهادتهم في تأييد رسوله، فإن الله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في قولهم ودعواهم، وأن ذلك ليس بحقيقة منهم. 1 على بصيرة، فقال: إذا جاءك المنافقون قالوا على وجه الكذب: نشهد إنك لرسول الله وهذه الشهادة من المنافقين على وجه الكذب والنفاق، مع أنه يظهرهم الإيمان ويبطنون الكفر، ليبقى جاههم، وتحقق دماؤهم، وتسلم أموالهم، فذكر الله من أوصافهم ما به يعرفون، لكي يحذر العباد منهم، ويكونوا منهم لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وكثر المسلمون في المدينة واعتز الإسلام بها ، صار أناس من أهلها من الأوس والخزرج،

تفسير السعدي

وأكن من الصالحين بأداء المأمورات كلها، واجتناب المنهيات، ويدخل في هذا، الحج وغيره، وهذا السؤال والتمني، قد فات وقته، ولا يمكن تداركه. 10
التي هي محال: رب لولا أخرتني إلى أجل قريب أي: لأتدارك ما فرطت فيه، فأصدق من مالي، ما به أنجو من العذاب، وأستحق به جزيل الثواب،
جاء، لم يمكن العبد أن يأتي بمثقال ذرة من الخير، ولهذا قال: من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول متحسرا على ما فرط في وقت الإمكان، سائلا الرجعة
بل أمرهم بإخراج جزء مما رزقهم الله الذي يسره لهم ويسر لهم أسبابه. فليشكروا الذي أعطاهم، بمواساة إخوانهم المحتاجين، وليبادروا بذلك، الموت الذي إذا
ذلك، والنفقات المستحبة، كبذل المال في جميع المصالح، وقال: مما رزقناكم ليدل ذلك على أنه تعالى، لم يكلف العباد من النفقة، ما يعنتهم ويشق عليهم،
وأنفقوا من ما رزقناكم يدخل في هذا، النفقات الواجبة، من الزكاة والكفارات ونفقة الزوجات، والماليك، ونحو
أجلها المحتوم لها والله خبير بما تعملون من خير وشر، فيجازيكم على ما علمه منكم، من النيات والأعمال. تم تفسير سورة المنافقين، ولله الحمد 11
ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء

وصدوا غيرهم ممن يخفى عليه حالهم، إنهم ساء ما كانوا يعملون حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وأقسموا على ذلك وأوهموا صدقهم. 2
اتخذوا أيمانهم جنة أي: ترسا يتترسون بها من نسبتهن إلى النفاق. فصدوا عن سبيله بأنفسهم،
يثبتون على الإيمان. بل آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم بحيث لا يدخلها الخير أبدا، فهم لا يفقهون ما ينفعهم، ولا يعون ما يعود بمصالحهم. 3
ذلك الذي زين لهم النفاق بـ سبب أنهم لا
قاتلهم الله أنى يؤفكون أي: كيف يصرفون عن الدين الإسلامي بعد ما تبينت أدلته، واتضحت معالمه، إلى الكفر الذي لا يفيدهم إلا الخسارة والشقاء. 4
هم العدو على الحقيقة، لأن العدو البارز المتميز، أهون من العدو الذي لا يشعر به، وهو مخادع مكر، يزعم أنه ولي، وهو العدو المبين، فاحذرهم
ينال منها إلا الضرر المحض، يحسبون كل صيحة عليهم وذلك لجبنهم وفزعهم وضعف قلوبهم، والريب الذي في قلوبهم يخافون أن يطلع عليهم. فهؤلاء
لاستماعه، فأجسامهم وأقوالهم معجبة، ولكن ليس وراء ذلك من الأخلاق الفاضلة والهدى الصالح شيء، ولهذا قال: كأنهم خشب مسندة لا منفعة فيها، ولا
وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم من روائها ونضارتها، وإن يقولوا تسمع لقولهم أي: من حسن منطقهم تستلذ
عن اتباعه بغيا وعنادا، فهذه حالهم عندما يدعون إلى طلب الدعاء من الرسول، وهذا من لطف الله وكرامته لرسوله، حيث لم يأتوا إليه، فيستغفر لهم، 5
أعمالكم، امتنعوا من ذلك أشد الامتناع، و لووا رؤسهم امتناعا من طلب الدعاء من الرسول، ورأيتهم يصدون عن الحق بغضا له وهم مستكبرون
وإذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا يستغفر لكم رسول الله عما صدر منكم، لتحسن أحوالكم، وتقبل
لو استغفر لهم كما قال تعالى: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين . 6
لهم أم لم يستغفر لهم فلن يغفر الله لهم، وذلك لأنهم قوم فاسقون، خارجون عن طاعة الله، مؤثرون للكفر على الإيمان، فلذلك لا ينفع فيهم استغفار الرسول،
فإنه سواء استغفر

لمن يشاء، ويعسرهما على من يشاء، ولكن المنافقين لا يفقهون فلذلك قالوا تلك المقالة، التي مضمونها أن خزائن الرزق في أيديهم، وتحت مشيئتهم. 7
إلا على من لا علم له بحقائق الأمور ولهذا قال الله ردا لقولهم: ولله خزائن السماوات والأرض فيؤتي الرزق من يشاء، ويمنعه من يشاء، ويبسر الأسباب
نصرة دين الله، وهذا من أعجب العجب، أن يدعى هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس على خذلان الدين، وأذية المسلمين، مثل هذه الدعوى، التي لا تروج
عليه وسلم، قالوا بزعمهم الفاسد: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فإنهم بزعمهم لولا أموال المنافقين ونفقاتهم عليهم، لما اجتمعوا في
وهذا من شدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمين، لما رأوا اجتماع أصحابه وائتلافهم، ومسارعتهم في مرضاة الرسول صلى الله
والمنافقون وإخوانهم من الكفار هم الأذلاء. ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك زعموا أنهم الأعداء، اغترارا بما هم عليه من الباطل، ثم قال تعالى: 8
الأعزون، وأن رسول الله ومن معه هم الأذلون، والأمر بعكس ما قال هذا المنافق، فلماذا قال تعالى: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فهم الأعزاء،
المهاجرين إلا كما قال القائل: غدا كليك يأكلك وقال: لن رجعا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل بزعمه أنه هو وإخوانه من المنافقين
والأنصار، بعض كلام كدر الخواطر، ظهر حينئذ نفاق المنافقين، وأظهروا ما في نفوسهم . وقال كبيرهم، عبد الله بن أبي بن سلول: ما مثلنا ومثل هؤلاء يعني
يقولون لن رجعا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل وذلك في غزوة المريسيع، حين صار بين بعض المهاجرين
هم الخاسرون للسعادة الأبدية، والنعيم المقيم، لأنهم آثروا ما يفنى على ما يبقى، قال تعالى: إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم . 9
عليها أكثر النفوس، فتقدمها على محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة، ولهذا قال تعالى: ومن يفعل ذلك أي: يلهه ماله وولده، عن ذكر الله فأولئك
المؤمنين بالإكثار من ذكره، فإن في ذلك الربح والفلاح، والخيرات الكثيرة، وبينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة
يأمر تعالى عباده

سورة 64

وحمد على ما أوجده من الأشياء، وحمد على ما شرعه من الأحكام، وأساده من النعم. وقدرته شاملة، لا يخرج عنها موجود، فلا يعجزه شيء يريد. 1

الخالق إليه، وتسبيح من في السماوات والأرض بحمد ربها، وأن الملك كله لله، فلا يخرج مخلوق عن ملكه، والحمد كله له، حمد على ما له من صفات الكمال، هذه الآيات الكريمات، مشتملات على جملة كثيرة واسعة، من أوصاف الباري العظيمة، فذكر كمال ألوهيته تعالى، وسعة غناه، وافتقار جميع الأدلة والبيّنات، فكذبوا بها، وعاندوا ما دلت عليه. أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير لأنها جمعت كل بؤس وشدة، وشقاء وعذاب. 10

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أي: كفروا بها من غير مستند شرعي ولا عقلي، بل جاءتهم آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبا، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان. 11

في الأخبار: أن المؤمنين يثبتهم الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: يثبت الله الذين هذا السبب الذي قام به العبد أكبر سبب لهداية الله له في أحواله وأقواله، وأفعاله. وفي علمه وعمله. وهذا أفضل جزاء يعطيه الله لأهل الإيمان، كما قال تعالى الإيمان المأمور به، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وصدق إيمانه بما يقتضيه الإيمان من القيام بلوازمه وواجباته، أن هذا ما يتعلق بقوله: ومن يؤمن بالله يهد قلبه في مقام المصائب الخاص، وأما ما يتعلق بها من حيث العموم اللفظي، فإن الله أخبر أن كل من آمن أي: إلى نفسه، وإذا وكل العبد إلى نفسه، فالنفس ليس عندها إلا الجزع والهلع الذي هو عقوبة عاجلة على العبد، قبل عقوبة الآخرة، على ما فرط في واجب الصبر. بغير حساب وعلم من هذا أن من لم يؤمن بالله عند ورود المصائب، بأن لم يلحظ قضاء الله وقدره، بل وقف مع مجرد الأسباب، أنه يخذل، ويكده الله عند ورودها والقيام بموجب الصبر، فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخر الله له يوم الجزاء من الثواب كما قال تعالى: إنما يوفى الصابرون أجرهم فإذا آمن أنها من عند الله، فرضي بذلك، وسلم لأمره، هدى الله قلبه، فاطمأن ولم ينزعج عند المصائب، كما يجري لمن لم يهد الله قلبه، بل يرزقه الثبات والشأن كل الشأن، هل يقوم العبد بالوظيفة التي عليه في هذا المقام، أم لا يقوم بها؟ فإن قام بها، فله الثواب الجزيل، والأجر الجميل، في الدنيا والآخرة، والولد. والأحباب، ونحوهم، فجميع ما أصاب العباد، فبقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علم الله تعالى، وجرى به قلمه، ونفذت به مشيئته، واقتضته حكمته، يقول تعالى: ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله هذا عام لجميع المصائب، في النفس، والمال،

الحجة، وليس بيده من هدايتكم، ولا من حسابكم من شيء، وإنما يحاسبكم على القيام بطاعة الله وطاعة رسوله، أو عدم ذلك، عالم الغيب والشهادة. 12

فإن توليتم أي عن طاعة الله وطاعة رسوله، فإنما على رسولنا البلاغ المبين أي: يبلغكم ما أرسل به إليكم، بلاغا يبين لكم ويتضح عليكم به وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول أي: في امتثال أمرهما، واجتناب نهيهما، فإن طاعة الله وطاعة رسوله، مدار السعادة، وعنوان الفلاح،

على الله، حتى يحسن العبد ظنه بربه، ويثق به في كفايته الأمر الذي اعتمد عليه به، وبحسب إيمان العبد يكون توكله، فكلما قوي الإيمان قوي التوكل 13

أي: فيلتمدوا عليه في كل أمر نابههم، وفيما يريدون القيام به، فإنه لا يتيسر أمر من الأمور إلا بالله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالاعتماد على الله، ولا يتم الاعتماد الله لا إله إلا هو أي: هو المستحق للعبادة والألوهية، فكل معبود سواه فباطل، وعلى الله فليتوكل المؤمنون

صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره. 14

من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم لأن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا الله عنه، ومن صفح الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك، مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية، ولما كان النهي عن طاعة فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي ورغبتهم في امتثال أوامره، وتقديم الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذه وصفه والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، هذا تحذير من الله للمؤمنين، من

صفح الله عنه، ومن غفر غفر الله له، ومن عامل الله فيما يحب، وعامل عباده كما يحبون وينفعهم، نال محبة الله ومحبة عباده، واستوثق له أمره. 15

من المصالح ما لا يمكن حصره، فقال: وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم لأن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا الله عنه، ومن صفح الأزواج والأولاد، فيما هو ضرر على العبد، والتحذير من ذلك، قد يوهم الغلظة عليهم وعقابهم، أمر تعالى بالحذر منهم، والصفح عنهم والعفو، فإن في ذلك، مرضاته بما عنده من الأجر العظيم المشتمل على المطالب العالية والمحاب الغالية، وأن يؤثروا الآخرة على الدنيا الفانية المنقضية، ولما كان النهي عن طاعة فنصح تعالى عباده أن توجب لهم هذه المحبة الانقياد لمطالب الأزواج والأولاد، ولو كان فيها ما فيها من المحذور الشرعي ورغبتهم في امتثال أوامره، وتقديم الاغترار بالأزواج والأولاد، فإن بعضهم عدو لكم، والعدو هو الذي يريد لك الشر، ووظيفتك الحذر ممن هذه وصفه والنفس مجبولة على محبة الأزواج والأولاد، هذا تحذير من الله للمؤمنين، من

تفسير السعدي

لمرضاة، فإنها ليس بينها وبين فعل ما كلفت به إلا العلم به، ووصول معرفته إليها، والبصيرة بأنه مرض لله تعالى، وبذلك تفلح وتنجح وتفوز كل الفوز. 16 كانت نفسه شحيحة. لا تنقاد لما أمرت به، ولا تخرج ما قبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة، وإن كانت نفسه نفسا سمحة، مطمئنة، منشرحة لشرع الله، طالبة لنفسه بالإنفاق النافع لها فأولئك هم المفلحون لأنهم أدركوا المطلوب، ونجوا من المرهوب، بل لعل ذلك، شامل لكل ما أمر به العبد، ونهي عنه، فإنه إن بها، وهو الشح المجبولة عليه أكثر النفوس، فإنها تشح بالمال، وتحب وجوده، وتكره خروجه من اليد غاية الكراهة. فمن وقاه الله شر شح نفسه بأن سمحت فإن الخير كله في امتثال أوامر الله تعالى وقبول نصائحه، والانقياد لشرعه، والشر كله، في مخالفة ذلك. ولكن ثم آفة تمنع كثيرا من الناس، من النفقة المأمور له وأطيعوا الله ورسوله في جميع أموركم، وأنفقوا من النفقات الشرعية الواجبة والمستحبة، يكن ذلك الفعل منكم خيرا لكم في الدنيا والآخرة، القاعدة الشرعية من الفروع، ما لا يدخل تحت الحصر، وقوله: واسمعوا أي: اسمعوا ما يعظكم الله به، وما يشرعه لكم من الأحكام، واعلموا ذلك وانقادوا فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم. ويدخل تحت هذه نواهي، ويقيد ذلك بالاستطاعة والقدرة. فهذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور، وعجز عن بعضه، يأمر تعالى بتقواه، التي هي امتثال أوامره واجتناب

ويجازيهم عليه الكثير من الأجر، ويشكر تعالى لمن تحمل من أجله المشاق والأثقال، وناء بالتكاليف الثقيل، ومن ترك شيئا لله، عوضه الله خيرا منه. 17 ولا يهمله، ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى والله تعالى شكور يقبل من عباده اليسير من العمل، والصدقة ذنوبكم، فإن الذنوب يكفرها الله بالصدقات والحسنات: إن الحسنات يذهبن السيئات. والله شكور حليم لا يعاجل من عصاه، بل يمهله ووضعه في موضعها يضاعفه لكم النفقة، بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. و مع المضاعفة أيضا يغفر لكم بسبب الإنفاق ثم رغب تعالى في النفقة فقال: إن تقرضوا الله قرضا حسنا وهو كل نفقة كانت من الحلال، إذا قصد بها العبد وجه الله تعالى وطلب مرضاته، الذي لا يغالب ولا يمانع، الذي قهر كل الأشياء، الحكيم في خلقه وأمره، الذي يضع الأشياء مواضعها. ثم تفسر سورة التغابن ولله الحمد. 18 عالم الغيب والشهادة أي: ما غاب عن العباد من الجنود التي لا يعلمها إلا هو، وما يشاهدونه من المخلوقات، العزيز بقضاء الله وقدره، وهو الذي شاء ذلك منهم، بأن جعل لهم قدرة وإرادة، بها يتمكنون من كل ما يريدون من الأمر والنهي، والله بما تعملون بصير. 2 وذكر أنه خلق العباد، وجعل منهم المؤمن والكافر، فإيمانهم وكفرهم كله،

يوم القيامة، فيجازيكم على إيمانكم وكفركم، ويسألكم عن النعم والنعيم، الذي أولاكموه هل قمتم بشكره، أم لم تقوموا بشكره؟ ثم ذكر عموم علمه. 3 فأحسن صوركم كما قال تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم فالإنسان أحسن المخلوقات صورة، وأبهاها منظرا. وإليه المصير أي: المرجع فقال: خلق السماوات والأرض أي: أجرامهما، وجميع ما فيهما، فأحسن خلقهما، بالحق أي: بالحكمة، والغاية المقصودة له تعالى، وصوركم فلما ذكر خلق الإنسان المكلف المأمور المنهي، ذكر خلق باقي المخلوقات،

الفاصلة، فإذا كان عليما بذات الصدور، تعين على العاقل البصير، أن يحرص ويجتهد في حفظ باطنه، من الأخلاق الرذيلة، واتصافه بالأخلاق الجميلة. 4 والغيب والشهادة. ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور أي: بما فيها من الأسرار الطيبة، والخبائيا الخبيثة، والنيات الصالحة، والمقاصد يعلم ما في السماوات والأرض أي: من السرائر والظواهر،

حين جاءتهم الرسل بالحق، كذبوه وعاندوه، فأذاقهم الله وبال أمرهم في الدنيا، وأخزاهم فيها، ولهم عذاب أليم في الدار الآخرة، ولهذا 5 في مرضاته، وتجنب مسأخطه، أخبر بما فعل بالأمم السابقين، والقرون الماضية، الذين لم تزل أباؤهم يتحدث بها المتأخرون، ويخبر بها الصادقون، وأنهم لما ذكر تعالى من أوصافه الكاملة العظيمة، ما به يعرف ويعبد، ويبذل الجهد

بهم، ولا يضره ضلالهم شيئا، والله غني حميد أي: هو الغني، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه، الحميد في أقواله وأفعاله وأوصافه. 6 للخلق، واستكبروا عن الانقياد لهم، فابتلوا بعبادة الأحجار والأشجار ونحوها فكفروا بالله وتولوا عن طاعة الله، واستغنى الله عنهم، فلا يبالي في الآية الأخرى: قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده فهم حجروا فضل الله ومنتته على أنبيائه أن يكونوا رسلا الدالة على الحق والباطل، فاشمأزوا، واستكبروا على رسلهم، فقالوا أبشر يهودنا أي: فليس لهم فضل علينا، ولاي: شيء خصهم الله دوننا، كما قال ذكر السبب في هذه العقوبة فقال: ذلك النكال والوبال، الذي أحلناله بهم بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات أي: بالآيات الواضحات،

يقول له كن فيكون، قال تعالى: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. 7 كان عسيرا بل متعذرا بالنسبة إلى الخلق، فإن قواهم كلهم، لو اجتمعت على إحياء ميت واحد، ما قدروا على ذلك. وأما الله تعالى، فإنه إذا أراد أمرا فإنما علم ولا هدى ولا كتاب منير، فأمر أشرف خلقه، أن يقسم بربه على بعثهم، وجزائهم بأعمالهم الخبيثة، وتكذيبهم بالحق، وذلك على الله يسير فإنه وإن يخبر تعالى عن عناد الكافرين، وزعمهم الباطل، وتكذيبهم بالبعث بغير

الصادق بها، والعمل بمقتضى ذلك التصديق، من امتثال الأوامر، واجتناب المناهي والله بما تعملون خبير فيجازيكم بأعمالكم الصالحة والسيئة. 8 أكثر من نفعها، وشرها أكثر من خيرها، بل لا خير فيها ولا نفع، إلا ما وافق ما جاءت به الرسل، والإيمان بالله ورسوله وكتابه، يقتضي الجزم التام، واليقين

تفسير السعدي

الأحكام والشرائع والأخبار، أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة، ويمشى بها في حندس الليل البهيم، وما سوى الاهتداء بكتاب الله، فهي علوم ضررها بالله وآياته، أمر بما يعصم من الهلكة والشقاء، وهو الإيمان بالله ورسوله وكتابه وسماء الله نورا، فإن النور ضد الظلمة، وما في الكتاب الذي أنزله الله من لما ذكر تعالى إنكار من أنكر البعث، وأن ذلك منهم موجب كفرهم

الأنهار فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وتختاره الأرواح، وتحن إليه القلوب، ويكون نهاية كل مرغوب، خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم . 9 إيماناً تاماً، شاملاً لجميع ما أمر الله بالإيمان به، ويعمل صالحاً من الفرائض والنوافل، من أداء حقوق الله وحقوق عباده. يدخله جنات تجري من تحتها غير شيء، وأنهم هم الخاسرون، فكأنه قيل: بأي شيء يحصل الفلاح والشقاء والنعيم والعذاب؟ فذكر تعالى أسباب ذلك بقوله: ومن يؤمن بالله أي: وأسلفوه أيام حياتهم، ولهذا قال: ذلك يوم التغابن . أي: يظهر فيه التغابن والتفاوت بين الخلائق، ويغيب المؤمنون الفاسقين، ويعرف المجرمون أنهم على المشتعلة على جميع اللذات والشهوات، ويخفض أحوالهم إلى أسفل سافلين، محل الهم والغم، والحزن، والعذاب الشديد، وذلك نتيجة ما قدموه لأنفسهم، موقفاً هائلاً عظيماً، وينبئهم بما عملوا، فحينئذ يظهر الفرق والتفاوت بين الخلائق، ويرفع أحوالهم إلى أعلى عليين، في الغرف العاليات، والمنازل المرتفعات، يعني: اذكروا يوم الجمع الذي يجمع الله به الأولين والآخرين، ويقفهم

سورة 65

وأولعه يطلقها لسبب منها، فيزول ذلك السبب في مدة العدة، فيراجعها لانتفاء سبب الطلاق. ومن الحكم: أنها مدة التربص، يعلم براءة رحمها من زوجها. 1 وحدد الطلاق بها، لحكم عظيمة: فمنها: أنه لعل الله يحدث في قلب المطلق الرحمة والمودة، فيراجع من طلقها، ويستأنف عشرتها، فيتمكن من ذلك مدة العدة، أي: بخسها حظها، وأضاع نصيبه من اتباع حدود الله التي هي الصلاح في الدنيا والآخرة. لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً أي: شرع الله العدة، التي حددها لعباده وشرعها لهم، وأمرهم بلزومها، والوقوف معها، ومن يتعد حدود الله بأن لم يقف معها، بل تجاوزها، أو قصر عنها، فقد ظلم نفسه نفسها، وهذا في المعتدة الرجعية، وأما البائن، فليس لها سكنى واجبة، لأن السكن تبع للنفقة، والنفقة تجب للرجعية دون البائن، وتلك حدود الله أي: الفاحشة، ففي هذه الحال يجوز لهم إخراجها، لأنها هي التي تسببت لإخراج نفسها، والإنسان فيه جبر لخاطرها، ورفق بها، فهي التي أدخلت الضرر على العدة. إلا أن يأتين بفاحشة مبينة أي: بأمر قبيح واضح، موجب لإخراجها، بحيث يدخل على أهل البيت الضرر من عدم إخراجها، كالأذى بالأقوال والأفعال حق من حقوقه. وأما النهي عن خروجها، فلما في خروجها، من إضاعة حق الزوج وعدم صونه. ويستمر هذا النهي عن الخروج من البيوت، والإخراج إلى تمام زوجها وهي فيها. ولا يخرجن أي: لا يجوز لهن الخروج منها، أما النهي عن إخراجها، فالأن المسكن، يجب على الزوج للزوجة، لتكمل فيه عدتها التي هي واتقوا الله ربكم أي: في جميع أموركم، وخافوه في حق الزوجات المطلقات، لا تخرجوهن من بيوتهن مدة العدة، بل يلزم بيوتهن الذي طلقها حالها على بصيرة، وعلم ما يترتب عليها من الحقوق، وما لها منها، وهذا الأمر بإحصاء العدة، يتوجه للزوج وللرأة، إن كانت مكلفة، وإلا فلوليها، وقوله: تحيض، وليست حاملاً، فإن في إحصائها أداء لحق الله، وحق الزوج المطلق، وحق من سيتزوجها بعد، وحقها في النفقة ونحوها فإذا ضبطت عدتها، علمت وطئ فيه، فإنه لا يؤمن حملها، فلا يتبين ولا يتضح بأي عدة تعتد، وأمر تعالى بإحصاء العدة، أي: ضبطها بالحيض إن كانت تحيض، أو بالأشهر إن لم تكن واضحة بينة، بخلاف ما لو طلقها وهي حائض، فإنها لا تحتسب تلك الحيضة، التي وقع فيها الطلاق، وتطول عليها العدة بسبب ذلك، وكذلك لو طلقها في طهر غير مراعاة لأمر الله. بل طلقوهن لعدتهن أي: لأجل عدتهن، بأن يطلقها زوجها وهي طاهر، في طهر لم يجامعها فيه، فهذا الطلاق هو الذي تكون العدة فيه وسلم للمؤمنين: يا أيها النبي إذا طلقتم النساء أي: أردتم طلاقهن ف التمسوا لطلاقهن الأمر المشروع، ولا تبادروا بالطلاق من حين يوجد سببه، من يقول تعالى مخاطباً لنبيه صلى الله عليه

الأنباء أي: يا ذوي العقول، التي تفهم عن الله آياته وعبره، وأن الذي أهلك القرون الماضية، بتكذيبهم، أن من بعدهم مثلهم، لا فرق بين الطائفتين. 10 ومع عذاب الدنيا، فإن الله أعد لهم في الآخرة عذاباً شديداً، فاتقوا الله يا أولي

ولا خطر على قلب بشر، خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً أي: ومن لم يؤمن بالله ورسوله، فأولئك أصحاب النار، هم فيها خالدون. 11 ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً من الواجبات والمستحبات. يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار فيها من النعيم المقيم، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، صلى الله عليه وسلم، ليخرج الخلق من ظلمات الكفر والجهل والمعصية، إلى نور العلم والإيمان والطاعة، فمن الناس، من آمن به، ومنهم من لم يؤمن به، ثم ذكر عباده المؤمنين بما أنزل عليهم من كتابه، الذي أنزله على رسوله محمد

من الخلق والأمر معرفة الله وعبادته، فقام بذلك الموفقون من عباد الله الصالحين، وأعرض عن ذلك، الظالمون المعرضون. تم تفسيرها والحمد لله 12 إحاطة قدرته بالأشياء كلها، وإحاطة علمه بجميع الأشياء فإذا عرفوه بأوصافه المقدسة وأسمائه الحسنى وعبوده وأحبوه وقاموا بحقه، فهذه الغاية المقصودة والأحكام الدينية التي أوحاها إلى رسله لتذكير العباد ووعظهم، وكذلك الأوامر الكونية والقدرية التي يدبر بها الخلق، كل ذلك لأجل أن يعرفه العباد ويعلموا ثم أخبر تعالى أنه خلق الخلق من السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن، وما بينهن، وأنزل الأمر، وهو الشرائع

بالطلاق، فإن العبد إذا لم يتق الله فيه، بل أوقعه على الوجه المحرم، كالثلاث ونحوها، فإنه لا بد أن يندم ندامة لا يتمكن من استدراكها والخروج منها. 2

تفسير السعدي

أن من اتقى الله جعل له فرجا ومخرجا، فمن لم يتق الله، وقع في الشدائد والآصار والأغلال، التي لا يقدر على التخلص منها والخروج من تبعاتها، واعتبر ذلك اتقى الله تعالى، ولازم مرضاة الله في جميع أحواله، فإن الله يثيبه في الدنيا والآخرة. ومن جملة ثوابه أن يجعل له فرجا ومخرجا من كل شدة ومشقة، وكما بل جعل الله له فرجا وسعة يتمكن بها من مراجعة النكاح إذا ندم على الطلاق، والآية، وإن كانت في سياق الطلاق والرجعة، فإن العبرة بعموم اللفظ، فكل من له فرجا ومخرجا. فإذا أراد العبد الطلاق، ففعله على الوجه الشرعي، بأن أوقفه طلاق واحدة، في غير حيض ولا طهر قد وطئ فيه فإنه لا يضيق عليه الأمر، يعظم مواعظ الله لعدم الموجب لذلك، ولما كان الطلاق قد يوقع في الضيق والكرب والغم، أمر تعالى بتقواه، وأن من اتقاه في الطلاق وغيره فإن الله يجعل ذلك أن يتعظ بمواعظ الله، وأن يقدم لآخرته من الأعمال الصالحة، ما يتمكن منها، بخلاف من ترحل الإيمان عن قلبه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من الشر، ولا ولا صاحباً لمحبتة، ذلكم الذي ذكرنا لكم من الأحكام والحدود يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإن من يؤمن بالله، واليوم الآخر، يوجب له وأقيموا أيها الشهداء الشهادة لله أي: انتوا بها على وجهها، من غير زيادة ولا نقص، واقصدوا بإقامتها وجه الله وحده ولا تراعوا بها قريبا لقربته، على طلاقها ورجعتها ذوي عدل منكم أي: رجلين مسلمين عدلين، لأن في الإشهاد المذكور، سدا لباب المخاصمة، وكتمان كل منهما ما يلزمه بيبانه. على هذا الوجه، لا يجوز، أو فارقوهن بمعروف أي: فراقا لا محذور فيه، من غير تشاتم ولا تخاصم، ولا قهر لها على أخذ شيء من مالها. وأشهدوا بين الإمساك والفرق. فأمسكوهن بمعروف أي: على وجه المعاشرة الحسنة، والصحبة الجميلة، لا على وجه الضرر، وإرادة الشر والحبس، فإن إمساكها فإذا بلغن أجلهن أي: إذا قاربن انقضاء العدة، لأنهن لو خرجن من العدة، لم يكن الزوج مخيرا

قال تعالى: إن الله بالغ أمره أي: لا بد من نفوذ قضائه وقدره، ولكنه قد جعل الله لكل شيء قدرا أي: وقتا ومقدارا، لا يتعداه ولا يقصر عنه. 3 كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيرها إلى الوقت المناسب له؛ فهذا في أمر دينه ودينه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك فهو حسبه أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا ويرزقه من حيث لا يحتسب أي: يسوق الله الرزق للمتقي، من وجه لا يحتسبه ولا يشعر به. ومن يتوكل على الله أي: ومتعدد، ولا عبرة حينئذ، بالأشهر ولا غيرها، ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا أي: من اتقى الله تعالى، يسر له الأمور، وسهل عليه كل عسير. 4 والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء وقوله: وأولات الأحمال أجلهن أي: عدتهن أن يضعن حملهن أي: جميع ما في بطونهن، من واحد، اللائي لم يأتهن الحيض بعد، و بالغات اللاتي لم يأتهن حيض بالكلية، فإنهن كالأيسات، عدتهن ثلاثة أشهر، وأما اللائي يحضن، فذكر الله عدتهن في قوله: بأن كن يحضن، ثم ارتفع حيضهن، لكبر أو غيره، ولم يرج رجوعه، فإن عدتها ثلاثة أشهر، جعل لكل شهر، مقابلة حيضة. واللائي لم يحضن أي: الصغار، لما ذكر تعالى أن الطلاق المأمور به يكون لعدة النساء، ذكر تعالى العدة، فقال: واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لتمشوا عليه، وتأنموا وتقوموا به وتعظموه. ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا أي: يندفع عنه المحذور، ويحصل له المطلوب. 5 ذلك أي: الحكم الذي بينه الله لكم أمر الله أنزله إليكم

يمكن أن يتقوت من أمه، ومن غيرها، أباح تعالى، الأمرين، فإذا، كان بحالة لا يمكن أن يتقوت إلا من أمه، كان بمنزلة الحمل، وتعينت أمه طريقا لقوته 6 وهذا مأخوذ من الآية الكريمة من حيث المعنى، فإن الولد لما كان في بطن أمه مدة الحمل، ليس له خروج منه عين تعالى على وليه النفقة، فلما ولد، وكان حيث كان الولد يقبل ثدي غير أمه، فإن لم يقبل إلا ثدي أمه، تعينت لإرضاعه، ووجب عليها، وأجبرت إن امتنعت، وكان لها أجره المثل إن لم يتفقا على مسمى، وينصح على ذلك. وإن تعاسرتم بأن لم يتفقوا على إرضاعها لولدها، فلترضع له أخرى غيرها فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف وهذا مع الفرق، الذي في الغالب ما يصدر إلا عن بغض، ويتأثر منه البعض شيء كثير فكل منهما يؤمر بالمعروف، والمعاشرة الحسنة، وعدم المشاقة والمخاصمة ومما يناسب هذا المقام، أن الزوجين عند الفرق وقت العدة، خصوصا إذا ولد لهما ولد في الغالب يحصل من التنازع والتشاجر لأجل النفقة عليها وعلى الولد منفعة ومصلحة في الدنيا والآخرة، فإن الغفلة عن الائتمار بالمعروف، يحصل فيه من الشر والضرر، ما لا يعلمه إلا الله، وفي الائتمار، تعاون على البر والتقوى، المسماة لهن، إن كان مسمى، وإلا فأجر المثل، وأتمروا بينكم بمعروف أي: وليأمر كل واحد من الزوجين ومن غيرهما، الآخر بالمعروف، وهو كل ما فيه بائنا، ولها ولحملها إن كانت رجعية، ومنتهى النفقة حتى يضع حملهن فإذا وضع حملهن، فإذا أن يرضعن أولادهن أو لا، فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن ولا مشقة، وذلك راجع إلى العرف، وإن كن أي: المطلقات أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن وذلك لأجل الحمل الذي في بطنها، إن كانت قبل تمام العدة، فتكونوا، أنتم المخرجين لهن، وحاصل هذا أنه نهى عن إخراجهن، ونهاهن عن الخروج، وأمر بسكناهن، على وجه لا يحصل به عليهن، ضرر ومثلها، بحسب وجد الزوج وعسره، ولا تضاروهن لتضييقوا عليهن أي: لا تضاروهن، عند سكناهن بالقول أو الفعل، لأجل أن يملن، فيخرجن من البيوت، تقدم أن الله نهى عن إخراج المطلقات عن البيوت وهنا أمر بإسكانهن وقدر الإسكان بالمعروف، وهو البيت الذي يسكنه مثله

سيجعل الله بعد عسر يسرا وهذه بشارة للمعسرين، أن الله تعالى سيزيل عنهم الشدة، ويرفع عنهم المشقة، فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا 7 مناسب للحكمة والرحمة الإلهية حيث جعل كلا بحسبه، وخفف عن المعسر، وأنه لا يكلفه إلا ما آتاه، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها، في باب النفقة وغيرها. الغني من غناه، فلا ينفق نفقة الفقراء. ومن قدر عليه رزقه أي: ضيق عليه فلينفق مما آتاه الله من الرزق. لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه وهذا قدر تعالى النفقة، بحسب حال الزوج فقال: لينفق ذو سعة من سعته أي: لينفق

- لرسل أن كثرتهم وقوتهم، لم تنفعهم شيئا، حين جاءهم الحساب الشديد، والعذاب الأليم، وأن الله أذاقهم من العذاب ما هو موجب أعمالهم السيئة. 8
يخبر تعالى عن إهلاكه الأمم العاتية، والقرون المكذبة
- لرسل أن كثرتهم وقوتهم، لم تنفعهم شيئا، حين جاءهم الحساب الشديد، والعذاب الأليم، وأن الله أذاقهم من العذاب ما هو موجب أعمالهم السيئة. 9
يخبر تعالى عن إهلاكه الأمم العاتية، والقرون المكذبة

سورة 66

- غفر لرسوله، ورفع عنه اللوم، ورحمه، وصار ذلك التحريم الصادر منه، سببا لشرع حكم عام لجميع الأمة، فقال تعالى حاكما حكما عاما في جميع الأيمان: 1
ما أحل الله لك من الطيبات، التي أنعم الله بها عليك وعلى أمتك. تبتغي بذلك التحريم مرضاة أزواجك والله غفور رحيم هذا تصريح بأن الله قد
لخاطر بعض زوجاته، في قصة معروفة، فأنزل الله تعالى هذه الآيات يا أيها النبي أي: يا أيها الذي أنعم الله عليه بالنبوة والوحي والرسالة لم تحرم
هذا عتاب من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، حين حرم على نفسه سريره مارية أو شرب العسل، مراعاة
- امرأة أحد من أنبيائه بغيا، فلم يغنيا أي: نوح ولوط عنهما أي: عن امرأتيهما من الله شيئا وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين . 10
فخانتاهما في الدين، بأن كانتا على غير دين زوجيهما، وهذا هو المراد بالخيانة لا خيانة النسب والفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط، وما كان الله ليجعل
الإساءة، فقال: ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا أي: المرأتان تحت عبيدين من عبادنا صالحين وهما نوح، ولوط عليهما السلام.
بالواجب عليه. فكان في ذلك إشارة وتحذيرا لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم، عن المعصية، وأن اتصالهن به صلى الله عليه وسلم، لا ينفعهن شيئا مع
المثلان اللذان ضربهما الله للمؤمنين والكافرين، ليبين لهم أن اتصال الكافر بالمؤمن وقربه منه لا يفيد شيئا، وأن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئا مع قيامه
هذان
- ولم يكمل من النساء، إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام . 11
ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل، وثبات تام، ونجاة من الفتن، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: كمل من الرجال كثير،
الله بالإيمان والتضرع لربها، وسؤالها لربها أجل المطالب، وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة،
فرعون وهي آسية بنت مزاحم رضي الله عنها إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين فوصفها
وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة
- على طاعته بخشية وخشوع، وهذا وصف لها بكمال العمل، فإنها رضي الله عنها صديقة، والصديقة: هي كمال العلم والعمل. تمت ولله الحمد 12
والتصديق بكتبه، يقتضي معرفة ما به يحصل التصديق، ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل، ولهذا قال وكانت من القانتين أي: المطيعين لله، المداومين
الرسول الكريم والسيد العظيم. وصدقت بكلمات ربها وكتبه وهذا وصف لها بالعلم والمعرفة، فإن التصديق بكلمات الله، يشمل كلماته الدينية والقدرية،
ونزاهتها. فنحن فيه من روحنا بأن نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها فوصلت نفخته إلى مريم، فجاء منها عيسى ابن مريم عليه السلام،
ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها أي: صانته وحفظته عن الفاحشة، لكمال ديانتها، وعفتها،
- علمه بظواهركم وبواطنكم، وهو الحكيم في جميع ما خلقه وحكم به، فلذلك شرع لكم من الأحكام، ما يعلم أنه موافق لمصالحكم، ومناسب لأحوالكم. 2
ومربيكم أحسن تربية، في أمور دينكم ودنياكم، وما به يندفع عنكم الشر، فلذلك فرض لكم تحلة أيمانكم، لتبرأ ذممكم، وهو العليم الحكيم الذي أحاط
أو شراب أو سرية، أو حلف يمينًا بالله، على فعل أو ترك، ثم حنت أو أراد الحنث، فعليه هذه الكفارة المذكورة، وقوله: والله مولاكم أي: متولي أموركم،
من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتكم . فكل من حرم حلالا عليه، من طعام
بعد الحنث، وذلك كما في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إلى أن قال: فكفارتها إطعام عشرة مساكين
قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أي: قد شرع لكم، وقدر ما به تتحل أيمانكم قبل الحنث، وما به الكفارة
- وسلم، وحلما، ف قالت له: من أنباك هذا الخبر الذي لم يخرج منا؟ قال نبأني العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية، يعلم السر وأخفى. 3
به عائشة رضي الله عنهما، وأخبره الله بذلك الخبر الذي أذاعته، فعرفها صلى الله عليه وسلم، ببعض ما قالت، وأعرض عن بعضه، كرما منه صلى الله عليه
أزواجه حديثا قال كثير من المفسرين: هي حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، أسر لها النبي صلى الله عليه وسلم حديثا، وأمر أن لا تخبر به أحدا، فحدثت
وإذ أسر النبي إلى بعض
- ممن يناوئه مخدول وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه الكريمة، وخواص خلقه، أعوانا لهذا الرسول الكريم. 4
فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير أي: الجميع أعوان للرسول، مظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره
الورع والأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم، واحترامه، وأن لا يشققن عليه، وإن تظاهرا عليه أي: تعاونا على ما يشق عليه، ويستمر هذا الأمر منكم،

تفسير السعدي

صلى الله عليه وسلم على نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة، وعاتبهما على ذلك، وأخبرهما أن قلوبهما قد صغت أي: مالت وانحرفت عما ينبغي لهن، من إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما الخطاب للزوجتين الكريمتين من أزواجه صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة رضي الله عنهما، كانتا سببا لتحريم النبي

يختار لرسوله صلى الله عليه وسلم إلا أكمل الأحوال وأعلى الأمور، فلما اختار الله لرسوله بقاء نسائه المذكورات معه دل على أنهن خير النساء وأكملهن. 5 والتأديب، بادرن إلى رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان هذا الوصف منطبقا عليهن، فصرن أفضل نساء المؤمنين، وفي هذا دليل على أن الله لا عما يكرهه الله، ثيبات وأبكارا أي: بعضهن ثيب، وبعضهن أبكار، ليتنوع صلى الله عليه وسلم، فيما يحب، فلما سمعن رضي الله عنهن هذا التخويف القيام بالشرائع الباطنة، من العقائد وأعمال القلوب. القنوت هو دوام الطاعة واستمرارها ثابتا عما يكرهه الله، فوصفهن بالقيام بما يحبه الله، والتوبة ولا يلزم وجوده، فإنه ما طلقهن، ولو طلقهن، لكان ما ذكره الله من هذه الأزواج الفاضلات، الجامعات بين الإسلام، وهو القيام بالشرائع الظاهرة، والإيمان، وهو فإنه لو طلقن، لم يضق عليه الأمر، ولم يكن مضطرا إليكن، فإنه سيلقى ويبدله الله أزواجا خيرا منكن، دينا وجمالا، وهذا من باب التعليق الذي لم يوجد، هو أكبر شيء عليهن، فقال: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن . عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن أي: فلا ترفعن عليه، وهذا فيه من التحذير للزوجتين الكريمتين ما لا يخفى، ثم خوفهما أيضا، بحالة تشق على النساء غاية المشقة، وهو الطلاق، الذي

العقاب، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وهذا فيه أيضا مدح للملائكة الكرام، وانقيادهم لأمر الله، وطاعتهم له في كل ما أمرهم به. 6 عظيم انتهارهم، يفزعون بأصواتهم ويخيفون بمرآهم، ويهينون أصحاب النار بقوتهم، ويمتثلون فيهم أمر الله، الذي حتم عليهم العذاب وأوجب عليهم شدة الناس والحجارة كما قال تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون . عليها ملائكة غلاظ شداد أي: غليظة أخلاقهم، تحت ولايته من الزوجات والأولاد وغيرهم ممن هو تحت ولايته وتصرفه. ووصف الله النار بهذه الأوصاف، ليزجر عباده عن التهاون بأمره فقال: وقودها الله ويوجب العذاب، ووقاية الأهل والأولاد، بتأديبهم وتعليمهم، وإجبارهم على أمر الله، فلا يسلم العبد إلا إذا قام بما أمر الله به في نفسه، وفيما يدخل ف قوا أنفسكم وأهليكم نارا موصوفة بهذه الأوصاف الفظيعة، ووقاية الأنفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالا، ونهيه اجتنابا، والتوبة عما يسخط أي: يا من من الله عليهم بالإيمان، قوموا بلوازمه وشروطه.

فإنه ذهب وقت الاعتذار، وزال نفعه، فلم يبق الآن إلا الجزاء على الأعمال، وأنتم لم تقدموا إلا الكفر بالله، والتكذيب بآياته، ومحاربة رسله وأوليائه. 7 أي: يوبخ أهل النار يوم القيامة بهذا التوبيخ فيقال لهم: يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم أي:

التوبة النصوح. والمراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي عقدها العبد لله، لا يريد بها إلا وجهه والقرب منه، ويستمر عليها في جميع أحواله. 8 ويسألون الله أن يتم لهم نورهم فيستجيب الله دعوتهم، ويوصلهم ما معهم من النور واليقين، إلى جنات النعيم، وجوار الرب الكريم، وكل هذا من آثار والفلاح، حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضيائه، ويتمتعون بروحه وراحته، ويشفقون إذا طفت الأنوار، التي لا تعطى المنافقين، قد أمر الله بالتوبة النصوح في هذه الآية، ووعد عليها بتكفير السيئات، ودخول الجنات، والفوز

عذاب في الدنيا، بتسليط الله لرسوله وحزبه عليهم وعلى جهادهم وقتالهم، وعذاب النار في الآخرة وبئس المصير، الذي يصير إليها كل شقي خاسر. 9 بالسلح والقتال لمن أبى أن يجيب دعوة الله وينقاد لحكمه، فإن هذا يجاهد ويغلظ له، وأما المرتبة الأولى، فتكون بالتي هي أحسن، فالكفار والمنافقون لهم والإغلاظ عليهم في ذلك، وهذا شامل لجهادهم، بإقامة الحجة عليهم ودعوتهم بالموعظة الحسنة ، وإبطال ما هم عليه من أنواع الضلال، وجهادهم يأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، بجهاد الكفار والمنافقين،

سورة 67

الدينية، التابعة لحكمته، ومن عظمت، كمال قدرته التي يقدر بها على كل شيء، وبها أوجد ما أوجد من المخلوقات العظيمة، كالسماوات والأرض. 1 تعاليم وتعالى، وكثر خيريه، وعم إحسانه، من عظمت أن بيده ملك العالم العلوي والسفلي، فهو الذي خلقه، ويتصرف فيه بما شاء، من الأحكام القدرية، والأحكام تبارك الذي بيده الملك أي:

ما من الله عليهم به من الاقتداء بالمعقول والمنقول، فسبحان من يختص بفضله من يشاء، ويمن على من يشاء من عباده، ويخذل من لا يصلح للخير. 10 عند الله، وجاء به رسول الله، علما ومعرفة وعملا. والأدلة العقلية: المعرفة للهدى من الضلال، والحسن من القبيح، والخير من الشر، وهم في الإيمان بحسب عاقبته ذميمة، فلا سمع لهم ولا عقل، وهذا بخلاف أهل اليقين والعرفان، وأرباب الصدق والإيمان، فإنهم أيدوا إيمانهم بالأدلة السمعية، فسمعوا ما جاء من عن أنفسهم طرق الهدى، وهي السمع لما أنزل الله، وجاءت به الرسل، والعقل الذي ينفع صاحبه، ويوقفه على حقائق الأشياء، وإيثار الخير، والانزجار عن كل ما وقالوا معترفين بعدم أهليتهم للهدى والرشاد: لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير فنقوا

أي: بعدا لهم وخسارة وشقاء. فما أشقاهم وأرداهم، حيث فاتهم ثواب الله، وكانوا ملازمين للسعير، التي تستعر في أبدانهم، وتطلع على أفندتهم! 11

تفسير السعدي

- قال تعالى عن هؤلاء الداخلين للنار، المعترفين بظلمهم وعنادهم: فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير والمشتهيات، والقصور والمنازل العاليات، والحدود الحسان، والخدم والولدان. وأعظم من ذلك وأكبر، رضا الرحمن، الذي يحله الله على أهل الجنان. 12
- غفر الله ذنوبهم؛ وقاهم شرها، ووقاهم عذاب الجحيم، ولهم أجر كبير وهو ما أعد لهم في الجنة، من النعيم المقيم، والملك الكبير، والذات المتواصلات، أي: في جميع أحوالهم، حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به لهم مغفرة لذنوبهم، وإذا لما ذكر حالة الأشقياء الفجار، ذكر حالة السعداء الأبرار فقال: إن الذين يخشون ربهم بالغيب
- سواء لديه، لا يخفى عليه منها خافية، فإنه عليم بذات الصدور أي: بما فيها من النيات، والإرادات، فكيف بالأقوال والأفعال، التي تسمع وترى؟! 13
- هذا إخبار من الله بسعة علمه، وشمول لطفه فقال: وأسروا قولكم أو اجهروا به أي: كلها
- يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب، بأسباب لا تكون من العبد على بال، حتى إنه يذيقه المكافأة، ليتوصل بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة. 14
- الذي يعلم السر وأخفى ومن معاني اللطيف، أنه الذي يلطف بعبدته ووليته، فيسوق إليه البر والإحسان من حيث لا يشعر، ويعصمه من الشر، من حيث لا الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه؟! وهو اللطيف الخبير الذي لطف علمه وخبره، حتى أدرك السرائر والضمان، والخبايا والخفايا والغيوب، وهو ثم قال مستدلا بدليل عقلي على علمه: ألا يعلم من خلق فمن خلق
- من هذه الدار التي جعلها الله امتحانا، وبلغة يتبلغ بها إلى الدار الآخرة، تبعثون بعد موتكم، وتحشرون إلى الله، ليجازيكم بأعمالكم الحسنة والسيئة. 15
- يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة، فامشوا في مناكبها أي: لطلب الرزق والمكاسب. وكلوا من رزقه وإليه النشور أي: بعد أن تنتقلوا أي: هو الذي سخر لكم الأرض وذلها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء وحرث، وطرق
- فقال: أأمنتم من في السماء وهو الله تعالى، العالي على خلقه. أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور بكم وتضطرب، حتى تتلفكم وتهلككم 16
- هذا تهديد ووعيد، لمن استمر في طغيانه وتعديه، وعصيانته الموجب للنكال وحلول العقوبة،
- كذبوا كما كذبتهم، فأهلكهم الله تعالى، فانظروا كيف إنكار الله عليهم، عاجلهم بالعقوبة الدنيوية، قبل عقوبة الآخرة، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم. 17
- فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض ومن السماء ينفعكم، فستجدون عاقبة أمركم، سواء طال عليكم الزمان أو قصر، فإن من قبلكم، السماء أن يرسل عليكم حاصبا أي: عذابا من السماء يحصبكم، وينتقم الله منكم فستعلمون كيف نذير أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل والكتب، أم أمنتم من في
- كذبوا كما كذبتهم، فأهلكهم الله تعالى، فانظروا كيف إنكار الله عليهم، عاجلهم بالعقوبة الدنيوية، قبل عقوبة الآخرة، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم. 18
- فلا تحسبوا أن أمنكم من الله أن يعاقبكم بعقاب من الأرض ومن السماء ينفعكم، فستجدون عاقبة أمركم، سواء طال عليكم الزمان أو قصر، فإن من قبلكم، السماء أن يرسل عليكم حاصبا أي: عذابا من السماء يحصبكم، وينتقم الله منكم فستعلمون كيف نذير أي: كيف يأتيكم ما أنذرتكم به الرسل والكتب، أم أمنتم من في
- قدرة الباري، وعنايته الربانية، وأنه الواحد الأحد، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، إنه بكل شيء بصير فهو المدبر لعباده بما يليق بهم، وتقتضيه حكمته. 19
- ما يمكنهم إلا الرحمن فإنه الذي سخر لهم الجو، وجعل أجسادهم وخلقتهن في حالة مستعدة للطيران، فمن نظر في حالة الطير واعتبر فيها، دلته على الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع، فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها وحاجتها. وهذا عتاب وحث على النظر إلى حالة
- الغفور عن المسيئين والمقصرين والمذنبين، خصوصا إذا تابوا وأنبأوا، فإنه يغفر ذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء، وبستر عيوبهم، ولو كانت ملء الدنيا. 2
- الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء. وهو العزيز الذي له العزة كلها، التي قهر بها جميع الأشياء، وانتقادت له المخلوقات. لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انتقاد لأمر الله وأحسن العمل، أحسن الله له الجزاء في وخلق الموت والحياة أي: قدر لعباده أن يحييهم ثم يميتهم؛ ليلوكم أيكم أحسن عملا أي: أخلصه وأصوبه، فإن الله خلق عباده، وأخرجهم
- على نصر عبد، لم ينفعوه مثقال ذرة، على أي عدو كان، فاستمرار الكافرين على كفرهم، بعد أن علموا أنه لا ينصرهم أحد من دون الرحمن، غرور وسفه. 20
- إذا أراد بكم الرحمن سوءا، فيدفعه عنكم؟ أي: من الذي ينصركم على أعدائكم غير الرحمن؟ فإنه تعالى هو الناصر المعز المذل، وغيره من الخلق، لو اجتمعوا يقول تعالى للعتاة النافرين عن أمره، المعرضين عن الحق: أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن أي: ينصركم
- منه، هو الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، ولكن الكافرون لجوا أي: استمروا في عتو أي: قسوة وعدم لين للحق ونفور أي: شرود عن الحق. 21
- من الله، فلو أمسك عنكم رزقه، فمن الذي يرسله لكم؟ فإن الخلق لا يقدرون على رزق أنفسهم، فكيف بغيرهم؟ فالرزاق المنعم، الذي لا يصيب العباد نعمة إلا أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه أي: الرزق كله
- أقواله وأعماله وجميع أحواله؟ فبمجرد النظر إلى حال هذين الرجلين، يعلم الفرق بينهما، والمهتدي من الضال منهما، والأحوال أكبر شاهد من الأقوال. 22

تفسير السعدي

في الضلال، غارقا في الكفر قد انتكس قلبه، فصار الحق عنده باطلا، والباطل حقاً؟ ومن كان عالماً بالحق، مؤثراً له، عاملاً به، يمشي على الصراط المستقيم في أي: أي الرجلين أهدى؟ من كان تائهاً

والأفئدة، التي هي أنفع أعضاء البدن وأكمل القوى الجسمانية، ولكنه مع هذا الإنعام قليلاً ما تشكرون الله، قليل منكم الشاكر، وقليل منكم الشكر. 23 إلى شكره، وإفراده بالعبادة: قل هو الذي أنشأكم أي: أوجدكم من العدم، من غير معاون له ولا مظاهر، ولما أنشأكم، كمل لكم الوجود بالسمع والأبصار يقول تعالى مبيناً أنه المعبود وحده، وداعياً عباده

في الأرض أي: بشكم في أقطارها، وأسكنكم في أرجائها، وأمركم، ونهاكم، وأسدى عليكم من النعم، ما به تنتفعون، ثم بعد ذلك يحشركم ليوم القيامة. 24 قل هو الذي ذرأكم

وبين الإخبار بوقته، فإن الصدق يعرف بأدلتها، وقد أقام الله من الأدلة والبراهين على صحته ما لا يبقى معه أدنى شك لمن ألقى السمع وهو شهيد. 25 إن كنتم صادقين جعلوا علامة صدقهم أن يخبروا بوقت مجيئه، وهذا ظلم وعناد فإنما العلم عند الله لا عند أحد من الخلق، ولا ملازمة بين صدق هذا الخبر ولكن هذا الوعد بالجزاء، ينكره هؤلاء المعاندون ويقولون تكذيباً: متى هذا الوعد

وبين الإخبار بوقته، فإن الصدق يعرف بأدلتها، وقد أقام الله من الأدلة والبراهين على صحته ما لا يبقى معه أدنى شك لمن ألقى السمع وهو شهيد. 26 إن كنتم صادقين جعلوا علامة صدقهم أن يخبروا بوقت مجيئه، وهذا ظلم وعناد فإنما العلم عند الله لا عند أحد من الخلق، ولا ملازمة بين صدق هذا الخبر ولكن هذا الوعد بالجزاء، ينكره هؤلاء المعاندون ويقولون تكذيباً: متى هذا الوعد

ووبخوا على تكذيبهم، وقيل لهم هذا الذي كنتم به تكذبون، فالיום رأيتموه عياناً، وانجلي لكم الأمر، وتقطع بكم الأسباب ولم يبق إلا مباشرة العذاب. 27 وغرورهم به حين كانوا في الدنيا، فإذا كان يوم الجزاء، ورأوا العذاب منهم زلفة أي: قريباً، ساءهم ذلك وأفضعهم، وقلقل أفئدتهم، فتغيرت لذلك وجوههم، يعني أن محل تكذيب الكفار

بآيات الله، واستحققتهم العذاب، فمن يجيركم من عذاب أليم قد تحتم وقوعه بكم؟ فإذا تعبكم وحرصكم على هلاكهم غير مفيدة، ولا مجد لكم شيئاً. 28 هلاكه، ويتربصون به ريب المنون، أمره الله أن يقول لهم: أنتم وإن حصلت لكم أمانيتكم وأهلكني الله ومن معي، فليس ذلك بنافع لكم شيئاً، لأنكم كفرتم ولما كان المكذبون للرسول صلى الله عليه وسلم، الذين يردون دعوته، ينتظرون

التي تتعين للفلاح، وتتوقف عليها السعادة، وحالة أعدائه بضدها، فلا إيمان لهم ولا توكل، علم بذلك من هو على هدى، ومن هو في ضلال مبين. 29 وإلا فهو داخل في الإيمان، ومن جملة لوازمه كما قال تعالى: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإذا كانت هذه حال الرسول وحال من اتبعه، وهي الحال والإيمان يشمل التصديق الباطن، والأعمال الباطنة والظاهرة، ولما كانت الأعمال، وجودها وكمالها، متوقفة على التوكل، خص الله التوكل من بين سائر الأعمال، وأبدوا، وجادلوا عليه وقاتلوا، فأمر الله نبيه أن يخبر عن حاله وحال أتباعه، ما به يتبين لكل أحد هدايتهم وتقواهم، وهو أن يقولوا: آمنا به وعليه توكلنا ومن قولهم، إنهم على هدى، والرسول على ضلال، أعادوا في ذلك

أمر الله تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائها، قال: فارجع البصر أي: أعده إليها، ناظراً معتبراً هل ترى من فطور أي: نقص واختلال. 3 كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها، وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات، الثوابت منهن والسيارات. ولما كان كمالها معلوماً، ولسن طبقة واحدة، وخلقها في غاية الحسن والإتقان ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت أي: خلل ونقص. وإذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة الذي خلق سبع سماوات طباقاً أي: كل واحدة فوق الأخرى،

معين تشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم وزروعكم؟ وهذا استفهام بمعنى النفي، أي: لا يقدر أحد على ذلك غير الله تعالى. تمت ولله الحمد. 30 ثم أخبر عن انفراده بالنعم، خصوصاً بالماء الذي جعل الله منه كل شيء حي فقال: قل رأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً أي: غائراً فمن يأتيكم بماء بذلك: كثرة التكرار ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير أي: عاجزاً عن أن يرى خلا أو فطوراً، ولو حرص غاية الحرص. ثم صرح بذكر حسناتها فقال: 4 ثم ارجع البصر كرتين المراد

وأعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير لأنهم تملدوا على الله، وأضلوا عباده، ولهذا كان أتباعهم من الكفار مثلهم، قد أعد الله لهم عذاب السعير 5 خبر السماء، فجعل الله هذه النجوم، حراسة للسماء عن تلقف الشياطين أخبار الأرض، فهذه الشهب التي ترمى من النجوم، أعدها الله في الدنيا للشياطين، فإن السماوات شفاقة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها، وجعلناها أي: المصابيح رجوماً للشياطين الذين يريدون استراق وجعاً، ونوراً وهداية يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ولا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح، أن يكون كثير من النجوم فوق السماوات السبع، النجوم، على اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكانت سقفاً مظلماً، لا حسن فيه ولا جمال. ولكن جعل الله هذه النجوم زينة للسماء، أي: ولقد جعلنا السماء الدنيا التي ترونها وتليكم، بمصابيح وهي:

وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير الذي يهان أهله غاية الهوان. 6

تفسير السعدي

إذا ألقوا فيها على وجه الإهانة والذل سمعوا لها شهيقا أي: صوتا عاليا فظيعا، وهي تفور . 7

لأهلها فقال: كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ أي: حالكم هذا واستحقاقكم النار، كأنكم لم تجربوا عنها، ولم تحذركم النذر منها. 8
الغيظ أي: تكاد على اجتماعها أن يفارق بعضها بعضا، وتتقطع من شدة غيظها على الكفار، فما ظنك ما تفعل بهم، إذا حصلوا فيها؟ ثم ذكر توبيخ الخزنة تكاد تميز من

حتى أعلنوا بضلال الرسل المنذرين وهم الهداة المهتدون، ولم يكتفوا بمجرد الضلال، بل جعلوا ضلالهم، ضلالا كبيرا، فأى عناد وتكبر وظلم، يشبه هذا؟ 9
قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير فجمعوا بين تكذيبهم الخاص، والتكذيب العام بكل ما أنزل الله ولم يكفهم ذلك، قالوا بلى

سورة 68

يقسم تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام، التي تكتب بها أنواع العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم. 1

إلا وهو كذاب، ولا يكون كذابا إلا وهو مهين أي: خسيس النفس، ناقص الهمة، ليس له همة في الخير، بل إرادته في شهوات نفسه الخسيسة. 10
ولا تطع كل حلاف أي: كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك

وغير ذلك. مشاء بنميم أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام بعض الناس لبعض، لقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء. 11
ههاز أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء،

والزكوات وغير ذلك، معتمد على الخلق في ظلمهم، في الدماء والأموال والأعراض أئيم أي: كثير الإثم والذنوب المتعلقة في حق الله تعالى 12
مناع للخير الذي يلزمه القيام به من النفقات الواجبة والكفارات

خصوصا الأخلاق المتضمنة للإعجاب بالنفس، والتكبر على الحق وعلى الخلق، والاحتقار للناس، كالغيبة والنميمة، والطعن فيهم، وكثرة المعاصي. 13
الأخلاق، ولا يرجى منه فلاح، له زمة أي: علامة في الشر، يعرف بها. وحاصل هذا، أن الله تعالى نهى عن طاعة كل حلاف كذاب، خسيس النفس، سيئ الأخلاق، عتل بعد ذلك أي: غليظ شرس الخلق قاس غير منقاد للحق زنيم أي: دعي، ليس له أصل ولا مادة ينتج منها الخير، بل أخلاقه أقبح

وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة. 14
أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة وهذه الآيات وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه:

وربما نزل بعض الآيات في سبب أو في شخص من الأشخاص، لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة. 15
أساطير الأولين، التي يمكن صدقها وكذبها فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم، أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين أي: لأجل كثرة ماله وولده، طغى واستكبر عن الحق، ودفعه حين جاءه، وجعله من جملة وهذه الآيات وإن كانت نزلت في بعض المشركين، كالوليد بن المغيرة أو غيره لقوله عنه:

جرى منه ما وصف الله، بأن الله سيسمه على خرطومه في العذاب، وليعذبه عذابا ظاهرا، يكون عليه سمة وعلامة، في أشق الأشياء عليه، وهو وجهه. 16
ثم تواعد تعالى من

أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سيصرمونها أي: يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادهم إليها. 17
الذين هم فيها شركاء، حين زهت ثمارها أينعت أشجارها، وأن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثم مانع يمنعهم منها، ولهذا وطول عمر، ونحو ذلك، مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجا لهم من حيث لا يشعرون فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة، يقول تعالى: إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد،

أقسموا وحلفوا من غير استثناء، أنهم سيصرمونها أي: يجذونها مصبحين، ولم يدروا أن الله بالمرصاد، وأن العذاب سيخلفهم عليها، ويبادهم إليها. 18
الذين هم فيها شركاء، حين زهت ثمارها أينعت أشجارها، وأن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثم مانع يمنعهم منها، ولهذا وطول عمر، ونحو ذلك، مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا، بل ربما يكون استدراجا لهم من حيث لا يشعرون فاغترارهم بذلك نظير اغترار أصحاب الجنة، يقول تعالى: إنا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد،

فطاف عليها طائف من ربك أي: عذاب نزل عليها ليلا وهم نائمون فأبادها وأتلفها 19

تفسير السعدي

- والكلام الفصل، الذي هو أحسن ما جرت به الأقلام، وسطره الأنام، وهذا هو السعادة في الدنيا، ثم ذكر سعادته في الآخرة، فقال: وإن لك لأجرا . 2
- نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، مما نسب إليه أعداؤه من الجنون فنفى عنه الجنون بنعمة ربه عليه وإحسانه، حيث من عليه بالعقل الكامل، والرأي الجزل، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة، التي تستحق أن يقسم الله بها، على براءة فأصبحت كالصريم أي: كالليل المظلم، ذهبت الأشجار والثمار، هذا وهم لا يشعرون بهذا الواقع الملم. 20
- ولهذا تنادوا فيما بينهم، لما أصبحوا يقول بعضهم لبعض: أن اغدوا على حرتكم إن كنتم صارمين 21
- ولهذا تنادوا فيما بينهم، لما أصبحوا يقول بعضهم لبعض: أن اغدوا على حرتكم إن كنتم صارمين 22
- فانطلقوا قاصدين له وهم يتخافتون فيما بينهم، ولكن بمنع حق الله، 23
- وتواصوا مع ذلك، بمنع الفقراء والمساكين، ومن شدة حرصهم وبخلهم، أنهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة، خوفا أن يسمعهم أحد، فيخبر الفقراء. 24
- لا يدخلها اليوم عليكم مسكين أي: بكروا قبل انتشار الناس،
- وغدوا في هذه الحالة الشنيعة، والقسوة، وعدم الرحمة على حرد قادرين أي: على إمساك ومنع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها. 25
- فلما رأوها على الوصف الذي ذكر الله كالصريم قالوا من الحيرة والانزعاج. إنا لضالون أي: تائهون عنها، لعلها غيرها 26
- فلما تحققوها، ورجعت إليهم عقولهم قالوا: بل نحن محرومون منها، فعرفوا حينئذ أنه عقوبة. 27
- لا يليق به، ومن ذلك، ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتكم، فقلتم: إن شاء الله وجعلتم مشيئتكم تابعة لمشيئته الله، لما جرى عليكم ما جرى. 28
- ف قال أوسطهم أي: أعدلهم، وأحسنهم طريقة ألم أقل لكم لولا تسبحون أي: تنزهون الله عما
- على جنتهم، الذي لا يرفع، ولكن لعل تسبيحهم هذا، وإقرارهم على أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويكون توبة، ولهذا ندموا ندما عظيمة. 29
- فقالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين أي: استدركوا بعد ذلك، ولكن بعد ما وقع العذاب
- التنكير، غير ممنون أي: غير مقطوع، بل هو دائم مستمر، وذلك لما أسلفه النبي صلى الله عليه وسلم من الأعمال الصالحة، والأخلاق الكاملة. 3
- أي: لأجرا عظيما، كما يفيد
- فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون فيما أجروه وفعلوه، 30
- قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين أي: متجاوزين للحد في حق الله، وحق عباده. 31
- الله، ويلحون عليه في الدنيا، فإن كانوا كما قالوا، فالظاهر أن الله أبدلهم في الدنيا خيرا منها لأن من دعا الله صادقا، ورغب إليه ورجاه، أعطاه سؤله. 32
- عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون فهم رجوا الله أن يبدلهم خيرا منها، ووعدوا أنهم سيرغبون إلى
- إليه. ولعذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون فإن من علم ذلك، أوجب له الانزعاج عن كل سبب يوجب العذاب ويحل العقاب 33
- كذلك العذاب أي: الدنيوي لمن أتى بأسباب العذاب أن يسلب الله العبد الشيء الذي طغى به وبغى، وأثر الحياة الدنيا، وأن يزيله عنه، أحوج ما يكون
- قال تعالى مبينا ما وقع:
- يخبر تعالى بما أعدّه للمتقين للكفر والمعاصي، من أنواع النعيم والعيش السليم في جوار أكرم الأكرمين، 34
- المسلمين القانتين لربهم، المنقادين لأوامره، المتبعين لمراضيه كالمجرمين الذين أوضاعوا في معاصيه، والكفر بآياته، ومعاندة رسله، ومحاربة أوليائه، 35
- وأن حكمته تعالى لا تقتضي أن يجعل
- وأن من ظن أنه يسويهم في الثواب، فإنه قد أساء الحكم، وأن حكمه حكم باطل، ورأيه فاسد، 36
- وأن المجرمين إذا ادعوا ذلك، فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون ويتلون أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا. 37
- وأن المجرمين إذا ادعوا ذلك، فليس لهم مستند، لا كتاب فيه يدرسون ويتلون أنهم من أهل الجنة، وأن لهم ما طلبوا وتخيروا. 38
- صادقين، ومن المعلوم أن جميع ذلك منتف، فليس لهم كتاب، ولا لهم عهد عند الله في النجاة، ولا لهم شركاء يعينونهم، فعلم أن دعواهم باطلة فاسدة. 39
- عند الله عهد وبمين بالغة إلى يوم القيامة أن لهم ما يحكمون، وليس لهم شركاء وأعوان على إدراك ما طلبوا، فإن كان لهم شركاء وأعوان فليأتوا بهم إن كانوا
- وليس لهم
- ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذ به بما يصدر منه من جفوة، بل يحسن إلي عشيره غاية الإحسان، ويحتمله غاية الاحتمال صلى الله عليه وسلم. 4
- من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم، ولم يكن يعاشر جليسا له إلا أتم عشرة وأحسنها، فكان لا يعبس في وجهه، ولا يغلظ عليه في مقاله، ولا يطوي عنه بشره،
- خائبا، وإذا أراد أصحابه منه أمرا وافقهم عليه، وتابعهم فيه إذا لم يكن فيه محذور، وإن عزم على أمر لم يستبد به دونهم، بل يشاورهم ويؤامرهم، وكان يقبل
- العليا، فكان صلى الله عليه وسلم سهلا لنا، قريبا من الناس، مجيبا لدعوة من دعاه، قاضيا لحاجة من استقضاه، جابرا لقلب من سأل، لا يحرمه، ولا يرده

تفسير السعدي

- على اتصافه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق، والآيات الحاثات على الخلق العظيم فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة من الله لنت لهم الآية، لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وما أشبه ذلك من الآيات الدالات رضي الله عنها لمن سألها عنه، فقالت: كان خلقه القرآن، وذلك نحو قوله تعالى له: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فيما رحمة وإنك على خلق عظيم أي: عاليا به، مستعليا بخلقك الذي من الله عليك به، وحاصل خلقه العظيم، ما فسرت به أم المؤمنين، عائشة سلمهم أيهم بذلك زعيم أي: أيهم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة، فإنه لا يمكن التصدر بها، ولا الزعامة فيها. 40
- سلمهم أيهم بذلك زعيم أي: أيهم الكفيل بهذه الدعوى الفاسدة، فإنه لا يمكن التصدر بها، ولا الزعامة فيها. 41
- المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله، طوعا واختيارا، ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا فلا يقدر على السجود، وتكون ظهورهم كصيافي البقر. 42
- فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله، فيسجد أي: إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأحوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة ولا الاعتذار يوم القيامة، ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصي، ويوجب التدارك مدة الإمكان. 43
- وعبادته وهم سالمون، لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسوء مآلهم، فإن الله قد سخط عليهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزاء ما جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله وتوحيده
- أي: دعني والمكذبين بالقرآن العظيم فإن علي جزاءهم، ولا تستعجل لهم، ف سنستدرجهم من حيث لا يعلمون 44
- الأرزاق والأعمال، ليفتروا ويستمروا على ما يضرهم، فإن وهذا من كيد الله لهم، وكيد الله لأعدائه، متين قوي، يبلغ من ضررهم وعذابهم فوق كل مبلغ 45
- فندمهم بالأموال والأولاد، ونمدهم في تصديقهم لما جئت به ، سبب يوجب لهم ذلك، فإنك تعلمهم، وتدعوهم إلى الله، لمحض مصلحتهم، من غير أن تطلبهم من أموالهم مغرما يثقل عليهم. 46
- أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أي: ليس لنفورهم عنك، وعدم يكتبون ما كان عندهم من الغيوب، وقد وجدوا فيها أنهم على حق، وأن لهم الثواب عند الله، فهذا أمر ما كان، وإنما كانت حالهم حال معاند ظالم. 47
- أم عندهم الغيب فهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجاب الله له، وقذفته الحوت من بطنها بالعراء وهو سقيم، وأثبت الله عليه شجرة من يقطين. 48
- بهم، فوقعت القرعة عليه فالتقمه الحوت وهو مليم وقوله إذ نادى وهو مكظوم أي: وهو في بطنها قد كظمت عليه، أو نادى وهو مغتم مهتم بأن قال وهو عدم صبره على قومه الصبر المطلوب منه، وذهابه مغاضبا لربه، حتى ركب في البحر، فاقترح أهل السفينة حين ثقلت بأهلها أيهم يلقون لكي تخف ولا تكن كصاحب الحوت وهو يونس بن متى، عليه الصلاة والسلام أي: ولا تشابهه في الحال، التي أوصلته، وأوجبت له الانحباس في بطن الحوت، به شرعا وقدرًا، فالحكم القدري، يصبر على المؤذي منه، ولا يتلقى بالسخط والجزع، والحكم الشرعي، يقابل بالقبول والتسليم، والانقياد التام لأمره. وقوله: فلم يبق إلا الصبر لأذاهم، والتحمل لما يصدر منهم، والاستمرار على دعوتهم، ولهذا قال: فاصبر لحكم ربك أي: لما حكم بالعراء أي: لطرح في العراء، وهي الأرض الخالية وهو مذموم ولكن الله تغمد به رحمته فنبذ وهو ممدوح، وصارت حاله أحسن من حاله الأولى، 49
- لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ وأن أعداءه أضل الناس، وشر الناس للناس، وأنهم هم الذين فتنوا عباد الله، وأضلوه عن سبيله، وكفى بعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازي. 5
- جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون قال: فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره، فلما أنزله الله في أعلى المنازل من أعمالهم وأقوالهم ونياتهم، وأحوالهم فامتثل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أمر ربه، فصبر لحكم ربه صبرا لا يدركه فيه أحد من العالمين. 50
- فاجتبه ربه أي: اختاره واصطفاه ونقاه من كل كدر. فجعله من الصالحين أي: الذين صلحت وناصره، وأما الأذى القولي، فيقولون فيه أقوالا، بحسب ما توحى إليهم قلوبهم، فيقولون تارة مجنون وتارة ساحر وتارة شاعر. 51
- حتى إنهم حرصوا على أن يزلقوه بأبصارهم أي: يصيبوه بأعينهم، من حسدهم وغيظهم وحنقهم، هذا منتهى ما قدروا عليه من الأذى الفعلي، والله حافظه فجعل الله له العاقبة والعاقبة للمتقين ولم يدرك أعداؤه فيه إلا ما يسوءهم،
- أي: وما هذا القرآن الكريم، والذكر الحكيم، إلا ذكر للعالمين، يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم. تم تفسير سورة القلم، والحمد لله رب العالمين. 52
- قال تعالى وما هو إلا ذكر للعالمين وأن أعداءه أضل الناس، وشر الناس للناس، وأنهم هم الذين فتنوا عباد الله، وأضلوه عن سبيله، وكفى بعلم الله بذلك، فإنه هو المحاسب المجازي. 6
- جميع الوجوه، وكان أعداؤه ينسبون إليه أنه مجنون مفتون قال: فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون وقد تبين أنه أهدى الناس، وأكملهم لنفسه ولغيره،

فلما أنزله الله في أعلى المنازل من

بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وهذا فيه تهديد للضالين، ووعد للمهتدين، وبيان لحكمة الله، حيث كان يهدي من يصلح للهداية، دون غيره. 7
و هو أعلم

التكذيب، وإن كان السياق في شيء خاص، وهو أن المشركين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم، أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم، ويسكتوا عنه. 8
يطاعوا، لأنهم لا يأمرهم إلا بما يوافق أهواءهم، وهم لا يريدون إلا الباطل، فالمطيع لهم مقدم على ما يضره، وهذا عام في كل مكذب، وفي كل طاعة ناشئة عن
يقول الله تعالى، لنبيه صلى الله عليه وسلم: فلا تطع المكذبين الذين كذبوك وعاندوا الحق، فإنهم ليسوا أهلاً لأن
الفعل أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، فيدهنون ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره، بنقض ما يصاده، وعيب ما يناقضه. 9
ودوا أي: المشركون لو تدهن أي: توافقه على بعض ما هم عليه، إما بالقول أو

سورة 69

من قوله: الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة فإن لها شأنًا عظيمًا وهولًا جسيمًا، ومن عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل 1
الحاقة من أسماء يوم القيامة، لأنها تحق وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور، ومخبات الصدور، فعظم تعالى شأنها وفخمه، بما كرره
جنس أي: كل من هؤلاء كذب الرسول الذي أرسله الله إليهم. فأخذ الله الجميع أخذة رابية أي: زائدة على الحد والمقدار الذي يحصل به هلاكهم. 10
فقصوا رسول ربهم وهذا اسم

الرفيعة. وامتن الله على الخلق الموجودين بعدهم أن الله حملهم في الجارية وهي: السفينة في أصلاب آبائهم وأمهاتهم الذين نجاهم الله. 11
ومن جملة أولئك قوم نوح أغرقهم الله في اليم حين طغى الماء على وجه الأرض وعلا على مواضعها
الآية بها. وهذا بخلاف أهل الإعراض والغفلة وأهل البلادة وعدم الفطنة فإنهم ليس لهم انتفاع بآيات الله لعدم وعيهم عن الله، وفكرهم بآيات الله 12
به واتبع رسوله وأهلك أهل الأرض كلهم فإن جنس الشيء مذكر بأصله. وقوله: وتعيها أذن واعية أي: تعقلها أولو الأبواب ويعرفون المقصود منها ووجه
الدالة على توحيده ولهذا قال: لنجعلها أي: الجارية والمراد جنسها، لكم تذكرة تذكركم أول سفينة صنعت وما قصتها وكيف نجى الله عليها من آمن
فاحمدوا الله واشكروا الذي نجاكم حين أهلك الطاغين واعتبروا بآياته

ينفخ إسرافيل في الصور إذا تكاملت الأجساد نابته. نفخة واحدة فتخرج الأرواح فتدخل كل روح في جسدها فإذا الناس قيام لرب العالمين. 13
الله نجى الرسل وأتباعهم كان هذا مقدمة لذكر الجزاء الأخروي وتوفية الأعمال كاملة يوم القيامة. فذكر الأمور الهائلة التي تقع أمام القيامة وأن أول ذلك أنه
لما ذكر ما فعله تعالى بالمكذبين لرسوله وكيف جازاهم وعجل لهم العقوبة في الدنيا وأن

فتنت الجبال واضمحلت وخلطت بالأرض ونسفت على الأرض فكان الجميع قاعا صافيا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا. هذا ما يصنع بالأرض وما عليها. 14
وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة أي:

فتنت الجبال واضمحلت وخلطت بالأرض ونسفت على الأرض فكان الجميع قاعا صافيا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا. هذا ما يصنع بالأرض وما عليها. 15
وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة أي:

فإنها تضطرب وتمور وتتشقق ويتغير لونها، وتهي بعد تلك الصلابة والقوة العظيمة، وما ذاك إلا لأمر عظيم أعجزها، وكرب جسيم هائل أواها وأضعفها. 16
وأما ما يصنع بالسماء،

مستكينين لعظمتته. ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية أملاك في غاية القوة إذا أتى للفصل بين العباد والقضاء بينهم بعدله وقسطه وفضله. 17
والملك أي: الملائكة الكرام على أرجائها أي: على جوانب السماء وأركانها، خاضعين لربهم،

ويحشر العباد حفاة عراة غرلا، في أرض مستوية، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا، ولهذا ذكر كيفية الجزاء، فقال: 18
يومئذ تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية لا من أجسامكم وأجسادكم ولا من أعمالكم وصفاتكم، فإن الله تعالى عالم الغيب والشهادة.

من الله عليه به من الكرامة: هاؤم اقرءوا كتابه أي: دونكم كتابي فاقرأوه فإنه يبشر بالجنات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنوب، وستر العيوب. 19
التي فيها أعمالهم الصالحة بأيمانهم تمييزا لهم وتنويعا بشأنهم ورفعاً لمقدارهم، ويقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور ومحبة أن يطلع الخلق على ما
وهؤلاء هم أهل السعادة يعطون كتبهم

من قوله: الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة فإن لها شأنًا عظيمًا وهولًا جسيمًا، ومن عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل 2
الحاقة من أسماء يوم القيامة، لأنها تحق وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور، ومخبات الصدور، فعظم تعالى شأنها وفخمه، بما كرره

تفسير السعدي

- الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل، ولهذا قال: إني ظننت أني ملاق حسابيه أي: أيقنت فالظن هنا بمعنى اليقين. 20
- والذي أوصلني إلى هذه الحال، ما من الله به علي من
- فهو في عيشة راضية أي: جامعة لما تشتهيهِ الأنفس، وتلذ الأعين، وقد رضىها ولم يختاروا عليها غيرها. 21
- في جنة عالية المنازل والقصور عالية المحل. 22
- قطوفها دانية أي: ثمرها وجناها من أنواع الفواكه قريبة، سهلة التناول على أهلها، ينالها أهلها قياما وقعودا ومتكئين. 23
- من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلى الخلق، وذكر لله وإنابة إليه. فالأعمال جعلها الله سببا لدخول الجنة ومادة لنعيمها وأصلا لسعادتها. 24
- هنيئا أي: تاما كاملا من غير مكدر ولا منغص. وذلك الجزاء حصل لكم بما أسلفتم في الأيام الخالية من الأعمال الصالحة وترك الأعمال السيئة
- ويقال لهم إكراما: كلوا واشربوا أي: من كل طعام لذيق، وشراب شهيق،
- تمييزا لهم وخزيا وعارا وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والخزي يا ليتني لم أوت كتابيه لأنه يبشر بدخول النار والخسارة الأبدية. 25
- هؤلاء أهل الشقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة بشمالهم
- ولم أدر ما حسابيه أي: ليتني كنت نسيا منسيا ولم أبعث وأحاسب ولهذا قال: 26
- يا ليتها كانت القاضية أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها. 27
- ولم ينفعه في الافتداء من عذاب الله فيقول: ما أغنى عني ماليه أي: ما نفعني لا في الدنيا، لم أقدم منه شيئا، ولا في الآخرة، قد ذهب وقت نفعه. 28
- ثم التفت إلى ماله وسلطانه، فإذا هو وبال عليه لم يقدم منه لآخرته،
- الكثيرة، ولا العدد الخطيرة، ولا الجاه العريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح، وفاتت بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله الهموم والغوم والأتراح. 29
- هلك عني سلطانيه أي: ذهب واضمحل فلم تنفع الجنود
- من قوله: الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة فإن لها شأنا عظيما وهولا جسيما، ومن عظمتها أن الله أهلك الأمم المكذبة بها بالعذاب العاجل 3
- الحاقة من أسماء يوم القيامة، لأنها تحق وتنزل بالخلق، وتظهر فيها حقائق الأمور، ومخبات الصدور، فعظم تعالى شأنها وفخمه، بما كرره
- فحينئذ يؤمر بعذابه فيقال للزبانية الغلاظ الشداد: خذوه فغلوه أي: اجعلوا في عنقه غلا يخنقه. 30
- ثم الجحيم صلوه أي: قلبوه على جمرها ولهبا. 31
- فيها بأن تدخل في دبره وتخرج من فمه، ويلق فيها، فلا يزال يعذب هذا العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب، وواحدة من له التوبيخ والعتاب. 32
- ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعا من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة فاسلكوه أي: انظموه
- فإن السبب الذي أوصله إلى هذا المحل: إنه كان لا يؤمن بالله العظيم بأن كان كافرا بربه معاندا لرسله رادا ما جاءوا به من الحق. 33
- الخلق بوجوه الإحسان، الذي من أعظمها، دفع ضرورة المحتاجين بإطعامهم ما يتقوتون به، وهؤلاء لا إخلاص ولا إحسان، فلذلك استحقوا ما استحقوا. 34
- من ماله ولا يحض غيره على إطعامهم، لعدم الوازع في قلبه، وذلك لأن مدار السعادة ومادتها أمران: الإخلاص لله، الذي أصله الإيمان بالله، والإحسان إلى
- ولا يحض على طعام المسكين أي: ليس في قلبه رحمة يرحم بها الفقراء والمساكين فلا يطعمهم
- أو صديق يشفع له لينجو من عذاب الله أو يفوز بثواب الله: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع. 35
- فليس له اليوم هاهنا أي: يوم القيامة حميم أي: قريب
- وليس له طعام إلا من غسيلين وهو صديد أهل النار، الذي هو في غاية الحرارة، وتنت الريح، 36
- الطعم ومرارته لا يأكل هذا الطعام الذميم إلا الخاطئون الذين أخطأوا الصراط المستقيم وسلخوا سبل الجحيم فلذلك استحقوا العذاب الأليم. 37
- وقبح
- في ذلك كل الخلق بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى. 38
- أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل
- في ذلك كل الخلق بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى. 39
- أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل
- الله إليهم رسوله هودا عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده فكذبوه وكذبوا بما أخبر به من البعث فأهلك الله الطائفتين بالهلاك المعجل 4
- بالتوحيد، فردوا دعوته وكذبوه وكذبوا ما أخبرهم به من يوم القيامة، وهي القارعة التي تقرع الخلق بأهوالها، وكذلك عاد الأولى سكان حضرموت حين بعث
- العاتية فقال: كذبت ثمود وهم القبيلة المشهورة سكان الحجر الذين أرسل الله إليهم رسوله صالحا عليه السلام، ينهاهم عما هم عليه من الشرك، ويأمرهم

تفسير السعدي

ثم ذكر نمودجا من أحوالها الموجودة في الدنيا المشاهدة فيها، وهو ما أحله من العقوبات البليغة بالأمم

في ذلك كل الخلق بل يدخل في ذلك نفسه المقدسة، على صدق الرسول بما جاء به من هذا القرآن الكريم، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى. 40 أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه، فدخل

ويضربهم، ومن ذلك، أن ينظروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمرا مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقا. 41 ونزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر، وأن الذي حملهم على ذلك عدم إيمانهم وتذكرهم، فلو آمنوا وتذكروا، لعلموا ما ينفعهم ويضرهم، ومن ذلك، أن ينظروا في حال محمد صلى الله عليه وسلم، ويرمقوا أوصافه وأخلاقه، لرأوا أمرا مثل الشمس يدلهم على أنه رسول الله حقا. 42 ونزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، من أنه شاعر أو ساحر، وأن الذي حملهم على ذلك عدم إيمانهم وتذكرهم، فلو آمنوا وتذكروا، لعلموا ما ينفعهم به تنزيل رب العالمين، لا يليق أن يكون قول البشر بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به، وجلالة أوصافه، وكمال تربيته لعباده، وعلوه فوق عباده، 43 وأن ما جاء

فإن هذا ظن منهم بما لا يليق بالله وحكمته فإنه لو تقول عليه وافترى بعض الأقاويل الكاذبة. 44

الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته. 45 قدير، فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه، الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك. فإذا كان بالقلب إذا انقطع مات منه الإنسان، فلو قدر أن الرسول حاشا وكلا تقول على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل شيء لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وهو عرق متصل

الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته. 46 قدير، فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه، الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك. فإذا كان بالقلب إذا انقطع مات منه الإنسان، فلو قدر أن الرسول حاشا وكلا تقول على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، لأنه حكيم، على كل شيء لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وهو عرق متصل

فما منكم من أحد عنه حاجزين أي: لو أهلكه، ما امتنع هو بنفسه، ولا قدر أحد أن يمنعه من عذاب الله. 47

ويعملون عليها، يذكروهم العقائد الدينية، والأخلاق المرضية، والأحكام الشرعية، فيكونون من العلماء الربانيين، والعباد العارفين، والأئمة المهديين. 48 وإنه أي: القرآن الكريم لتذكرا للمتقين يتذكرون به مصالح دينهم ودنياهم، فيعرفونها،

وإننا لنعلم أن منكم مكذبين به، وهذا فيه تهديد ووعد للمكذبين، فإنه سيعاقبهم على تكذيبهم بالعقوبة البليغة. 49

ثمود فأهلكوا بالطاغية وهي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي انصدعت منها قلوبهم وزهقت لها أرواحهم فأصبحوا موتى لا يرى إلا مساكنهم وجثثهم. 50 فأما

فإنهم لما كفروا به، ورأوا ما وعدهم به، تحسروا إذ لم يهتدوا به، ولم ينقادوا لأمره، ففاتهم الثواب، وحصلوا على أشد العذاب، وتقطعت بهم الأسباب. 50 وإنه لحسرة على الكافرين

القرآن الكريم، بهذا الوصف، فإن ما فيه من العلوم المؤيدة بالبراهين القطعية، وما فيه من الحقائق والمعارف الإيمانية، يحصل به لمن ذاقه حق اليقين. 51 علم اليقين، وهو العلم المستفاد من الخبر. ثم عين اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة البصر. ثم حق اليقين، وهو العلم المدرك بحاسة الذوق والمباشرة. وهذا أي: أعلى مراتب العلم، فإن أعلى مراتب العلم اليقين وهو العلم الثابت، الذي لا يتزلزل ولا يزول. واليقين مراتبه ثلاثة، كل واحدة أعلى مما قبلها: أولها: وإنه لحق اليقين

لا يليق بجلاله، وقده بذكر أوصاف جلاله وجماله وكماله. تم تفسير سورة الحاقة، والحمد لله أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا، على كماله وأفضاله وعدله. 52 فسبح باسم ربك العظيم أي: نزهه عما

من صوت الرعد القاصف عاتية أي: عنت على خزائنها، على قول كثير من المفسرين، أو عنت على عاد وزادت على الحد كما هو الصحيح. 6 وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر أي: قوية شديدة الهبوب لها صوت أبلغ

القوم فيها صرعى أي: هلكى موتى كأنهم أعجاز نخل خاوية أي: كأنهم جذوع النخل التي قد قطعت رؤوسها الخاوية الساقط بعضها على بعض. 7 سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أي: نحسا وشرا فظيعا عليهم فدمرتهم وأهلكتهم، فترى

فهل ترى لهم من باقية وهذا استفهام بمعنى النفي المتقرر. 8

قرى قوم لوط الجميع جاءوا بالخائنة أي: بالفعل الطاغية وهي الكفر والتكذيب والظلم والمعاداة وما انضم إلى ذلك من أنواع الفواحش والفسوق. 9

عمران عليه الصلاة والسلام وأراه من الآيات البينات ما تيقنوا بها الحق ولكن جحدوا وكفروا ظلما وعلوا وجاء من قبله من المكذبين، والمؤتفكات أي: وكذلك غير هاتين الأمتين الطاغيتين عاد وثمود جاء غيرهم من الطغاة العتاة كفرعون مصر الذي أرسل الله إليه عبده ورسوله موسى ابن

سورة 70

- يقول تعالى مبينا لجهل المعاندين، واستعجالهم لعذاب الله، استهزاء وتعنتا وتعجيزا: سأل سائل أي: دعا داع، واستفتح مستفتح بعذاب واقع 1
أليس حقيقا أن ينخلع قلبه وينزعج لبه، ويذهل عن كل أحد؟ ولهذا قال: ولا يسأل حميم حميما 10
حميمه عن حاله، ولا فيما يتعلق بعشرتهم ومودتهم، ولا يهتم إلا نفسه، يود المجرم الذي حق عليه العذاب لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه 11
يبصرونهم أي: يشاهد الحميم، وهو القريب حميمه، فلا يبقى في قلبه متسع لسؤال
وصاحبه أي: زوجته وأخيه 12
قربته التي تؤويه أي: التي جرت عاداتها في الدنيا أن تتناصر ويعين بعضها بعضا، ففي يوم القيامة، لا ينفع أحد أحدا، ولا يشفع أحد إلا بإذن الله. 13
وفصيلته أي:
بل لو يفتدي المجرم المستحق للعذاب بجميع ما في الأرض ثم ينجيه لم ينفعه ذلك. 14
كلا أي: لا حيلة ولا مناص لهم، قد حقت عليهم كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون ، وذهب نفع الأقارب والأصدقاء إنها لظى. 15
نزاعة للشوى أي: للأعضاء الظاهرة والباطنة من شدة عذابها . 16
الحق وأعرض عنه، فليس له فيه غرض، وجمع الأموال بعضها فوق بعض وأوعاها، فلم ينفق منها، فإن النار تدعوهم إلى نفسها، وتستعد للالتهاب بهم. 17
تدعوا إليها من أدبر وتولى وجمع فأوعى أي: أدبر عن اتباع
الحق وأعرض عنه، فليس له فيه غرض، وجمع الأموال بعضها فوق بعض وأوعاها، فلم ينفق منها، فإن النار تدعوهم إلى نفسها، وتستعد للالتهاب بهم. 18
تدعوا إليها من أدبر وتولى وجمع فأوعى أي: أدبر عن اتباع
وهذا الوصف للإنسان من حيث هو وصف طبيعته الأصلية، أنه هلوع. 19
القرشي أو غيره من المشركين فقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم إلى آخر الآيات. 2
الله أي: ليس لهذا العذاب الذي استعجل به من استعجل، من متبردي المشركين، أحد يدفعه قبل نزوله، أو يرفعه بعد نزوله، وهذا حين دعا النضر بن الحارث
للكافرين لاستحقاقهم له بكفرهم وعنادهم ليس له دافع من
إذا مسه الشر جزوعا فيجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهاب محبوب له، من مال أو أهل أو ولد، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله. 20
وفسر الهلوع بأنه:
وإذا مسه الخير منوعا فلا ينفق مما آتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه وبره، فيجزع في الضراء، ويمنع في السراء. 21
إلا المصلين الموصوفين بتلك الأوصاف فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله، وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشر صبروا واحتسبوا. 22
على صلاتهم دائمون أي: مداومون عليها في أوقاتها بشروطها ومكملاتها. وليسوا كمن لا يفعلها، أو يفعلها وقتا دون وقت، أو يفعلها على وجه ناقص. 23
وقوله في وصفهم الذين هم
والذين في أموالهم حق معلوم من زكاة وصدقة 24
للسائل الذي يتعرض للسؤال والمحروم وهو المسكين الذي لا يسأل الناس فيعطوه، ولا يفتن له فيتصدق عليه. 25
من الجزاء والبعث، ويتيقنون ذلك فيستعدون للآخرة، ويسعون لها سعيها. والتصديق بيوم الدين يلزم منه التصديق بالرسول، وبما جاءوا به من الكتب. 26
والذين يصدقون بيوم الدين أي: يؤمنون بما أخبر الله به، وأخبرت به رسله،
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون أي: خائفون وجلون، فيتركون لذلك كل ما يقربهم من عذاب الله. 27
إن عذاب ربهم غير مأمون أي: هو العذاب الذي يخشى ويحذر. 28
في دبر، أو حيض، ونحو ذلك، ويحفظونها أيضا من النظر إليها ومسها، ممن لا يجوز له ذلك، ويتركون أيضا وسائل المحرمات الداعية لفعل الفاحشة. 29
والذين هم لفروجهم حافظون فلا يطأون بها وطأ محرما، من زنى أو لواط، أو وطء
وسعة سلطانه وكمال أسمائه وصفاته، لما استعجلوا ولا تسلموا وتأدبوا، ولهذا أخبر تعالى من عظمت ما يضاد أقوالهم القبيحة فقال: ذي المعارج 3

تفسير السعدي

فالعذاب لا بد أن يقع عليهم من الله، فإما أن يعجل لهم في الدنيا، وإما أن يؤخر عنهم إلى الآخرة، فلو عرفوا الله تعالى، وعرفوا عظمتهم،

إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم أي: سرياتهم فإنهم غير ملومين في وطنهم في المحل الذي هو محل الحرث. 30

هم العادون أي: المتجاوزون ما أحل الله إلى ما حرم الله، ودلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة، لكونها غير زوجة مقصودة، ولا ملك يمين. 31
فمن ابتغى وراء ذلك أي: غير الزوجة وملك اليمين، فأولئك

العهد، شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد عليه الخلق، فإن العهد يسأل عنه العبد، هل قام به ووفاه، أم رفضه وخانه فلم يقيم به؟. 32
لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربه، كالتكاليف السرية، التي لا يطلع عليها إلا الله، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار، وكذلك
والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على أدائها والوفاء بها، وهذا شامل

بها وجه الله. قال تعالى: وأقيموا الشهادة لله يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين. 33
والذين هم بشهاداتهم قائمون أي: لا يشهدون إلا بما يعلمونه، من غير زيادة ولا نقص ولا كتمان، ولا يحابي فيها قريباً ولا صديقاً ونحوه، ويكون القصد
والذين هم على صلاتهم يحافظون بمداومتها على أكمل وجوها. 34

الفاضلة، ومعاملة الله، ومعاملة خلقه، أحسن معاملة من إنصافهم، وحفظ عهودهم وأسرارهم، والعفة التامة بحفظ الفروج عما يكره الله تعالى. 35
والأخلاق الفاضلة، من العبادات البدنية، كالصلاة، والمداومة عليها، والأعمال القلبية، كخشية الله الداعية لكل خير، والعبادات المالية، والعقائد النافعة، والأخلاق
الله لهم من الكرامة والنعيم المقيم ما تشتهي الأنفس، وتلد الأعين، وهم فيها خالدون. وحاصل هذا، أن الله وصف أهل السعادة والخير بهذه الأوصاف الكاملة،
أولئك أي: الموصوفون بتلك الصفات في جنات مكرمون أي: قد أوصل

يقول تعالى، مبينا اغترار الكافرين: فمال الذين كفروا قبلك مهطعين أي: مسرعين. 36

عن اليمين وعن الشمال عزين أي: قطعاً متفرقة وجماعات متوزعة، كل منهم بما لديه فرح. 37

أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بأي: سبب أطمعهم، وهم لم يقدموا سوى الكفر، والجحود برب العالمين. 38

خلقناهم مما يعلمون أي: من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، فهم ضعفاء، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا. 39
قال: كلا أي: ليس الأمر بأمانيتهم ولا إدراك ما يشتهون بقوتهم. إنا

ونازلة، بالتدابير الإلهية، والشئون في الخليقة في ذلك اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة من طوله وشدته، لكن الله تعالى يخففه على المؤمن. 4
الله تبارك وتعالى يظهر لعباده في يوم القيامة من عظمتهم وجلاله وكبريائه، ما هو أكبر دليل على معرفته، مما يشاهدونه من عروج الأملاك والأرواح صاعدة
أحد الاحتمالات في تفسير هذه الآية الكريمة فيكون هذا العروج والصعود في الدنيا، لأن السياق الأول يدل على هذا. ويحتمل أن هذا في يوم القيامة، وأن
ولم يقدره حق قدره، فاستعجلوا بالعذاب على وجه التعجيز والامتحان، وسبحان الحليم الذي أمهلهم وما أمهلهم، وآذوه فصبر عليهم وعافاهم ورزقهم. هذا
ومستودعهم، وأوصلهم من رحمته وبره ورزقه، ما عمهم وشملهم وأجرى عليهم حكمه القدري، وحكمه الشرعي وحكمه الجزائي. فبؤساً لأقوام جهلوا عظمتهم،
المأ الأعلى، فهذا الملك العظيم، والعالم الكبير، علويه وسفليه، جميعه قد تولى خلقه وتدبيره العلي الأعلى، فعلم أحوالهم الظاهرة والباطنة، وعلم مستقرهم
من اللطافة والخفة وسرعة السير، مع أن تلك المسافة على السير المعتاد مقدار خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلى وصولها ما حد لها، وما تنتهي إليه من
فلم يؤذن لها، وأعيدت إلى الأرض. ثم ذكر المسافة التي تعرج إلى الله فيها الملائكة والأرواح وأنها تعرج في يوم بما يسر لها من الأسباب، وأعانها عليه
ربها وتسلم عليه، وتحظى بقربه، وتبتهج بالدنو منه، ويحصل لها منه الثناء والإكرام والبر والإعظام. وأما أرواح الفجار فتعرج، فإذا وصلت إلى السماء استأذنت
برها وفاجرها، وهذا عند الوفاة، فأما الأبرار فتعرج أرواحهم إلى الله، فيؤذن لها من سماء إلى سماء، حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فتحيي
أي: ذو العلو والجلال والعظمة، والتدبير لسائر الخلق، الذي تعرج إليه الملائكة بما دبرها على تدبيره، وتعرج إليه الروح، وهذا اسم جنس يشمل الأرواح كلها،
تعرج الملائكة والروح إليه

هذا إقسام منه تعالى بالمشارق والمغارب، للشمس والقمر والكواكب، لما فيها من الآيات الباهرات على البعث 40

نحن بمسبوقين أي: ما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نعيده. فإذا تقرر البعث والجزاء، واستمروا على تكذيبهم، وعدم انقيادهم لآيات الله. 41
وقدرته على تبديل أمثالهم، وهم بأعينهم، كما قال تعالى: وننشئكم فيما لا تعلمون. وما

بدينهم، ويأكلوا ويشربوا، ويتمتعوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فإن الله قد أعد لهم فيه من النكال والوبال ما هو عاقبة خوضهم ولعبهم. 42
فذرهم يخوضوا ويلعبوا أي: يخوضوا بالأقوال الباطلة، والعقائد الفاسدة، ويلعبوا

إلى علم يؤمنون ويسرعون أي: فلا يتمكنون من الاستعصاء للداعي، والالتواء لنداء المنادي، بل يأتون أذلاء مهضومين للقيام بين يدي رب العالمين. 43
الذي يوعدون، فقال: يوم يخرجون من الأجداث أي: القبور، سراعاً مجيبين لدعوة الداعي، مهطعين إليها كأنهم إلى نصب يوفضون أي: كأنهم
ثم ذكر حال الخلق حين يلاقون يومهم

تفسير السعدي

وسكنت منهم الحركات، وانقطعت الأصوات. فهذه الحال والمآل، هو يومهم الذي كانوا يوعدون ولا بد من الوفاء بوعدهم الله. 44 خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وذلك أن الذلة والقلق قد ملك قلوبهم، واستولى على أفئدتهم، فخشعت منهم الأبصار، ولا ملل، بل استمر على أمر الله، وادع عباده إلى توحيده، ولا يمنعه عنهم ما ترى من عدم انقيادهم، وعدم رغبتهم، فإن في الصبر على ذلك خيرا كثيرا. 5 فاصبر صبرا جميلا أي: اصبر على دعوتك لقومك صبرا جميلا، لا تضجر فيه والسكره، حتى تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور، والله يراه قريبا، لأنه رفيق حليم لا يعجل، ويعلم أنه لا بد أن يكون، وكل ما هو آت فهو قريب. 6 إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير يعود إلى البعث الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب أي: إن حالهم حال المنكر له، أو الذي غلبت عليه الشقوة والسكره، حتى تباعد جميع ما أمامه من البعث والنشور، والله يراه قريبا، لأنه رفيق حليم لا يعجل، ويعلم أنه لا بد أن يكون، وكل ما هو آت فهو قريب. 7 إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا الضمير يعود إلى البعث الذي يقع فيه عذاب السائلين بالعذاب أي: إن حالهم حال المنكر له، أو الذي غلبت عليه الشقوة أي: يوم القيامة، تقع فيه هذه الأمور العظيمة ف تكون السماء كالمهل وهو الرصاص المذاب من تشققها وبلوغ الهول منها كل مبلغ. 8 ذاك هباء منثورا فتضمحل، فإذا كان هذا القلق والانزعاج لهذه الأجرام الكبيرة الشديدة، فما ظنك بالعبد الضعيف الذي قد أثقل ظهره بالذنوب والأوزار؟ 9 وتكون الجبال كالعهن وهو الصوف المنفوش، ثم تكون بعد

سورة 71

من عذاب الله الأليم، خوفا من استمرارهم على كفرهم، فيهلكهم الله هلاكاً أبدياً، ويعذبهم عذاباً سرمدياً، فامتثل نوح عليه السلام لذلك، وابتدر لأمر الله، 1 السورة سوى قصة نوح وحدها لطول لبثه في قومه، وتكرار دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك، فأخبر تعالى أنه أرسله إلى قومه، رحمة بهم، وإنذاراً لهم إلى آخر السورة لم يذكر الله في هذه واستغفروا الله منها. إنه كان غفارا كثير المغفرة لمن تاب واستغفر، فرغبهم بمغفرة الذنوب، وما يترتب عليها من حصول الثواب، واندفاع العقاب. 10 فقلت استغفروا ربكم أي: اتركوا ما أنتم عليه من الذنوب، ورغبهم أيضا، بخير الدنيا العاجل، فقال: يرسل السماء عليكم مدرارا أي: مطرا متتابعاً، يروي الشعاب والوهاد، ويحيي البلاد والعباد. 11 أموالكم التي تدركون بها ما تطلبون من الدنيا وأولادكم، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا وهذا من أبلغ ما يكون من لذات الدنيا ومطالبها. 12 ويمدكم بأموال وبنين أي: يكثر ما لكم لا ترجون لله وقارا أي: لا تخافون لله عظمة، وليس لله عندكم قدر. 13 متعين أن يفرد بالعبادة والتوحيد، وفي ذكر ابتداء خلقهم تنبيه لهم على الإقرار بالمعاد، وأن الذي أنشأهم من العدم قادر على أن يعيدهم بعد موتهم. 14 من بعد خلق، في بطن الأم، ثم في الرضاع، ثم في سن الطفولية، ثم التمييز، ثم الشباب، إلى آخر ما وصل إليه الخلق، فالذي انفرد بالخلق والتدبير البديع، وقد خلقكم أطوارا أي: خلقا واستدل أيضا عليهم بخلق السماوات التي هي أكبر من خلق الناس، فقال: ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا أي: كل سماء فوق الأخرى. 15 هذه الأشياء، وكثرة المنافع في الشمس والقمر الدالة على رحمته وسعة إحسانه، فالعظيم الرحيم، يستحق أن يعظم ويحب ويعبد ويخاف ويرجى. 16 وجعل القمر فيهن نورا لأهل الأرض وجعل الشمس سراجا. ففيه تنبيه على عظم خلق والله أنبتكم من الأرض نباتا حين خلق أباكم آدم وأنتم في صلبه. 17 ثم يعيدكم فيها عند الموت ويخرجكم إخراجا للبعث والنشور، فهو الذي يملك الحياة والموت والنشور. 18 والله جعل لكم الأرض بساطا أي: مبسوطة مهياة للانتفاع بها. 19 النذارة بينها، وذلك لتوضيحه ما أنذر به وما أنذر عنه، وبأي شيء تحصل النجاة، بين جميع ذلك بيانا شافيا، فأخبرهم وأمرهم بزبدة ما يأمرهم به 2 يا قوم إني لكم نذير مبين أي: واضح لتسلخوا منها سبلا فجاجا فلولا أنه بسطها، لما أمكن ذلك، بل ولا أمكنهم حرثها وغرسها وزرعها، والبناء، والسكون على ظهرها. 20 الدال على الخير، واتبعوا المأ والأشراف الذين لم تزدهم أموالهم ولا أولادهم إلا خسارا أي: هلاكاً وتقويتا للأرباح فكيف بمن انقاد لهم وأطاعهم؟! 21 هذا الكلام والوعظ والتذكير ما نجح فيهم ولا أفاد. إنهم عصوني فيما أمرتهم به واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خسارا أي: عصوا الرسول الناصح قال نوح شاكيا لربه: إن

ومكروا مكرا كبارا أي: مكرا كبيرا بليغا في معاندة الحق. 22

الشیطان: إن أسلافكم يعبدونهم، ويتوسلون بهم، وبهم يسقون المطر، فعبدوهم، ولهذا أوصى رؤسائهم للتابعين لهم أن لا يدعوا عبادة هذه الآلهة. 23
أسماء رجال صالحين لما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم لينشطوا بزعمهم على الطاعة إذا رأوها، ثم طال الأمد، وجاء غير أولئك فقال لهم
على ما هم عليه من الشرك، وأن لا يدعوا ما عليه آبائهم الأقدمون، ثم عينوا آلهتهم فقالوا: ولا تذرنا ودا ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا وهذه
وقالوا لهم داعين إلى الشرك مزينين له: لا تذرنا آلهتكم فدعوههم إلى التعصب

لكان مصلحة، ولكن لا يزيدون بدعوة الرؤساء إلا ضللا أي: فلم يبق محل لنجاحهم ولا لصالحهم، ولهذا ذكر الله عذابهم وعقوبتهم الدنيوية والأخروية، 24
وقد أضلوا كثيرا أي: وقد أضل الكبار والرؤساء بدعوتهم كثيرا من الخلق، ولا تزد الظالمين إلا ضللا أي: لو كان ضلالهم عند دعوتي إياهم بحق،
ما قال، حتى حل بهم النكال، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا ينصرونهم حين نزل بهم الأمر الأمر، ولا أحد يقدر يعارض القضاء والقدر. 25
فذهبت أجسادهم في الغرق وأرواحهم للنار والحرق، وهذا كله بسبب خطيئاتهم، التي أتاهم نبيهم نوح ينذرهم عنها، ويخبرهم بشؤمها ومغبتها، فرفضوا
مما خطيئاتهم أغرقوا في البهم الذي أحاط بهم فأدخلوا نارا

وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا يدور على وجه الأرض، وذكر السبب في ذلك 26

مخالطته إياهم، ومزاولته لأخلاقهم، علم بذلك نتيجة أعمالهم، لا جرم أن الله استجاب دعوته، فأغرقهم أجمعين ونجى نوحا ومن معه من المؤمنين. 27
إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا أي: بقاؤهم مفسدة محضة، لهم ولغيرهم، وإنما قال نوح عليه السلام ذلك، لأنه مع كثرة

ثم عمم الدعاء، فقال: وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا أي: خسارا ودمارا وهلاكاً. تم تفسير سورة نوح عليه السلام والحمد لله 28
رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيتي مؤمنا خص المذكورين لتأكد حقهم وتقدير برهم،

أن اعبدوا الله واتقوه وذلك بإفراده تعالى بالتوحيد والعبادة، والبعد عن الشرك وطرقه ووسائله. 3

فإن الموت لا بد منه، ولهذا قال: إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون لما كفرتم بالله، وعاندم الحق، فلم يجيبوا لدعوته، ولا انقادوا لأمره. 4
أي: يمتعكم في هذه الدار، ويدفع عنكم الهلاك إلى أجل مسمى أي: مقدر البقاء في الدنيا بقضاء الله وقدره إلى وقت محدود، وليس المتاع أبداً،
فإنهم إذا اتقوا الله غفر ذنوبهم، وإذا غفر ذنوبهم حصل لهم النجاة من العذاب، والفوز بالثواب، ويؤخركم إلى أجل مسمى

فقال شاكياء لربه: رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا 5

فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا أي: نفورا عن الحق وإعراضا، فلم يبق لذلك فائدة، لأن فائدة الدعوة أن يحصل جميع المقصود أو بعضه. 6

بها غطاء يغشاهم بعدا عن الحق وبغضا له، وأصروا على كفرهم وشركهم واستكبروا على الحق استكبارا فشرهم ازداد، وخيرهم بعد. 7
أبوا إلا تماديا على باطلهم، ونفورا عن الحق، جعلوا أصابعهم في آذانهم حذر سماع ما يقول لهم نبيهم نوح عليه السلام، واستغشوا ثيابهم أي تغطوا
وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم أي: لأجل أن يستجيبوا فإذا استجابوا غفرت لهم فكان هذا محض مصلحتهم، ولكنهم

ثم إني دعوتهم جهارا أي: بمسمع منهم كلهم. 8

ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا كل هذا حرص ونصح، وإتيانهم بكل باب يظن أن يحصل منه المقصود 9

سورة 72

قالوا: أنصتوا، فلما أنصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم، فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا أي: من العجائب الغالية، والمطالب العالية. 1
رسوله لسمع آياته لتقوم عليهم الحجة وتتم عليهم النعمة ويكونوا نذرا لقومهم. وأمر الله رسوله أن يقص نبأهم على الناس، وذلك أنهم لما حضروه،
أي: قل يا أيها الرسول للناس أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن صرفهم الله إلى
فعرفوا بفطنتهم أن هذا الأمر يريده الله، ويحدثه في الأرض، وفي هذا بيان لأدبهم، إذ أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأديبا مع الله. 10
من خير أو شر، فهذا قالوا: وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا أي: لا بد من هذا أو هذا، لأنهم رأوا الأمر تغير عليهم تغيرا أنكروه،
وجزموا أن الله تعالى أراد أن يحدث في الأرض حادثا كبيرا،

وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك أي: فساق وفجار وكفار، كنا طرائق قديا أي: فرقا متنوعة، وأهواء متفرقة، كل حزب بما لديهم فرحون. 11

الله وكمال عجزنا، وأن نواصينا بيد الله فلو نعجزه في الأرض ولن نعجزه إن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج عن قدرته، لا ملجأ منه إلا إليه. 12
وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا أي: وأنا في وقتنا الآن تبين لنا كمال قدرة

بخسا ولا رهقا أي: لا نقصا ولا طغيانا ولا أنى يلحقه، وإذا سلم من الشر حصل له الخير، فالإيمان سبب داع إلى حصول كل خير وانتفاء كل شر. 13

تفسير السعدي

- إلى الصراط المستقيم، وعرفنا هدايته وإرشاده، أثر في قلوبنا ف آمنا به . ثم ذكرنا ما يرغب المؤمن فقالوا: فمن يؤمن بربه إيماناً صادقا فلا يخاف وأنا لما سمعنا الهدى وهو القرآن الكريم، الهادي
- أي: الجائرون العادلون عن الصراط المستقيم. فمن أسلم فأولئك تحروا رشدًا أي: أصابوا طريق الرشـد، الموصل لهم إلى الجنة ونعيمها، 14
- وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون
- وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا وذلك جزاء على أعمالهم، لا ظلم من الله لهم 15
- فإنهم لو استقاموا على الطريقة المثلـى لأسقيناهم ماء غدقًا أي: هنيئًا مريئًا، ولم يمنعهم ذلك إلا ظلمهم وعدوانهم. 16
- ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا أي: من أعرض عن ذكر الله، الذي هو كتابه، فلم يتبعه وينقذ له، بل غفل عنه ولهى، يسلكه عذابا صعدا أي: شديدا بليغا. 17
- لنفتنهم فيه أي: لنختبرهم فيه ونمتحنهم ليظهر الصادق من الكاذب. ومن يعرض عن
- أحدا أي: لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة، فإن المساجد التي هي أعظم محال العبادة مبنية على الإخلاص لله، والخضوع لعظمته، والاستكانة لعزته، 18
- وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله
- أي: يسأله ويتعبد له ويقرأ القرآن كاد الجن من تكاثرهم عليه أن يكونوا عليه لبدًا، أي: متلبدين متراكمين حرصا على سماع ما جاء به من الهدى. 19
- وأنه لما قام عبد الله يدعوه
- المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن، بخلاف إيمان العوائد، والمربى والإلف ونحو ذلك، فإنه إيمان تقليد تحت خطر الشبهات والعوارض الكثيرة، 2
- القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد واجتناب المضار، فإن ذلك آية عظيمة، وحجة قاطعة، لمن استنار به، واهتدى بهديه، وهذا الإيمان النافع، بين الإيمان الذي يدخل فيه جميع أعمال الخير، وبين التقوى، المتضمنة لترك الشر وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه، ما علموه من إرشادات يهدي إلى الرشـد والرشـد: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم، فأما به ولن نشرك بربنا أحدا فجمعوا
- تدعو إليه: إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا أي: أوحده وحده لا شريك له، وأخلع ما دونه من الأنداد والأوثان، وكل ما يتخذة المشركون من دونه. 20
- قل لهم يا أيها الرسول، مبينا حقيقة ما
- قل إنني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا فإنني عبد ليس لي من الأمر ولا من التصرف شي 21
- ولا رشدا، ولا يمنع نفسه من الله شيئا إن أراد به سوء، فغيره من الخلق من باب أولى وأحرى. ولن أجد من دونه ملتحدا أي: ملجأ ومنتصرا. 22
- قل إنني لن يجيرني من الله أحد أي: لا أحد أستجير به ينقذني من عذاب الله، وإذا كان الرسول الذي هو أكمل الخلق، لا يملك ضرا
- فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن، والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمة هذه الأمة. 23
- ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا وهذا المراد به المعصية الكفرية، كما قيدتها النصوص الآخر المحكمة. وأما مجرد المعصية، إلا بلاغا من الله ورسالاته أي: ليس لي مزية على الناس، إلا أن الله خصني بإبلاغ رسالاته ودعوة الخلق إلى الله، وبهذا تقوم الحجة على الناس.
- ذلك الوقت حقيقة المعرفة من أضعف ناصرا وأقل عددا حين لا ينصرهم غيرهم ولا أنفسهم ينتصرون، وإذ يحشرون فرادى كما خلقوا أول مرة. 24
- حتى إذا رأوا ما يوعدون أي: شاهدوه عيانا، وجزموا أنه واقع بهم، فسيعلمون في
- قل لهم إن سألوكم فقالوا متى هذا الوعد ؟ إن أدري أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا أي: غاية طويلة، فعلم ذلك عند الله. 25
- عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا من الخلق، بل انفرد بعلم الضمائر والأسرار والغيب. 26
- حقيقته، من غير أن تتخبطهم الشياطين، ولا يزيّدوا فيه أو ينقصوا، ولهذا قال: فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رسدا أي: يحفظونه بأمر الله. 27
- يخبره بما اقتضت حكمته أن يخبره به، وذلك لأن الرسل ليسوا كغيرهم، فإن الله أيدهم بتأييد ما أيده أحدا من الخلق، وحفظ ما أوحاه إليهم حتى يبلغوه على
- إلا من ارتضى من رسول أي: فإنه
- أن علوم الغيوب قد انفرد الله بعلمها، فلا يعلمها أحد من الخلق، إلا من ارتضاه الله وخصه بعلم شيء منها. تم تفسير سورة قل أوحى إلي، ولله الحمد 28
- وسلم، إذا كان لا يملك لأحد نفعًا ولا ضرا، بل ولا يملك لنفسه، علم أن الخلق كلهم كذلك، فمن الخطأ والغلط اتخاذ من هذا وصفه إلها آخر مع الله. ومنها:
- قد اشتملت على الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وبينت حالة الخلق، وأن كل أحد منهم لا يستحق من العبادة مثقال ذرة، لأن الرسول محمدا صلى الله عليه به شعائر الإسلام، وينقمع به أهل الأوثان والأصنام. ومنها: شدة حرص الجن لاستماع الرسول صلى الله عليه وسلم، وتراكمهم عليه. ومنها: أن هذه السورة وأهلها رحمة ما يقدر لها قدر، وأراد بهم ربهم رشدا، فأراد أن يظهر من دينه وشرعه ومعرفته في الأرض، ما تبتهج به القلوب، وتفرح به أولو الألباب، وتظهر وحفظه لما جاء به، فحين ابتدأت بشائر نبوته، والسماء محروسة بالنجوم، والشياطين قد هربت عن أماكنها، وأزعجت عن مراصدها، وأن الله رحم به الأرض قومهم. ومنها: ذكاء الجن ومعرفتهم بالحق، وأن الذي ساقهم إلى الإيمان هو ما تحققوه من هداية القرآن، وحسن أدبهم في خطابهم. ومنها: اعتناء الله برسوله، هذه السورة. ومنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول إلى الجن، كما هو رسول إلى الإنس ، فإن الله صرف نفر الجن ليستمعوا ما يوحى إليه ويبلغوا

تفسير السعدي

- وأحصى كل شيء عددا وفي هذه السورة فوائد كثيرة: منها: وجود الجن، وأنهم مكلفون بمأمورين مكلفون منهيون، مجازون بأعمالهم، كما هو صريح في ليعلم بذلك أن قد أبلغوا رسالات ربهم بما جعله لهم من الأسباب، وأحاط بما لديهم أي: بما عندهم، وما أسروه وأعلنوه، ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة أو ولدا، لأن له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ صاحبة والولد ينافي ذلك، لأنه يضاد كمال الغنى. 3. وأنه تعالى جد ربنا أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه، ما اتخذ صاحبة ولا ولدا فعلموا من جد الله وعظمته، على الله شططا أي: قولا جائرا عن الصواب، متعديا للحد، وما حمله على ذلك إلا سفهه وضعف عقله، وإلا فلو كان رزينا مطمئنا لعرف كيف يقول. 4. وأنه كان يقول سفيها
- على الكذب على الله، فلذلك كنا قبل هذا على طريقهم، فاليوم إذ بان لنا الحق، رجعنا إليه، وانقذنا له، ولم نبال بقول أحد من الناس يعارض الهدى. 5. ظننا أن لن نقول الإنس والجن على الله كذبا أي: كنا مغترين قبل ذلك، وغرنا القادة والرؤساء من الجن والإنس، فأحسننا بهم الظن، وظنناهم لا يتجرأون وأنا
- لما رأوهم يستعيذون بهم ليلجنوهم إلى الاستعاذة بهم، فكان الإنسي إذا نزل بواد مخوف، قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. 6. أي: طغيانا وتكبيرا لما رأوا الإنس يعبدونهم، ويستعيذون بهم، ويحتمل أن الضمير في زادوهم يرجع إلى الجن ضمير الواو أي: زاد الجن الإنس ذعرا وتخويفا كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أي: كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزع، فزاد الإنس الجن رهقا وأنه
- وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا أي: فلما أنكروا البعث أقدموا على الشرك والطيغان. 7. عن الوصول إلى أرجائها والدنو منها، وشهيا يرمى بها من استرق السمع، وهذا بخلاف عادتنا الأولى، فإننا كنا نتمكن من الوصول إلى خبر السماء. 8. وأنا لمسنا السماء أي: أتيناها واختبرناها، فوجدناها ملئت حرسا شديدا
- من أخبار السماء ما شاء الله. فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي: مرصدا له، معدا لإتلافه وإحراقه، أي: وهذا له شأن عظيم، ونبا جسيم. 9. وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فتلتقف

سورة 73

- على أذية أعدائه، ثم أمره بالصدع بأمره، وإعلان دعوتهم إلى الله، فأمره هنا بأشرف العبادات، وهي الصلاة، وبآكد الأوقات وأفضلها، وهو قيام الليل. 1. الله، ما أعظم التفاوت بين ابتداء نبوته ونهايتها، ولهذا خاطبه الله بهذا الوصف الذي وجد منه في أول أمره. فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به، ثم أمره بالصبر منه الجهد، وهو يعالجه على القراءة، فقرأ صلى الله عليه وسلم، ثم ألقى الله عليه الثبات، وتابع عليه الوحي، حتى بلغ مبلغا ما بلغه أحد من المرسلين. فسبحان عليه السلام، فأتى إلى أهله، فقال: زملوني زملوني وهو ترعد فرائضه، ثم جاءه جبريل فقال: اقرأ فقال: ما أنا بقارئ ففطه حتى بلغ وابتدأه بإنزال وحيه بإرسال جبريل إليه، فرأى أمرا لم ير مثله، ولا يقدر على الثبات له إلا المرسلون، فاعتراه في ابتداء ذلك انزعاج حين رأى جبريل المزمّل: المتغطّي بثيابه كالمدثر، وهذا الوصف حصل من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أكرمه الله برسالته،
- الهجر حيث اقتضت المصلحة الهجر الذي لا أذية فيه، فيقابلهم بالهجر والإعراض عنهم وعن أقوالهم التي تؤذيه، وأمره بجداهم بالتي هي أحسن. 10. بالصبر على ما يقول فيه المعاندون له ويسبونونه ويسبون ما جاء به، وأن يمضي على أمر الله، لا يصده عنه صاد، ولا يردده راد، وأن يهجرهم هجرا جميلا، وهو فلما أمره الله بالصلاة خصوصا، وبالذكر عموما، وذلك يحصل للعبد ملكة قوية في تحمل الأثقال، وفعل الثقيل من الأعمال، أمره
- حين وسع الله عليهم من رزقه، وأمدهم من فضله كما قال تعالى: كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى. ثم توعدهم بما عنده من العقاب، فقال: 11. وذرنى والمكذبين أي: اتركني وإياهم، فسأنتقم منهم، وإن أمهلتهم فلا أمهلتهم، وقوله: أولي النعمة أي: أصحاب النعمة والغنى، الذين طغوا أي: إن عندنا أنكالا أي: عذابا شديدا، جعلناه تنكيلا للذي لا يزال مستمرا على الذنوب. وجحيما أي: نارا حامية 12. وطعاما ذا غصة وذلك لمرارته وبشاعته، وكراهة طعمه وريحه الخبيث المتنن، وعذابا أليما أي: موجعا مفضعا، 13. العظيم، وكانت الجبال الراسيات الصم الصلاب كتيبا مهिला أي: بمنزلة الرمل المنهال المنتثر، ثم إنها تبس بعد ذلك، فتكون كالهباء المنثور. 14. وذلك يوم ترجف الأرض والجبال من الهول
- احمدوا ربكم على إرسال هذا النبي الأمي العربي البشير النذير، الشاهد على الأمة بأعمالهم، واشكروه وقوموا بهذه النعمة الجليلة، وإياكم أن تكفروها. 15. يقول تعالى:
- فتكونوا كفرعون حين أرسل الله إليه موسى بن عمران، فدعاه إلى الله، وأمره بالتوحيد، فلم يصدق، بل عصاه، فأخذ الله أخذا وببلا أي: شديدا بليغا. 16.

أي: فكيف يحصل لكم الفكاك والنجاة من يوم القيامة، اليوم المهيل أمره، العظيم قدره ، الذي يشيب الولدان، وتذوب له الجمادات العظام. 17

فتفتطر به السماء وتنتثر به نجومها كان وعده مفعولا أي: لا بد من وقوعه، ولا حائل دونه. 18

هذا دليل على أن الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم، ومكنهم منها، لا كما يقوله الجبرية: إن أفعالهم تقع بغير مشيئتهم، فإن هذا خلاف النقل والعقل. 19
وينزجر بها المؤمنون، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا أي: طريقا موصلا إليه، وذلك باتباع شرعه، فإنه قد أبانه كل البيان، وأوضحه غاية الإيضاح، وفي
إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا أي: إن هذه الموعظة التي نبأ الله بها من أحوال يوم القيامة وأهواله ، تذكرة يتذكر بها المتقون،

ومن رحمته تعالى، أنه لم يأمره بقيام الليل كله، بل قال: قم الليل إلا قليلا . 2

وجه ناقص، فأمر بتزقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب أثناء الليل والنهار، فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك. تم تفسير سورة المزمل 20
وفي الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير، فائدة كبيرة، وذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيما أمر به، إما أن لا يفعله أصلا أو يفعله على
ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها منها ، فلك اللهم الحمد، وإليك المشتكى، وبك المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا بك. واستغفروا الله إن الله غفور رحيم
وأصله وأساسه، فوأسفاه على أوقات مضت في الغفلات، وواحسرتاه على أزمان تقضت بغير الأعمال الصالحات، وواغوثاه من قلوب لم يؤثر فيها وعظ بارئها،
يقابله أضعاف أضعاف الدنيا، وما عليها في دار النعيم المقيم، من اللذات والشهوات، وأن الخير والبر في هذه الدنيا، مادة الخير والبر في دار القرار، وبذره
من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا الحسنه بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. وليعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار،
من نية صادقة، وتبني من النفس، ومال طيب، ويدخل في هذا، الصدقة الواجبة ؟ والمستحبة، ثم حث على عموم الخير وأفعاله فقال: وما تقدموا لأنفسكم
وبها تحصل المواساة للفقراء والمساكين، ولهذا قال: وأقيموا الصلاة بأركانها، وشروطها، ومكملاتها، وأقربوا الله قرضا حسنا أي: خالصا لوجه الله،
دينهم وأبدانهم ودنياهم. ثم أمر العباد بعبادتين، هما أم العبادات وعمادها: إقامة الصلاة، التي لا يستقيم الدين إلا بها، وإيتاء الزكاة التي هي برهان الإيمان،
عمرة، ونحو ذلك ، فإنه أيضا يراعي ما لا يكلفه، فله الحمد والثناء، الذي ما جعل على الأمة في الدين من حرج، بل سهل شرعه، وراعى أحوال عبادته ومصالح
بل يتحرى الصلاة الفاضلة، وهي ثلث الليل بعد نصفه الأول. وتخفيفا للمريض أو المسافر، سواء كان سفره للتجارة، أو لعبادة، من قتال أو جهاد، أو حج، أو
آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقروا ما تيسر منه فذكر تعالى تخفيفين، تخفيفا للصحيح المقيم، يراعي فيه نشاطه، من غير أن يكلف عليه تحرير الوقت،
عن الناس أي: فالمسافر، حاله تناسب التخفيف، ولهذا خفف عنه في صلاة الفرض، فأبيح له جمع الصلاتين في وقت واحد، وقصر الصلاة الرباعية. وكذلك
ما كان يعمل صحيحا. وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله أي: وعلم أن منكم مسافرين يسافرون للتجارة، ليستغنوا عن الخلق، ويتكففوا
أو نصفه أو ثلثه، فليصل المريض المتسهل عليه ، ولا يكون أيضا مأمورا بالصلاة قائما عند مشقة ذلك، بل لو شقت عليه الصلاة النافلة، فله تركها وله أجر
نعس، فليستريح، ليأتي الصلاة بطمأنينة وراحة. ثم ذكر بعض الأسباب المناسبة للتخفيف، فقال: علم أن سيكون منكم مرضى يشق عليهم صلاة ثلثي الليل
أو نقص، فاقروا ما تيسر من القرآن أي: مما تعرفون ومما لا يشق عليكم، ولهذا كان المصلي بالليل مأمورا بالصلاة ما دام نشيطا، فإذا فتر أو كسل أو
أي: لن تعرفوا مقدار من غير زيادة ولا نقص، لكون ذلك يستدعي انتباهها وعناء زائدا أي: فخفف عنكم، وأمركم بما تيسر عليكم، سواء زاد على المقدر
على الناس، أخبر أنه سهل عليهم في ذلك غاية التسهيل فقال: والله يقدر الليل والنهار أي: يعلم مقاديرهما وما يمضي منهما ويبقى. علم أن لن تحصوه
أو ثلثيه، والأصل أن أمته أسوة له في الأحكام، وذكر في هذا الموضوع، أنه امتثل ذلك هو وطائفة معه من المؤمنين. ولما كان تحرير الوقت المأمور به مشقة
ذكر الله في أول هذه السورة أنه أمر رسوله بقيام نصف الليل أو ثلثه

ثم قدر ذلك فقال: نصفه أو انقص منه أي: من النصف قليلا بأن يكون الثلث ونحوه. 3

الثلثين ونحوها. ورتل القرآن ترتيلا فإن ترتيل القرآن به يحصل التدبر والتفكير، وتحريك القلوب به، والتعبد بآياته، والتهيؤ والاستعداد التام له، 4
أو زد عليه أي: على النصف، فيكون

أي: نوحى إليك هذا القرآن الثقيل، أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، حقيق أن يتهيأ له، ويرتل، ويتفكر فيما يشتمل عليه. 5
إننا سنلقي عليك قولا ثقيلا

القرآن، يتواطأ على القرآن القلب واللسان، وتقل الشواغل، ويفهم ما يقول، ويستقيم له أمره، وهذا بخلاف النهار، فإنه لا يحصل به هذا المقصود . 6
ثم ذكر الحكمة في أمره بقيام الليل، فقال: إن ناشئة الليل أي: الصلاة فيه بعد النوم هي أشد وطنا وأقوم قليلا أي: أقرب إلى تحصيل مقصود

إن لك في النهار سبحا طويلا أي: ترددا على حوائجك ومعاشك، يوجب اشتغال القلب وعدم تفرغه التفرغ التام. 7

انقطع إلى الله تعالى، فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه، ويدني من رضاه. 8
واذكر اسم ربك شامل لأنواع الذكر كلها وتبتل إليه تبتيلا أي:

لا معبود إلا وجهه الأعلى، الذي يستحق أن يخص بالمحبة والتعظيم، والإجلال والتكريم، ولهذا قال: فاتخذة وكيلا أي: حافظا ومديرا لأموالك. 9

تفسير السعدي

تعالى رب المشارق والمغارب، وما يكون فيها من الأنوار، وما هي مصلحة له من العالم العلوي والسفلي، فهو رب كل شيء وخالقه ومدبره. لا إله إلا هو أي: رب المشرق والمغرب وهذا اسم جنس يشمل المشارق والمغرب كلها، فهو

سورة 74

أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر على أذى قومه، 1
تقدم أن المزمّل والمدثر بمعنى واحد، وأن الله
يسير لأنهم قد أيسوا من كل خير، وأيقنوا بالهلاك والبوار. ومفهوم ذلك أنه على المؤمنين يسير، كما قال تعالى: يقول الكافرون هذا يوم عسر . 10
على الكافرين غير

أن له الخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أذى، فقال: ذرني ومن خلقت وحيدا أي: خلقتة منفردا، بلا مال ولا أهل، ولا غيره، فلم أزل أنميّه وأربيّه 11
الآيات، نزلت في الوليد بن المغيرة، معاند الحق، والمبارز لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقة، فذمه الله ذما لم يذمه غيره، وهذا جزاء كل من عاند الحق ونابذه،
هذه

وجعلت له مالا ممدودا أي: كثيرا 12

و جعلت له بنين أي: ذكورا شهودا أي: دائما حاضرين عنده، على الدوام يتمتع بهم، ويقضي بهم حوائجه، ويستنصر بهم. 13
ومهدت له تمهيدا أي: مكنته من الدنيا وأسبابها، حتى انقادت له مطالبه، وحصل على ما يشتهي ويريد، 14
ثم مع هذه النعم والإمدادات يطمع أن أزيد أي: يطمع أن ينال نعيم الآخرة كما نال نعيم الدنيا. 15
كان لآياتنا عنيدا أي: معاندا، عرفها ثم أنكرها، ودعته إلى الحق فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض وتولى عنها، بل جعل يحاربها ويسعى في إبطالها. 16
كلا أي: ليس الأمر كما طمع، بل هو بخلاف مقصوده ومطلوبه، وذلك لأنه
كان لآياتنا عنيدا أي: معاندا، عرفها ثم أنكرها، ودعته إلى الحق فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض وتولى عنها، بل جعل يحاربها ويسعى في إبطالها. 17
كلا أي: ليس الأمر كما طمع، بل هو بخلاف مقصوده ومطلوبه، وذلك لأنه

إنه فكر أي: في نفسه وقدر ما فكر فيه، ليقول قولاً يبطل به القرآن. 18

فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر لأنه قدر أمرا ليس في طوره، وتسور على ما لا يناله هو ولا أمثاله 19
فقال: قم أي بجد ونشاط فأذن الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه، 2
وأمره هنا بإعلان الدعوة ، والصدع بالإنذار،

فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر لأنه قدر أمرا ليس في طوره، وتسور على ما لا يناله هو ولا أمثاله 20

ثم نظر ما يقول 21

ثم عبس وبسر في وجهه، وظاهره نفرة عن الحق وبغضا له 22

ثم أدبر أي: تولى واستكبر نتيجة سعيه الفكري والعملي والقولي أن قال: 23

كلام الرب العظيم، الماجد الكريم، يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟ أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، على وصفه كلام المبدئ المعيد . 24
كل كاذب سحار. فتبأ له، ما أبعد من الصواب، وأحراه بالخسارة والتبأ!! كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير كل إنسان، أن يكون أعلى الكلام وأعظمه،
إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضا كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من
كلام الرب العظيم، الماجد الكريم، يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟ أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، على وصفه كلام المبدئ المعيد . 25
كل كاذب سحار. فتبأ له، ما أبعد من الصواب، وأحراه بالخسارة والتبأ!! كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير كل إنسان، أن يكون أعلى الكلام وأعظمه،
إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضا كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من
إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالى: سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر أي: لا تبقي من الشدة، ولا على المعذب شيئا إلا وبلغته. 26

فما حقه

إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالى: سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر أي: لا تبقي من الشدة، ولا على المعذب شيئا إلا وبلغته. 27

فما حقه

تفسير السعدي

إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالى: سَأَصْلِيه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر أي: لا تبقي من الشدة، ولا على المعذب شيئا إلا وبلغته. 28
فما حقه

لواحة للبشر أي: تلوحهم وتصليهم في عذابها، وتقلقهم بشدة حرها وقرها. 29

وربك فكبر أي: عظمه بالتوحيد، واجعل قصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد ويقوموا بعبادته. 3

عليها تسعة عشر من الملائكة، خزنة لها، غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. 30

للبشر أي: وما هذه الموعظة والتذكارات مقصودا به العبث واللعب، وإنما المقصود به أن يتذكر به البشر ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه. 31
من الملائكة وغيرهم إلا هو فإذا كنتم جاهلين بجنوده، وأخبركم بها العليم الخبير، فعليكم أن تصدقوا خبره، من غير شك ولا ارتياب، وما هي إلا ذكرى
ومن أضله، جعل ما أنزله على رسوله زيادة شقاء عليه وحيرة، وظلمة في حقه، والواجب أن يتلقى ما أخبر الله به ورسوله بالتسليم، فإنه لا يعلم جنود ربك
لمن يضل ولهذا قال: كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء فمن هداه الله، جعل ما أنزله الله على رسوله رحمة في حقه، وزيادة في إيمانه ودينه،
وشبهة ونفاق. والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا وهذا على وجه الحيرة والشك، والكفر منهم بآيات الله، وهذا وذاك من هداية الله لمن يهديه، وإضلاله
الحق، فجعل ما أنزله الله على رسوله محصلا لهذه الفوائد الجليلة، ومميزا للكاذبين من الصادقين، ولهذا قال: وليقول الذين في قلوبهم مرض أي: شك
يعتني بها أولو الألباب، وهي السعي في البقين، وزيادة الإيمان في كل وقت، وكل مسألة من مسائل الدين، ودفع الشكوك والأوهام التي تعرض في مقابلة
كلما أنزل الله آية، فأمنوا بها وصدقوا، ازداد إيمانهم، ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون أي: ليزول عنهم الريب والشك، وهذه مقاصد جليلة،
ما ذكر بعده في قوله: ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا فإن أهل الكتاب، إذا وافق ما عندهم وطبقه، ازداد يقينهم بالحق، والمؤمنون
يسمى فتنة، كما قال تعالى: يوم هم على النار يفتنون ويحتمل أن المراد: أنا ما أخبرناكم بعدتهم، إلا لنعلم من يصدق ومن يكذب، ويدل على هذا
إلا ملائكة وذلك لشدتهم وقوتهم. وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا يحتمل أن المراد: إلا لعذابهم وعقابهم في الآخرة، ولزيادة نكالهم فيها، والعذاب
وما جعلنا أصحاب النار

كلا هنا بمعنى: حقا، أو بمعنى ألا الاستفتاحية، فأقسم تعالى بالقمر. 32

وبالليل وقت إدباره. 33

والنهار وقت إسفاره، لاشتغال المذكورات على آيات الله العظيمة، الدالة على كمال قدرة الله وحكمته، وسعة سطرانه، وعموم رحمته، وإحاطة علمه. 34
والمقسم عليه قوله: إنها أي النار لإحدى الكبر أي: لإحدى العظائم الطامة والأمور الهامة، فإذا أعلمناكم بها، وكنتم على بصيرة من أمرها. 35
والمقسم عليه قوله: إنها أي النار لإحدى الكبر أي: لإحدى العظائم الطامة والأمور الهامة، فإذا أعلمناكم بها، وكنتم على بصيرة من أمرها. 36
عما يحبه الله ويرضاه، فيعمل بالمعاصي، ويتقرب إلى نار جهنم، كما قال تعالى: وكل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الآية. 37
فمن شاء منكم أن يتقدم، فيعمل بما يقربه من ربه، ويدنيه من رضاه، ويزلفه من دار كرامته، أو يتأخر عما خلق له و
كل نفس بما كسبت من أعمال السوء وأفعال الشر رهينة بها موثقة بسعيها، قد ألزم عنقها، وغل في رقبتها، واستوجبت به العذاب، 38
إلا أصحاب اليمين فإنهم لم يرتكبوا، بل أطلقوا وفرحوا 39

جميع النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصا في الدخول في الصلوات، وإذا كان مأمورا بتطهير الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن. 4
في الصلاة، التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة. ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن
وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته. ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصا
بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، ونفاق،
وثيابك فطهر يحتمل أن المراد

حال وصلوا إليها، وهل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟ فقال بعضهم لبعض: هل أنتم مطلعون عليهم فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يعذبون 40
أي: في جنات قد حصل لهم بها جميع مطلوباتهم، وتمت لهم الراحة والطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة، أن سألوا عن المجرمين، أي:
في جنات يتساءلون عن المجرمين

حال وصلوا إليها، وهل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟ فقال بعضهم لبعض: هل أنتم مطلعون عليهم فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يعذبون 41
أي: في جنات قد حصل لهم بها جميع مطلوباتهم، وتمت لهم الراحة والطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة، أن سألوا عن المجرمين، أي:
في جنات يتساءلون عن المجرمين

فقالوا لهم: ما سلككم في سقر أي: أي شيء أدخلكم فيها؟ وبأي ذنب استحققتموها؟ 42

تفسير السعدي

ف قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان ولا نفع للخلق المحتاجين. 43

ف قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان ولا نفع للخلق المحتاجين. 44

وكننا نخوض مع الخائضين أي: نخوض بالباطل، ونجادل به الحق، 45

الخوض بالباطل، وهو التكذيب بالحق، ومن أحق الحق، يوم الدين، الذي هو محل الجزاء على الأعمال، وظهور ملك الله وحكمه العدل لسائر الخلق. 46
وكننا نكذب بيوم الدين هذا آثار

فاستمرينا على هذا المذهب الفاسد حتى أتانا اليقين أي: الموت، فلما ماتوا على الكفر تعذرت حينئذ عليهم الحيل، وانسد في وجوههم باب الأمل. 47
لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهؤلاء لا يرضى الله أعمالهم . فلما بين الله مآل المخالفين، ورهب مما يفعل بهم، عطف على الموجودين بالعتاب واللوم. 48
فما تنفعهم شفاعة الشافعين لأنهم

فما لهم عن التذكرة معرضين أي: صادين غافلين عنها. 49

ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمرا له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها ، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه. 5
والرجز فاهجر يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل.

كانهم في نفرتهم الشديدة منها حمر مستنفرة أي: كأنهم حمر وحش نفرت فنفر بعضها بعضا، فزاد عدوها، 50

أي: من صائد ورام يريدها، أو من أسد ونحوه، وهذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق، ومع هذا الإعراض وهذا النفور، يدعون الدعاوى الكبار. 51
فرت من قسورة

كذبوا، فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، فإنهم جاءتهم الآيات البينات التي تبين الحق وتوضحه، فلو كان فيهم خير لآمنوا. 52
ف يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة نازلة عليه من السماء، يزعم أنه لا ينقاد للحق إلا بذلك، وقد

كلا أن نعطيهم ما طلبوا، وهم ما قصدوا بذلك إلا التعجيز، بل لا يخافون الآخرة فلو كانوا يخافونها لما جرى منهم ما جرى. 53

كلا إنه تذكرة الضمير إما أن يعود على هذه السورة، أو على ما اشتملت عليه من هذه الموعظة، 54

فمن شاء ذكره لأنه قد بين له السبيل، ووضح له الدليل. 55

المغفرة أي: هو أهل أن يتقى ويعبد، لأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه. تم تفسير سورة المدثر ولله الحمد 56
أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلا، وجعل ذلك تابعا لمشيئته، هو أهل التقوى وأهل
فإن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها رد على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون
وما يذكرون إلا أن يشاء الله

وغيره على حد سواء. وقد قيل: إن معنى هذا، لا تعط أحدا شيئا، وأنت تريد أن يكافئك عليه بأكثر منه، فيكون هذا خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم. 6
لك الفضل عليهم بإحسانك المنة، بل أحسن إلى الناس مهما أمكنك، وانس عندهم إحسانك، ولا تطلب أجره إلا من الله تعالى واجعل من أحسنت إليه
ولا تمنن تستكثر أي: لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية، فتتكثر بتلك المنة، وترى

صبر، فصبر على طاعة الله، وعن معاصي الله، وعلى أقدار الله المؤلمة ، حتى فاق أولي العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. 7
كل ما يبعد عن الله من الأصنام وأهلها، والشر وأهله، وله المنة على الناس بعد منة الله من غير أن يطلب منهم على ذلك جزاء ولا شكورا، وصبر لله أكمل
فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية، وعظم الله تعالى، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهجر
ولريك فاصبر أي: احتسب بصبرك، واقصد به وجه الله تعالى، فامتثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ربه، وبادر إليه،

أي: فإذا نفخ في الصور للقيام من القبور، وجمع الخلق للبعث والنشور. 8

فذلك يومئذ يوم عسير لكثرة أهواله وشدائده. 9

سورة 75

به في هذا الموضع، هو المقسم عليه، وهو البعث بعد الموت، وقيام الناس من قبورهم، ثم وقوفهم ينتظرون ما يحكم به الرب عليهم. 1
وإنما أتى بها للاستفتاح والاهتمام بما بعدها، ولكثرة الإتيان بها مع اليمين، لا يستغرب الاستفتاح بها، وإن لم تكن في الأصل موضوعة للاستفتاح. فالمقسم
ليست لا ها هنا نافية، ولا زائدة

تفسير السعدي

يقول الإنسان حين يرى تلك القلائل المزعجات: أين المفر أي: أين الخلاص والفكاك مما طرقتنا وأصابنا 10

كلا لا وزر أي: لا ملجأ لأحد دون الله، 11

إلى ربك يومئذ المستقر لسائر العباد فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع، بل لا بد من إيقافه ليجزى بعمله، 12

ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وآخر أي: بجميع عمله الحسن والسيء، في أول وقته وآخره، وينبأ بخبر لا ينكره. 13

بل الإنسان على نفسه بصيرة أي: شاهد ومحاسب، 14

سمعه وبصره، وجميع جوارحه بما كان يعمل، ولأن استعباده قد ذهب وقته وزال نفعه: فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون 15 به، كما قال تعالى: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً . فالعبد وإن أنكر، أو اعتذر عما عمله، فإنكاره واعتذاره لا يفيدانه شيئاً، لأنه يشهد عليه ولو ألقى معاذيره فإنها معاذير لا تقبل، ولا تقابل ما يقرر به العبد ، فيقر

من قبل أن يقضى إليك وحيه وقال هنا: لا تحرك به لسانك لتعجل به ثم ضمن له تعالى أنه لا بد أن يحفظه ويقراه، ويجمعه الله في صدره، 16 وشرع في تلاوته عليه، بادره النبي صلى الله عليه وسلم من الحرص قبل أن يفرغ، وتلاه مع تلاوة جبريل إياه، فنهاه الله عن هذا، وقال: ولا تعجل بالقرآن كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه جبريل بالوحي،

إن علينا جمعه وقرآنه فالحرص الذي في خاطرك، إنما الداعي له حذر الفوات والنسيان، فإذا ضمنه الله لك فلا موجب لذلك. 17

فإذا قرأناه فاتبع قرآنه أي: إذا كمل جبريل قراءة ما أوحى الله إليك، فحينئذ اتبع ما قرأه وأقرأه. 18

من حق أو باطل، وليفهمه فهما يتمكن به من الكلام عليه، وفيها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كما بين للأمة ألفاظ الوحي، فإنه قد بين لهم معانيه. 19 منها سأله عما أشكل عليه، وكذلك إذا كان في أول الكلام ما يوجب الرد أو الاستحسان، أن لا يبادر برده أو قبوله، حتى يفرغ من ذلك الكلام، ليتبين ما فيه جبريل القرآن بعد هذا، أنصت له، فإذا فرغ قرأه. وفي هذه الآية أدب لأخذ العلم، أن لا يبادر المتعلم المعلم قبل أن يفرغ من المسألة التي شرع فيها، فإذا فرغ ثم إن علينا بيانه أي: بيان معانيه، فوعده بحفظ لفظه وحفظ معانيه، وهذا أعلى ما يكون، فامتثل صلى الله عليه وسلم لأدب ربه، فكان إذا تلا عليه صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق، أو غفلة، فجمع بين الإقسام بالجزاء، وعلى الجزاء، وبين مستحق الجزاء. 20 والفاجرة، سميت لوامدة لكثرة ترددها وتلومها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت ، بل نفس المؤمن تلوم ولا أقسم بالنفس اللوامة وهي جميع النفوس الخيرة

الخسار ما حصل. فلو آثرتم الآخرة على الدنيا، ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لأنجحتم، وربحتم ربها لا خسار معه، وفزتم فوزاً لا شقاء يصحبه. 20 كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من فتدرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها، هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم تحبون العاجلة وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، أي:

الخسار ما حصل. فلو آثرتم الآخرة على الدنيا، ونظرتم للعواقب نظر البصير العاقل لأنجحتم، وربحتم ربها لا خسار معه، وفزتم فوزاً لا شقاء يصحبه. 21 كأنكم لم تخلقوا لها، وكأن هذه الدار هي دار القرار، التي تبذل فيها نفائس الأعمار، ويسعى لها آناء الليل والنهار، وبهذا انقلبت عليكم الحقيقة، وحصل من فتدرون العمل لها، لأن الدنيا نعيمها ولذاتها عاجلة، والإنسان مولع بحب العاجل، والآخرة متأخر ما فيها من النعيم المقيم، فلذلك غفلتم عنها وتركتموها، هذا الذي أوجب لكم الغفلة والإعراض عن وعظ الله وتذكيره أنكم تحبون العاجلة وتسعون فيما يحصلها، وفي لذاتها وشهواتها، وتؤثرونها على الآخرة، أي:

جزاء المؤثرين للآخرة على الدنيا: وجوه يومئذ ناضرة أي: حسنة بهية، لها رونق ونور، مما هم فيه من نعيم القلوب، وبهجة النفوس، ولذة الأرواح، 22 ثم ذكر ما يدعو إلى إثارة الآخرة، ببيان حال أهلها وتفاوتهم فيها، فقال في

فيه من النعيم وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالا إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم. 23 كل يوم بكرة وعشيا، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر، الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم إلى ربها ناظرة أي: تنظر إلى ربها على حسب مراتبهم: منهم من ينظره

وقال في المؤثرين العاجلة على الآجلة: ووجوه يومئذ باسرة أي: معبسة ومكدرة ، خاشعة ذليلة. 24

تظن أن يفعل بها فاقرة أي: عقوبة شديدة، وعذاب أليم، فلذلك تغيرت وجوههم وعبست. 25

، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لثغة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، 26

يعظ تعالى عباده بذكر حال المحتضر عند السياق

راق أي: من يرقيه من الرقية لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية . ولكن القضاء والقدر، إذا حتم وجاء فلا مرد له، 27 وقيل من

وظن أنه الفراق للدنيا. 28

والتفت الساق بالساق أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح التي ألفت البدن ولم تنزل معه، 29 الموت، كما قال في الآية الأخرى: قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ فاستبعد من جهله وعدوانه قدرة الله على خلق عظامه التي هي عماد البدن. 3 ثم أخبر مع هذا، أن بعض المعاندين يكذب بيوم القيامة، فقال: أيحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه بعد ذكره الله يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها، ويزجرها عما فيه هلاكها. ولكن المعاند الذي لا تنفع فيه الآيات، لا يزال مستمرا على بغيه وكفره وعناده. 30 فتساق إلى الله تعالى، حتى يجازيها بأعمالها، ويقررها بفعالها. فهذا الزجر، الذي

فلا صدق أي: لا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ولا صلى 31

ولكن كذب بالحق في مقابلة التصديق، وتولى عن الأمر والنهي، هذا وهو مطمئن قلبه، غير خائف من ربه، 32

بل يذهب إلى أهله يتمطى أي: ليس على باله شيء، 33

توعده بقوله: أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وهذه كلمات وعيد، كررها لتكرير وعيده، ثم ذكر الإنسان بخلقه الأول 34

توعده بقوله: أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى وهذه كلمات وعيد، كررها لتكرير وعيده، ثم ذكر الإنسان بخلقه الأول 35

أيحسب الإنسان أن يترك سدى أي: معطلا ، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب؟ هذا حسبان باطل وظن بالله بغير ما يليق بحكمته. 36

ألم يك نطفة من مني يمى 37

ثم كان بعد المني علقه أي: دما، فخلق الله منها الحيوان وسواه أي: أتقنه وأحكمه، 38

فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى 39

لقدرته الله تعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد. 4 لقدرة الله تعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد. 4 أن نسوي بنانه أي: أطراف أصابعه وعظامه، المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره فرد عليه بقوله: بلى قادرين على

من تيسير الكريم الرحمن في تفسير القرآن لجامعه الفقير إلى الله: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين. 40 بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير. تم تفسير سورة القيامة، ولله الحمد والمنة، وذلك في 16 صفر سنة 1344 المجلد التاسع أليس ذلك الذي خلق الإنسان وطوره إلى هذه الأطوار المختلفة

لقدرته الله تعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد. 5 أن نسوي بنانه أي: أطراف أصابعه وعظامه، المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره فرد عليه بقوله: بلى قادرين على

لقدرته الله تعالى قصورا بالدليل الدال على ذلك، وإنما وقع ذلك منه أن قصده وإرادته أن يكذب بما أمامه من البعث. والفجور: الكذب مع التعمد. 6 أن نسوي بنانه أي: أطراف أصابعه وعظامه، المستلزم ذلك لخلق جميع أجزاء البدن، لأنها إذا وجدت الأنامل والبنان، فقد تمت خلقة الجسد، وليس إنكاره فرد عليه بقوله: بلى قادرين على

العظيم، وشخصت فلا تطرف كما قال تعالى: إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفندتهم هواء 7 أي: إذا كانت القيامة برقت الأبصار من الهول

وخسف القمر أي: ذهب نوره وسلطانه، 8

الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر، وتكور الشمس، ثم يقذفان في النار، ليرى العباد أنهما عبدان مسخران، ويرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين. 9 وجمع الشمس والقمر وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى، فيجمع

سورة 76

هذه السورة الكريمة أول حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها. فذكر أنه مر عليه دهر طويل وهو الذي قبل وجوده، وهو معدوم بل ليس مذكورا. 1
ذكر الله في

إننا نخاف من ربنا يوما عبوسا أي: شديد الجهمة والشر قمطيرا أي: ضنكا ضيقا، 10

يومكم الذي كنتم توعدون. ولقاهم أي: أكرمهم وأعطاهم نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم، فجمع لهم بين نعيم الظاهر والباطن 11
فوقاهم الله شر ذلك اليوم فلا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقاهم الملائكة هذا

كل مكدر ومنغص، وحريرا كما قال تعالى: ولباسهم فيها حرير ولعل الله إنما خص الحرير، لأنه لباسهم الظاهر، الدال على حال صاحبه. 12
صبروا على طاعة الله، فعملوا ما أمكنهم منها، وعن معاصي الله، فتركوها، وعلى أقدار الله المؤلمة، فلم يتسخطوها، جنة جامعة لكل نعيم، سالمة من
وجزاهم بما

يضرهم حرها ولا زمهريرا أي: بردا شديدا، بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل، لا حر ولا برد، بحيث تلتذ به الأجساد، ولا تتألم من حر ولا برد. 13
الانكاء: التمكن من الجلوس، في حال الرفاهية والطمأنينة الراحة، والأرائك هي السرر التي عليها اللباس المزين، لا يرون فيها أي: في الجنة شمسا
مكتئين فيها على الأرائك

ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا أي: قربت ثمراتها من مريدها تقريبا ينالها، وهو قائم، أو قاعد، أو مضطجع. 14

ويطاف على أهل الجنة أي: يدور عليهم الخدم والولدان بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا 15

زادت نقصت لذتها، ولو نقصت لم تف بريهم . ويحتمل أن المراد: قدرها أهل الجنة بنفوسهم بمقدار يوافق لذاتهم، فأتتهم على ما قدروا في خواطرهم. 16
الفضة الكثيفة من صفاء جوهرها وطيب معدنها على صفاء القوارير. قدروها تقديرا أي: قدروا الأواني المذكورة على قدر ربيهم، لا تزيد ولا تنقص، لأنها لو
قوارير من فضة أي: مادتها من فضة، وهي على صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء، أن تكون

ويسقون فيها أي: في الجنة من كأس، وهو الإناء المملوء من خمر ورحيق، كان مزاجها أي: خلطها زنجبيلا ليطيب طعمه وريحه. 17

عينا فيها أي: في الجنة، تسمى سلسبيلا سميت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها. 18

أهل الجنة، أن يكون خدامهم الولدان المخلدون، الذين تسر رؤيتهم، ويدخلون على مساكنهم، آمنين من تبعثهم، ويأتونهم بما يدعون وتطلبه نفوسهم، 19
للبقاء، لا يتغيرون ولا يكبرون، وهم في غاية الحسن، إذا رأيتهم منتشرين في خدمتهم حسبته من حسنهم لؤلؤا منثورا وهذا من تمام لذة
ويطوف على أهل الجنة، في طعامهم وشرابهم وخدمتهم. ولدان مخلصون أي: خلقوا من الجنة

وتغره نفسه؟ فأنشأه الله، وخلق له القوى الباطنة والظاهرة، كالسمع والبصر، وسائر الأعضاء، فأتتها له وجعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده. 2
أباه آدم من طين، ثم جعل نسله متسلسلا من نطفة أمشاج أي: ماء مهين مستقدر نبتليه بذلك لنعلم هل يرى حاله الأولى ويتفطن لها أم ينساها
ثم لما أراد الله تعالى خلقه، خلق

فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفذ خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه. 20
وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة. ثم علاوة ذلك وأعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم
لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سرورا، ولذة وحبورا، وحوله من الولدان المخلصين، والخدم المؤيدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة،
والرياض المعجبة، والطيور المطربة المشجية ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس. وعنده من الزوجات. اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات
عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية،
وإذا رأيت ثم أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه من النعيم رأيت نعيما وملكا كبيرا فتجد الواحد منهم،

لأنه لا أصدق منه قليلا ولا حديثا. وقوله: وسقاهم ربه شرابا طهورا أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهرا لما في بطونهم من كل أذى وقذى. 21
من الديباج والإستبرق: ما رق منه. وحلوا أساور من فضة أي: حلوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم، وهذا وعد وعدهم الله، وكان وعده مفعولا،
عليهم ثياب سندس خضر أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ

كان لكم جزاء على ما أسلفتموه من الأعمال، وكان سعيكم مشكورا أي: القليل منه، يجعل الله لكم به من النعيم المقيم ما لا يمكن حصره. 22
إن هذا الجزاء الجزيل والعطاء الجميل

القرآن تنزيلا فيه الوعد والوعيد وبيان كل ما يحتاجه العباد، وفيه الأمر بالقيام بأوامره وشرائعه أتم القيام، والسعي في تنفيذها، والصبر على ذلك. 23

تفسير السعدي

وقوله تعالى لما ذكر نعيم الجنة إنا نحن نزلنا عليك

كفوراً فإن طاعة الكفار والفجار والفساق، لا بد أن تكون في المعاصي، فلا يأمرُونَ إلا بما تهووا أنفسهم. ولما كان الصبر يساعده القيام بعبادة الله ، 24
فلا تسخطه، ولحكمه الديني، فامض عليه، ولا يعوقك عنه عائق. ولا تطع من المعاندين، الذين يريدون أن يصدوك أما أي: فاعلا إنما ومعصية ولا
فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم أما أو كفورا أي: اصبر لحكمه القدري،

وأصيلا أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك، الصلوات المكتوبات وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات. 25
واذكر اسم ربك بكرة

السجود، ولا يكون ذلك إلا بالإكثار من الصلاة . وسبحه ليلا طويلا وقد تقدم تقييد هذا المطلق بقوله: يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلا الآية 26
ومن الليل فاسجد له أي: أكثر له من

وهو يوم القيامة، الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون، وقال تعالى: يقول الكافرون هذا يوم عسر فكأنهم ما خلقوا إلا للدنيا والإقامة فيها. 27
لم يفد فيهم ذلك شيئا، بل لا يزالون يؤثرون، العاجلة ويطمنون إليها، ويذرون أي: يتركون العمل ويهملون وراءهم أي: أمامهم يوما ثقيلا
إن هؤلاء أي: المكذبين لك أيها الرسول بعد ما بينت لهم الآيات، ورغبوا ورهبوا، ومع ذلك،

ولا ينهاون، ولا يثابون، ولا يعاقبون، ولهذا قال: بدلنا أمثالهم تبديلا أي: أنشأناكم للبعث نشأة أخرى، وأعدناكم بأعيانكم، وهم بأنفسهم أمثالهم. 28
فالذي أوجدكم على هذه الحالة، قادر على أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم، والذي نقلهم في هذه الدار إلى هذه الأطوار، لا يليق به أن يتركهم سدى، لا يؤمرون،
من العدم، وشدنا أسرهم أي: أحكمنا خلقتهم بالأعصاب، والعروق، والأوتار، والقوى الظاهرة والباطنة، حتى تم الجسم واستكمل، وتمكن من كل ما يريده،
ثم استدل عليهم وعلى بعثهم بدليل عقلي، وهو دليل الابتداء، فقال: نحن خلقناهم أي: أوجدناهم

فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا أي: طريقا موصلا إليه، فالله يبين الحق والهدى، ثم يخير الناس بين الاهتداء بها أو النفور عنها، مع قيام الحجة عليهم 29
إن هذه تذكرة أي: يتذكر بها المؤمن، فينتفع بما فيها من التخويف والترغيب.

الله عليه، أنعم الله عليه بالنعم الدينية والدنيوية، فردها، وكفر بربه، وسلك الطريق الموصلة إلى الهلاك. ثم ذكر تعالى حال الفريقين عند الجزاء فقال: 3
إلى الهلاك، ورهبه منها، وأخبره بما له إذا سلكها، وابتلاه بذلك، فانقسم الناس إلى شاكر لنعمة الله عليه، قائم بما حملة الله من حقوقه، وإلى كفور لنعمة
ثم أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهدهد الطريق الموصلة إلى الله ، ورغبه فيها، وأخبره بما له عند الوصول إلى الله. ثم أخبره بالطريق الموصلة
وما تشاءون إلا أن يشاء الله فإن مشيئة الله نافذة، إن الله كان عليما حكيما فله الحكمة في هداية المهتدي، وإضلال الضال. 30

لطرقتها. والظالمين الذين اختاروا الشقاء على الهدى أعد لهم عذابا أليما بظلمهم وعدوانهم. تم تفسير سورة الإنسان ولله الحمد والمنة 31
يدخل من يشاء في رحمته فيختصه بعنايته، ويوفقه لأسباب السعادة ويهديه

بها أجسامهم وتحرق بها أبدانهم، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وهذا العذاب دائم لهم أبدا، مخلصون فيه سرمدًا. 4
نار جهنم، كما قال تعالى: ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . وأغلا لا تغل بها أيديهم إلى أعناقهم ويوثقون بها. وسعيرا أي: نارا تستعر
إلى آخر الثواب أي: إنا هيأنا وأرصدنا لمن كفر بالله، وكذب رسله، وتجراً على المعاصي سلاسل في

كما قال تعالى: في سدر مخضود وطلح منضود وأزواج مطهرة لهم دار السلام عند ربهم وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين . 5
اللذة قد سلم من كل مكدر ومنغص، موجود في كافور الدنيا، فإن الآفة الموجودة في الأسماء التي ذكر الله أنها في الجنة وهي في الدنيا تعدم في الآخرة
، واستعملوها بأعمال البر أخبر أنهم يشربون من كأس أي: شراب لذيذ من خمر قد مزج بكافور أي: خلط به ليبرده ويكسر حدته، وهذا الكافور في غاية
وأما الأبرار وهم الذين برت قلوبهم بما فيها من محبة الله ومعرفته، والأخلاق الجميلة، فبرت جوارحهم

صرفوها إلى البساتين الزاهرات، أو إلى الرياض الناضرات، أو بين جوانب القصور والمسكن المزخرفات، أو إلى أي: جهة يرونها من الجهات المونقات. 6
الذي يشربون به، لا يخافون نفاده، بل له مادة لا تنقطع، وهي عين دائمة الفيضان والجريان، يفجرها عباد الله تفجيّرا، أنى شاءوا، وكيف أرادوا، فإن شاءوا
عينا يشرب بها عباد الله أي: ذلك الكأس اللذيذ

الأصلية، من باب أولى وأحرى، ويخافون يوما كان شره مستطيرا أي: منتشرا فاشيا، فخافوا أن ينالهم شره، فتركوا كل سبب موجب لذلك، 7
أي: بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وإذا كانوا يوفون بالنذر، وهو لم يجب عليهم، إلا بإيجابهم على أنفسهم، كان فعلهم وقيامهم بالفروض
وقد ذكر جملة من أعمالهم في أول هذه السورة، فقال: يوفون بالنذر

حال يحبون فيها المال والطعام، لكنهم قدموا محبة الله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعامهم أولى الناس وأحوجهم مسكينا ويتيما وأسيرا . 8
ويطعمون الطعام على حبه أي: وهم في

بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالى، ويقولون بلسان الحال: إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا أي: لا جزاء ماليا ولا ثناء قوليا. 9

سورة 77

- القدرية وتدبير العالم، وبشئونه الشرعية ووحيه إلى رسله. و عرفا حال من المرسلات أي: أرسلت بالعرف والحكمة والمصلحة، لا بالنكر والعبث. 1
- أقسم تعالى على البعث والجزاء بالأعمال ، بالمرسلات عرفا، وهي الملائكة التي يرسلها الله تعالى بشئونه وتنسف الجبال، فتكون كالهباء المنثور، وتكون هي والأرض قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا. 10
- وذلك اليوم هو اليوم الذي أقتت فيه الرسل. 11
- وأجلت للحكم بينها وبين أممها، ولهذا قال: لأي يوم أجلت استفهام للتعظيم والتفخيم والتهويل. 12
- ثم أجاب بقوله: ليوم الفصل أي: بين الخلائق، بعضهم لبعض، وحساب كل منهم منفردا. 13
- ثم أجاب بقوله: ليوم الفصل أي: بين الخلائق، بعضهم لبعض، وحساب كل منهم منفردا. 14
- فقال: ويل يَوْمئذٍ للمكذبين أي: يا حسرتهم، وشدة عذابهم، وسوء منقلبهم، أخبرهم الله، وأقسم لهم، فلم يصدقوه، فاستحقوا العقوبة البليغة. 15
- ثم تواعد المكذب بهذا اليوم
- أي: أما أهلكنا المكذبين السابقين. 16
- ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من الآخرين. 17
- وهذه سنته السابقة واللاحقة في كل مجرم لا بد من عذابه ، فلم لا تعتبرون بما ترون وتسمعون؟ 18
- ويل يَوْمئذٍ للمكذبين بعدما شاهدوا من الآيات البينات، والعقوبات والمثلات. 19
- الملائكة التي يرسلها الله تعالى وصفها بالمبادرة لأمره، وسرعة تنفيذ أوامره، كالريح العاصف، أو: أن العاصفات، الرياح الشديدة، التي يسرع هبوبها. 2
- فالعاصفات عصفاء وهي أيضا
- أي: أما خلقناكم أيها الأدميون من ماء مهين أي: في غاية الحقارة، خرج من بين الصلب والترائب. 20
- حتى جعله الله في قرار مكين وهو الرحم، به يستقر وينمو. 21
- إلى قدر معلوم ووقت مقدر. 22
- جسدا، ثم نفخ فيه الروح، ومنهم من يموت قبل ذلك. فنعم القادرون يعني بذلك نفسه المقدسة حيث كان قدرا تابعا للحكمة، موافق للحمد . 23
- فقدروا أي: قدرنا ودبرنا ذلك الجنين، في تلك الظلمات، ونقلناه من النطفة إلى العلق، إلى المضغة، إلى أن جعله الله
- ويل يَوْمئذٍ للمكذبين بعدما بين الله لهم الآيات، وأراهم العبر والبيانات. 24
- أي: أما امتننا عليكم وأنعمنا، بتسخير الأرض لمصالحكم، فجعلناها كفاتا لكم. 25
- في القبور، فكما أن الدور والقصور من نعم الله على عباده ومنته، فكذلك القبور، رحمة في حقهم، وسترا لهم، عن كون أجسادهم بادية للسباع وغيرها. 26
- أحياء في الدور، وأمواتا
- ماء فراتا أي: عذبا زلالا، قال تعالى: أفرايتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون 27
- وجعلنا فيها رواسي أي: جبالا ترسي الأرض، لئلا تميد بأهلها، فثبتها الله بالجبال الراسيات الشامخات أي: الطوال العراض، وأسقيناكم
- ويل يَوْمئذٍ للمكذبين مع ما أراهم الله من النعم التي انفرد الله بها، واختصهم بها، فقابلوها بالتكذيب. 28
- هذا من الويل الذي أعد للمجرمين للمكذبين، أن يقال لهم يوم القيامة: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون 29
- والناشرات نشرنا يحتمل أنها الملائكة ، تنشر ما دبرت على نشره، أو أنها السحاب التي ينشر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها. 3
- انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب أي: إلى ظل نار جهنم، التي تتمايز في خلاله ثلاث شعب أي: قطع من النار أي: تتعاوره وتتناوبه وتجتمع به. 30
- ومن كل جانب، كما قال تعالى: لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين 31
- لا ظليل ذلك الظل أي: لا راحة فيه ولا طمأنينة، ولا يغني من مكث فيه من اللهب بل اللهب قد أحاط به، يمنة ويسرة
- وهذا يدل على أن النار مظلمة، لهبها وجمرها وشرورها، وأنها سوداء، كريهة المرائى ، شديدة الحرارة، نسأل الله العافية منها من الأعمال المقربة منها. 32

تفسير السعدي

عظم شرر النار، الدال على عظمتها وفظاعتها وسوء منظرها، فقال: إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر وهي السود التي تضرب إلى لون فيه صفرة، ثم ذكر

وهذا يدل على أن النار مظلمة، لهبها وجمرها وشررها، وأنها سوداء، كرية المرأى، شديدة الحرارة، نسأل الله العافية منها من الأعمال المقربة منها. 33
عظم شرر النار، الدال على عظمتها وفظاعتها وسوء منظرها، فقال: إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر وهي السود التي تضرب إلى لون فيه صفرة، ثم ذكر

ويل يومئذ للمكذبين 34

أي: هذا اليوم العظيم الشديد على المكذبين، لا ينطقون فيه من الخوف والوجل الشديد. 35

ولا يؤذن لهم فيعتذرون أي: لا تقبل معذرتهم، ولو اعتذروا: فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون 36

ولا يؤذن لهم فيعتذرون أي: لا تقبل معذرتهم، ولو اعتذروا: فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون 37

هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين لفصل بينكم، ونحكم بين الخلائق، 38

لكم قدرة ولا سلطان، كما قال تعالى: يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان 39
فإن كان لكم كيد تقدرون على الخروج من ملكي وتنجون به من عذابي، فكيدون أي: ليس

والناشرات نشرًا يحتمل أنها الملائكة، تنشر ما دبرت على نشره، أو أنها السحاب التي ينشر بها الله الأرض، فيحييها بعد موتها. 4

ففي ذلك اليوم، تبطل حيل الظالمين، ويضمحل مكرهم وكيدهم، ويستسلمون لعذاب الله، ويبين لهم كذبهم في تكذبيهم ويل يومئذ للمكذبين 40
بأدائهم الواجبات، وتركهم المحرمات. في ظلال من كثرة الأشجار المتنوعة، الزاهية البهية. وعيون جارية من السلسيل، والرحيق وغيرهما، 41
ذكر عقوبة المكذبين، ذكر ثواب المحسنين، فقال: إن المتقين أي: للتكذيب، المتصفين بالتصديق في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم، ولا يكونون كذلك إلا

لما

وفواكه مما يشتهون أي: من خيار الفواكه وطيبها، 42

ولا زائل، بما كنتم تعملون فأعمالكم هي السبب الموصول لكم إلى هذا النعيم المقيم، وهكذا كل من أحسن في عبادة الله وأحسن إلى عباد الله، 43
الشهية، والأشربة اللذيذة هنيئًا أي: من غير منغص ولا مكدر، ولا يتم هناؤه حتى يسلم الطعام والشراب من كل آفة ونقص، وحتى يجزموا أنه غير منقطع
ويقال لهم: كلوا واشربوا من المأكّل

إنا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين ولو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم، لكفى به حرمانًا وخسرانًا. 44

إنا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين ولو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم، لكفى به حرمانًا وخسرانًا. 45

الدنيا وشربوا وتمتعوا بالذات، وغفلوا عن القربات، فإنهم مجرمون، يستحقون ما يستحقه المجرمون، فستنقطع عنهم اللذات، وتبقى عليهم التبعات. 46
هذا تهديد ووعيد للمكذبين، أنهم وإن أكلوا في

الدنيا وشربوا وتمتعوا بالذات، وغفلوا عن القربات، فإنهم مجرمون، يستحقون ما يستحقه المجرمون، فستنقطع عنهم اللذات، وتبقى عليهم التبعات. 47
هذا تهديد ووعيد للمكذبين، أنهم وإن أكلوا في

إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، وقيل لهم: اركعوا امتنعوا من ذلك. فأى إجرام فوق هذا؟ وأي تكذيب يزيد على هذا؟ 48

ومن

عليهم أنهم تنسد عليهم أبواب التوفيق، ويحرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الكريم، الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق. 49
ويل يومئذ للمكذبين ومن الويل

فالمليقات ذكرًا هي الملائكة تلقي أوامر، وهو الذكر الذي يرحم الله به عباده، ويذكرهم فيه منافعهم ومصالحهم، تلقيه إلى الرسل. 5

والإفك المبين، الذي لا يليق إلا بمن يناسبه. فتبا لهم ما أعماهم! وويحًا لهم ما أخسرهم وأشقاهم! نسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم. تمت. 50
أم بكلام كل مشرك كذاب أفاك مبين؟ فليس بعد النور المبين إلا دياجي الظلمات، ولا بعد الصدق الذي قامت الأدلة والبراهين على صدقه إلا الكذب الصراح
فبأي حديث بعده يؤمنون ألباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شبهة فضلًا عن الدليل؟

عذرا أو نذرا أي: إعدارا وإنذارا للناس، تنذر الناس ما أمامهم من المخاوف وتقطع معذرتهم، فلا يكون لهم حجة على الله. 6

إنما توعدون من البعث والجزاء على الأعمال لواقع أي: متحتم وقوعه، من غير شك ولا ارتياب. 7

فإذا وقع حصل من التغير للعالم والأهوال الشديدة ما يزعج القلوب، وتشتد له الكروب، فتنطمس النجوم أي: تتناثر وتزول عن أماكنها 8
فإذا وقع حصل من التغير للعالم والأهوال الشديدة ما يزعج القلوب، وتشتد له الكروب، فتنطمس النجوم أي: تتناثر وتزول عن أماكنها 9

سورة 78

أي: عن أي شيء يتساءل المكذبون بآيات الله؟ 1

فجعل الله الليل والنوم يغشى الناس لتنقطع حركاتهم الضارة، وتحصل راحتهم النافعة. 10

فجعل الله الليل والنوم يغشى الناس لتنقطع حركاتهم الضارة، وتحصل راحتهم النافعة. 11

والصلابة والشدة، وقد أمسكها الله بقدرته، وجعلها سقفا للأرض، فيها عدة منافع لهم، ولهذا ذكر من منافعها الشمس فقال: وجعلنا سراجا وهاجا 12
وبنينا فوقكم سبعا شدادا أي: سبع سموات، في غاية القوة،

نبه بالسراج على النعمة بنورها، الذي صار كالضرورة للخلق، وبالهواج الذي فيه الحرارة على حرارتها وما فيها من المصالح 13

وأنزلنا من المعصرات أي: السحاب ماء تجاجا أي: كثيرا جدا. 14

لنخرج به حبا من بر وشعير وذرة وأرز، وغير ذلك مما يأكله الآدميون. ونباتا يشمل سائر النبات، الذي جعله الله قوتا لمواشيهم. 15

قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به و تكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟ أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتجحدونها؟ 16
وجنات ألفافا أي: بساتين ملتفة، فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة. فالذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة ، التي لا يقدر

ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة الذي يتساءل عنه المكذبون، ويجحده المعاندون، أنه يوم عظيم، وأن الله جعله ميقاتا للخلق. 17

ينفخ في الصور فتأتون أفواجا ويجري فيه من الزعازع والقالق ما يشيب له الوليد، وتنزعج له القلوب، 18

وتشقق السماء حتى تكون أبوابا 19

ثم بين ما يتساءلون عنه فقال: عن النيا العظيم 2

تفسير الجبال، حتى تكون كالهباء المبعوث، ، ويفصل الله بين الخلائق بحمكه الذي لا يجور، 20

وتوقد نار جهنم التي أرصدها الله وأعددها للطاغين، وجعلها مثوى لهم ومآبا 21

وتوقد نار جهنم التي أرصدها الله وأعددها للطاغين، وجعلها مثوى لهم ومآبا ، 22

وأنهم يلبثون فيها أحقابا كثيرة و الحقب على ما قاله كثير من المفسرين: ثمانون سنة. 23

وهم إذا وردوها لا يذوقون فيها برذا ولا شرابا أي: لا ما يبرد جلودهم، ولا ما يدفع ظمأهم. 24

إلا حميما أي: ماء حارا، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم، وغساقا وهو: صديد أهل النار، الذي هو في غاية النتن، وكراهة المذاق، 25

استحقوا هذه العقوبات الفظيعة جزاء لهم ووفقا على ما عملوا من الأعمال الموصلة إليها، لم يظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم، 26

بها هذا الجزاء، فقال: إنهم كانوا لا يرجون حسابا أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا أن الله يجازي الخلق بالخير والشر، فلذلك أهملوا العمل للآخرة. 27

وذكر أعمالهم، التي استحقوا

وكذبوا بآياتنا كذابا أي: كذبوا بها تكذيبا واضحا صريحا وجاءتهم البينات فعاندوها. 28

المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ريبك أحدا 29
فلا يخشى المجرمون أنا عذبناهم بذنوب لم يعملوها، ولا يحسبوا أنه يضيع من أعمالهم شيء، أو ينسى منها مثقال ذرة، كما قال تعالى: ووضع الكتاب فترى
وكل شيء من قليل وكثير، وخير وشر أحصيناه كتابا أي: كتبناه في اللوح المحفوظ،

التكذيب والاستبعاد، وهو النبأ الذي لا يقبل الشك ولا يدخله الريب، ولكن المكذبون بلقاء ربهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم. 3
الذي هم فيه مختلفون أي: عن الخبر العظيم الذي طال فيه نزاعهم، وانتشر فيه خلافهم على وجه

الأليم والخزي الدائم فلن نزيدكم إلا عذابا وكل وقت وحين يزداد عذابهم وهذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار أجارنا الله منها. 30

فذوقوا أيها المكذبون هذا العذاب

ذكر مآل المتقين فقال: إن للمتقين مفازا أي: الذين اتقوا سخط ربهم، بالتمسك بطاعته، والانكفاف عما يكرهه فلهم مفاز ومنجي، وبعد عن النار. 31

لما ذكر حال المجرمين

حدائق وهي البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية، في الثمار التي تتفجر بين خلالها الأنهار، وخص الأعناب لشرفها وكثرتها في تلك الحدائق. 32 وفي ذلك المفاز لهم

اللاتي على سن واحد متقارب، ومن عادة الأتراب أن يكن متآلفات متعاشرات، وذلك السن الذي هن فيه ثلاث وثلاثون سنة، في أعدل سن الشباب . 33 ولهم فيها زوجات على مطالب النفوس كواعب وهي: النواهد اللاتي لم تتكسر ثديهن من شبابهن، وقوتهن ونضارتهن . والأتراب وكأسا دهاقا أي: مملوءة من رحيق، لذة للشاربين، 34

لا يسمعون فيها لغوا أي: كلاما لا فائدة فيه ولا كذابا أي: إثما. كما قال تعالى: لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قبلا سلاما سلاما 35 الثواب الجزيل من فضله وإحسانه. جزاء من ربك لهم عطاء حسابا أي: بسبب أعمالهم التي وفقهم الله لها، وجعلها ثمنا لجنته ونعيمها . 36 وإنما أعطاهم الله هذا

الشرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلم به صوابا، لأن ذلك اليوم هو الحق الذي لا يروج فيه الباطل، ولا ينفع فيه الكذب 37 يوم القيامة، وأن جميع الخلق كلهم ذلك اليوم ساكتون لا يتكلمون ولا يملكون منه خطابا إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، فلا يتكلم أحد إلا بهذين والأرض الذي خلقها ودبرها الرحمن الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم، ولطف بهم، حتى أدركوا ما أدركوا. ثم ذكر عظمتهم وملكه العظيم أي: الذي أعطاهم هذه العطايا هو ربهم رب السماوات

جبريل عليه السلام، الذي هو أشرف الملائكة والملائكة أيضا يقوم الجميع صفا خاضعين لله لا يتكلمون إلا بما أذن لهم الله به . 38 وفي ذلك اليوم يقوم الروح وهو

فلما رغب ورهب، وبشر وأنذر، قال: فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا أي: عملا، وقدم صدق يرجع إليه يوم القيامة. 39 ثم كلا سيعلمون أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون، حين يدعون إلى نار جهنم دعا، ويقال لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون 4 كلا سيعلمون

الكفار يتمنون الموت من شدة الحسرة والندم. نسأل الله أن يعافينا من الكفر والشر كله، إنه جواد كريم. تم تفسير سورة عم، والحمد لله رب العالمين 40 الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون الآيات. فإن وجد خيرا فليحمد الله، وإن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ولهذا كان ما هو آت فهو قريب. يوم ينظر المرء ما قدمت يداه أي: هذا الذي يهيم ويفزع إليه، فلينظر في هذه الدنيا إليه ، كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا إنا أنذرناكم عذابا قريبا لأنه قد أرف مقبلا، وكل

ثم كلا سيعلمون أي: سيعلمون إذا نزل بهم العذاب ما كانوا به يكذبون، حين يدعون إلى نار جهنم دعا، ويقال لهم: هذه النار التي كنتم بها تكذبون 5 كلا سيعلمون

أي: أما أنعمنا عليكم بنعم جليلة، فجعلنا لكم الأرض مهادا أي: مهيأة مهيأة لكم ولمصالحكم، من الحروث والمسكن والسبل. 6 والجال أوتادا تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم وتميد. 7

أي: ذكورا وإناثا من جنس واحد، ليسكن كل منهما إلى الآخر، فتكون المودة والرحمة، وتنشأ عنهما الذرية، وفي ضمن هذا الامتنان، بلذة المنكح. 8 وخلقناكم أزواجا

وجعلنا نومكم سباتا أي: راحة لكم، وقطعا لأشغالكم، التي متى تمادت بكم أضرت بأبدانكم، 9

سورة 79

الملائكة عند الموت وقبله وبعده، فقال: والنازعات غرقا وهم الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، وتغرق في نزاعها حتى تخرج الروح، فتجاذى بعملها. 1 المقسم عليه والمقسم به متحدا، وأنه أقسم على الملائكة، لأن الإيمان بهم أحد أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الدالة على كمال انقيادهم لأمر الله، وإسراعهم في تنفيذ أمره، يحتمل أن المقسم عليه، الجزاء والبعث، بدليل الإتيان بأحوال القيامة بعد ذلك، ويحتمل أن هذه الإقسامات بالملائكة الكرام، وأفعالهم

أبصارها خاشعة أي: ذليلة حقيرة، قد ملك قلوبهم الخوف، وأذل أفئدتهم الفزع، وغلب عليهم التأسف واستولت عليهم الحسرة. 10

يقولون أي: الكفار في الدنيا، على وجه التكذيب: أنذا كنا عظاما نخرة أي: بالية فتاتا. 11

تفسير السعدي

- قالوا تلك إذا كرة خاسرة أي: استبعدوا أن يبعثهم الله ويعيدهم بعدما كانوا عظاما نخرة، جهلا منهم بقدرة الله، وتجروا عليه. 12
- قال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه: فإنما هي زجرة واحدة ينفخ فيها في الصور. 13
- فإذا الخلائق كلهم بالساهرة أي: على وجه الأرض، قيام ينظرون، فيجمعهم الله ويقضي بينهم بحكمه العدل ويجازيهم. 14
- يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: هل أتاك حديث موسى وهذا الاستفهام عن أمر عظيم متحقق وقوعه. 15
- أي: هل أتاك حديثه إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى وهو المحل الذي كلمه الله فيه، وامتن عليه بالرسالة، واختصه بالوحي والاجتماع. 16
- اذهب إلى فرعون إنه طغى أي: فأنه عن طغيانه وشركه وعصيانته، بقول لين، وخطاب لطيف، لعله يتذكر أو يخشى. 17
- لك في خصلة حميدة، ومحمدة جميلة، يتنافس فيها أولو الألباب، وهي أن تزكي نفسك وتطهرها من دنس الكفر والطغيان، إلى الإيمان والعمل الصالح؟ 18
- فقل له: هل لك إلى أن تزكي أي: هل
- ربك أي: أدلك عليه، وأبين لك مواقع رضاه، من مواقع سخطه. فتخشى الله إذا علمت الصراط المستقيم، فامتنع فرعون مما دعاه إليه موسى. 19
- وأهديك إلى
- والناشطات نشطا وهم الملائكة أيضا، تجتذب الأرواح بقوة ونشاط، أو أن النزاع يكون لأرواح المؤمنين، والنشط لأرواح الكفار. 2
- فأراه الآتية الكبرى أي: جنس الآتية الكبرى، فلا ينافي تعددها فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين. 20
- فكذب بالحق وعصى الأمر، 21
- ثم أدبر يسعى أي: يجتهد في مبارزة الحق ومحاربته، 22
- فحشر جنوده أي: جمعهم فنأى 23
- فقال لهم: أنا ربكم الأعلى فأذعنوا له وأقروا بباطله حين استخفهم، 24
- فأخذ الله نكال الآخرة والأولى أي: صارت عقوبته دليلا وزاجرا، ومبينة لعقوبة الدنيا والآخرة، 25
- عرف أن كل من تكبر وعصى، وبارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ترحلت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها. 26
- إن في ذلك لعبرة لمن يخشى فإن من يخشى الله هو الذي ينتفع بالآيات والعبر، فإذا رأى عقوبة فرعون،
- البعث ومستعدي إعادة الله للأجساد: أنتم أيها البشر أشد خلقا أم السماء ذات الجرم العظيم، والخلق القوي، والارتفاع الباهر بناها الله. 27
- يقول تعالى مبينا دليلا واضحا لمنكري
- رفع سمكها أي: جرمها وصورتها، فسواها بإحكام وإتقان يحير العقول، ويذهل الألباب، 28
- أرجاء السماء، فأظلم وجه الأرض، وأخرج ضحاها أي: أظهر فيه النور العظيم، حين أتى بالشمس، فامتد الناس في مصالح دينهم ودنياهم. 29
- وأغطش ليلها أي: أظلمه، فعمت الظلمة جميع
- والسباحات أي: المترددات في الهواء صعودا ونزولا سبحا 3
- والأرض بعد ذلك أي: بعد خلق السماء دحاها أي: أودع فيها منافعها. 30
- أخرج منها ماءها ومرعاها 31
- فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم، لا بد أن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه، 32
- وهي دخان فقال لها وللأرض ائتنا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فالذي خلق السماوات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام، والأرض الكثيفة الغبراء، وما
- وأما خلق نفس الأرض، فمقدم على خلق السماء كما قال تعالى: قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى أن قال: ثم استوى إلى السماء
- والجبال أرساها أي: ثبتها في الأرض. فدحى الأرض بعد خلق السماء، كما هو نص هذه الآيات الكريمة.
- فيها من ضروريات الخلق ومنافعهم، لا بد أن يبعث الخلق المكلفين، فيجازيهم على أعمالهم، فمن أحسن فله الحسنى ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه، 33
- وهي دخان فقال لها وللأرض ائتنا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فالذي خلق السماوات العظام وما فيها من الأنوار والأجرام، والأرض الكثيفة الغبراء، وما
- وأما خلق نفس الأرض، فمقدم على خلق السماء كما قال تعالى: قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى أن قال: ثم استوى إلى السماء
- والجبال أرساها أي: ثبتها في الأرض. فدحى الأرض بعد خلق السماء، كما هو نص هذه الآيات الكريمة.
- إذا جاءت القيامة الكبرى، والشدة العظمى، التي يهون عندها كل شدة، فحينئذ يذهل الوالد عن ولده، والصاحب عن صاحبه وكل محب عن حبيبه. 34
- أي:

تفسير السعدي

- ويحزن لزيادة مثقال ذرة في سيئاته. ويعلم إذ ذاك أن مادة ربحه وخسرانه ما سواه في الدنيا، وينقطع كل سبب ووصلة كانت في الدنيا سوى الأعمال. 35
- يتذكر الإنسان ما سعى في الدنيا، من خير وشر، فيتمنى زيادة مثقال ذرة في حسناته، ويغمه وبرزت الجحيم لمن يرى أي: جعلت في البراز، ظاهرة لكل أحد، قد برزت لأهلها، واستعدت لأخذهم، منتظرة لأمر ربها. 36
- فأما من طغى أي: جاوز الحد، بأن تجرأ على المعاصي الكبار، ولم يقتصر على ما حده الله. 37
- وآثر الحياة الدنيا على الآخرة فصار سعيه لها، ووقته مستغرقا في حظوظها وشهواتها، ونسي الآخرة وترك العمل لها. 38
- فإن الجحيم هي المأوى له أي: المقر والمسكن لمن هذه حاله، 39
- فالسابقات لغيرها سبقا فتبادر لأمر الله، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رسل الله حتى لا تسترقه. 40
- هذا الخوف في قلبه فنهى نفسه عن هواها الذي يقيد بها عن طاعة الله، وصار هواه تبعا لما جاء به الرسول، وجاهد الهوى والشهوة الصادين عن الخير، 40
- وأما من خاف مقام ربه أي: خاف القيام عليه ومجازاته بالعدل، فأثر
- فإن الجنة المشتعلة على كل خير وسرور ونعيم هي المأوى لمن هذا وصفه. 41
- أي: يسألك المتعنتون المكذبون بالبعث عن الساعة متى وقوعها و أيا مرساها 42
- ولهذا لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في خفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه 43
- فأجابهم الله بقوله: فيم أنت من ذكراها أي: ما الفائدة لك ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس تحت ذلك نتيجة،
- لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتكم إلا بغته يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون. 44
- إلى ربك منتهاها أي: إليه ينتهي علمها، كما قال في الآية الأخرى: يسألونك عن الساعة أيا مرساها قل إنما علمها عند ربي
- ولا بتعنته، لأنه تعنت مبني على العناد والتكذيب، وإذا وصل إلى هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثا، ينزه الحكيم عنه تمت والحمد لله رب العالمين. 45
- نفعها لمن يخشى مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يديه، فهم الذين لا يهمهم سوى الاستعداد لها والعمل لأجلها. وأما من لا يؤمن بها، فلا يبالي به
- إنما أنت منذر من يخشاها أي: إنما نذارتك
- ولا بتعنته، لأنه تعنت مبني على العناد والتكذيب، وإذا وصل إلى هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثا، ينزه الحكيم عنه تمت والحمد لله رب العالمين. 46
- نفعها لمن يخشى مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يديه، فهم الذين لا يهمهم سوى الاستعداد لها والعمل لأجلها. وأما من لا يؤمن بها، فلا يبالي به
- إنما أنت منذر من يخشاها أي: إنما نذارتك
- أن يدبروا كثيرا من أمور العالم العلوي والسفلي، من الأمطار، والنبات، والأشجار، والرياح، والبحار، والأجنة، والحيوانات، والجنة، والنار وغير ذلك. 5
- فالمدبرات أمرا الملائكة، الذين وكلهم الله
- يوم ترجف الراجفة وهي قيام الساعة، 6
- تتبعها الرادفة أي: الرجفة الأخرى التي تردفها وتأتي تلوها، 7
- قلوب يومئذ واجفة أي: موجفة ومنزعجة من شدة ما ترى وتسمع. 8
- أبصارها خاشعة أي: ذليلة حقيرة، قد ملك قلوبهم الخوف، وأذهل أفئدتهم الفزع، وغلب عليهم التأسف واستولت عليهم الحسرة. 9

سورة 80

- عن الأعمى الفقير، رجاء لهداية ذلك الغني، وطمعا في تزكيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف، فقال: عبس أي: في وجهه وتولى في بدنه، 1
- الله عليه ويتعلم منه. وجاءه رجل من الأغنياء، وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على هداية الخلق، فمال صلى الله عليه وسلم وأصغى إلى الغني، وصد
- وسبب نزول هذه الآيات الكريمات، أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى يسأل النبي صلى
- أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 10
- أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشرف. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا يترك
- جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديقك وتعريضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو
- وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فأقبالك على من
- يقول تعالى: كلا إنها تذكرة أي: حقا إن هذه الموعظة تذكرة من الله، يذكر بها عباده، ويبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبين الرشد من الغي، 11

تفسير السعدي

- فإذا تبين ذلك فمن شاء ذكره أي: عمل به، كقوله تعالى: وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر 12
- ثم ذكر محل هذه التذكرة وعظمها ورفع قدرها، فقال: في صحف مكرمة 13
- مرفوعة القدر والرتبة مطهرة من الآفاق و عن أن تنالها أيدي الشياطين أو يسترقوها 14
- بأيدي سفرة وهم الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين عباده، 15
- الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلا، وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول، ولكن مع هذا أبى الإنسان إلا كفورا. 16
- كرام أي: كثيري الخير والبركة، بررة قلوبهم وأعمالهم. وذلك كله حفظ من الله لكتابه، أن جعل السفراء فيه إلى الرسل
- قتل الإنسان ما أكفره لنعمة الله وما أشد معاندته للحق بعدما تبين، وهو ما هو؟ 17
- هو من أضعف الأشياء، 18
- خلقه الله من ماء مهين، ثم قدر خلقه، وسواه بشرا سويا، وأتقن قواه الظاهرة والباطنة. 19
- لأجل مجيء الأعمى له، 2
- ثم السبيل يسره أي: يسر له الأسباب الدينية والدنيوية، وهداه السبيل، وبينه وامتنحه بالأمر والنهي، 20
- ثم أماته فأقيره أي: أكرمه بالدفن، ولم يجعله كسائر الحيوانات التي تكون جيفها على وجه الأرض، 21
- ثم إذا شاء أنشره أي: بعثه بعد موته للجزاء، فالله هو المنفرد بتدبير الإنسان وتصريفه بهذه التصاريف، لم يشاركه فيه مشارك، 22
- وهو مع هذا لا يقوم بما أمره الله، ولم يقض ما فرضه عليه، بل لا يزال مقصرا تحت الطلب. 23
- ثم أرشده تعالى إلى النظر والتفكير في طعامه، وكيف وصل إليه بعدما تكررت عليه طبقات عديدة، ويسره له فقال: فلينظر الإنسان إلى طعامه 24
- أنا صببنا الماء صبا أي: أنزلنا المطر على الأرض بكثرة. 25
- ثم شققنا الأرض للنبات شقا 26
- فأنبثنا فيها أصنافا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، والأقوات الشهية حبا وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها، 27
- وعنبا وقضبا وهو القث، 28
- وزيتونا ونخلا وخص هذه الأربعة لكثرة فوائدها ومنافعها. 29
- ثم ذكر الفائدة في الإقبال عليه، فقال: وما يدريك لعله أي: الأعمى يزكى أي: يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة؟ 3
- وحقائق غلبا أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الملتفة، 30
- وفاكهة وأبا الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان، من تين وعنب وخوخ ورمان، وغير ذلك. 31
- التي خلقها الله وسخرها لكم، فمن نظر في هذه النعم أوجب له ذلك شكره، وبذل الجهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعته، والتصديق بأخباره. 32
- والأب: ما تأكله البهائم والأنعام، ولهذا قال: متاعا لكم ولأنعامكم
- أي: إذا جاءت صيحة القيامة، التي تصخ لهولها الأسماع، وتنزعج لها الأفئدة يومئذ، مما يرى الناس من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال. 33
- يفر المرء من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه أي: زوجته وبنيه 34
- يفر المرء من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه أي: زوجته وبنيه 35
- يفر المرء من أعز الناس إليه، وأشفقهم لديه، من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه أي: زوجته وبنيه 36
- امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أي: قد شغلته نفسه، واهتم لفكاكها، ولم يكن له التفات إلى غيرها، فحينئذ ينقسم الخلق إلى فريقين: سعداء وأشقياء، 37
- لكل
- فأما السعداء، فوجوههم يومئذ مسفرة أي: قد ظهر فيها السرور والبهجة، من ما عرفوا من نجاتهم، وفوزهم بالنعيم، 38
- ضاحكة مستبشرة 39
- أو يذكر فتنفعه الذكرى أي: يتذكر ما ينفعه، فيعمل بتلك الذكرى. 4
- ووجوه الأشقياء يومئذ عليها غبرة 40
- ترهقها أي: تغشاها قترة فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيسست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها. 41

تفسير السعدي

الفجرة أي: الذين كفروا بنعمة الله وكذبوا بآيات الله، وتجرأوا على محارمه. نسأل الله العفو والعافية إنه جواد كريم والحمد لله رب العالمين. 42 أولئك الذين بهذا الوصف هم الكفرة

يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 5 من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديق وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك

يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 6 من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديق وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك

يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 7 من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديق وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك

يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 8 من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديق وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك

يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره. 9 من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: لا على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديق وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، بإقبالك

سورة 81

وعلم كل أحد ما قدمه لآخرته، وما أحضره فيها من خير وشر، وذلك إذا كان يوم القيامة تكور الشمس أي: تجمع وتلف، ويخسف القمر، ويلقيان في النار. 1 أي: إذا حصلت هذه الأمور الهائلة، تميز الخلق،

وإذا الصحف المشتعلة على ما عمله العاملون من خير وشر نشرت وفرقت على أهلها، فأخذ كتابه بيمينه، وأخذ كتابه بشماله، أو من وراء ظهره. 10

تعالى: يوم تشقق السماء بالغمام يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه 11 وإذا السماء كشطت أي: أزيلت، كما قال

وإذا الجحيم سعرت أي: أوقد عليها فاستعرت، والتهمت التها بما لم يكن لها قبل ذلك، 12

وإذا الجنة أزلفت أي: قربت للمتقين، 13

اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: من أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأي عين، فليتبدر سورة إذا الشمس كورت 14 الله بها يوم القيامة، من الأوصاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتد من أجلها الكروب، وترتعد الفرائص وتعم المخاوف، وتحت أولي الأبواب للاستعداد لذلك في سياق الشرط. ما أحضرت أي: ما حضر لديها من الأعمال التي قدمتها كما قال تعالى: ووجدوا ما عملوا حاضرا وهذه الأوصاف التي وصف علمت نفس أي: كل نفس، لإتيانها

فهذه السبعة لها سيران: سير إلى جهة المغرب مع باقي الكواكب والأفلاك، وسير معاكس لهذا من جهة المشرق تختص به هذه السبعة دون غيرها. 15 النجوم السبعة السيارة: الشمس، والقمر، والزهرة، والمشتري، والمريخ، وزحل، وعطارد،

أقسم تعالى بالخنس وهي الكواكب التي تخنس أي: تتأخر عن سير الكواكب المعتاد إلى جهة المشرق، وهي

تفسير السعدي

في حال خنوسها أي: تأخرها، وفي حال جريانها، وفي حال كنوسها أي: استتارها بالنهار، ويحتمل أن المراد بها جميع النجوم الكواكب السيارة وغيرها. 16
فأقسم الله بها

والليل إذا عسعس أي: أدبر وقيل: أقبل، 17

أي: بانت علائم الصبح، وانشق النور شيئا فشيئا حتى يستكمل وتطلع الشمس، وهذه آيات عظام، أقسم الله بها على علو سند القرآن وجلالته، 18
والصبح إذا تنفس

الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ووصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه، وكثره خصاله الحميدة، فإنه أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه، 19
من كل شيطان رجيم فقال: إنه لقول رسول كريم وهو: جبريل عليه السلام، نزل به من الله تعالى، كما قال تعالى: وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به وحفظه

وإذا النجوم انكدرت أي: تغيرت، وتساقطت من أفلاكها. 2

عند ذي العرش أي: جبريل مقرب عند الله، له منزلة رفيعة، وخصيصة من الله اختصه بها، مكين أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم. 20
ذي قوة على ما أمره الله به. ومن قوته أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم.

تعالى، فإنه بعث به هذا الملك الكريم، الموصوف بتلك الصفات الكاملة. والعادة أن الملوك لا ترسل الكريم عليها إلا في أهم المهمات، وأشرف الرسائل. 21
نافذ فيهم أمره، مطاع رأيه، أمين أي: ذو أمانة وقيام بما أمر به، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتعدى ما حد له، وهذا كله يدل على شرف القرآن عند الله
مطاع ثم أي: جبريل مطاع في المالأ الأعلى، لديه من الملائكة المقربين جنود،

المتقولون عليه من الأقوال، التي يريدون أن يطفئوا بها ما جاء به ما شاءوا وقدروا عليه، بل هو أكمل الناس عقلا، وأجزلهم رأيا، وأصدقهم لهجة. 22
البشري الذي نزل عليه القرآن، ودعا إليه الناس فقال: وما صاحبكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم بمجنون كما يقوله أعداؤه المكذبون برسالته،
ولما ذكر فضل الرسول الملكي الذي جاء بالقرآن، ذكر فضل الرسول

ولقد رآه بالأفق المبين أي: رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بالأفق البين، الذي هو أعلى ما يلوح للبصر. 23

وأخبارا متفرسين، إليهم الغاية في العلوم، وإليهم المنتهى في استخراج الدقائق والفهوم، وهم الأساتذة، وغيرهم قصاراه أن يكون من تلاميذهم. 24
ولا مرعوس، ولا ذكر ولا أنثى، ولا حضري ولا بدوي، ولذلك بعثه الله في أمة أمية، جاهلة جهلاء، فلم يمت صلى الله عليه وسلم حتى كانوا علماء ربانيين،
يكتم بعضهم، بل هو صلى الله عليه وسلم أمين أهل السماء وأهل الأرض، الذي بلغ رسالات ربه البلاغ المبين، فلم يشح بشيء منه، عن غني ولا فقير، ولا رئيس
وما هو على الغيب بضنين أي: وما هو على ما أوحاه الله إليه بمتهم يزيد فيه أو ينقص أو

وأنتى الله عليهما بما أثنى، دفع عنه كل آفة ونقص مما يقدح في صدقه، فقال: وما هو بقول شيطان رجيم أي: في غاية البعد عن الله وعن قربه، 25
وما هو بقول شيطان رجيم لما ذكر جلالة كتابه وفضله بذكر الرسولين الكريمين، اللذين وصل إلى الناس على أيديهما،

حتى جعلتم الحق الذي هو في أعلى درجات الصدق بمنزلة الكذب، الذي هو أنزل ما يكون وأرذل وأسفل الباطل؟ هل هذا إلا من انقلاب الحقائق. 26
فأين تذهبون أي: كيف يخطر هذا ببالكم، وأين عزبت عنكم أذهانكم؟

به الأوامر والنواهي وحكمها، ويتذكرون به الأحكام القدريّة والشرعية والجزائية، وبالجملة، يتذكرون به مصالح الدارين، وينالون بالعمل به السعادتين. 27
إن هو إلا ذكر للعالمين يتذكرون به ربهم، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من النقائص والردائل والأمثال، ويتذكرون

لمن شاء منكم أن يستقيم بعدما تبين الرشده من الغي، والهدى من الضلال. 28

نافذة، لا يمكن أن تعارض أو تمناع. وفي هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدريّة النفاة، والقدريّة المجبرة كما تقدم مثلها والله أعلم والحمد لله. 29
وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين أي: فمشيئته

وإذا الجبال سيرت أي: صارت كثيبا مهيلًا، ثم صارت كالعهن المنفوش، ثم تغيرت وصارت هباء منبثًا، وسيرت عن أماكنها. 3

فجاءهم ما يذهلهم عنها، فبه بالعشار، وهي النوق التي تتبعها أولادها، وهي أنفس أموال العرب إذ ذاك عندهم، على ما هو في معناها من كل نفيس. 4
وإذا العشار عطلت أي: عطل الناس حينئذ نفائس أموالهم التي كانوا يهتمون لها ويراعونها في جميع الأوقات،

حشرت أي: جمعت ليوم القيامة، ليقتص الله من بعضها لبعض، ويرى العباد كمال عدله، حتى إنه ليقتص من القرآن للجماة ثم يقول لها: كوني ترابا. 5
وإذا الوحوش

وإذا البحار سجرت أي: أوقدت فصارت على عظمها نارا تتوقد. 6

وهذا كقوله تعالى: وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا احشروا الذين ظلموا وأزواجهم . 7

تفسير السعدي

وإذا النفوس زوجت أي: قرن كل صاحب عمل مع نظيره، فجمع الأبرار مع الأبرار، والفجار مع الفجار، وزوج المؤمنون بالحوار العيون، والكافرون بالشياطين،

وإذا الموءودة سئلت وهو الذي كانت الجاهلية الجهلاء تفعله من دفن البنات وهن أحياء من غير سبب، إلا خشية الفقر. 8

فتسأل: بأي ذنب قتلت ومن المعلوم أنها ليس لها ذنب، ففي هذا توبيخ وتقريع لقاتليها. 9

سورة 82

أي: إذا انشقت السماء وانفطرت، 1

كراما يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرمهم وتجلوهم وتحترمهم. 10
وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة

كراما يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرمهم وتجلوهم وتحترمهم. 11
وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة

كراما يكتبون أقوالكم وأفعالكم ويعلمون أفعالكم، ودخل في هذا أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فاللائق بكم أن تكرمهم وتجلوهم وتحترمهم. 12
وأنتم لا بد أن تحاسبوا على ما عملتم، وقد أقام الله عليكم ملائكة

للبر، في أعمال القلوب وأعمال الجوارح، فهؤلاء جزاؤهم النعيم في القلب والروح والبدن، في دار الدنيا وفي دار البرزخ وفي دار القرار. 13
المراد بالأبرار، القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، الملازمون

في حقوق الله وحقوق عباده، الذين فجرت قلوبهم ففجرت أعمالهم لفي جحيم أي: عذاب أليم، في دار الدنيا و دار البرزخ وفي دار القرار. 14
وإن الفجار الذين قصروا

يصلونها ويعذبون بها أشد العذاب يوم الدين أي: يوم الجزاء على الأعمال. 15

وما هم عنها بغائبين أي: بل هم ملازمون لها، لا يخرجون منها. 16

وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ففي هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان. 17

وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين ففي هذا تهويل لذلك اليوم الشديد الذي يحير الأذهان. 18

مصافية، فكل مشغغل بنفسه لا يطلب الفكاك لغيرها. والأمر يومئذ لله فهو الذي يفصل بين العباد، ويأخذ للمظلوم حقه من ظالمه والله أعلم 19
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ولو كانت لها قريبة أو حبيبة

وانتشرت نجومها، وزال جمالها، 2

وفجرت البحار فصارت بحرا واحدا، 3

وبعثت القبور بأن أخرجت ما فيها من الأموات، 4

بالشقاء الأبدى والعذاب السرمدي. وهناك يفوز المتقون المقدمون لصالح الأعمال بالفوز العظيم، والنعيم المقيم والسلامة من عذاب الجحيم. 5
معها من الأرباح والخسران، هناك بعض الظالم على يديه إذا رأى أعماله باطلة، وميزانه قد خف، والمظالم قد تداعت إليه، والسيئات قد حضرت لديه، وأيقن وحشروا للموقف بين يدي الله للجزاء على الأعمال. فحينئذ ينكشف الغطاء، ويزول ما كان خفيا، وتعلم كل نفس ما

حق ربه، المتجرى على مسأخه: يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم أنهاونا منك في حقوقه؟ أم احتقارا منك لعذابه؟ أم عدم إيمان منك بجزائه؟ 6
يقول تعالى معاتباً للإنسان المقصر في

تقويم؟ فعدلك وربك تركيبا قويا معتدلا، في أحسن الأشكال، وأجمل الهيئات، فهل يليق بك أن تكفر نعمة المنعم، أو تجحد إحسان المحسن؟ 7
أليس هو الذي خلقك فسواك في أحسن

وعناده وغشمك، فاحمد الله أن لم يجعل صورتك صورة كلب أو حمار، أو نحوهما من الحيوانات؛ فهذا قال تعالى: في أي صورة ما شاء ركبك 8
إن هذا إلا من جهلك وظلمك

كلا بل تكذبون بالدين أي: مع هذا الوعظ والتذكير، لا تزالون مستمرين على التكذيب بالجزاء. 9

سورة 83

ويل كلمة عذاب، ووعيد للمطففين 1

ويل يومئذ للمكذبين 10

ثم بين المكذبين بأنهم الذين يكذبون بيوم الدين أي: يوم الجزاء، يوم يدين الله فيه الناس بأعمالهم. 11

من الحلال إلى الحرام. أئيم أي كثير الإثم، فهذا الذي يحمله عدوانه على التكذيب، ويحمله عدوانه على التكذيب ويوجب له كبره رد الحق، 12 وما يكذب به إلا كل معتد على محارم الله، متعد

جاءت به رسله، كذبها وعاندها، و قال هذه أساطير الأولين أي: من ترهات المتقدمين، وأخبار الأمم الغابرين، ليس من عند الله تكبرا وعنادا. 13 ولهذا إذا تتلى عليه آياتنا الدالة على الحق، وعلى صدق ما

من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، ما يجعله حق اليقين، وصار لقلوبهم مثل الشمس للأبصار ، بخلاف من ران على قلبه كسبه، وغطته معاصيه، 14 وأما من أنصف، وكان مقصوده الحق المبين، فإنه لا يكذب بيوم الدين، لأن الله قد أقام عليه

فإنه محجوب عن الحق، ولهذا جوزي على ذلك، بأن حجب عن الله، كما حجب قلبه في الدنيا عن آيات الله، 15

ثم إنهم مع هذه العقوبة البليغة لصالوا الجحيم 16

وتغطيه شيئا فشيئا، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقا، والحق باطلا، وهذا من بعض عقوبات الذنوب. 17 ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله. وفي هذه الآيات، التحذير من الذنوب، فإنها ترين على القلب عليهم من عذاب النار، ودل مفهوم الآية، على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات، ويبتهجون بخطابه، فذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب: عذاب الجحيم، وعذاب التوبيخ، واللوم. وعذاب الحجاب من رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا: هذا الذي كنتم به تكذبون

لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقتها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها 18

لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقتها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها 19

وفسر الله المطففين بقوله الذين إذا اكتالوا على الناس أي: أخذوا منهم وفاء عما ثبت لهم قبلهم يستوفون يستوفونه كاملا من غير نقص. 2

لما ذكر أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقتها، ذكر أن كتاب الأبرار في أعلاها وأوسعها، وأفسحها 20

يشهده المقربون من الملائكة الكرام، وأرواح الأنبياء، والصديقين والشهداء، وينوه الله بذكرهم في الملأ الأعلى، و عليون اسم لأعلى الجنة، 21 وأن كتابهم المرقوم

فلما ذكر كتابهم، ذكر أنهم في نعيم، وهو اسم جامع لنعيم القلب والروح والبدن، 22

على الأرائك أي: على السرر المزينة بالفرش الحسان. ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم، 23

تعرف أيها الناظر إليهم في وجوههم نضرة النعيم أي: بهاء النعيم ونضارته ورونقه، فإن توالي اللذة والسرور يكسب الوجه نورا وحسنا وبهجة. 24

يسقون من رحيق وهو من أطيب ما يكون من الأشربة وألذها، مختوم 25

أي: يتسابقوا في المبادرة إليه بالأعمال الموصلة إليه، فهذا أولى ما بذلت فيه نفائس الأنفاس، وأحرى ما تزاхمت للوصول إليه فحول الرجال. 26 الذي جرت العادة في الدنيا أنه يراق، يكون في الجنة بهذه المثابة، وفي ذلك النعيم المقيم، الذي لا يعلم حسنه ومقداره إلا الله، فليتنافس المتنافسون وذلك الختام، الذي ختم به، مسك. ويحتمل أن المراد أنه الذي يكون في آخر الإناء، الذي يشربون منه الرحيق حثالة، وهي المسك الأذفر، فهذا الكدر منه، ذلك الشراب ختامه مسك يحتمل أن المراد مختوم عن أن يداخله شيء ينقص لذته، أو يفسد طعمه،

ومزاج هذا الشراب من تسنيم، 27

على الإطلاق، فلذلك كانت خالصة للمقربين، الذين هم أعلى الخلق منزلة، وممزوجة لأصحاب اليمين أي: مخلوطة بالرحيق وغيره من الأشربة اللذيذة. 28 وهي عين يشرب بها المقربون صرفا، وهي أعلى أشربة الجنة

وجزاء المؤمنين و ذكر ما بينهما من التفاوت العظيم، أخبر أن المجرمين كانوا في الدنيا يسخرون بالمؤمنين، ويستهنئون بهم، ويضحكون منهم، 29

لما ذكر تعالى جزاء المجرمين

كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يعرف إنصاف الإنسان من تعصبه واعتسافه، وتواضعه من كبره، وعقله من سفهه، نسأل الله التوفيق لكل خير. 3
العادة أن كل واحد منهما يحرص على ماله من الحجج، فيجب عليه أيضاً أن يبين ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها، وأن ينظر في أدلة خصمه من الناس الذي له، يجب عليه أن يعطيهم كل ما لهم من الأموال والمعاملات، بل يدخل في عموم هذا الحجج والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت الذين يبخسون الناس بالمكيال والميزان، فالذي يأخذ أموالهم قهراً أو سرقة، أولى بهذا الوعيد من المطففين. ودلت الآية الكريمة، على أن الإنسان كما يأخذ إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو نحو ذلك. فهذا سرقة لأموال الناس، وعدم إنصاف لهم منهم. وإذا كان هذا الوعيد على وإذا كالوهم أو وزنوهم أي: إذا أعطوا الناس حقهم، الذي للناس عليهم بكيل أو وزن، يخسرون أي: ينقصونهم ذلك،

ويتغامزون بهم عند مرورهم عليهم، احتقاراً لهم وازدراء، ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف على بالهم، 30

وإذا انقلبوا إلى أهلهم صباحاً أو مساء انقلبوا فكهين أي: مسرورين مغتبطين ، 31

من الله وعهد، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل الهدى، وأن المؤمنين ضالون، افتراء على الله، وتجراً على القول عليه بلا علم. 32
وهذا من أعظم ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتى كأنهم قد جاءهم كتاب

وكلاء على المؤمنين ملزمين بحفظ أعمالهم، حتى يحرصوا على رميهم بالضلal، وما هذا منهم إلا تعنت وعناد وتلاعب، ليس له مستند ولا برهان، 33
وما أرسلوا عليهم حافظين أي: وما أرسلوا

الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم في غمرات العذاب يتقلبون، وقد ذهب عنهم ما كانوا يفترون، والمؤمنون في غاية الراحة والطمأنينة 34
ولهذا كان جزاؤهم في الآخرة من جنس عملهم، قال تعالى: فاليوم أي: يوم القيامة،

على الأرائك وهي السرر المزينة، ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم. 35

منهم في الآخرة، ورأوهم في العذاب والنكال، الذي هو عقوبة الغي والضلال. نعم، ثوبوا ما كانوا يفعلون، عدلاً من الله وحكمة، والله عليم حكيم. 36
هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون أي: هل جوزوا من جنس عملهم؟ فكما ضحكوا في الدنيا من المؤمنين ورموهم بالضلال، ضحك المؤمنون

على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، يحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه. 4
المطففين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فالذي جرأهم
ثم تواعد تعالى

على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، يحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه. 5
المطففين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فالذي جرأهم
ثم تواعد تعالى

على التطفيف عدم إيمانهم باليوم الآخر، وإلا فلو آمنوا به، وعرفوا أنهم يقومون بين يدي الله، يحاسبهم على القليل والكثير، لأقلعوا عن ذلك وتابوا منه. 6
المطففين، وتعجب من حالهم وإقامتهم على ما هم عليه، فقال: ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فالذي جرأهم
ثم تواعد تعالى

يقول تعالى: كلا إن كتاب الفجار وهذا شامل لكل فاجر من أنواع الكفرة والمنافقين، والفاسقين لفي سجين 7

ضد عليين الذي هو محل كتاب الأبرار، كما سيأتي. وقد قيل: إن سجين هو أسفل الأرض السابعة، مأوى الفجار ومستقرهم في معادهم. 8
وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم أي: كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة، والسجين: المحل الضيق الضنك، و سجين

ضد عليين الذي هو محل كتاب الأبرار، كما سيأتي. وقد قيل: إن سجين هو أسفل الأرض السابعة، مأوى الفجار ومستقرهم في معادهم. 9
وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم أي: كتاب مذكور فيه أعمالهم الخبيثة، والسجين: المحل الضيق الضنك، و سجين

سورة 84

يكون في يوم القيامة من تغير الأجرام العظام: إذا السماء انشقت أي: انفطرت وتمايز بعضها من بعض، وانتثرت نجومها، وخسف بشمسها وقمرها. 1
يقول تعالى مبيناً لما

وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي: بشماله من خلفه. 10

فسوف يدعو ثبورا من الخزي والفضيحة، وما يجد في كتابه من الأعمال التي قدمها ولم يتب منها. 11

تفسير السعدي

- ويصلى سعيرا أي: تحيط به السعير من كل جانب، ويقلب على عذابها، وذلك لأنه في الدنيا 12
كان في أهله مسرورا لا يخطر البعث على باله، وقد أساء. 13
ولم يظن أنه راجع إلى ربه وموقوف بين يديه. 14
بلى إن ربه كان به بصيرا فلا يحسن أن يتركه سدى، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب. 15
أقسم في هذا الموضع بآيات الليل، فأقسم بالشفق الذي هو بقية نور الشمس، الذي هو مفتتح الليل. 16
والليل وما وسق أي: احتوى عليه من حيوانات وغيرها. 17
والقمر إذا اتسق أي: امتلأ نورا بإبداره، وذلك أحسن ما يكون وأكثر منافع. 18
الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، الموحد، المدبر لعباده بحكمته ورحمته، وأن العبد فقير عاجز، تحت تدبير العزيز الرحيم. 19
نفخ الروح، ثم يكون وليدا وطفلا، ثم مميزا، ثم يجري عليه قلم التكليف، والأمر والنهي، ثم يموت بعد ذلك، ثم يبعث ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات المختلفة والمقسم عليه قوله: لتركن أي: أيها الناس طبقا عن طبق أي: أطوارا متعددة وأحوالا متباينة، من النطفة إلى العلقة، إلى المضغة، إلى أي: استمعت لأمره، وألقت سمعها، وأصاحت لخطابه، وحق لها ذلك، فإنها مسخرة مدبرة تحت مسخر ملك عظيم، لا يعصى أمره، ولا يخالف حكمه. 2
وأذنت لربها
ومع هذا، فكثير من الناس لا يؤمنون. 20
وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون أي: لا يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، 21
بل الذين كفروا يكذبون أي: يعاندون الحق بعدما تبين، فلا يستغرب عدم إيمانهم وعدم انقيادهم للقرآن، فإن المكذب بالحق عنادا، لا حيلة فيه. 22
والله أعلم بما يوعون أي: بما يعملونه وينوونه سرا، فالله يعلم سرهم وجهرهم، وسيجازيهم بأعمالهم. 23
فبشرهم بعذاب أليم وسميت البشارة بشارة، لأنها تؤثر في البشرية سرورا أو غما. فهذه حال أكثر الناس، التكذيب بالقرآن، وعدم الإيمان به. 24
فهؤلاء لهم أجر غير ممنون أي: غير مقطوع بل هو أجر دائم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. تم تفسير السورة ولله الحمد. 25
ومن الناس فريق هداهم الله، فأمنوا بالله، وقبلوا ما جاءتهم به الرسل، فأمنوا وعملوا الصالحات.
ومعلم، فسويت، ومدها الله تعالى مد الأديم، حتى صارت واسعة جدا، تسع أهل الموقف على كثرتهم، فتصير قاعا صاففا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا. 3
وإذا الأرض مدت أي: رجفت وارتجت، ونسفت عليها جبالها، ودك ما عليها من بناء
الأموات من الأحداث إلى وجه الأرض، وتخرج الأرض كنوزها، حتى تكون كالأسطوان العظيم، يشاهده الخلق، ويتحسرون على ما هم فيه يتنافسون. 4
وألقت ما فيها من الأموات والكنوز. وتخلت منهم، فإنه ينفخ في الصور، فتخرج
وأذنت لربها وحقت 5
بأوامره ونواهيه، ومتقرب إليه إما بالخير وإما بالشر، ثم تلاقي الله يوم القيامة، فلا تعدم منه جزاء بالفضل إن كنت سعيدا، أو بالعدل إن كنت شقيا. 6
يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه أي: إنك ساع إلى الله، وعامل
ولهذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال: فأما من أوتي كتابه بيمينه وهم أهل السعادة. 7
على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى له: إني قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم. 8
فسوف يحاسب حسابا يسيرا وهو العرض اليسير
وينقلب إلى أهله في الجنة مسرورا لأنه نجا من العذاب وفاز بالثواب. 9

سورة 85

- على منازل الشمس والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها، على أكمل ترتيب ونظام دال على كمال قدرة الله تعالى ورحمته، وسعة علمه وحكمته. 1
والسماء ذات البروج أي: ذات المنازل المشتملة
الحريق أي: العذاب الشديد المحرق. قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود، هم قتلوا أوليائه وأهل طاعته، وهو يدعوهم إلى التوبة. 10
ثم وعدهم، وأوعدهم، وعرض عليهم التوبة، فقال: إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب
بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير الذي حصل به الفوز برضا الله ودار كرامته. 11

تفسير السعدي

ولما ذكر عقوبة الظالمين، ذكر ثواب المؤمنين، فقال: إن الذين آمنوا

والذنوب العظام لقوية شديدة، وهو بالمرصاد للظالمين كما قال الله تعالى: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد 12
إن بطش ربك لشديد أي: إن عقوبته لأهل الجرائم

إنه هو يبدئ ويعيد أي: هو المنفرد بإبداء الخلق وإعادته، فلا مشارك له في ذلك . 13

فرحا بتوبة العبد من هذا براجلته، وهذا أعظم فرح يقدر. فله الحمد والثناء، وصفو الوداد، ما أعظم بره، وأكثر خيره، وأغزر إحسانه، وأوسع امتنانه 14
فأصلها في أرض فلاة مهلكة، فأيس منها، فاضطجع في ظل شجرة ينتظر الموت، فبينما هو على تلك الحال، إذا راحلته على رأسه، فأخذ بخطامها، فالله أعظم
يقال: بل تغفر ذنوبهم، ولا يرجع إليهم الود، كما قاله بعض الغالطين. بل الله أفرح بتوبة عبده حين يتوب، من رجل له راحلة، عليها طعامه وشرابه وما يصلحه،
هي المحبة الصافية، وفي هذا سر لطيف، حيث قرن الودود بالغفور، ليدل ذلك على أن أهل الذنوب إذا تابوا إلى الله وأتابوا، غفر لهم ذنوبهم وأحبهم، فلا
تتقدم جميع المحاب وتغلبها، وإن لم يكن غيرها تبعاً لها، كانت عذاباً على أهلها، وهو تعالى الودود، الواد لأحبابه، كما قال تعالى: يحبهم ويحبونه والمودة
والمعاني والأفعال، فمحبتهم في قلوب خواص خلقه، التابعة لذلك، لا يشبهها شيء من أنواع المحاب، ولهذا كانت محبته أصل العبودية، وهي المحبة التي
لمن تاب، ويعفو عن السيئات لمن استغفره وأتاب. الودود الذي يحبه أحبابه محبة لا يشبهها شيء فكما أنه لا يشابهه شيء في صفات الجلال والجمال،
وهو الغفور الذي يغفر الذنوب جميعها

منه تعالى، وهذا على قراءة الجر، يكون المجيد نعتاً للعرش، وأما على قراءة الرفع، فإن المجيد نعت لله ، والمجد سعة الأوصاف وعظمتها. 15
والأرض والكرسي، فهي بالنسبة إلى العرش كحلقة ملقاة في فلاة، بالنسبة لسائر الأرض، وخص الله العرش بالذكر، لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب
ذو العرش المجيد أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته، أنه وسع السماوات

وليس أحد فعالاً لما يريد إلا الله. فإن المخلوقات، ولو أرادت شيئاً، فإنه لا بد لإرادتها من معاون وممانع، والله لا معاون لإرادته، ولا ممانع له مما أراد. 16
فعال لما يريد أي: مهما أراد شيئاً فعله، إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون،

ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين. 17

ثم

ذكر من أفعاله الدالة على صدق ما جاءت به رسله، فقال: هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود وكيف كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين. 18

ثم

بل الذين كفروا في تكذيب أي: لا يزالون مستمرين على التكذيب والعناد، لا تنفع فيهم الآيات، ولا تجدي لديهم العظات. 19

وهو يوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، ويضم فيه أولهم وآخرهم، وقاصيهم ودانيهم، الذي لا يمكن أن يتغير، ولا يخلف الله الميعاد. 2
واليوم الموعد

محيط أي: قد أحاط بهم علماً وقدرة، كقوله: إن ربك لبالمرصاد ففيه الوعيد الشديد للكافرين، من عقوبة من هم في قبضته، وتحت تدبيره. 20
والله من ورائهم

بل هو قرآن مجيد أي: وسيع المعاني عظيمها، كثير الخير والعلم. 21

وهو: اللوح المحفوظ الذي قد أثبت الله فيه كل شيء. وهذا يدل على جلالة القرآن وجزالته، ورفعة قدره عند الله تعالى، والله أعلم. تم تفسير السورة. 22
في لوح محفوظ من التغيير والزيادة والنقص، ومحفوظ من الشياطين،

وشاهد ومشهود وشمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف أي: مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي. 3

استمر على الإيمان كذفوه في النار، وهذا في غاية المحاربة لله ولحزبه المؤمنين، ولهذا لعنهم الله وأهلكهم وتوعدهم فقال: قتل أصحاب الأخدود 4
من ذلك، فشق الكافرون أخدوداً في الأرض، وقذفوا فيها النار، وقعدوا حولها، وفتنوا المؤمنين، وعرضوهم عليها، فمن استجاب لهم أطلقوه، ومن
الأخدود الحفر التي تحفر في الأرض. وكان أصحاب الأخدود هؤلاء قوماً كافرين، ولديهم قوم مؤمنون، فراودوهم للدخول في دينهم، فامتنع المؤمنون
تضمنه هذا القسم من آيات الله الباهرة، وحكمه الظاهرة، ورحمته الواسعة. وقيل: إن المقسم عليه قوله قتل أصحاب الأخدود وهذا دعاء عليهم بالهلاك. و
والمقسم عليه، ما

عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله. 5
ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما تقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون
إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها،
ثم فسر الأخدود بقوله: النار ذات الوقود

تفسير السعدي

عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله. 6
ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقاءهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون
إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها،
ثم فسر الأخدود بقوله: النار ذات الوقود

عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله. 7
ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقاءهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون
إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها،
ثم فسر الأخدود بقوله: النار ذات الوقود

عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله. 8
ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقاءهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون
إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها،
ثم فسر الأخدود بقوله: النار ذات الوقود

من دون إذن المالك؟ أو خفي عليهم أن الله محيط بأعمالهم، مجاز لهم على فعالهم ؟ كلا إن الكافر في غرور، والظالم في جهل وعمى عن سواء السبيل. 9
علما وسمعا وبصرا، أفلا خاف هؤلاء المتمردون على الله، أن يبطش بهم العزيز المقتدر، أو ما علموا أنهم جميعهم ممالك لله ، ليس لأحد على أحد سلطة،
الذي له ملك السماوات والأرض خلقا وعبدا، يتصرف فيهم تصرف المالك بملكه ، والله على كل شيء شهيد

سورة 86

يقول الله تعالى: والسماء والطارق 1

فما له من قوة يدفع بها عن نفسه ولا ناصر خارجي ينتصر به، فهذا القسم على حالة العاملين وقت عملهم وعند جزائهم. 10
كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون والبهائم، وترجع السماء أيضا بالأقدار والشئون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات . 11
ثم أقسم قسما ثانيا على صحة القرآن، فقال: والسماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع أي: ترجع السماء بالمطر
كل عام، وتنصدع الأرض للنبات، فيعيش بذلك الآدميون والبهائم، وترجع السماء أيضا بالأقدار والشئون الإلهية كل وقت، وتنصدع الأرض عن الأموات . 12
ثم أقسم قسما ثانيا على صحة القرآن، فقال: والسماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع أي: ترجع السماء بالمطر
إنه أي: القرآن لقول فصل أي: حق وصدق بين واضح. 13

جد ليس بالهزل، وهو القول الذي يفصل بين الطوائف والمقاتلات، وتتفصل به الخصومات. إنهم أي: المكذبين للرسول صلى الله عليه وسلم، وللقرآن 14
وما هو بالهزل أي:

يكيدون كيدا ليدفعوا بكيدهم الحق، ويؤيدوا الباطل. 15

لإظهار الحق، ولو كره الكافرون، ولدفع ما جاءوا به من الباطل، ويعلم بهذا من الغالب، فإن الآدمي أضعف وأحق من أن يغالب القوي العليم في كيد. 16
وأكيد كيدا

فمهل الكافرين أمهلهم رويدا أي: قليلا، فسيعلمون عاقبة أمرهم، حين ينزل بهم العقاب. تم تفسير سورة الطارق، والحمد لله رب العالمين. 17

يقول الله تعالى: والسماء والطارق 2

اسم جنس يشمل سائر النجوم الثواقب. وقد قيل: إنه زحل الذي يخرق السماوات السبع وينفذ فيها فيرى منها. وسمي طارقا، لأنه يطرق ليلا. 3
ثم فسر الطارق بقوله: النجم الثاقب أي: المضيء، الذي يتقب نور، فيخرق السماوات فينفذ حتى يرى في الأرض، والصحيح أنه
والمقسم عليه قوله: إن كل نفس لما عليها حافظ يحفظ عليها أعمالها الصالحة والسيئة، وستجازى بعملها المحفوظ عليها. 4

فلينظر الإنسان مم خلق أي: فليتدبر خلقته ومبدأه. 5

فإنه مخلوق من ماء دافق وهو: المني 6

فإنها تستعمل في الرجل، فإن الترائب للرجل، بمنزلة الثديين للأنثى، فلو أريدت الأنثى لقال: من بين الصلب والثديين ونحو ذلك، والله أعلم. 7
يخرج منه ما بين صلبه وترائب، ولعل هذا أولى، فإنه إنما وصف الله به الماء الدافق، والذي يحس به ويشاهد دفق، هو مني الرجل، وكذلك لفظ الترائب

تفسير السعدي

من بين الصلب والترائب يحتمل أنه من بين صلب الرجل وترائب المرأة، وهي ثدياها. ويحتمل أن المراد المني الدافق، وهو مني الرجل، وأن محله الذي المني الذي يخرج

والجزاء ، وقد قيل: إن معناه، أن الله على رجح الماء المدفوق في الصلب لقادر، وهذا وإن كان المعنى صحيحا فليس هو المراد من الآية. 8
فالذي أوجد الإنسان من ماء دافق، يخرج من هذا الموضع الصعب، قادر على رجعه في الآخرة، وإعادته للبعث، والنشور
وجوه وتسود وجوه ففي الدنيا، تنكتم كثير من الأمور، ولا تظهر عيانا للناس، وأما في القيامة، فيظهر بر الأبرار، وفجور الفجار، وتصير الأمور علانية. 9
يوم تبلى السرائر أي: تختبر سرائر الصدور، ويظهر ما كان في القلوب من خير وشر على صفحات الوجوه قال تعالى: يوم تبيض

سورة 87

لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحا، يليق بعظمة الله تعالى، بأن تذكر أسمائه الحسنى العالية على كل اسم بمعناها الحسن العظيم . 1
يأمر تعالى بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع
سيذكر من يخشى الله تعالى، فإن خشية الله تعالى، وعلمه بأن سيجازيه على أعماله ، توجب للعبد الانكفاف عن المعاصي والسعي في الخيرات. 10
فأما المنتفعون، فقد ذكرهم بقوله:

وأما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله: ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى وهي النار الموقدة، التي تطلع على الأفئدة. 11
وأما غير المنتفعين، فذكرهم بقوله: ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى وهي النار الموقدة، التي تطلع على الأفئدة. 12
أليما، من غير راحة ولا استراحة، حتى إنهم يتمنون الموت فلا يحصل لهم، كما قال تعالى: لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها . 13
ثم لا يموت فيها ولا يحيا أي: يعذب عذابا

قد أفلح من تزكى أي: قد فاز وربح من طهر نفسه ونقاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق. 14
قوله تزكى بمعنى أخرج زكاة الفطر، وذكر اسم ربه فصلى، أنه صلاة العيد، فإنه وإن كان داخلا في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنى وحده. 15
أي: اتصف بذكر الله، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله، خصوصا الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنى الآية الكريمة، وأما من فسر وذكر اسم ربه فصلى

بل تؤثر الحياة الدنيا أي: تقدمونها على الآخرة، وتختارون نعيمها المنغص المكدر الزائل على الآخرة. 16
والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ على الأجود، ولا يبيع لذة ساعة، بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها على الآخرة رأس كل خطيئة. 17
والآخرة خير وأبقى وللآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقى لكونها دار خلد وبقاء وصفاء،

إن هذا المذكور لكم في هذه السورة المباركة، من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة لفي الصحف الأولى 18
الله وسلم عليه وسلم. فهذه أوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان. تم تفسير سورة سبح، ولله الحمد 19
صحف إبراهيم وموسى اللذين هما أشرف المرسلين، سوى النبي محمد صلى
وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسواها، أي: أتقنها وأحسن خلقها. 2

والذي قدر تقديرا، تتبعه جميع المقدرات فهدى إلى ذلك جميع المخلوقات. 3
ماء فأثبت به أنواع النبات والعشب الكثير، فرتع فيها الناس والبهائم وكل حيوان ، ثم بعد أن استكمل ما قدر له من الشباب، ألوى نباته، وصوح عشب. 4
وهذه الهداية العامة، التي مضمونها أنه هدى كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال فيها: والذي أخرج المرعى أي: أنزل من السماء
فجعله غثاء أحوى أي: أسود أي: جعله هشيما رميما، ويذكر فيها نعمه الدينية. 5
إليك من الكتاب، ونوعيه قلبك، فلا تنسى منه شيئا، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، أن الله سيعلمه علما لا ينساه. 6
سنقرئك فلا تنسى أي: سنحفظ ما أوحينا

اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة، إنه يعلم الجهر وما يخفى ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده أي: فلذلك يشرع ما أراد، ويحكم بما يريد . 7
إلا ما شاء الله مما

ونيسرك لليسرى وهذه أيضا بشارة كبيرة ، أن الله ييسر رسوله صلى الله عليه وسلم لليسرى في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسرا . 8
كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير، لم تكن الذكرى مأمورا بها، بل منهي عنها، فالذكرى ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين. 9

إن نفعت الذكرى أي: ما دامت الذكرى مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه. ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن فذكر بشرع الله وآياته

سورة 88

القيامة وما فيها من الأهوال الطامة، وأنها تغشى الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميزون إلى فريقين: فريقا في الجنة، وفريقا في السعير. 1 يذكر تعالى أحوال يوم

للذيذة، المثمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول، بحيث ينالونها على أي: حال كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو يستعصي عليهم منها ثمرة. 10 أعلى عليين، ومنازلها مساكن عالية، لها غرف ومن فوق الغرف غرف مبنية يشرفون منها على ما أعد الله لهم من الكرامة. قطوفها دانية أي: كثيرة الفواكه وذلك أنها في جنة جامعة لأنواع النعيم كلها، عالية في محلها ومنازلها، فمحلها في

نافع مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، وعلى الآداب المستحسنة بين المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور. 11 لا تسمع فيها أي: الجنة لاغية أي: كلمة لغو وباطل، فضلا عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن

فيها عين جارية وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاءوا، وأنى أرادوا. 12

فيها سرر مرفوعة و السرر جمع سرير وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطينة. 13

أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة للذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون. 14 وأكواب موضوعة

أي: وسائل من الحرير والاستبرق وغيرها مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها بأنفسهم. 15 ونمارق مصفوفة

وزرابي ماثوثة والزرابي هي: البسط الحسان، ماثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب. 16

أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت أي: ألا ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد، وذلكها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها. 17 يقول تعالى حثا للذين لا يصدقون الرسول صلى الله عليه وسلم، ولغيرهم من الناس، أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده:

أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت أي: ألا ينظرون إلى خلقها البديع، وكيف سخرها الله للعباد، وذلكها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها. 18 يقول تعالى حثا للذين لا يصدقون الرسول صلى الله عليه وسلم، ولغيرهم من الناس، أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده:

وإلى الجبال كيف نصبت بهيئة باهرة، حصل بها استقرار الأرض وثباتها عن الاضطراب، وأودع فيها من المنافع الجليلة ما أودع. 19

فأخبر عن وصف كلا الفريقين، فقال في وصف أهل النار: وجوه يومئذ أي: يوم القيامة خاشعة من الذل، والفضيحة والخزي. 2

لم يبق له استدارة تذكر. وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة، فيكون كرويا مسطحا، ولا يتنافى الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة. 20 هذه الأزمنة، التي وقف الناس على أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقربة للبعد، فإن التسطیح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدا، الذي لو سطح مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دل على ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصا في الخلائق على ظهرها، ويتمكنوا من حرثها وغراسها، والبنیان فيها، وسلوك الطرق الموصلة إلى أنواع المقاصد فيها. واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة وإلى الأرض كيف سطحت أي: مدت مدا واسعا، وسهلت غاية التسهيل، ليستقر

فذكر إنما أنت مذكر أي: ذكر الناس وعظهم، وأنذرهم وبشرهم، فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلى الله وتذكيرهم. 21

عليهم، مسلطا موكلا بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم، كقوله تعالى: وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد. 22

ولم تبعث مسيطرا

إلا من تولى وكفر أي: لكن من تولى عن الطاعة وكفر بالله 23

فيعذبه الله العذاب الأكبر أي: الشديد الدائم، 24

إن إلينا إيابهم أي: رجوع الخليقة وجمعهم في يوم القيامة. 25

ثم إن علينا حسابهم فنحاسهم على ما عملوا من خير وشر. آخر تفسير سورة الغاشية، والحمد لله رب العالمين 26

وذلك الاحتمال جزء قليل من أهل النار بالنسبة إلى أهلها ؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا. 3

تفسير السعدي

فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول، لأنه قيده بالظرف، وهو يوم القيامة، ولأن المقصود هنا بيان وصف أهل النار عموماً، الدنيا لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان، صار يوم القيامة هباء منثوراً، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحاً من حيث المعنى، عاملة ناصبة أي: تابعة في العذاب، تجر على وجوهها، وتغشى وجوههم النار. ويحتمل أن المراد بقوله: وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة في

تصلى نارا حامية أي: شديدا حرها، تحيط بهم من كل مكان. 4

تسقى من عين آتية أي: حارة شديدة الحرارة وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه فهذا شرابهم. 5

عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والتنت والخسة نسأل الله العافية. 6 وأما طعامهم ف ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل

عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والتنت والخسة نسأل الله العافية. 7 وأما طعامهم ف ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع وذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل

وأما أهل الخير، فوجوههم يوم القيامة ناعمة أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسروا غاية السرور. 8

قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلى عباد الله، راضية إذ وجدت ثوابه مدخراً مضاعفاً، فحمدت عقباه، وحصل لها كل ما تتمناه. 9 لسعيها الذي

سورة 89

على الصحيح: ليالي عشر رمضان، أو عشر ذي الحجة، فإنها ليالٍ مشتملة على أيام فاضلة، ويقع فيها من العبادات والقربات ما لا يقع في غيرها. 1 وحده المدبر لجميع الأمور، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظمة، يحسن أن يقسم الله بها، ولهذا أقسم بعده بالليالي العشر، وهي كذلك في هذا الموضع. فأقسم تعالى بالفجر، الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار، لما في إدبار الليل وإقبال النهار، من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه الظاهر أن المقسم به، هو المقسم عليه، وذلك جائز مستعمل، إذا كان أمراً ظاهراً مهماً، وهو

وفرعون ذي الأوتاد أي: ذي الجنود الذين ثبتوا ملكه، كما تثبت الأوتاد ما يراد إمساكه بها. 10

الذين طغوا في البلاد هذا الوصف عائد إلى عاد وثمود وفرعون ومن تبعهم، فإنهم طغوا في بلاد الله، وآذوا عباد الله، في دينهم ودنياهم، ولهذا قال: 11

فأكثروا فيها الفساد وهو العمل بالكفر وشعبه، من جميع أجناس المعاصي، وسعوا في محاربة الرسل وصد الناس عن سبيل الله. 12

فلما بلغوا من العتو ما هو موجب لهلاكهم، أرسل الله عليهم من عذابه ذنوباً وسوط عذاب. 13

إن ربك لبالمرصاد لمن عصاه يمهله قليلاً، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر. 14

ظالم، لا علم له بالعواقب، يظن الحالة التي تقع فيه تستمر ولا تزول، ويظن أن إكرام الله في الدنيا وإنعامه عليه يدل على كرامته عنده وقربه منه. 15 يخبر تعالى عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه جاهل

وأنه إذا قدر عليه رزقه أي: ضيقه، فصار يقدر قوته لا يفضل منه، أن هذا إهانة من الله له. 16

فقد أباه وكاسبه، واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه. فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه، وهذا يدل على عدم الرحمة في قلوبكم، وعدم الرغبة في الخير. 17 همة العبد عند مراد نفسه فقط، من ضعف الهمة، ولهذا لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: كلا بل لا تكرمون اليتيم الذي وامتحان يمتحن به العباد، ليرى من يقوم له بالشكر والصبر، فيثيبه على ذلك الثواب الجزيل، ممن ليس كذلك فينقله إلى العذاب الوبيل. وأيضاً، فإن وقوف بقوله كلا أي: ليس كل من نعمته في الدنيا فهو كريم علي، ولا كل من قدرت عليه رزقه فهو مهان لدي، وإنما الغنى والفقر، والسعة والضيق، ابتلاء من الله، فرد الله عليه هذا الحساب:

أي: لا يحض بعضكم بعضاً على إطعام المحاويع من المساكين والفقراء، وذلك لأجل الشح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب. 18 ولا تحاضون على طعام المسكين

وتأكلون التراث أي: المال المخلف أكلاً لما أي: ذريعاً، لا تبقون على شيء منه. 19

يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة لأن يقسم الله بها. 2 ركن من أركان الإسلام. وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رأي الشيطان أحقر ولا أدر منه في وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو

تفسير السعدي

- المال حبا جما أي: كثيرا شديدا، وهذا كقوله تعالى: بل تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة . 20
وتحبون
- فيه من اللذات، بباق لكم، بل أمامكم يوم عظيم، وهول جسيم، تدك فيه الأرض والجبال وما عليها حتى تجعل قاعا صفصفا لا عوج فيه ولا أمت. 21
كلا أي: ليس كل ما أحببتم من الأموال، وتنافستم
- كلهم، صفا صفا أي: صفا بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفا، يحيطون بمن دونهم من الخلق، وهذه الصفوف صفوف خضوع وذلل للملك الجبار. 22
ويجيء الله تعالى لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام، أهل السماوات
- الملائكة بالسلاسل. فإذا وقعت هذه الأمور ف يومئذ يتذكر الإنسان ما قدمه من خير وشر. وأنى له الذكرى فقد فات أوانها، وذهب زمانها. 23
وجيء يومئذ بجهنم تقودها
- خليلًا . وفي الآية دليل على أن الحياة التي ينبغي السعي في أصلها وكمالها ، وفي تتميم لذاتها، هي الحياة في دار القرار، فإنها دار الخلد والبقاء. 24
جنب الله: يا ليتني قدمت لحياتي الدائمة الباقية، عملا صالحا، كما قال تعالى: يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا
يقول متحسرا على ما فرط في
- فيومئذ لا يعذب عذابه أحد لمن أهمل ذلك اليوم ونسي العمل له. 25
- ولا يوثق وثاقه أحد فإنهم يقرنون بسلاسل من نار، ويسحبون على وجوههم في الحميم، ثم في النار يسجرون، فهذا جزاء المجرمين. 26
وأما من اطمأن إلى الله وآمن به وصدق رسله، فيقال له: يا أيها النفس المطمئنة إلى ذكر الله، الساكنة إلى حبه، التي قرت عينها بالله. 27
وأسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه راضية مرضية أي: راضية عن الله، وعن ما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها. 28
ارجعي إلى ربك الذي رباك بنعمته،
- فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به حال الموت والحمد لله رب العالمين. 29
- يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة لأن يقسم الله بها. 3
ركن من أركان الإسلام. وفي أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رئي الشيطان أحقر ولا أحر منه في
وفي ليالي عشر رمضان ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، وفي نهارها، صيام آخر رمضان الذي هو
- فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به حال الموت والحمد لله رب العالمين. 30
- والليل إذا يسر أي: وقت سريانه وإرخائه ظلامه على العباد، فيسكنون ويستريحون ويطمئنون، رحمة منه تعالى وحكمة. 4
هل في ذلك المذكور قسم لذي حجر أي: لذي عقل؟ نعم، بعض ذلك يكفي، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. 5
يقول تعالى: ألم تر بقلبك وبصيرتك كيف فعل بهذه الأمم الطاغية 6
- إرم القبيلة المعروفة في اليمن ذات العماد أي: القوة الشديدة، والعنوت والتجبر. 7
- والشدة، كما قال لهم نبيهم هود عليه السلام: واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون . 8
التي لم يخلق مثلها أي: مثل عاد في البلاد أي: في جميع البلدان في القوة
- وئمود الذين جابوا الصخر بالواد أي: وادي القرى، نحتوا بقوتهم الصخور، فاتخذوها مساكن. 9

سورة 90

- يقسم تعالى بهذا البلد الأمين، الذي هو مكة المكرمة، أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصا وقت حلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها. 1
المنن الجزيلة، تقتضي من العبد أن يقوم بحقوق الله، ويشكر الله على نعمه، وأن لا يستعين بها على معاصيه ، ولكن هذا الإنسان لم يفعل ذلك. 10
ثم قال في نعم الدين: وهديناه النجدين أي: طريقَي الخير والشر، بينا له الهدى من الضلال، والرشد من الغي. فهذه
- فلا اقتحم العقبة أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته . 11
فلا اقتحم العقبة أي: لم يقتحمها ويعبر عليها، لأنه متبع لشهواته . 12
- عليه، ثم فسر هذه العقبة فك رقبة أي: فكها من الرق، بعثتها أو مساعدتها على أداء كتابتها، ومن باب أولى فكك الأسير المسلم عند الكفار. 13
وهذه العقبة شديدة

تفسير السعدي

أو إطعام في يوم ذي مسغبة أي: مجاعة شديدة، بأن يطعم وقت الحاجة أشد الناس حاجة. 14

يتيما ذا مقربة أي: جامعا بين كونه يتيما، فقيرا ذا قرابة. 15

أو مسكينا ذا متربة أي: قد لظق بالتراب من الحاجة والضرورة. 16

والقيام بما يحتاجون إليه من جميع الوجوه، ومساعدتهم على المصالح الدينية والدنيوية، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه. 17 بعضهم بعضا على الانقياد لذلك، والإتيان به كاملا منشرحا به الصدر، مطمئنة به النفس. وتواصوا بالمرحمة للخلق، من إعطاء محتاجهم، وتعليم جاهلهم، به، وعملوا الصالحات بجوارحهم. من كل قول وفعل واجب أو مستحب. وتواصوا بالصبر على طاعة الله وعن معصيته، وعلى أقدار المؤلمة بأن يحث ثم كان من الذين آمنوا أي: آمنوا بقلوبهم بما يجب الإيمان

لاقتحام هذه العقبة أولئك أصحاب الميمنة لأنهم أدوا ما أمر الله به من حقوقه وحقوق عبادته، وتركوا ما نهوا عنه، وهذا عنوان السعادة وعلامتها. 18 أولئك الذين قاموا بهذه الأوصاف، الذين وفقهم الله

هذه الأمور وراء ظهورهم، فلم يصدقوا بالله، ولا آمنوا به، ولا عملوا صالحا، ولا رحموا عباد الله، والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة 19 والذين كفروا بآياتنا بأن نبذوا

يقسم تعالى بهذا البلد الأمين، الذي هو مكة المكرمة، أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصا وقت حلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها. 2

عليهم نار مؤصدة أي: مغلقة، في عمد ممددة، قد مدت من ورائها، لئلا تنفتح أبوابها، حتى يكونوا في ضيق وهم وشدة والحمد لله. 20

ووالد وما ولد أي: آدم وذريته. 3

يشكر الله على هذه النعمة العظيمة، بل بطر بالعافية وتجبر على خالقه، فحسب بجهله وظلمه أن هذه الحال ستدوم له، وأن سلطان تصرفه لا ينزعزل، 4 العذاب الشديد أبد الآباد. ويحتمل أن المعنى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وأقوم خلقة، مقدر على التصرف والأعمال الشديدة، ومع ذلك، فإنه لم وفي البرزخ، ويوم يقوم الأشهاد، وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريجه من هذه الشدائد، ويوجب له الفرح والسرور الدائم. وإن لم يفعل، فإنه لا يزال يكابد والمقسم عليه قوله: لقد خلقنا الإنسان في كبد يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا،

أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ويطغى ويفتخر بما أنفق من الأموال على شهوات نفسه. 5

عليه من إنفاقه إلا الندم والخسار والتعب والقلّة، لا كمن أنفق في مرضاة الله في سبيل الخير، فإن هذا قد تاجر مع الله، وربح أضعاف أضعاف ما أنفق. 6 ف يقول أهلك ما لا لبدا أي: كثيرا، بعضه فوق بعض. وسمى الله تعالى الإنفاق في الشهوات والمعاصي إهلاكاً، لأنه لا ينتفع المنفق بما أنفق، ولا يعود

في فعله هذا، أن الله لا يراه ويحاسبه على الصغير والكبير؟ بل قد رآه الله، وحفظ عليه أعماله، ووكّل به الكرام الكاتبين، لكل ما عمله من خير وشر. 7 قال الله متوعدا هذا الذي يفتر بما أنفق في الشهوات: أيحسب أن لم يره أحد أي: أيحسب

ثم قرره بنعمه، فقال: ألم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا. 8

ثم قرره بنعمه، فقال: ألم نجعل له عينين ولسانا وشفقتين للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا. 9

سورة 91

أقسم تعالى بهذه الآيات العظيمة، على النفس المفلحة، وغيرها من النفوس الفاجرة، فقال: والشمس وضحاها أي: نورها، ونفعها الصادر منها. 1

التي ليست حقيقة بقمعتها وإخفائها، بالتدنس بالردائل، والدنو من العيوب، والافتراق للذنوب، وترك ما يكملها وينميها، واستعمال ما يشينها ويدسيها. 10 وقد خاب من دساها أي: أخفى نفسه الكريمة،

كذبت ثمود بطغواها أي: بسبب طغيانها وترفعها عن الحق، وعتوها على رسل الله 11

إذ انبعث أشقاها أي: أشقى القبيلة، وهو قدار بن سالف لعقرها حين اتفقوا على ذلك، وأمروه فأتهم لهم. 12

ناقة الله وسقياها أي: احذروا عقر ناقة الله، التي جعلها لكم آية عظيمة، ولا تقابلوا نعمة الله عليكم بسقي لبنها أن تعقروها، فكذبوا نبيهم صالحا. 13 فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام محذرا:

عليهم الصيحة من فوقهم، والرجفة من تحتهم، فأصبحوا جائمين على ركبهم، لا تجد منهم داعيا ولا مجيبا. فسواها عليهم أي: سوى بينهم بالعقوبة 14 فعقروها فدمدم عليهم رهم بذنبهم أي: دمر عليهم وعهم بعقابه، وأرسل

ولا يخاف عقباها أي: تبعثها. وكيف يخاف من هو قاهر، لا يخرج عن قهره وتصرفه مخلوق، الحكيم في كل ما قضاة وشرعه؟ تمت ولله الحمد 15

تفسير السعدي

والقمر إذا تلاها أي: تبعها في المنازل والنور. 2

والنهار إذا جلاها أي: جلى ما على وجه الأرض وأوضحه. 3

بانتظام وإتقان، وقيام لمصالح العباد، أكبر دليل على أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه المعبود وحده، الذي كل معبود سواه فباطل. 4

والليل إذا يغشاها أي: يغطي وجه الأرض، فيكون ما عليها مظلمًا. فتعاقب الظلمة والضياء، والشمس والقمر، على هذا العالم،

وبانيها، الذي هو الله تبارك وتعالى، ويحتمل أنها مصدرية، فيكون الإقسام بالسماء وبنيانها، الذي هو غاية ما يقدر من الإحكام والإتقان والإحسان. 5

والسماء وما بناها يحتمل أن ما موصولة، فيكون الإقسام بالسماء

والأرض وما طحاها أي: مدها ووسعها، فتمكن الخلق حينئذ من الانتفاع بها، بجميع وجوه الانتفاع. 6

من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة. 7

كل، فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسية،

سواها يحتمل أن المراد نفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤيد هذا العموم، ويحتمل أن المراد بالإقسام بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده. وعلى

ونفس وما

من الهم، والإرادة، والقصد، والحب، والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله العظيمة. 8

كل، فالنفس آية كبيرة من آياته التي حقيقة بالإقسام بها فإنها في غاية اللطف والخفة، سريعة التنقل والحركة والتغير والتأثر والانفعالات النفسية،

سواها يحتمل أن المراد نفس سائر المخلوقات الحيوانية، كما يؤيد هذا العموم، ويحتمل أن المراد بالإقسام بنفس الإنسان المكلف، بدليل ما يأتي بعده. وعلى

ونفس وما

وقوله: قد أفلح من زكاها أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح. 9

سورة 92

العباد على تفاوت أحوالهم، فقال: والليل إذا يغشى أي: يعم الخلق بظلامه، فيسكن كل إلى مأواه ومسكنه، ويستريح العباد من الكد والتعب. 1

هذا قسم من الله بالزمان الذي تقع فيه أفعال

فسيبسه للعسر أي: للحالة العسرة، والخصال الذميمة، بأن يكون ميسرا للشر أينما كان، ومقيضا له أفعال المعاصي، نسأل الله العافية. 10

وبخل به إذا هلك ومات، فإنه لا يصحبه إلا عمله الصالح. وأما ماله الذي لم يخرج منه الواجب فإنه يكون وبالا عليه، إذ لم يقدم منه لآخرته شيئا. 11

وما يغني عنه ماله الذي أطغاه واستغنى به،

للهدى أي: إن الهدى المستقيم طريقه، يوصل إلى الله، ويؤدي من رضاه، وأما الضلال، فطرق مسدودة عن الله، لا توصل صاحبها إلا للعذاب الشديد. 12

إن علينا

وإن لنا للآخرة والأولى ملكا وتصرفا، ليس له فيهما مشارك، فليرغب الراغبون إليه في الطلب، ولينقطع رجاؤهم عن المخلوقين. 13

فأنذرتكم نارا تلظى أي: تستعر وتتوقد. 14

لا يصلاحها إلا الأشقى الذي كذب بالخبر وتولى عن الأمر. 15

لا يصلاحها إلا الأشقى الذي كذب بالخبر وتولى عن الأمر. 16

ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب. 17

يؤتي ماله يتزكى بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصدا به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب

وسيجنبها الأتقى الذي

ترك واجب، كدين ونفقة ونحوهما، فإنه غير مشروع، بل تكون عطيته مردودة عند كثير من العلماء، لأنه لا يتزكى بفعل مستحب يفوت عليه الواجب. 18

يؤتي ماله يتزكى بأن يكون قصده به تزكية نفسه، وتطهيرها من الذنوب والعيوب، قاصدا به وجه الله تعالى، فدل هذا على أنه إذا تضمن الإنفاق المستحب

وسيجنبها الأتقى الذي

لها جزء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل، فلم يبق لأحد عليه من الخلق نعمة تجزى، فبقيت أعماله خالصة لوجه الله تعالى. 19

إلا نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها، وهي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام، وتعليم الهدى ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن

بكر الصديق رضي الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت في سببه، فإنه رضي الله عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزى، حتى ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم،

تفسير السعدي

وحده، وأما من بقي عليه نعمة للناس لم يجزها ويكافئها، فإنه لا بد أن يترك للناس، ويفعل لهم ما ينقص إخلاصه. وهذه الآية، وإن كانت متناولة لأبي تجزى أي: ليس لأحد من الخلق على هذا الأتقى نعمة تجزى إلا وقد كافأه بها، وربما بقي له الفضل والمنة على الناس، فتمحض عبدا لله، لأنه رقيق إحسانه وما لأحد عنده من نعمة

والنهار إذا تجلى للخلق، فاستضاءوا بنوره، وانتشروا في مصالحهم. 2

إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات، والحمد لله رب العالمين. 20

إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى هذا الأتقى بما يعطيه الله من أنواع الكرامات والمثوبات، والحمد لله رب العالمين. 21

يريد بقاءها ذكرا وأنثى، ليبقى النوع ولا يضمحل، وقاد كلا منهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة، وجعل كلا منهما مناسبا للآخر، فتبارك الله أحسن الخالقين. 3 الموصوفة، بأنه خالق الذكور والإناث، وإن كانت مصدرية، كان قسما بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في ذلك أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي وما خلق الذكر والأنثى إن كانت ما موصولة، كان إقسامًا بنفسه الكريمة

هل هو وجه الله الأعلى الباقي؟ فيبقى السعي له ببقائه، وينتفع به صاحبه، أم هي غاية مضمحلة فانية، فيبطل السعي ببطانها، ويضمحل باضمحلها؟ 4 عليه أي: إن سعيكم أيها المكلفون لمتفاوت تفاوت كثيرا، وذلك بحسب تفاوت نفس الأعمال ومقدارها والنشاط فيها، وبحسب الغاية المقصودة بتلك الأعمال، إن سعيكم لشتى هذا هو المقسم

كالصلاة، والصوم ونحوهما. والمركبة منهما، كالحج والعمرة ونحوهما واتقى ما نهى عنه، من المحرمات والمعاصي، على اختلاف أجناسها. 5 فقال: فأما من أعطى أي ما أمر به من العبادات المالية، كالزكوات، والكفارات والتفقات، والصدقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية فصل الله تعالى العاملين، ووصف أعمالهم،

وصدق بالحسن أي: صدق بـ لا إله إلا الله وما دلت عليه، من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي. 6

فسييسره ليسرى أي: يسهل عليه أمره، ونجعله يسيرا له كل خير، يسيرا له ترك كل شر، لأنه أتى بأسباب التيسير، فيسر الله له ذلك. 7

جانبا، ولم ير نفسه مفتقرة غاية الافتقار إلى ربها، الذي لا نجا لها ولا فوز ولا فلاح، إلا بأن يكون هو محبوبها ومعبودها، الذي تقصده وتتوجه إليه. 8 وأما من بخل بما أمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحب، ولم تسمح نفسه بأداء ما وجب لله، واستغنى عن الله، فترك عبوديته

وكذب بالحسن أي: بما أوجب الله على العباد التصديق به من العقائد الحسنة. 9

سورة 93

أقسم تعالى بالنهار إذا انتشر ضياؤه بالضحى. 1

مأمورا بحسن الخلق مع المتعلم، ومباشرته بالإكرام والتحنن عليه، فإن في ذلك معونة له على مقصده، وإكراما لمن كان يسعى في نفع العباد والبلاد. 10 رده عن مطلوبه، بنهر وشراسة خلق، بل أعطه ما تيسر عندك أو رده بمعروف وإحسان. وهذا يدخل فيه السائل للمال، والسائل للعلم، ولهذا كان المعلم وأما السائل فلا تنهر أي: لا يصدر منك إلى السائل كلام يقتضي

بنعم الله على الإطلاق، فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها، فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن. 11 وأما بنعمة ربك وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية فحدث أي: أثن على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة. وإلا فحدث

وبالليل إذا سجي وادلهمت ظلمته، على اعتناء الله برسوله صلى الله عليه وسلم 2

فهذه حال الرسول صلى الله عليه وسلم الماضية والحاضرة، أكمل حال وأتمها، محبة الله له واستمرارها، وترقيته في درج الكمال، ودوام اعتناء الله به. 3 درجة بعد درجة. وما قلا ك الله أي: ما أبغضك منذ أحبك، فإن نفي الضد دليل على ثبوت ضده، والنفي المحض لا يكون مدحا، إلا إذا تضمن ثبوت كمال، ما ودعك ربك أي: ما تركك منذ اعتنى بك، ولا أهملك منذ رباك ورعاك، بل لم يزل يربيك أحسن تربية، ويعليك

وينصره على أعدائه، ويسدد له أحواله، حتى مات، وقد وصل إلى حال لا يصل إليها الأولون والآخرين، من الفضائل والنعم، وقرة العين، وسرور القلب. 4 من الأولى أي: كل حالة متأخرة من أحوالك، فإن لها الفضل على الحالة السابقة. فلم يزل صلى الله عليه وسلم يصعد في درج المعالي ويمكن له الله دينه، وأما حاله المستقبل، فقال: وللآخرة خير لك

ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذا أمر لا يمكن التعبير عنه بغير هذه العبارة الجامعة الشاملة. ثم امتن عليه بما يعلمه من أحواله الخاصة فقال: 5 ثم بعد ذلك، لا تسأل عن حاله في الآخرة، من تفاصيل الإكرام، وأنواع الإنعام، ولهذا قال:

أب، بل قد مات أبوه وأمه وهو لا يدبر نفسه، فأواه الله، وكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات جده كفله الله عمه أبا طالب، حتى أيده بنصره وبالمؤمنين. 6

- ألم يجدك يتيما فأوى أي: وجدك لا أم لك، ولا ووجدك ضالا فهدى أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق. 7
- جبيت لك أموالها وخراجها. فالذي أزال عنك هذه النقائص، سيزيل عنك كل نقص، والذي أوصلك إلى الغنى، وآواك ونصرَكَ وهداك، قابل نعمته بالشكران. 8
- ووجدك عائلا أي: فقيرا فأغنى بما فتح الله عليك من البلدان، التي اليتيم فلا تقهر أي: لا تسيء معاملة اليتيم، ولا يضق صدرك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك. 9
- فأما

سورة 94

- والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، والإقبال على الآخرة، وتسهيل الخيرات فلم يكن ضيقا حرجا، لا يكاد ينقاد لخير، ولا تكاد تجده منبسطا. 1
- يقول تعالى ممتنا على رسوله: ألم نشرح لك صدرك أي: نوسعه لشرائع الدين ووضعنا عنك وزرك أي: ذنبك، 2
- الذي أنقض أي: أثقل ظهرك كما قال تعالى: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . 3
- الله عليه وسلم. وله في قلوب أمته من المحبة والإجلال والتعظيم ما ليس لأحد غيره، بعد الله تعالى، فجزاه الله عن أمته أفضل ما جزى نبيا عن أمته. 4
- معه رسوله صلى الله عليه وسلم، كما في الدخول في الإسلام، وفي الأذان، والإقامة، والخطب، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكر رسوله محمد صلى ورفعنا لك ذكرك أي: أعلينا قدرك، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فلا يذكر الله إلا ذكر يسرين. وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ فإنه في آخره التيسير ملازم له. 5
- وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا . وتعريف العسر في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير اليسر يدل على تكراره، فلن يغلب عسر حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: سيجعل الله بعد عسر يسرا وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه،
- يسرين. وفي تعريفه بالألف واللام، الدالة على الاستغراق والعموم يدل على أن كل عسر وإن بلغ من الصعوبة ما بلغ فإنه في آخره التيسير ملازم له 6
- وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا . وتعريف العسر في الآيتين، يدل على أنه واحد، وتنكير اليسر يدل على تكراره، فلن يغلب عسر حتى لو دخل العسر جحر ضب لدخل عليه اليسر، فأخرجه كما قال تعالى: سيجعل الله بعد عسر يسرا وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا بشارة عظيمة، أنه كلما وجد عسر وصعوبة، فإن اليسر يقارنه ويصاحبه،
- تبعنا، بشكره والقيام بواجب نعمه، فقال: فإذا فرغت فانصب أي: إذا فرغت من أشغالك، ولم يبق في قلبك ما يعوقه، فاجتهد في العبادة والدعاء. 7
- ثم أمر الله رسوله أصلا، والمؤمنين ربك فارغب في سؤال مطالبك. واستدل من قال بهذا القول، على مشروعية الدعاء والذكر عقب الصلوات المكتوبات، والله أعلم بذلك تمت ولله الحمد. 8
- فرغوا وتفرغوا لعبوا وأعرضوا عن ربهم وعن ذكره، فتكون من الخاسرين. وقد قيل: إن معنى قوله: فإذا فرغت من الصلاة وأكملتها، فانصب في الدعاء، وإلى وإلى ربك وحده فارغب أي: أعظم الرغبة في إجابة دعائك وقبول عباداتك . ولا تكن ممن إذا

سورة 95

- وكذلك الزيتون أقسم بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، محل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام. 1
- التين هو التين المعروف، وطور سينين أي: طور سيناء، محل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم. 2
- وهي: مكة المكرمة، محل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. فأقسم تعالى بهذه المواضع المقدسة، التي اختارها وابتعث منها أفضل النبوات وأشرفها. 3
- وهذا البلد الأمين التي ينبغي منه القيام بشكرها، فأكثر الخلق منحرفون عن شكر المنعم، مشتغلون باللهو واللعب، قد رضوا لأنفسهم بأسافل الأمور، وسفساف الأخلاق. 4
- لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرا أو باطنا شيئا، ومع هذه النعم العظيمة،

والمقسم عليه قوله:

- فردهم الله في أسفل سافلين، أي: أسفل النار، موضع العصاة المتمردين على ربهم. 5
- العالية، و أجر غير ممنون أي: غير مقطوع، بل لذات متوافرة، وأفراح متواترة، ونعم متكاثرة، في أبد لا يزول، ونعيم لا يحول، أكلها دائم وظلها. 6
- إلا من من الله عليه بالإيمان والعمل الصالح، والأخلاق الفاضلة العالية، فلهم بذلك المنازل
- الإنسان بيوم الجزاء على الأعمال، وقد رأيت من آيات الله الكثيرة ما به يحصل لك اليقين، ومن نعمه ما يوجب عليك أن لا تكفر بشيء مما أخبرك به. 7
- فما يكذبك بعد بالدين أي: أي: شيء يكذبك أيها
- والبر ما لا يحصونه، ورباهم التربية الحسنة، لا بد أن يعيدهم إلى دار هي مستقرهم وغايتهم، التي إليها يقصدون، ونحوها يؤمنون. تمت ولله الحمد. 8
- فهل تقتضي حكمته أن يترك الخلق سدى لا يؤمرون ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؟ أم الذي خلق الإنسان أطوارا بعد أطوار، وأوصل إليهم من النعم والخير
- أليس الله بأحكم الحاكمين

سورة 96

- وأمره أن يقرأ، فامتنع، وقال: ما أنا بقارئ فلم يزل به حتى قرأ. فأنزل الله عليه: اقرأ باسم ربك الذي خلق، ثم خص الإنسان. 1
- على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإنها نزلت عليه في مبادئ النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام بالرسالة،
- هذه السورة أول السور القرآنية نزولا
- يقول الله لهذا المتمرّد العاتي: رأيت أيها الناهي للعبد إذا صلى 10
- إن كان العبد المصلي على الهدى العلم بالحق والعمل به، 11
- أليس نهيه، من أعظم المحادة لله، والمحاربة للحق؟ فإن النهي، لا يتوجه إلا لمن هو في نفسه على غير الهدى، أو كان يأمر غيره بخلاف التقوى. 12
- أو أمر غيره بالتقوى. فهل يحسن أن ينهى، من هذا وصفه؟
- أرأيت إن كذب الناهي بالحق وتولى عن الأمر، أما يخاف الله ويخشى عقابه؟ 13
- ألم يعلم بأن الله يرى ما يعمل ويفعل؟. 14
- ثم توعده إن استمر على حاله، فقال: كلا لئن لم ينته عما يقول ويفعل لنسفعن بالناصية أي: لنأخذن بناصيته، أخذا عنيفا، وهي حقيقة بذلك. 15
- فإنها ناصية كاذبة خاطئة أي: كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها. 16
- فليدع هذا الذي حق عليه العقاب نأديه أي: أهل مجلسه وأصحابه ومن حوله، ليعينوه على ما نزل به. 17
- سندع الزبانية أي: خزنة جهنم، لأخذه وعقوبته، فلينظر أي: الفريقين أقوى وأقدر؟ فهذه حالة الناهي وما توعده من العقوبة. 18
- ناه عن الخير ومنهي عنه، وإن كانت نازلة في شأن أبي جهل حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة، وعبث به وأذاه. تمت ولله الحمد. 19
- فيه خسارة الدارين، واسجد لربك واقترب منه في السجود وغيره من أنواع الطاعات والقربات، فإنها كلها تدني من رضاه وتقرب منه. وهذا عام لكل
- وأما حالة المنهي، فأمره الله أن لا يصغى إلى هذا الناهي ولا ينقاد لنهييه فقال: كلا لا تطعه أي: فإنه لا يأمر إلا بما
- الإنسان واعتنى بتدبيره، لا بد أن يديره بالأمر والنهي، وذلك بإرسال الرسول إليهم، وإنزال الكتب عليهم، ولهذا ذكر بعد الأمر بالقراءة، خلقه للإنسان. 2
- وذكر ابتداء خلقه من علق فالذي خلق
- اقرأ وربك الأكرم أي: كثير الصفات واسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود. 3
- الذي من كرمه أن علم بالعلم و علم بالقلم 4
- تنوب مناب خطابهم، فله الحمد والمنة، الذي أنعم على عباده بهذه النعم التي لا يقدرّون لها على جزاء ولا شكور، ثم من عليهم بالغنى وسعة الرزق. 5
- له السمع والبصر والفؤاد، ويسر له أسباب العلم. فعلمه القرآن، وعلمه الحكمة، وعلمه بالقلم، الذي به تحفظ به العلوم، وتضبط الحقوق، وتكون رسلا للناس
- علم الإنسان ما لم يعلم فإنه تعالى أخرجه من بطن أمه لا يعلم شيئا، وجعل
- والإنسان لجهله وظلمه إذا رأى نفسه غنيا، طغى وبغى وتجبر عن الهدى 6
- والإنسان لجهله وظلمه إذا رأى نفسه غنيا، طغى وبغى وتجبر عن الهدى 7
- الرجعى، ولم يخف الجزاء، بل ربما وصلت به الحال أنه يترك الهدى بنفسه، ويدعو غيره إلى تركه، فينهى عن الصلاة التي هي أفضل أعمال الإيمان. 8

سورة 97

عامة، لا يقدر العباد لها شكرا. وسميت ليلة القدر، لعظم قدرها وفضلها عند الله، ولأنه يقدر فيها ما يكون في العام من الأجل والأرزاق والمقادير القدريّة. 1
في ليلة القدر كما قال تعالى: إنا أنزلناه في ليلة مباركة وذلك أن الله تعالى، ابتداءً بإنزاله في رمضان في ليلة القدر، ورحم الله بها العباد رحمة
يقول تعالى مبينا لفضل القرآن وعلو قدره: إنا أنزلناه

ثم فخم شأنها، وعظم مقدارها فقال: وما أدراك ما ليلة القدر أي: فإن شأنها جليل، وخطرها عظيم. 2

تبارك وتعالى على هذه الأمة الضعيفة القوة والقوى، بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد على ألف شهر، عمر رجل معمر عمرا طويلا، نيفا وثمانين سنة. 3
أي: تعادل من فضلها ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها، خير من العمل في ألف شهر خالية منها، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندesh له العقول، حيث من
ليلة القدر خير من ألف شهر

تنزل الملائكة والروح فيها أي: يكثر نزولهم فيها من كل أمر 4

كل سنة إلى قيام الساعة. ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم، يعتكف، ويكثر من التعبد في العشر الأواخر من رمضان، رجاء ليلة القدر والله أعلم. 5
من غروب الشمس ومنتهاها طلوع الفجر. وقد تواترت الأحاديث في فضلها، وأنها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه، خصوصا في أوتاره، وهي باقية في
سلام هي أي: سالمة من كل آفة وشر، وذلك لكثرة خيرها، حتى مطلع الفجر أي: مبتدأها

سورة 98

كفرهم وضلالهم الذي هم عليه، أي: لا يزالون في غيهم وضلالهم، لا يزيدهم مرور السنين إلا كفرا. حتى تأتيهم البينة الواضحة، والبرهان الساطع. 1
يقول تعالى: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب أي: من اليهود والنصارى والمشرّكين من سائر أصناف الأمم. منفكين عن

ويخرجهم من الظلمات إلى النور يتلو صحفا مطهرة أي: محفوظة عن قربان الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، لأنها في أعلى ما يكون من الكلام. 2
ثم فسر تلك البينة فقال: رسول من الله أي: أرسله الله، يدعو الناس إلى الحق، وأنزل عليه كتابا يتلوه، ليعلم الناس الحكمة ويزكيهم،

وإلى صراط مستقيم، فإذا جاءتهم هذه البينة، فحينئذ يتبين طالب الحق ممن ليس له مقصد في طلبه، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة. 3
فيها أي: في تلك الصحف كتب قيمة أي: أخبار صادقة، وأوامر عادلة تهدي إلى الحق

لأهلها الاجتماع والاتفاق، ولكنهم لرداءتهم ونذالهم، لم يزدتهم الهدى إلا ضلالا، ولا البصيرة إلا عمى، مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد، ودين واحد. 4
الكتاب لهذا الرسول وينقادوا له، فليس ذلك ببدع من ضلالهم وعنادهم، فإنهم ما تفرقوا واختلفوا وصاروا أحزابا إلا من بعد ما جاءتهم البينة التي توجب
وإذا لم يؤمن أهل

وذلك أي التوحيد والإخلاص في الدين، هو دين القيمة أي: الدين المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم. 5
والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله ليعبدوا الله مخلصين لفضلهما وشرفهما، وكونهما العبادتين اللتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين.
بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله، وطلب الزلفى لديه، حنفاء أي: معرضين مائلين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد. وخص الصلاة
فما أمروا في سائر الشرائع إلا أن يعبدوا الله مخلصين له الدين أي: قاصدين

عليهم عقابها، خالدين فيها لا يفتتر عنهم العذاب، وهم فيها مبلسون، أولئك هم شر البرية لأنهم عرفوا الحق وتركوه، وخسروا الدنيا والآخرة. 6
ثم ذكر جزاء الكافرين بعدما جاءتهم البينة، فقال: إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشرّكين في نار جهنم قد أحاط بهم عذابها، واشتد

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية لأنهم عبدوا الله وعرفوه، وفازوا بنعيم الدنيا والآخرة. 7

أنواع الكرامات وجزيل المثوبات ذلك الجزاء الحسن لمن خشي ربه أي: لمن خاف الله، فأحجم عن معاصيه، وقام بواجباته تمت بحمد لله 8
لغاية فوقها، تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه فرضي عنهم بما قاموا به من مرضيه، ورضوا عنه، بما أعد لهم من
جزاؤهم عند ربهم جنات عدن أي: جنات إقامة، لا ظعن فيها ولا رحيل، ولا طلب

سورة 99

القيامة، وأن الأرض تتزلزل وترجف وترتج، حتى يسقط ما عليها من بناء وعلم .فتندك جبالها، وتسوى تلالها، وتكون قاعا صاففا لا عوج فيه ولا أمت. 1
يخبر تعالى عما يكون يوم

وأخرجت الأرض أثقالها أي: ما في بطنها، من الأموات والكنوز. 2

وقال الإنسان إذا رأى ما عراها من الأمر العظيم مستعظما لذلك: ما لها ؟ أي: أي شيء عرض لها؟ 3

الأرض أخبارها أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم. 4
يومئذ تحدث

ذلك بأن ربك أوحى لها أي وأمرها أن تخبر بما عمل عليها، فلا تعصى لأمره . 5

القيامة، حين يقضي الله بينهم أشتاتا أي: فرقا متفاوتين. ليروا أعمالهم أي: ليريه الله ما عملوا من الحسنات والسيئات، ويريهم جزاءه موفرا. 6
يومئذ يصدر الناس من موقف

أن بينها وبينه أمدا بعيدا ووجدوا ما عملوا حاضرا وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا، والترهيب من فعل الشر ولو حقيرا. 7
أحقر الأشياء، وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي

أن بينها وبينه أمدا بعيدا ووجدوا ما عملوا حاضرا وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلا، والترهيب من فعل الشر ولو حقيرا. 8
أحقر الأشياء، وجوزي عليها فما فوق ذلك من باب أولى وأحرى، كما قال تعالى: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهذا شامل عام للخير والشر كله، لأنه إذا رأى مثقال الذرة، التي هي

سورة 100

من أنواع الحيوانات، فقال: والعاديات ضبحا أي: العاديات عدوا بليغا قويا، يصدر عنه الضبح، وهو صوت نفسها في صدرها، عند اشتداد العدو . 1
الله تبارك وتعالى بالخيال، لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرة، ما هو معلوم للخلق. وأقسم تعالى بها في الحال التي لا يشاركها فيه غيرها
أقسم

أي: ظهر وبان ما فيها و ما استتر في الصدور من كمائن الخير والشر، فصار السر علانية، والباطن ظاهرا، وبان على وجوه الخلق نتيجة أعمالهم. 10
وحصل ما في الصدور

والجلية، ومجازيهم عليها. وخص خبره بذلك اليوم، مع أنه خبير بهم في كل وقت، لأن المراد بذلك، الجزاء بالأعمال الناشئ عن علم الله واطلاعه. 11
إن ربهم بهم يومئذ لخبير أي مطلع على أعمالهم الظاهرة والباطنة، الخفية

فالموريات بحوافره من يطان عليه من الأحجار قدحا أي: تقدح النار من صلابة حوافره وقوتهم إذا عدون، 2

فالمغيرات على الأعداء صباحا وهذا أمر أغلبي، أن الغارة تكون صباحا. 3

فأثرن به أي: بعدوهن وغارتهن نقعا أي: غبارا. 4

فوسطن به أي: براكبهن جمعا أي: توسطن به جموع الأعداء، الذين أغار عليهم. 5

كاملة موفرة، بل طبيعتها الكسل والمنع لما عليه من الحقوق المالية والبدنية، إلا من هداه الله وخرج عن هذا الوصف إلى وصف السماح بأداء الحقوق. 6
والمقسم عليه، قوله: إن الإنسان لربه لكنود أي: لمنوع للخير الذي عليه لربه . فطبيعة الإنسان وجبلته، أن نفسه لا تسمح بما عليه من الحقوق، فتؤديها

أن الضمير عائد إلى الله تعالى أي: إن العبد لربه لكنود، والله شهيد على ذلك، ففيه الوعيد، والتهديد الشديد، لمن هو لربه كنود، بأن الله عليه شهيد. 7
وإنه على ذلك لشهيد أي: إن الإنسان على ما يعرف من نفسه من المنع والكند لشاهد بذلك، لا يجحده ولا ينكره، لأن ذلك أمر بين واضح. ويحتمل

الواجبة عليه، قدم شهوة نفسه على حق ربه، وكل هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار، وغفل عن الآخرة، ولهذا قال حاثا له على خوف يوم الوعيد: 8

وإنه أي: الإنسان لحب الخير أي: المال لشديد أي: كثير الحب للمال. وحبه لذلك، هو الذي أوجب له ترك الحقوق

أفلا يعلم أي: هلا يعلم هذا المغتر إذا بعثر ما في القبور أي: أخرج الله الأموات من قبورهم، لحشرهم ونشورهم. 9

سورة 101

- القارعة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك، لأنها تفرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه . 1
وما أدراك ماهيه وهذا تعظيم لأمرها، 10
نار حامية أي: شديدة الحرارة، قد زادت حرارتها على حرارة نار الدنيا سبعين ضعفا. نستجير بالله منها. 11
القارعة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك، لأنها تفرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه . 2
القارعة من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك، لأنها تفرع الناس وتزعجهم بأهوالها، ولهذا عظم أمرها وفخمه . 3
هي الحيوانات التي تكون في الليل، يموج بعضها ببعض لا تدري أين توجه، فإذا أوقد لها نار تهافتت إليها لضعف إدراكها، فهذه حال الناس أهل العقول، 4
يوم يكون الناس من شدة الفزع والهول، كالفراس المبعوث أي: كالجراد المنتشر، الذي يموج بعضه في بعض، والفراس: مر السحاب ثم بعد ذلك، تكون هباء منثورا، فتضمحل ولا يبقى منها شيء يشاهد، فحينئذ تنصب الموازين، وينقسم الناس قسمين: سعداء وأشقياء، 5
الصلاب، فتكون كالعهن المنفوش أي: كالصوف المنفوش، الذي بقي ضعيفا جدا، تطير به أدنى ريح، قال تعالى: وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر وأما الجبال الصم
فأما من ثقلت موازينه أي: رجحت حسناته على سيئاته 6
فهو في عيشة راضية في جنات النعيم. 7
وأما من خفت موازينه بأن لم تكن له حسنات تقاوم سيئاته. 8
تكون له بمنزلة الأم الملامزة كما قال تعالى: إن عذابها كان غراما . وقيل: إن معنى ذلك، فأمر دماغه هاوية في النار، أي: يلقي في النار على رأسه. 9
فأمره هاوية أي: مأواه ومسكنه النار، التي من أسمائها الهاوية،

سورة 102

- في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاتبة كل واحد للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى. 1
على كل شيء: ألهاكم عن ذلك المذكور التكاثر ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر يقول تعالى موبخا عباده عن اشتغالهم عما خلقوا له من عبادته وحده لا شريك له، ومعرفته، والإنابة إليه، وتقديم محبته
تعذر عليكم استثنائه. ودل قوله: حتى زرت المقابر أن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية ، أن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين. 2
فاستمرت غفلتكم ولهوتكم وتشاغلكم حتى زرت المقابر فأنكشف لكم حينئذ الغطاء، ولكن بعد ما
ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين أي: لو تعلمون ما أمامكم علما يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة. 3
كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين أي: لو تعلمون ما أمامكم علما يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة. 4
كلا سوف تعلمون
ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين أي: لو تعلمون ما أمامكم علما يصل إلى القلوب، لما ألهاكم التكاثر، ولبادرتم إلى الأعمال الصالحة. 5
كلا سوف تعلمون
ولكن عدم العلم الحقيقي، صيركم إلى ما ترون، لترون الجحيم أي: لتردن القيامة، فلترون الجحيم التي أعدها الله للكافرين. 6
ثم لترونها عين اليقين أي: رؤية بصرية، كما قال تعالى: ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا . 7
على ذلك، قال تعالى: ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون الآية. 8
الله فيه، ولم تستعينوا به، على معاصيه، فينعمكم نعيما أعلى منه وأفضل. أم اغتررتكم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله فيعاقبكم
ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي تنعمتم به في دار الدنيا، هل قمتم بشكره، وأديتم حق

سورة 103

أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم 1

خاسر، والخاسر ضد الرابح. والخسار مراتب متعددة متفاوتة: قد يكون خساراً مطلقاً، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم. 2
أن كل إنسان

الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، ويتكامل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم. 3
الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضاً بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه. والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة. فبالأمرين
الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة. والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل
ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به. والعمل
وقد يكون خاسراً من بعض الوجوه دون بعض،

سورة 104

عذاب لكل همزة لمزة الذي يهزم الناس بفعله، ويلمزمهم بقوله، فالهماز: الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللاماز: الذي يعيبهم بقوله. 1
ويل أي: وعيد، ووبال، وشدة

ومن صفة هذا الهماز اللماز، أنه لا هم له سوى جمع المال وتعيده والغبطة به، وليس له رغبة في إنفاقه في طرق الخيرات وصلة الأرحام، ونحو ذلك، 2
الدنيا، فلذلك كان كده وسعيه كله في تنمية ماله، الذي يظن أنه ينمي عمره، ولم يدرك أن البخل يقصف الأعمار، ويخرب الديار، وأن البر يزيد في العمر. 3
يحسب بجهله أن ماله أخذه في

كلا لينبذن أي: ليطرحن في الحطمة 4

وما أدراك ما الحطمة تعظيم لها، وتهويل لشأنها. 5

نار الله الموقدة التي وقودها الناس والحجارة 6

التي من شدتها تطلع على الأفئدة أي: تنفذ من الأجسام إلى القلوب. 7

ومع هذه الحرارة البليغة هم محبوسون فيها، قد أيسوا من الخروج منها، ولهذا قال: إنها عليهم مؤصدة أي: مغلقة 8

في عمد من خلف الأبواب ممددة لئلا يخرجوا منها كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها. نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العفو والعافية. 9

سورة 105

وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم. 1
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا إخراجه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه،
أي: أما رأيتم من قدرة الله وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلة توحيده، وصدق

وجاءوا بجمع لا قبل للعرب به، من الحبشة واليمن، فلما انتهوا إلى قرب مكة، ولم يكن بالعرب مدافعة، وخرج أهل مكة من مكة خوفاً على أنفسهم منهم. 2
رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ما فعله الله بأصحاب الفيل، الذين كادوا بيته الحرام وأرادوا إخراجه، فتجهزوا لأجل ذلك، واستصحبوا معهم الفيلة لهدمه،
أي: أما رأيتم من قدرة الله وعظيم شأنه، ورحمته بعباده، وأدلة توحيده، وصدق

أرسل الله عليهم طيراً أبابيل أي: متفرقة. 3

تحمل حجارة محماة من سجيل، فرمتهن بها، وتتبع قاصيهم ودانيهم، فحمدوا وهمدوا. 4

مشهورة وكانت تلك السنة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت من جملة إرهابات دعوته، ومقدمات رسالته، فله الحمد والشكر. 5
وصاروا كعصف مأكول، وكفى الله شرهم، ورد كيدهم في نحورهم، وقصتهم معروفة

سورة 106

- أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب. 1
قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها
- أي: فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل لأجل قريش وأمنهم، واستقامة مصالحهم، وانتظام رحلتهم في الشتاء لليمن، والصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب. 2
قال كثير من المفسرين: إن الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها
- حتى احترموهم، ولم يعترضوا لهم في أي: سفر أرادوا، ولهذا أمرهم الله بالشكر، فقال: فليعبدوا رب هذا البيت أي: ليوحدوه ويخلصوا له العبادة. 3
فأهلك الله من أرادهم بسوء، وعظم أمر الحرم وأهله في قلوب العرب،
- الموجبة لشكر الله تعالى. فلك اللهم الحمد والشكر على نعمك الظاهرة والباطنة، وخص الله بالربوبية البيت لفضله وشرفه، وإلا فهو رب كل شيء.. 4
الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف فرغد الرزق والأمن من المخاوف، من أكبر النعم الدنيوية،

سورة 107

- يقول تعالى ذاما لمن ترك حقوقه وحقوق عبادة: أرايت الذي يكذب بالدين أي: بالبعث والجزاء، فلا يؤمن بما جاءت به الرسل. 1
فذلك الذي يدع اليتيم أي: يدفعه بعنف وشدة، ولا يرحمه لقساوة قلبه، ولأنه لا يرجو ثوابا، ولا يخشى عقابا. 2
ولا يحض غيره على طعام المسكين ومن باب أولى أنه بنفسه لا يطعم المسكين. 3
فويل للمصلين أي: الملتزمون لإقامة الصلاة، ولكنهم عن صلاتهم ساهون 4
- القربات، والسهو عن الصلاة، هو الذي يستحق صاحبه الدم واللوم وأما السهو في الصلاة، فهذا يقع من كل أحد، حتى من النبي صلى الله عليه وسلم. 5
أي: مضيعون لها، تاركون لوقتها، مفوتون لأركانها وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله حيث ضيعوا الصلاة، التي هي أهم الطاعات وأفضل
- ولهذا وصف الله هؤلاء بالرياء والقسوة وعدم الرحمة، فقال: الذين هم يراءون أي يعملون الأعمال لأجل رياء الناس. 6
- الأموال الخفيفة، كعارية الإئاء والدلو والكتاب، ونحو ذلك، لأن الله ذم من لم يفعل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب والحمد لله رب العالمين. 7
والمساكين، والتحضيض على ذلك، ومراعاة الصلاة، والمحافظة عليها، وعلى الإخلاص فيها وفي جميع الأعمال. والحث على فعل المعروف و بذل
- ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذلها والسماحة به. فهؤلاء لشدة حرصهم يمنعون الماعون، فكيف بما هو أكثر منه. وفي هذه السورة، الحث على إكرام اليتيم،
ويمنعون الماعون أي: يمنعون إعطاء الشيء، الذي لا يضر إعطاؤه على وجه العارية، أو الهبة، كالإئاء، والدلو، والفأس،

سورة 108

- شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، أنيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، من شرب منه شربة لم يظلمأ بعدها أبدا. 1
أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته، ما يعطيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، من النهر الذي يقال له الكوثر ومن الحوض طوله
يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ممتنا عليه: إنا أعطيناك الكوثر
- له، وتنقلها في أنواع العبودية، وفي النحر تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من الناحر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به. 2
فقال: فصل لربك وانحر خص هاتين العبادتين بالذكر، لأنهما من أفضل العبادات وأجل القربات. ولأن الصلاة تتضمن الخضوع في القلب والجوارح
- ولما ذكر منته عليه، أمره بشكرها
- محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الكامل حقا، الذي له الكمال الممكن في حق المخلوق، من رفع الذكر، وكثرة الأنصار، والاتباع صلى الله عليه وسلم. 3
إن شانك أي: مبغضك وذامك ومننقصك هو الأبتى أي: المقطوع من كل خير، مقطوع العمل، مقطوع الذكر. وأما

سورة 109

أي: قل للكافرين معلنا ومصرحا 1

تفسير السعدي

لا أعبد ما تعبدون أي: تبرأ مما كانوا يعبدون من دون الله، ظاهرا وباطنا. 2

في عبادته ، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة، ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفا لازما. 3
ولا أنتم عابدون ما أعبد لعدم إخلاصكم

في عبادته ، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة، ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفا لازما. 4
ولا أنتم عابدون ما أعبد لعدم إخلاصكم

في عبادته ، فعبادتكم له المقترنة بالشرك لا تسمى عبادة، ثم كرر ذلك ليدل الأول على عدم وجود الفعل، والثاني على أن ذلك قد صار وصفا لازما. 5
ولا أنتم عابدون ما أعبد لعدم إخلاصكم

وفصل بين الطائفتين، فقال: لكم دينكم ولي دين كما قال تعالى: قل كل يعمل على شاكلته أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون . 6
ولهذا ميز بين الفريقين،

سورة 110

في هذه السورة الكريمة، بشارة وأمر لرسوله عند حصولها، وإشارة وتنبيه على ما يترتب على ذلك. فالبشارة هي البشارة بنصر الله لرسوله، وفتحه مكة. 1
ودخول الناس في دين الله أفواجا، بحيث يكون كثير منهم من أهله وأنصاره، بعد أن كانوا من أعدائه، وقد وقع هذا المبشر به، 2
صلى الله عليه وسلم يتأول القرآن، ويقول ذلك في صلاته، يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي . 3
بالحمد والاستغفار في هذه الحال، إشارة إلى أن أجله قد انتهى، فليستعد ويتهيأ للقاء ربه، ويختم عمره بأفضل ما يجده صلوات الله وسلامه عليه. فكان
وسلم قد قرب ودنا، ووجه ذلك أن عمره عمر فاضل أقسم الله به. وقد عهد أن الأمور الفاضلة تختتم بالاستغفار، كالصلاة والحج، وغير ذلك. فأمر الله لرسوله
فلهذه الأمة، وهذا الدين، من رحمة الله ولطفه، ما لا يخطر بالبال، أو يدور في الخيال. وأما الإشارة الثانية، فهي الإشارة إلى أن أجل رسول الله صلى الله عليه
ودخل فيه، ما لم يدخل في غيره، حتى حدث من الأمة من مخالفة أمر الله ما حدث، فابتلاههم الله بتفرق الكلمة، وتششت الأمر، فحصل ما حصل. ومع هذا
لأزيدنكم وقد وجد ذلك في زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم في هذه الأمة لم يزل نصر الله مستمرا، حتى وصل الإسلام إلى ما لم يصل إليه دين من الأديان،
ذلك إشارتين: إشارة لأن يستمر النصر لهذا الدين ، ويزداد عند حصول التسبيح بحمد الله واستغفاره من رسوله، فإن هذا من الشكر، والله يقول: لئن شكرتم
وأما الأمر بعد حصول النصر والفتح، فأمر رسوله أن يشكر ربه على ذلك، ويسبح بحمده ويستغفره، وأما الإشارة، فإن في

سورة 111

قبحه الله فذمه الله بهذا الذم العظيم، الذي هو خزي عليه إلى يوم القيامة فقال: تبت يدا أبي لهب أي: خسرت يداي، وشقى وتب فلم يربح، 1
أبو لهب هو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وكان شديد العداوة والأذية للنبي صلى الله عليه وسلم، فلا فيه دين، ولا حمية للقرابة
ما أغنى عنه ماله الذي كان عنده وأطفاه، ولا ما كسبه فلم يرد عنه شيئا من عذاب الله إذ نزل به، 2
سيصلى نارا ذات لهب أي: ستحيط به النار من كل جانب، 3
الله صلى الله عليه وسلم، تتعاون هي وزوجها على الإثم والعدوان، وتلقي الشر، وتسعى غاية ما تقدر عليه في أذية الرسول صلى الله عليه وسلم، 4
هو وامراته حمالة الحطب . وكانت أيضا شديدة الأذية لرسول
أنزل هذه السورة، وأبو لهب وامراته لم يهلكا، وأخبر أنهما سيعذبان في النار ولا بد، ومن لازم ذلك أنهما لا يسلمان، فوقع كما أخبر عالم الغيب والشهادة. 5
مسد أي: من ليف. أو أنها تحمل في النار الحطب على زوجها، متقلدة في عنقها حبلا من مسد، وعلى كل، ففي هذه السورة، آية باهرة من آيات الله، فإن الله
وتجمع على ظهرها من الأوزار بمنزلة من يجمع حطبا، قد أعد له في عنقه حبلا من

سورة 112

أي: قد انحصرت فيه الأحدية، فهو الأحد المنفرد بالكمال، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات الكاملة العليا، والأفعال المقدسة، الذي لا نظير له ولا مثيل. 1
أي قل قولا جازما به، معتقدا له، عارفا بمعناه، هو الله أحد
العليم الذي قد كمل في علمه، الحليم الذي قد كمل في حلمه، الرحيم الذي كمل في رحمته الذي وسعت رحمته كل شيء، وهكذا سائر أوصافه، 2

تفسير السعدي

المقصود في جميع الحوائج. فأهل العالم العلوي والسفلي مفتقرون إليه غاية الافتقار، يسألونه حوائجهم، ويرغبون إليه في مهماتهم، لأنه الكامل في أوصافه، الله الصمد أي:

ومن كماله أنه لم يلد ولم يولد لكمال غناه 3

ولم يكن له كفوا أحد لا في أسمائه ولا في أوصافه، ولا في أفعاله، تبارك وتعالى. فهذه السورة مشتملة على توحيد الأسماء والصفات. 4

سورة 113

أي: قل متعوذا أعوذ أي: ألبأ وألود، وأعتصم برب الفلق أي: فالفلق والحب والنوى، وفالفق الإصباح. 1

من شر ما خلق وهذا يشمل جميع ما خلق الله، من إنس، وجن، وحيوانات، فيستعاذ بخلقها، من الشر الذي فيها، 2

عم، فقال: ومن شر غاسق إذا وقب أي: من شر ما يكون في الليل، حين يغشى الناس، وتنتشر فيه كثير من الأرواح الشريرة، والحيوانات المؤذية. 3 ثم خص بعد ما

ومن شر النفاثات في العقد أي: ومن شر السواحر، اللاتي يستعن على سحرهن بالنفث في العقد، التي يعقدنها على السحر. 4

السورة، تضمنت الاستعاذة من جميع أنواع الشرور، عموما وخصوصا. ودلت على أن السحر له حقيقة يخشى من ضرره، ويستعاذ بالله منه ومن أهله. 5 من الأسباب، فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره، وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العاين، لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع، خبيث النفس، فهذه ومن شر حاسد إذا حسد والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه

سورة 114

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . 1 تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون الشر، ويريههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم وهذه السورة مشتملة على

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . 2 تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون الشر، ويريههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم وهذه السورة مشتملة على

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . 3 تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون الشر، ويريههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم وهذه السورة مشتملة على

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . 4 تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو آخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون الشر، ويريههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس

تفسير السعدي

الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم وهذه السورة مشتملة على

وبينها، ويريد أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . 5
تحت الربوبية والملك، فكل دابة هو أخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم ويخنس أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون الشر، ويريههم إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم وهذه السورة مشتملة على

وذلك في غرة ربيع الأول من سنة أربع وأربعين وثلثمائة وألف من هجرة محمد صلى الله عليه وسلم تم بحمد الله لاتنسونا من دعوه بظهر الغيب 6
تفسير كتاب الله بعونه وحسن توفيقه، على يد جامعه وكاتبه، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله المعروف بابن سعدي، غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين،
الله وسلم على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، صلاة وسلاما دائمين متواصلين أبد الأوقات، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. تم
آياته. ونرجوه ونأمل منه أن لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمته إلا القوم الضالون. وصلى
أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا. ونسأله تعالى أن يتم نعمته، وأن يعفو عنا ذنوبنا لنا حالت بيننا وبين كثير من بركاته، وخطايا وشهوات ذهبت بقلوبنا عن تدبر
أن يجعلهم من حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، والوسواس كما يكون من الجن يكون من الإنس، ولهذا قال: من الجنة والناس . والحمد لله رب العالمين
والملك، فكل دابة هو أخذ بناصيتها. وبألوهيته التي خلقهم لأجلها، فلا تتم لهم إلا بدفع شر عدوهم، الذي يريد أن يقتطعهم عنها ويحول بينهم وبينها، ويريد
أي: يتأخر إذا ذكر العبد ربه واستعان على دفعه. فينبغي له أن يستعين و يستعيز ويعتصم بربوبية الله للناس كلهم. وأن الخلق كلهم، داخلون تحت الربوبية
إياه في صورة حسنة، وينشط إرادتهم لفعله، ويقبح لهم الخير ويثبطهم عنه، ويريههم إياه في صورة غير صورته، وهو دائما بهذه الحال يوسوس ويخنس
الناس ومالكهم وإلههم، من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها، الذي من فتنته وشره، أنه يوسوس في صدور الناس، فيحسن لهم الشر، ويريههم
وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب